

القسم الاخير من

كتاب مختار في الامم

لأبي علي أحمد بن محمد

المعروف بـ «مستكنة»

مع نخب من تواريخ شتى تتعلق بالامور المذكورة فيه

وقد عتبتني بالنسخ والتصحيح هـ ف آمدروز

الجزء الثاني

(يحتوي على حوادث اربعين سنة) (من ٣٢٩ الى ٣٦٩ هجرية)

وكان هذا الوضع الجليل والطبع الجميل بمعرفة الفقير الى ربه فرج الله زكي الكردي
بمطبعته بشركة التمدن الصناعية عصر الحميه سنة ١٣٣٣ هـ و ١٩١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(خلافة المتقي لله أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله)

لما مات الراضى بالله بقى الامر فى الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدم أبي عبد الله الكوفى من واسط وأحيط على دار السلطان وانتظر أمر بحكم فيمن يُنصب للخلافة فورد كتابه على أبي عبد الله الكوفى يأمر فيه أن يجتمع مع الوزير الذى كان يزر للراضى بالله وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن وكل من تقلد الوزارة مع أصحاب الدواوين والقضاة والعدول والفقهاء والعلماء (٢١) والعباسيين ووجوه البلد وشاورهم فيمن يُنصب للخلافة ممن يرتضى مذاهبه وتحمده طرائقه فمن وُجدت فيه هذه الاحوال عُقدت له الخلافة . فلما اجتمعوا ذكر بعضهم ابراهيم بن المقتدر ففرق الناس عن هذا ذلك اليوم من غير تقرير لامر فلما كان اليوم الثانى دُفع كتاب بحكم الى كاتب فقام وقراه على الناس وذكروا ابراهيم : فقال محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمى : هذا الرجل من ولد المقتدر فقل لنا هذا الرجل المذكور فى الكتاب يجب ان يكون من ولد المقتدر أو من غيرهم ؟ فقال أبو عبد الله الكوفى : من كانت فيه هذه الاوصاف نُصب فى الخلافة كأئمتنا من كان . فقال له : يحتاج ان

يكون الخطاب في هذا سرًا . فقام أبو عبد الله فدخل الى بيتٍ وأقبل يدخل
اليه الناس اثنان اثنان ويقول لهما : قد وُصف لنا ابراهيم بن المقتدر فاي
شيء يقولون ؟ فاذا سمعا ذلك لم يشكّا في انه شيء قد تقرر وورد فيه أمر
بحكم فيقولون : هو موضع لما أهّل له . وكلاما في هذا المعنى فلما استوفى
كلام الجماعة تقدّم بحمله ليعقده الامر في دار بحكم ثم يحمل الى دار
السلطان . وانحدر أبو عبد الله الكوفي وعُرِضت الالقاب على المتقي لله فاختار
منها هذا اللقب وأخذت البيعة على الناس ^(٣٠) وأنفذ الخلعة واللواء الى بحكم
مع أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني الى واسط فانحدر بها وخلع عليه
وأخذ البيعة عليه للمتقي لله ^(٣١)

وأطلق بحكم لاصحابه صلة البيعة نصف رزقه أو دون ذلك ولم يُطلق
للكتاب ولا للنباء وأشباههم شيئًا . ووجه بحكم قبل استخلاف المتقي فحمل
من دار السلطان فرسا كان استحسنته وآلاتٍ كان اشتهاها . وخلع المتقي لله
على سلامة الطولوني وقلّده حجبته وأقر سليمان بن الحسن على وزارته وانما
كان له من الوزارة الاسم فقط والتدبير الى أبي عبد الله الكوفي
وفيها ورد الخبر بدخول أبي علي ابن محتاج في جيش خراسان الى الري
وقتله ما كان الديلمي وهزيمته لوشمكير الى طبرستان
(ذكر السبب في ذلك)

كان ما كان مستقرًا بكرمان من قبل صاحب خراسان حتى بلغه قتل

(١) وفي تاريخ الاسلام رواية عن أبي بكر الصولي ان الحسين بن الفضل بن النأمون
بعث الى الكوفي بعشرة آلاف دينار له وباربعين ألف دينار لفرقها في الجند ان ولاء
الخلافة فلم ينفع . وله أيضا ان المتقي لم يسر على جاريته التي له وكان كثير الصوم والتهجد
لم يشرب بيذا قط وكان يقول : لا أريد نديما غير المصحف

مرداويج فاجتمع عليه استئمان رجاله الى عماد الدولة على بن بويه ومجاورته
 اياه وطعمه في معاودة أعماله الاولى من جرجان وطبرستان فصار الى خراسان
 واستغنى من ولاية كرمان وسأل ولاية جرجان فولياها وسار اليها وفيها بلقسم
 ابن بالحسن من قبل وشمكير . فقدم ما كان كتابا الي وشمكير يُداريه فيه
 ويستنزله عن أعماله التي كانت ^(٣١) في يده ويستعيده الى حال المودة
 والموادعة . وكان الاجماع قد وقع من الجيل والديلم انه لم ير فيهم أشجع ولا
 أنجد ولا أفرس من ما كان وأقر له بذلك كل شجاع مذكور وكل متقدم
 مشهور فصادت رسالته من وشمكير ضعف قلبه بقتل أخيه مرداويج وقرب
 عهده بالمصيدة واشفاقه من صاحب خراسان ومن جهة عماد الدولة على بن بويه
 فاستجاب له الى النزول عن جرجان وكتب الى صاحبه بلقسم بن بالحسن
 بتسليمها اليه . فلما مضت له مدة استنزله ما كان أيضا عن سارية فنزل له أيضا
 عنها فتأكدت الحال بينهما واستحكمت المودة واستوحش صاحب
 خراسان من تضافرها وآل الامر الى ان خلع ما كان طاعته وأسقط خطبته .
 فسار حينئذ أبو على ابن محتاج الى جرجان لمواقفته في عسكر كثيف أمده به
 صاحب خراسان وكتب ما كان الى وشمكير بالصورة واستنجدته فأنجده
 بعسكر قوى ثم اتبعه أيضا بعسكر ثمان مع شيرج بن ليلى . وحاصر ابن محتاج
 ما كان واشتد به الحصار الى أن أكل أصحابه لحوم الجمال والبغال

فانهز هذه الفرصة ركن الدولة الحسن بن بويه واغتم شغل وشمكير
 بما كان فطمع في الري وكاتب أبا على ابن محتاج صاحب جيش خراسان ^(٣٢)
 وأشار عليه بمناجزة القوم ووعدته بالمعاونة وكذلك فعل عماد الدولة كاتبه
 وأشار عليه بالمناجزة ووعدته بان يسير أخاه الى الري في عسكر قوى

وعرف وشمكير الخبر وكتب الى ما كان بالصورة وأشار عليه بتسليم جرجان الى الخراسانية وكتب الى شيرج والى سائر عسكره بالانصراف ففعل ما كان ذلك وعاد الجيش باجمعه الى الري وحصل ما كان بسارية وتمكن ابن محتاج من جرجان . واتصلت المكتبة بينه وبين عماد الدولة وركن الدولة واستحكمت المودة بينهم واتفقوا على حرب وشمكير حين اختلط عسكراهما وصارا عسكرا واحدا واشتملت عدة العساكر على سبعة آلاف من الديلم والجيل سوى الأتراك والعرب وأظهرا من السلاح والجن والآلات والدواب أمرا عظيما . فترافدا في التدبير لان وشمكير كان منفردا باطلاق النفقات والاموال واقامة الانزال والعلوفات وتفقد القواد والرجال لان الري وأعمالها كانت في يده فاما ما كان فانه تفرد بمباشرة الحرب وترتب منها في القلب

فسار ابن محتاج على طريق الدامغان حتى قرب منها وأقام الديلم والجيل مصافها وبات الفريقان على أهبة لما كره الحرب والمناجزة^(٣٣) وكان وشمكير ضرب عدة خراكهات للمصاف ونصب المطارد والاعلام وأحضر الطعام للناس وأجلس ما كان في الصدر يأكل ويطعم ويجلس من يرى ووشمكير قائم متردّد على رسمهم في ذلك ؟ فكان ما كان يقول : يا باطاهر لِمَ لا تأكل معنا ثم تتوفّر على النظر بعد ذلك ؟ فيقول : يا با منصور نحن بازاء أمرٍ قد قرب انفصاله فان كان لنا فسوف نأكل معا ونظم وان كان لغيرنا فسوف ياكل ويظم . (وكانا يتعاملان معاملة النظراء ويتخاطبان بالكنى ويتساويان في جميع أحوالهما) فما استتموا طعامهم حتى ورد عليهم الخبر بان ابن محتاج رحل عن موضعهم عادلا عن سيمتهم الى اسحاقاباذ ليجتمع معه العدد الذي

أنفذه ركن الدولة لانه كان سار على طريق قم وقاشان فارتحلا جميعا في الوقت الى هذه القرية وأعاد المصاف بها ووافى ابن محتاج وقد عبى جيشه كراديس ﴿ ذكر حيلة في الحرب تفرق بها الجيش المجتمعون ودخل ﴾

﴿ بينهم القدر فازال تبعثهم وهزمهم ﴾

تقدم ابن محتاج الى أصحابه أن يتركوا القلب ويلحقوا عليه وكان فيه ما كان وجمرة العساكر وان يطاردوا لهم ويستجروهم . ثم وصى الكراديس التي بازاء الميمنة^(٣٤) والميسرة ان يناوشوهم مناوشة خفيفة بمقدار ما يشغلهم عن ان يصيروا مددًا لمن في القلب ولا يطالبوا المناجزة بل يقفوا بازائهم على هذا السبيل ففعلوا ذلك وألحوا على القلب ثم تطاردوا لهم كالمهزمين فقطع ما كان وأصحابه الذين كانوا في القلب فيهم فأتبعوهم وفارقوا مصافهم وبعدوا عن ميمنتهم وميسرتهم وصار بينهم فضاء كثير . فحينئذ أمر ابن محتاج الكراديس التي بازاء الميمنة والميسرة أن يتركوا من بازائهم ويدخلوا في الفضاء الذي اتسع لهم وراء القلب وأمر الذين كانوا بازاء الحرب ان يحملوا ويحققوا عليه مواجهين له فانكسر الديلم وحصلوا بين الكراديس ولم يكن لهم مهرب فقتلهم كما شاؤا . وكان ما كان قدر رجل وأبلى بلاء حسنا وظهرت منه آثار لم ير مثلها فوافاه سهم عائر وقع في جبينه فنفذ الخوذة والتراس حتى طلعت من قفاه وسقط ميتا وأذلت وشمكير وقوم من أصحاب الخيل الى سارية وأسر الباقون وقتلوا باجمعهم

وملك ابن محتاج الري وأخذ رأس ما كان بخوذة والسهم فيه وحمل على هيئته وحالته الى خراسان مع الاسارى ورؤس القتلى وكانوا عدداً جماً يقال انهم نحو ستة آلاف^(٣٥) . ثم حمل بعد ذلك رأس ما كان الى بغداد بعد

مقتل بجكم لان بجكم ينتسب الى ما كان ويزعم انه تريته وقد كان اظهر حزنا
وغما شديدا لما سمع بقتله وجلس للعزاء . فلما قتل بجكم ورد أبو الفضل العباس
ابن شقيق المرسوم كان بالترسل بين ولاية خراسان وبين السلطان ومعه رأس
ما كان وفيه السهم وعليه الخوذة وذلك في سنة ٣٢٩

﴿ ذكر غلطة وقعت من ابن محتاج في استنামته الى جيش ﴾

﴿ غريب حتى قتل خلق من أصحابه وانتهب ﴾

﴿ سواده ونجا بنفسه ﴾

كان الحسن بن الفيرزان ابن عمّ ما كان وصنيعته وكان قريبا منه في
الشجاعة الا انه كان شرسا متهورا زعيم الاخلاق فلما قتل ما كان التمس منه
وشمكير ان يدخل في طاعته وينحاز اليه فلم يفعل ثم لم يقتصر على التثاقل عنه
حتى أطلق لسانه فيه وقال : هو الذي أسلم ما كان الى القتل وخذّله ونجا
بنفسه . فافسد ما بينه وبين وشمكير بهذا الضرب من الكلام والوقعة فيه
فقصده وشمكير وهو يومئذ بسارية فانصرف عن سارية وصار الى ابن محتاج
داخلا في طاعته ومستنهضا له على وشمكير فقبله ابن محتاج وأحسن اليه وساعده
على قصد وشمكير . فلقبه بظاهر سارية واتصلت الحزب بينهما أياما الى أن
ورد الخبر ^(٣٦) على ابن محتاج بوفاة نصر بن أحمد صاحب خراسان فصالح
وشمكير وأخذ ابنا له يقال له سالار رهينة ووافقه على أمور تقررت بينهما
وانصرف الى جرجان وجذب الحسن بن الفيرزان معه وهو غير طيب النفس
بما فعله وأراد منه أن يتم الحرب ثم يستخلف الحسن ويمتدّ بعد ذلك الى
خراسان فلما لم يفعل ابن محتاج ذلك انجذب الحسن بن الفيرزان معه على هذا
الحقد ودبر أن يطالب غرته في طريقه ويفتك به فلما صار الى الحد بين أعمال

جرجان وخراسان وثب الحسن على ابن محتاج وأوقع بمسكره ليقتله فافلت منه وقتل حاجبه واتهب سواده واسترجع رهينة وشمكير أغنى ابنه سالار وعاد الى جرجان فاستولى عليها وعلى أعمال الدامغان وسمنان والقلعة التي كان يمتصم بها . وكان وشمكير صار الى الري فملكها فلما فعل الحسن بابن محتاج ما فعل عاد الى مواصلة وشمكير وبدأه بالجمالة ورد عليه ابنه الذي كان رهينة عند ابن محتاج وأراد بذلك ان يستظهر على الخراسانية به ان عاودوا حربته فقتل وشمكير ابنه وحاجزه في الجواب ولم يصرح له بما ينقض شرائط ابن محتاج عليه

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير^(٢٧) فانهزم وشمكير واستأمن أكثر رجاله الى ركن الدولة وصار الى طبرستان . فاعتنم الحسن ابن الفيرزان ضعف وشمكير فسار اليه واستأمن الى الحسن بقية أصحابه وانهزم وشمكير الى خراسان على طريق جبل شهریار . فلما حصل وشمكير بخراسان رأى الحسن بن الفيرزان ان يواصل أبا على ركن الدولة وينجاز اليه مراسله ورغب في مواصلة فاجابه الي ذلك وتمت المصاهرة بينهما بوالدة الامير على ابن ركن الدولة أعنى نحر الدولة وهي بنت الحسن بن الفيرزان وفي هذه السنة فرغ من مسجد برآنا وجمع فيه

وفيهما اشتد الغلاء ببغداد وبلغ السكر من الدقيق مائة وثلاثين ديناراً وكل الناس الحشيش وكثر الموت حتى كان يدفن في قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلوة وظهر من قوم ديانة وصدقة وتكفين ومن آخرين فجور وغضب وهم الاكثر^(١)

(١) زاد صاحب التكملة : وكان علي بن عيسى والنعماني بكفيان الناس على أبواب دورهم

وفيهما انبثق نهر الرُّفيل ونهر بوق^(١) فلم يقع عناية بتلافيهما حتى خربت
بادوريا بهذين البهتين بضعة عشر سنة
وفيهما قتل بجكم

(ذكر سبب قتله)

كان ورد جيش البريدي الى المذار وأنفذ بجكم نوشتكين^(٢) وتوزون في جيش
للقائه فكانت بينهما وقعة^(٣) عظيمة كانت أولا على أصحاب بجكم فكتبوا
الى بجكم يسألانه ان يلحق بهما فخرج بجكم من داره بواسطة يوم الاربعاء لاربع
عشرة خلت من رجب للمسير الى المذار ليلحق عسكره وأصحابه . فورد كتاب
توزون ونوشتكين بظفرهما وهزيمة جيش البريدي وانه قد استغنى عن انزعاجه
فأنفذ بجكم بالكتاب الى بغداد وكتب به كتاب هناك قرىء على المنابر
وهم بجكم بالرجوع من حيث وصل اليه الكتاب بالخبر وكانت
خزائنه قد سارت فإشار عليه أبوزكرياء السوسي بان لا يرجع وقال له : تمضي
وتتصيد . فعمل على ذلك^(٤) فلما بلغ نهر جور عرف ان هناك قوما من

وسقطت القبة الخضراء التي هي قبة المنصور المعروفة بقبة الشعراء . ونكب الكوفي
هرون اليهودي جههذ ان شيرزاد ونقي عليه من مصادره ستون ألف دينار فاخذت
داره وكانت قديما لابراهيم بن أحمد المادرائي را كبة دجلة والصراة وفيها بستان
أبي الفضل الشيرازي ودار المرتضي وحمل هذا اليهودي الى بجكم بواسطة فضرب بين يديه
بالدبابيس حتى مات

(١) وفي الاصل : نهر بو . وفي التكملة : نهر بوا . (٢) وفي تاريخ الاسلام هو :
كورتيكين (٣) وقال صاحب كتاب البيون في ترجمة سنة ٣٢٨ : فيها خرج بجكم الى الصيد
بمرج البنديجين فاوغل في طلب الصيد وانقطع عن أصحابه فلم يشعر الا وقد أحاط به من
الاعراب جماعة فيهم رجل يقال له حججاج معروف بالصمالة (وهو قطع الطريق وقتل

الاكراد مياسير فشره الى أهوالهم وقصدهم متهاونا بهم في عدد يسير من غلمانهم وعليه قباء طاق بلاجبة فهرب الاكراد من بين يديه وتفرقوا . ورمى واحدا منهم فاخطأ ورمى آخر فاخطأ واستدار من خلفه غلام من الاكراد وهو لا يعرفه فطمعنه بالرمح في خاصرته فقتله وذلك بين الطيب والمذار يوم الاربعاء لتسع بقين من رجب . واضطرب عسكره جدا ومضى ديلمه خاصة

(النفس) وكان تحت بكم فرس كان عليه سرج مسوره من ذهب وحليته بلور فلما نظر الى الخيل قد أحاطت به رجل وخلي لهم فرسه وحى نفسه فلم يكن لهم فيه حيلة وقنعوا بالفرس ولم يزل يمشى الى ان قصد قصرا خرابا من قصور الاكاسرة فصعد الى أسلاه وأبرق بسيفه فلحقه عسكره وسألوه عن خبره فذكر ان فرسه تقطر به وغاب عنه ولم يدر أين أخذ . ثم اتى يتعجب من حسن القصر ومن صورة فيه من صور الاكاسرة فسأل عن أهله وأمر ان يجمع له مجارى الموضع فسألهم فقالوا : ما تى من نسل هذا الذى بنى القصر وهو الهرمزان الاقوم بناحية نهر مرة من حدد البصرة . فوجه اليهم بمحضرهم فاحضر اليه منهم بضعة عشر رجلا فسألهم فلم يجد فيهم الا مولى لهم وقد بعدت معرفتهم بخبر القصر ووجد رجلا آخر خيرا فقال لهم : لم انتقل سلفكم من هذا الموضع الحسن الطيب ؟ فقال الرجل : بلغنا ان سبب انتقالهم طاعون ظهر فرحل الخاق عن مواضعهم وكل قصر تراه خرابا أو بهرا مطمورا فهذا سبب انتقال أهله عنه . فسأل وقال : أرى صورة ملك وأسد بازائه قد التزم يد الملك الواحدة الى مرفقه وبسط يده الاخرى كأنه يومى الى موضع من المواضع وكأنه رافع وجهه نحو السماء يستغيث بالله . فقال له الرجل أما اقباله نحو الاسد فانه الموضع الذى يزول ملكه منه ويملك عدوه وهو نحو الحجاز لما كانوا يتوقعونه من ظهور النبي صلعم وزوال ملكهم وهو الاسد الذى قد التزم يده واما إيماءه الى موضع آخر فيجوز ان يكون يومى الى موضع فيه ذخيرة له : فيقال ان بكم قاس الموضع الذى يومى اليه المصور وأمر بحفره واستقصي الحفر فوجد مالا عظيما كسرويا وأنية وجواهر في الموضع فصدق من المسال عثره على آل أبى طالب وغيرهم وقال : سبب سيطرة الله عز وجل الى بما كان من الاعراب واشترافى على القصر وما وقع في نفسى الاستقصاء والمثلة عن الصورة . وعمر مواضع كثيرة في تلك الناحية وأنشأها وأجرى إليها الأنهار وغرس بها غروسا

الى البريدي وكانوا ألف وخمسةائة رجل فقبلهم وأضعف أرزاقهم في دفعة واحدة
 وكان بنو البريدي ^(٣٩) عملوا على الهرب وقد ضاقت عليهم البصرة
 لمراسلة بجكم أهلها بما سكن قوسهم فكانوا مجتمعين بطارا فلما بلغ بنو
 البريدي قتل بجكم فرج عنهم ونفس خناقهم . وعاد أراك بجكم الى واسط
 وسار تسكينك بهم الى بغداد ونزلوا في النجى وأظهروا طاعة المتقي لله
 وصار أحمد بن ميمون كاتب المتقي لله قديما هو المدبر للامور وصار أبو
 عبد الله الكوفي من قبله . فكانت مدة تقلد أبي عبد الله الكوفي كتابة
 بجكم وتديره الملكة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ومدة اماره بجكم
 سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ووجه المتقي بجماعة من حجابيه فوكاهم بدار بجكم ولم يتعرض لشيء مما
 فيها حذرا من أن يراد خبر لبجكم يطل الخبر الاول فلما صبح عنده قتله أحضر
 يكاق صاحب تسكينك فاثبت المواضع التي فيها المال مدفونا فسئل عن سبب
 معرفته بها فذكر انه كان يخرج من الخزانة ويستدل على انه لدفين ثم يتبع
 الاثر سرا فلما عرف البيت الذي فيه الدفين والموضع المظنون فيه المال طالب
 له ثقة وضم الى نجاح خادم المتقي فاستخرج شيء كثير في قدور كبار منها عين
 ومنها ورق فلما فرغ مما وجد بذل للحفارين أن يأخذوا التراب باجرتهم
 فامتنعوا ^(٤٠) فأطلق لهم ألفي درهم ثم تقدم بغسل التراب فغسل وأخرج منه
 ستة وثلاثون ألف درهم . وكان بجكم قد دفن في الصحاري ولم يقتصر على
 ما دفنه في البيوت فكان الناس يتحدثون انه اذا دفن في الصحراء شيئا ومعه
 من يعاونه قتله لئلا يدل على ما يدفنه في وقت آخر فلما بلغ بجكم ما يقوله
 الناس فعجب منه

فحكى سنان بن ثابت قال : قل لي بجكم : فكرت فيما دفنته في داري من المال وقلت : قد يجوز ان يحال بيني وبين الدار بمحادث تحدث فلا أصل اليها فيتلف مالي وروحي اذ كان مثلي لا يجوز ان يعيش بغير مال فدفنت في الصحراء وعلمت انه لا يحال بيني وبين الصحراء . فبلغني ان الناس يشنعون علي باني أقتل من يكون معي ولا والله ما قتلت أحداً على هذه السبيل وأنا أحدثك كيف كنت أعمل . كنت اذا أردت الخروج للدفن أحضرت بغالا عليها صناديق فرغ الى داري فاجعل في بعضها المال وأقفل عليها وأدخل من أريد أن يكون معي من الرجال الى باقي الصناديق التي على ظهور البغال وأطبق عليهم وأقفل وأسير بالبغال . ثم آخذ أنا مقود القطار وأسير الى حيث أريد وأرؤد من بخدم البغال وأنفرد وحدي في وسط الصحراء ثم أفتح عن الرجال^(١) فيخرجون ولا يدرون أين هم من أرض الله وأخرج المال فيدفن بحضرتي وأجعل لنفسى علامات ثم أرد الرجال الى الصناديق وأطبقها عليهم وأقفلها وأقود البغال الى حيث أريد وأخرج الرجال فلا يدرون الى أين مضوا ولا من أين رجعوا واستغنى عن القتل^(٢)

واستوزر المتقى لله أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون وخلع عليه

واستخلف أبا عبد الله الكوفي . وطلب تكيك فاستتر .

وقدم الترجمان من واسط فآقره المتقى لله على الشرطة ببغداد

وفيهما أصعد البريديون من البصرة بعد قتل بجكم

﴿ ذكر الخبر عن اصعادهما وما آلت اليه أمورهم ﴾

لما قُتل بجكم اختلف أهل عسكره فاما الديلم ففقدوا الرياسة لبسوار

ابن مالك بن مسافر الكنكري فجم عليه الاتراك وقتلوه . فأنحدر الديلم بأسرهم الى البصرة مستأمنين الى أبي عبد الله البريدي وكانوا ألفاً وخمسمائة رجل مختارين منتجبين ليس فيهم حشوفقوى البريدي بهم وعظمت شوكته واستظهر بهم على السامان وانضاف عسكرهم اليهم فبلغوا سبعة آلاف رجل فاصعد البريديون من البصرة الى واسط فراسلهم المتقي لله وأمرهم ألا^(٤٢) يصعدوا وان يقيموا بواسط فارسـلوا : انا محتاجون الى مال الرجال فانفذ الينا مايرضيهم به ونحن نقيم . فوجه المتقي لله أبا جعفر بن شيرزاد بعد ان رد عليه ضيعته مع عبد الله بن يونس صاحب بيت المال وأنحدر في جلته تسكينك سرّاً من المتقي لله .

وقال الاتراك البيجمية والجنكائي الذي كان استأمن من جهة البريدي للمتقي لله : نحن نقاتل بني البريدي ان جاؤا فاطلق لنا مالا وانصب لنا رئيساً . فانفق فيهم وفي رجال الحضرة القدماء أربعمائة ألف دينار من المال الذي وجد لبجكم وجعل الرئيس عليهم سلامة الطولوني الحاجب وبرزوا مع المتقي لله الى نهر ديبالي . وعاد عبد الله بن يونس بجواب الرسالة من البريديين ياتمسون المال فحمل اليهم معه من مال بجكم أيضاً مائة وخمسين ألف دينار فآخذها وقال : انا أحتاج الى خمسمائة ألف دينار للديلم فان حُملت اليّ والا فان الديلم لا يمهلونني وعلى كل حال انا سائر فان تلمّاني المال انصرفت والا دخلت الحضرة . فقال المتقي لله لما أذيت رسالته : انا قد أنفقت في الاتراك أربعمائة وخمسين ألف دينار وفي غيرهم جملة فمن أين أعطيه ماطلب؟ دعه يرد الحضرة ويعمل ماشاء فاني أرجو ان أكون في أمره . وسار أبو عبد الله البريدي^(٤٣) من واسط نحو الحضرة فلما قرب منها اضطرب الاتراك البيجمية وقلعوا

خيمهم واستأمن بعضهم الى البريدى وسار بعضهم الى الجنكاني الى الموصل
ودخل سلامة بغداد واستتر أبو عبد الله الكوفي وسلامة الحاجب ومحمد بن
ينال الترجمان وتقلد الشرطة مكان الترجمان أحمد بن خاقان وتأسف الوزير
أبو الحسين على أربعمائة ألف دينار ذهبت ضياعا . ورهب الناس البريدى
رهبة عظيمة لمسه وتهوؤره وطعمه فهم أرباب النعم بالانتقال .

فحدث بعض المختصين بابي الحسن على بن عيسى قال : كنت بين يديه
أنا وأولاده وأخوه وخواصه في تلك الايام ونحن نتحدث بامر البريدى
وموافاته الحضرة وتجارى جرأته وإقداؤه وقلة اكترائه وأنه يفعل الناس
بنعال الدواب وأشارت الجماعة عليه بالأقامة ببغداد وإن يخرج هو وعياله
الى الموصل الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وفزعناه وهو لنا عليه
وهو لا يصغي الى رأينا فلما اكثرنا عليه ترجح رأيه . ثم أطلق لى مائتي دينار
على أن أبكره واكترى له بها زواريق ليصعد هو فيها وعياله الى الموصل
فباكرنى رسوله مع السحر يأمرنى بالمصير اليه^(١) وجئت وسألتى فعرّفه
انى ما كنت من امتثال أمره بما كره رسوله واستدعاه لى فقال : وبك
لنكرت البارحة فيما أشرت به فوجدته خارجا عن الصواب مفسدا للدين
أبهر مخلوق الى مخلوق ؟ اصرف تلك الى وجوه الصدقة فاني مقيم .
فرددتها الى خزائنه وأقام فلما قرب البريدى انحدرا اليه وتلقاه فأكرمه أبو
عبد الله غاية الاكرام ووفاه حقه وأعظمه ومنه من أن يخرج من طياره
وانقل هو اليه وشكر برّه وخاطبه بنهاية الاكرام والتعظيم^(٢)

ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم

وأبو جعفر ابن شيرزاد يوم الثلاثاء ليلتين خلنا من شهر رمضان فزلوا البستان الشفيعي وتلقاه الوزير أبو الحسين ابن ميمون والسكرتار والعمال والقضاة والوجوه وكان معه من الشذات والطيارات والحديدات والزبازب ما لا يحصى كثرة . فوجه المتقي اليه يُعرِّفه أنسه بقربه وحمل له الطعام والشراب والالطاف عدة ليال وكان يخدم في ذلك كله خدمة الخلافة . وظهر محمد بن ينال الترجمان وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضاً بالوزارة ويصير^(٤٥) أبو الحسين اليه بسيف ومنطقة وقباء ويخاطب كل واحد منهما صاحبه بالوزارة . ثم لبس أبو الحسين الدراعة وأزال عن نفسه اسم الوزارة بمواطاة الخليفة وذلك استخلون من شهر رمضان فكانت مدته فيها ثلاثة وثلاثين يوماً وتفرَّد أبو عبد الله البريدي باسم الوزارة .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان حضر أبو الحسين ابن ميمون ومعه ابنه أبو الفضل مجلس الوزير أبي عبد الله وكان الوزير قد واطأ القواد ان احضر أبو الحسين مجلسه ان يجتمعوا ويكلموه ويتوثبوا عليه ويهددوه بالقتل ويقولوا انه « يضرب علينا الخليفة ويُفسد علينا رأيه » ففعل البديل ذلك في هذا اليوم فما زال الوزير يسكنهم ويعرِّفهم كذب ما بلغهم عنه ثم قال لابي الحسين وابنه : قوما ادخلا الرواق . يوهما انه يريد ان يخلصهما من القتل فدخلا الرواق ووكل بهما وانصرف القواد وحضرا في قبضه . ثم قال لهما بعد أيام : يا أبا الحسين قد قلدتك الإشراف على واسط وأجريت لك ألف دينار في كل شهر فامض الى عمالك مع ابنك . فحملا الى واسط ومنها الى البصرة ولما قبض عليه استكتب المتقي لله على خاص أمره أبا العباس أحمد

ابن عبد الله الاصهباني واعتل أبو الحسين بعد مدة^(٦٦) بالبصرة ومات بها .
ولم يلق الوزير أبو عبد الله طول مقامه ببغداد المتقي لله ولا دخل دار
السلطان وذهب اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله وهو في النجفي ليسلم
عليه فلبس أبو عبد الله البريدي قباء أسود وعمامة سوداء وتلقاه في أحسن
زي وأوفر عدة وثر عليه دنائير ودرهم . وراسل الوزير أبو عبد الله البريدي
المتقي لله على يد القاضي أحمد بن عبد الله بن اسحق الخرق^(٦٧) وأبى العباس
الاصهباني يطالبه بحمل مال يحمل اليه مائة وخمسين الف دينار فاخذها
وراسله بانه لا بد من خمسمائة الف دينار فالتوى المتقي لله فقال للقاضي : انصحه
وقل له « أما سمعت خبير المعتز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله ؟ والله
لئن خليتك والاولياء لتطلبن نفسك فلا تجدها وأنت أبصر إنما الديلم وافوا
لاجل المال الذي أخذته لا الى بغداد وعندهم انهم أحق به منك ولا يعرفون
البيعة ولا ممن لك في رقابهم » وكان الجواب عن هذه الرسالة الانعام وحمل
اليه خمسمائة ألف دينار فاستوفاهما عن آخرها في سلخ رمضان وذهب
للقاضي الخرق منها خمسة آلاف دينار . ولما حصلت الاموال عند البريديين
انصرفت أطماع الجند كلهم اليه وكان البريدي^(٦٨) يبعث الجند على طلب

(١) وفي تاريخ الاسلام هو أبو الحسن تقلد القضاء بواسطته بمصر والمغرب ثم ولي
قضاء بغداد سنة ٣٠ وكان هو وأبوه وعمومته من التجار يشهدون على القضاء وكان المتقي
لله يرعى له خدمته فلما أفضت الخلافة له أحب أن ينوه باسمه وبيانه الى حال لم يبلغها
أحد من أهله فقلده القضاء ولم يكن له خدمة للعالم ولا مجالسة لاهله فتعجب الناس لكن
ظهرت منه رجولة وكفاءة وعفة ونزاهة . وانقطع خبره في هذا العام (يعني سنة ٣٣٤)
لانه ترحل الى الشام ومات هناك . وفي التكملة ان في هذه السنة قلد القاضي القضاء بمصر
والحرمين وخلع عليه

الاموال من الخليفة ويحملهم على الشغب فلما استصفي مال السلطان رجعت
المسكيدة عليه وتشغب الجند عليه . وكان الديلم قد اجتمعوا يوم الاحد لليلتين
بقيتا من شهر رمضان فرأسوا على أنفسهم كورنكيج بن الفاراضى الديلمي
فرأس الاثراك على أنفسهم تكيينك غلام بجكم وانحاز الديلم باجمعهم الى دار
السلطان وأحرقوا دار أبي الحسين البريدى التي كان ينزلها .

ونفر الجيش عن أبي عبد الله البريدى وصار تكيينك الى الديلم
وتضافروا وكان سبب ذلك ان تكيينك لم يكن كبيرا في نفوس الاثراك
فارسل اليه كورنكيج وخدعه وقال له : ان تفر دكل واحد منا عن صاحبه
ضعف وأرى أن نجتمع وتصير أيدينا واحدة . فأنخدع له وصار اليه فاجتمعوا
فلما تمكن منه عاجله بالقبض عليه الا انه استعان به في العاجل لما اجتمعوا
ووافقه على قصد البريدى ونهب ما حصل عنده فاتفقوا على ذلك وقصدوا
باجمعهم النجى وعاونهم العامة . فقطع الوزير أبو عبد الله الجسر . ووقعت
الحرب في الماء ووثبت العامة في الجانب الغربى باسباب أبي عبد الله البريدى
وقتل نعمة القرمل على فهرب الوزير أبو عبد الله البريدى وأخوه وابنه
وانحدروا الى واسط في ^(١٨) الماء ونهبت داره في النجى ودور قواده
ونهب بعض المال الذي كان حمله اليه المتقي في ذلك اليوم لان هزبه
كان يوم الاثنين سلخ رمضان وآخر ما حمل اليه من بقية المال في ذلك
اليوم . واستتر أبو جعفر ابن شيرزاد ونهبت داره وظهر سلامة الطولونى
وبدر الخرشنى . فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه أربعة وعشرين
يوما . ولما هرب البريدى حصلت الامارة لكورنكيج يوم الاربعاء
لليائين خلعا من شوال

﴿ ذكر امارة كورنسكيج ﴾

فلما كان يوم الخميس اثلاث خلون منه لقي كورنسكيج المتقي لله فقلدهُ امارة الامراء وعقد له لواء وخلع عليه . وكان يكتب له رجل من اهل اصبهان يُعرف بابي الفرج ابن عبد الرحمن واستدعى المتقي لله ابا الحسن على بن عيسى وأخاء عبد الرحمن فدبر الامر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة . وقبض الامير ابوشجاع كورنسكيج على تسكينك يوم السبت لخمس خلون من شوال وعرفته ليلا . وفي يوم الجمعة اجتمعت العامة في الجامع من دار السلطان وضجوا وتظلموا من الديلم ونزولهم في دُورهم بغير أجره وتعديهم عليهم في معاملاتهم فلم يقع انكازٌ لذلك فمنعت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبر . وشغب الجند فمنعهم الديلم من ذلك ^(١) فقتل بين الفريقين جماعة

واستوزر أبو اسحق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي للمتقي لله فكانت مدة نظر على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن تسعة أيام

﴿ ذكر السبب في وزارة القراريطي ﴾

حكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي قال : كنتُ بحضرة كورنسكيج مع كاتبه أبي الفرج وفي مجلسه على بن عيسى وعبد الرحمن أخوه والقراريطي فطالب كورنسكيج أبا الحسن على بن عيسى بالمال وعرفه حاجته اليه لإعطاء الرجال فبأع هو وأخوه وذكر ان المال قد استنظف من النواحي وأنه لا وجه له (قال) فقال القراريطي ونحن في المجلس ؟ فيما بيني وبينه : ان رُدَّ الامر اليَّ أقمت ^(١) به واستخرجت ما يدفع الى الرجال ويفضل بعده جملةً وافرة . فاجتمعتُ مع أبي الفرج كاتب كورنسكيج

وعرفته ما خاطبني به فالتمس ان يصير اليه في خلوة لئسمع كلامه فاحضرته في غد فاعاد عليه ما قاله لي وأراه وجوها لجملة من المال . فذهب الى صاحبه كورنكيج فعرفه ان علي بن عيسى وأخاه قد باعوا وان القراريطى قد حضر وذكر انه يقوم بالامر ويخرج نال الرجال حتى لا يقع إخلال بشئ يحتاج اليه فاستروح كورنكيج الى ذلك وأمره بإحضاره ليلا فاحضره وخلا به وبكاتبه وجعله على ثقة من القيام^(١) بكل ما يحتاج اليه ولم يبرح حتى انقلده الامر ووقف المتقي لله عليه

وأخرج اصبهان الديلمي الى واسط من قبل الامير أبي شجاع كورنكيج لمحاربة البريدي وكان أبو يوسف قد أصد من البصرة الى واسط فلما سمعوا بأنحدار اصبهان الديلمي أنحدر البريديون الى البصرة . وظهر ابن سنجلا وسائغه على بن يعقوب من استنارهما وصارا الى دار الوزير أبي اسحق القراريطى لئسلما عليه فقبض عليهما من داره قبل ان يصلا اليه وحملهما الى دار السلطان وكتب فيهما رقعة الى المتقي لله وأمر بحبسهما ونالهما مكروه غليظ بالضرب والتعليق وصودرا على مائة وخمسين الف دينار

وفي هذه السنة سار محمد بن رائق من الشام الى مدينة السلام لما بلغه قتل بحكم

﴿ ذكر الخبر عن مسير ابن رائق من الشام ﴾

﴿ ودخوله بغداد وما آل اليه أمره ﴾

كان الاتراك البهكمية مثل توزون وخجج ونوشتكين وصيغون وكبارهم لما انصرفوا من بغداد بعد قتل بحكم وإصعاد البريدي صاروا الى الموصل فحاد عنهم أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وراسلوه في إطلاق نفقاتهم فاطلوا لهم ربع رزقة فتقدموا الى ابن رائق بالشام فصيح عنده قتل بحكم

بمسير الاثراك اليه وكتب اليه المتقي يخبره بقتل بحكم ويخاطبه^(٥١) بخطاب جميل ويستدعيه الى الحضرة فسار من دمشق فلما قرب من الموصل كتب كورنكيچ الى ابيهان الديلمي بان يصعد من واسط فاصعد ودخل بغداد وخرج لؤلؤ الى واسط متقلدا لها ولم يتم أمره ورجع من الطريق . ولما وصل ابن رائق الى الموصل حاد عنه أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وجرت بينهما رسالة تقرر فيها ان يحمل أبو محمد الى ابن رائق مائة الف دينار فاخذها وانحدر الى بغداد وعاد أبو محمد بن حمدان الى الموصل

ولما كان يوم الاحد لخمس بقين من ذى القعدة قبض كورنكيچ على القراريطي فكانت مدة وزارته ثلاثة وأربعين يوما وقلد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم السكرخي ولقى المتقي لله في هذا اليوم وخلع عليه وورد الخبر بدخول بني البريدي واسط لما انصرف عنها ابيهان الديلمي وخطبوا بواسط والبصرة لابن رائق وكتبوا اسمه على اعلامهم وفيها دخل ابن رائق بغداد وانهزم كورنكيچ واستتر

﴿ ذكر الخبر عن هزيمة كورنكيچ واستتاره باتفاق وحرب ﴾

لما قرب ابن رائق من بغداد خرج كورنكيچ منها وانتهى الى عكبرا وقلد لؤلؤ الشرطة ببغداد وخلع عليه وانتهى ابن رائق الى كورنكيچ وابتدأت الحرب واتصلت أياما متتابعة كانت^(٥٢) على ابن رائق . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة دخل ابن مقاتل ببغداد ومعه قطعة من جيش ابن رائق وفي ليلة الخميس لتسع بقين منه دخل ابن رائق بجميع جيشه من الجانب الغربي ونزل في النجى وعبر في غداة غد . اليوم الى دار السلطان ولقى المتقي لله وسلم عليه واستركبه فركب معه

في دجلة الى زقة الشماسية وانحدرا من وقتها الى دار السلطان فصعدا المتقي لله اليها وعبر ابن رائق الى النجى . ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وافى كورنكيح في جيشه من عكبرا على الظهر بغداد هو وأصحابه وهم في نهاية التهاون بابن رائق ومن معه وكانوا ينهرون ويقولون « أين نزلت هذه القافلة الواردة من الشام » ولما وصل كورنكيح الى دار السلطان دفع عنها وكان فيها لؤلؤ وبدر الخرشني فانصرف كورنكيح ونزل في الجزيرة التي بين يدي اصطبل مربوط الجمال وخزانة الفرش ويعرف اليوم بدار الفيل

فتحدث أبو بكر ابن رائق بعد ذلك انه كان عمل على الانصراف والرجوع الى الشام لما دخل كورنكيح بغداد وانه حمل ثقله وابتدأ بالمسير قال : ثم قلت في نفسي « أنصرف وأسلم هذا الامر » فلم تطب نفسي وقلت لِفَاتِك حاجي : استوقف الناس . فاستوقفهم فلم يقفوا حتى بادر الى بغل من بغال النقل فمرقه ^(١) فوقف حينئذ الناس . وعبرت نحو من مائة رجل من أصحابي مع محمد بن جعفر النقيب على الظهر الى الجانب الشرق وعبرت أنا في سميرية ومعى سبائشي الخادم التركي ونحو من عشرين سميرية فيها غلمان واتفق مجيئي مجيء أصحابي على الظهر في وقت واحد فلما رشقنا الديلم بالنشاب سمعوا من ورائهم الزعقات من أصحابي ومن العامة فاضطربوا ونحبت قلوبهم وقدروا ان الجيش قد وافاهم من خلفهم وانهم قد ملكوا ظهورهم فانهزموا وأخذهم الرحمة من العامة وطُرحت السُتر عليهم ^(٢) وهرب كورنكيح واستتر وقيل ما عرف أصحابه أي طريق أخذوا وثبت أمرنا

(ذكر الخبر عن قتل الديلم وامارة ابن رائق)

لما استتر كورنكيج وتقطع جيشه وبطل أمره ظهر أبو عبد الله أحمد بن
على الكوفي لابن رائق وعاد الى خدمته . وأمر ابن رائق ببقية الديلم المستأمنة
ب طرح أسلحتهم وأنفذ خاتمه الى جماعة منهم كانوا تحصنوا في حصن بالقرب
من جسر النهروان فرجعوا ودخلوا الدار المعروفة بدار الفيل فسكنوا نحو
أربعمائة رجل لم يجسروا ان يثربوا . فلما كان يوم الاثنين لحس بقين من ذى
الحجة وجه ابن رائق برجاله السودان الى دار الفيل ووضعوا السيف فيمن
اجتمع هناك من الديلم فقطعوه فلم يسلم منهم^(١) الا رجل يقال له خذا كرد
وقع بين القتلى وحمل في جملة المقتولين في الجوالقات الى دجلة ورمي به مع
غمرة فعاش مدة طويلة بعد ذلك . وكان ابن رائق استأمر من قواد الديلم
بضعة عشر قائداً فوجه بهم الى دار فاتهم حاجبه وأمره بضرب أعناقهم
فضربت أعناقهم صبرا في داره . وكان من المهزمين من الديلم قوم مضوا في
الهرب الى طريق خراسان فلما تجاوزوا جسر النهروان باتوا في بعض الخانات
فسقط عليهم الخان بالليل فمات أكثرهم

ولما كان يوم الثلاثاء لاربع بقين من ذى الحجة خلع المتقي لله على ابن
رائق وطوئته وسوره بطوق وسوار مرصمين بالجوهر وعقد له لواء وقلده
أميرة الامراء وألزم أبو جعفر السكرخي بيته وكانت وزارته هذه ثلاثة
وخمسين يوما . ودبر الامور أبو عبد الله أحمد بن على الكوفي كاتب الامير
أبي بكر ابن رائق من غير تسمية بوزارة وأطلق أبو اسحق التماريطي الى
منزله ووجد كورنكيج فأخذ وحمل الى دار السلطان
﴿ ودخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة ﴾

واستوحش ابن رائق من بني البريدي لانهم ما حملوا شيئا من مال

واسط والبصرة فلما كان يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرم انحدر ابن رائق وهرب البريديون الى البصرة . وسفر بينهم ^(٥٥) الكوفي الى أن ضمن البريدي البقايا بواسط بمائة وسبعين ألف دينار ثم بستائة ألف دينار في كل سنة مستأنفة وأصعد ابن رائق الى بغداد .

وفيهما دخل العباس بن شقيق ومعه رأس ما كان بن كالي الديلمي مع هدايا صاحب خراسان الى المتقي لله من غلمان أتراك وطيب وشهابي وشهر رأس ما كان في شذآة وكان على الرأس خوذة وفيه سهم قد نفذ في الخوذة والرأس ؟ ومرّ من الجانب الآخر من الخوذة

وفيهما شغب الأتراك على ابن رائق وخرجوا الى المصلى ومعهم توزون ونوشتكين وأخذوا في طريق التجنى عليه ورحلوا سحر يوم الاحد لحس خلون من شهر ربيع الآخر الى البريدي بواسط فلما وصلوا اليه قوى بهم جانبه واحتاج ابن رائق الى مداراته

﴿ ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي ﴾

فكاتب أبا عبد الله البريدي بالوزارة للنصف من شهر ربيع الآخر وأنفذ اليه الخلع مع الطيب ابن سوسن واستخلف له أبا جعفر ابن شيرزاد بالحضرة وأوصله الى المتقي لله لأن المدبر للامور كلها أبو عبد الله الكوفي . ووردت الاخبار بعزم البريدي على الاصعاد الى بغداد فزال ابن رائق عنه اسم الوزارة وعزله بابي اسحق القراريطي ولزم أبو جعفر ^(٥٦) ابن شيرزاد منزله واستتر . وركب المتقي على الظهر ومعه ابنه أبو منصور وابن رائق والوزير أبو اسحق القراريطي والجيش وساروا على الظهر وبين أيديهم المصاحف المنشورة والقراء واستنفر العامة لقتال البريديين ثم انحذروا الى داره

في دجلة من باب الشماسية . واجتمع خلق^(١) من العيارين بالسكاكين المجرّدة في جميع محالّ الشرقي من بغداد وفي يوم الجمعة لعن بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة ببغداد

(ذكر أبي الحسين البريدي في اصماده الى بغداد)

خرج أبو الحسين من واسط مصعداً في الجيش الى بغداد ومعه غلمان أخيه أبي عبد الله والأتراك والديلم فلما قرّب من بغداد استأمن كل من كان معه من الترامطة الى ابن رائق . واستعد ابن رائق للقتال وعمل على ان يتحصن في دار السلطان فسدّ أكثر أبواب دار السلطان والثام في سورها ونصب الدراعات والمنجنيقات على السور وعلى شاطئ دجلة في فناء الدار وطرح حول الدار الحيسك والحديد واستنهض العامة وفرض بعضهم فصار ذلك سبباً لتوزّع العصابات بينهم واتصال الجروب . وافتتن الجانب الغربي وأحرق نهر طابق مما يلي دار البطيخ واتصلت الكيسات بالليل والنهار على قوم ذوى أموال واستنفر الناس نهراً وليلاً وقتل بعضهم^(٢) بمضاقتلا ظاهراً وفتح الحبس ودامت الفتنة . وبرزت خيم السلطان الى نهر ديبالى وخرج ابن رائق الى الحلبة والقواد معه . فلما كان يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة عبر أصحاب أبي الحسين البريدي نهر ديبالى وكان أولو مقيماً على شاطئ النجى وبدر الخرشنى بالمحلى وما زالت الحرب بين البريدي وابن رائق الى وقت الظهر وما زالت الحرب في المساء منذ ذلك اليوم الى يوم السبت لتسم بقتل من جمادى الآخرة فاشتدت الحرب على الظهر وفي المساء وأوقع الديلم بالمائة الذين فرضوا ودخل الديلم من أصحاب البريدي

(٢) وفي تاريخ الاسلام : واجتمع الخلق على كرسي الجسر فقتلهم وانحسف ففرق خلق

دار السلطان من جهة الماء وملكوها الدار . فخرج المتقى وابنه منها هاربين في نحو عشرين فارسا فخرجا الى باب الشماسية ولحق بهما ابن رائق وجيشه واولؤ ومضوا الى الموصل . واستتر القراريطى الوزير فكانت مدة وزارته احد وأربعين يوما . وقتل الديلم من وجدوا في دار السلطان ونهبوها نهباً قبيحاً ودخل الديلم دور الحرم وأقام البريدي أبو الحسين في حديدية أياما على باب الخاصه ووُجد في دار السلطان ابن سنجلا وعلى بن يعقوب فاطلقا وأما كورنسكيچ فتيده وحدره الى أخيه أبي عبدالله فكان آخر العهد به ووُجد القاهر في محبسه فأقر فيه من دار السلطان ^(١)

فلما كان بعد أيام صمد أبو الحسين البريدي ^(٢) ونزل في دار مونس وهى التى كان ينزلها ابن رائق وقتل أبا الوفاء توزون الشرطة فى الجانب الشرقى ونوشتكين الشرطة فى الجانب الغربى . وأخذ الديلم فى النهب والسلب وكُبت الدور وأخرج أهلها ونزلات ولم يزل الناس على ذلك الى ان تقلد توزون ونوشتكين الشرطة فان الفتنة سكنت قليلا . وأخذ أبو الحسين البريدي حُرْم توزون وابنيه وعيالات أكثر القواد والأتراك وأنفذهم الى أخيه ليكونوا رهائن فى يده

وغلت الاسمار بفساد وظلم البريدى الظلم المعروف لهم وافتتح الخراج فى اذار فحبط التناء حتى تهاووا وافتتح الجوالى ^(٣) وخبط أهل الزمة وأخذ الاقوياء بالضعفاء ووظف على كرم من الخنطة سبعين درهما وعلى

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان القاهر محبوسا فتركه الموكلون فخرج فرئى وهو يتصدق بسوق الثلاثاء فبلغ ذلك البريدى فانفذ بمن أقامه وأجرى له فى كل يوم خمسة دراهم

(٢) وفى التكملة : وافتتح الجزية

سائر المكيلات وعلى الزيت وقبض على نحو خمسمائة كراً كان للتجار ورد من الكوفة وادعى انه للحسن بن هرون المتقلد كان للناحية وهرب خجج من المتقي لله وكان أخرج الى بزرج وسابور والراذانيين . وكان توزون ونوشتكين والأتراك تحالفوا على كبس أبي الحسين البريدي فقدر نوشتكين توزون ونمي الخير الى أبي الحسين البريدي فتحرز وأحضر الديلم داره واستظهر بهم وقصد توزون دار أبي الحسين فحاربه من كان فيها من الديلم وغلقت الابواب دونه . وانكشف لتوزون غدر نوشتكين^(٥٩) فامته وانصرف ضحوة يوم الثلاثاء ومضى مع قطعة وافرة من الأتراك الى الموصل واضطرب العامة وقتلوا البريدي .

ولما صار توزون وخجج والأتراك الى الموصل وقوى بهم ابن حمدان عمل على ان ينحدر مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك أبا الحسين البريدي وكتب الى أخيه يستمدّه فامدّه بجماعة من القواد والديلم . وأخرج أبو الحسين مضربه الى باب الشماسية وأظهر انه يحارب ابن حمدان ان وافى وذلك كله بعد ان قتل أبو محمد بن حمدان ابن رائق وسنشرح خبره على أثر هذا الحديث . فلما قرب المتقي وأبو محمد بن حمدان من بغداد انحدر أبو الحسين هاربا وجميع جيشه وأخذ معه من كان معتقلا في يده يطالبه مثل ابن قرابة وأبي عبد الله بن عبد الوهاب وعلى بن عثمان بن النفاط ومن أشبههم فاضطربت العامة ببغداد زيادة اضطراب ونهبت الدور وتساح الناس في الطرقات ليلا ونهارا . وكانت مدّة أبي الحسين البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما

ولما وصل المتقي لله وابناه ومحمد بن رائق ومن معهم الى تكريت

وجدوا هناك وهم مصعدون الى الموصل بعد ابا الحسن على بن عبد الله بن حمدان وذلك ان ابن رائق لما قرب البريدى من بغداد كتب الى ابي محمد ابن حمدان يستلهم ممدداً ومعاونة على قتاله فانفذ ابو محمد اخاه فلم يحقهم الا بتكرير^(٦١) وقد انهزموا واخذوا طريق الموصل . فلما التقوا أقام على بن حمدان للمتقي لله وابنه وابن رائق والقواد كل ما يحتاجون اليه من الميرة والسياب والفرش والدرام وما قصر في أمرهم وساروا باجمعهم الى الموصل . فلما وصلوا اليها حاد عنها ابو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وعبر الى الجانب الشرقى ومضى الى نواحي معلثايا فما زالت الرسل تتردد بينه وبين محمد بن رائق الى ان توثق بعضهم من بعض بالايمن واليهود والموثيق حتى انس ابو محمد وعاد فنزل في الشرقى بازاء الموصل

﴿ ذكر الخبر عن مقتل ابن رائق ﴾

فمبر اليه الامير ابو منصور ابن المتقي لله ومعه ابو بكر ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب ليسلموا عليه فلقاهم اجل لقاء ونثر على الامير ابي منصور الدنانير والدرام . فلما أراد الانصراف من عنده ركب الامير ابو منصور ثم قديم فرس ابن رائق ليركب من داخل المضرب فامسك ابو محمد بن حمدان كفه وقال له : تقيم اليوم عندي لنحدث فان يسامات تجاراه . فقال له ابن رائق : اليوم لا يجوز لاني اريد ان ارجع مع الامير ولكن يكون يوماً آخر . فالح عليه ابن حمدان الحاحا استراب به ابن رائق فجذب كفه من يده حتى تخرق وكان رجله في الركاب فشب به الفرس فوقع^(٦٢) وقام ليركب فصاح ابو محمد بغلامه وأمرهم بالانقاع به وقال : والله لا يغرتكم .

فوضوا عليه السيوف وقتلوه^(١) وأرسل أبو محمد ابن حمدان الى المتقي لله
انه وقف على ان ابن رائق أراد أن يغال له ويوقع به فجري في أمره ما جرى
فرد المتقي عليه الجواب يعرفه انه الموثوق به ومن لا يشك فيه وبأمره
بالمصير اليه فعبه ولقيه

﴿ ذكر اماره أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ﴾

فخام عليه المتقي وعند له لواء وأمه ناصر الدولة وجعله أمير الأمراء
وكناه وكان ذلك مستهل شعبان وخام على أخيه على وعلى أبي عبد الله
الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القراريطي بتقليده الوزارة وذلك
في شوال وجلس في داره وقتل وعزل وأمر ونهى وضبط الأمر الى ان
وافى المتقي وناصر الدولة أبو محمد

﴿ خبر محاربة البريدي مع ابن حمدان ﴾

دخل المتقي بغداد مع ناصر الدولة أبي محمد وأخيه على وجميع الجيوش
وعملت لهم العامة القباب^(٢) ونزل ناصر الدولة وأخوه في البستان الشفيعي
ولقى الوزير القراريطي المتقي لله وناصر الدولة وتهدأ أبو الوفاء توزون

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فاضطربت أصحابه خارج الحميم وجهه مطر فتفرقوا
فدفن وعفي قبره . ونهبت داره التي بالموصل فقل ابن الحسن النوحني (وهو أبو العباس
على وترجمته في ارشاد الارب ٥ : ٣٠١) عن عبد الواحد بن محمد الموصل قال حدثني
رجل ان الناس : نهوا دار ابن رائق فدخل فأجد كيسا فيه ألف دينار أو أكثر فقلت
« إن خرجت به أخذه مني الجند » فطفت في الدار فمررت بالمطبخ فاخذت قدر سكاج
ملأى فرميت فيها الكيس وحملتها على رأسي فكل من رأى يظن أنني جائع فذهبت
بها الى منزلي (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وقد اتقى بدرا الحرسني طراف
الفرات فسار اليها ثم سار الى مصر فأكرمه الاخشيدي واستعمله على دمشق فمات بها .

الشرطة في جانبي بغداد وخلع المتقى على الوزير أبي اسحق القراريطي^(٦٢)
 خلع الوزارة يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذى القعدة وفي يوم الخميس خلع
 المتقى لله على ناصر الدولة وأخيه وطوقا وسورا بطوقين وطوقين وأربعة
 أسورة ذهباً وعلى أبي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوق بطوق
 واحد وسوارين ذهباً

وورد الخبر بان أبا الحسين علي بن محمد البريدي قد أصعد من واسط
 يريد الحاضرة فاضطرب الناس ببغداد وعبر المتقى الى الزبيدية ليكون مع
 ناصر الدولة وقدم حرمه الى سر من رأى وهرب جماعة من وجوه أهل
 بغداد وعبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرق الى الجانب الغربى منها
 وسار أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان في الجيش . وكان مع أبي الحسين
 البريدي لما أصعد من واسط أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو بكر ابن قرابة
 والديلم وجيش عظيم فكانت الوقعة بين أبي الحسن علي بن حمدان وبين
 البريدي يوم الثلاثاء انسلاخ ذى القعدة ويوم الاربعاء مستهل ذى الحجة
 ويوم الخميس ويوم الجمعة ثلاث وأربع خلون من ذى الحجة في القرية
 المعروفة بكيك أسفل المدائن بفرسخين . ومع ابن حمدان توزون وخجنج
 الاثراك فكانت أولا على علي بن عبدالله بن حمدان وهزم أصحابه فردم
 ناصر الدولة وكان ناصر الدولة بالمدائن ثم صارت على أبي الحسين البريدي^(٦٣)

فانهزم واستؤسر من أصحابه يانس غلام البريدي أبي عبدالله وأبو الفتح ابن
 أبي طاهر ومحمد بن عبد الصمد ومذكر البريدي والفرج كاتب جيش
 البريدي واستأن الى ابن حمدان محمد بن يتال الترجمان وإبراهيم بن أحمد
 الخراساني وحصل له جمع الديلم الذين كانوا في عسكر البريدي وقتل جماعة

من قواد البريدي وعاد البريدي الى واسط مهزوما فلولوا ولم يبق في على
ابن حمدان وأصحابه فضل لا تباعه لعظيم ما مرّ بهم واسكثرة الجراح فيهم
واسبع خلون من ذي الحجة عاد المتقي لله من الزيدية الى دار
الخلافة على ثلاث ساعات ونصف وعاد الحرم من سر من رأى ومن كان
هرب اليها من بغداد . ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت
من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدي وأبو الفتح بن أبي طاهر
والمذكر البريدي مشهرين على جمال وعلى رؤسهم برانس^(١) وكتب عن
المتقي كتاب الفتح الى الدنيا ولقب المتقي لله أبا الحسن على بن عبد الله بن
حمدان لما فتح هذا الفتح سيف الدولة وأخذ اليه خلعاً وكتب فيه كتاباً
وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد انحدروا منها الى البصرة
وأقام بها ومعه الاتراك والديلم وسائر الجيش

﴿ ذكر حيلة ابن مقاتل على ناصر الدولة ﴾^(٢)

وراسل أبو بكر محمد بن على بن مقاتل ناصر الدولة على يد أبي زكريا
السوسي فاخذ له أماناً من ناصر الدولة واشترط فيه ابن مقاتل ان يستقر
ببنة وبين ناصر الدولة مصادرة ينهض بها ويطيّب نفسه لها أقام على ظهوره
وان لم يستقر عاد الى استناره فلما ظهر تباعد ما بينهما فقال له ناصر الدولة :
عد الى استنارك . فقال ابن مقاتل : لم أحُدْ الي ذلك حدّاً فاذا شئتُ فملتُ .
فضج ناصر الدولة من ذلك لانه مضطر الى الوفاء بعهده وعلم ان الحيلة قد
تمت عليه فاضطر الى ان فصل أمره على مائة وثلاثين ألف دينار

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وسار في الجانب الغربي الى دار عمه أبي الوائس

ابن حمدان وهو بالقرب من الجسر

ونظر ناصر الدولة في أمر النقد والديار فامر بتصفية العين والورق
وضرب دنانير سماعا الأبرزية^(١) من أجود عيار وكتب في ذلك كتابا
وفي هذه السنة استولى الديلم على آذربيجان

(ذكر السبب في ذلك)

ان ديسم بن ابراهيم لما تمكن من آذربيجان وقد كتبنا خبره فيما
تقدم كان معظم جيشه الاكراد الا طائفة يسيرة من بقية عسكر وشمكير
اختاروا المقام معه حين رد عسكر وشمكير اليه فبسط عليه الاكراد وزاد
أمرهم في الادلال والتحكم الى ان صاروا يتغلبون على حدود أعماله . فنظر
في أمره فلم يجد من يستظهر عليهم بهم الا الديلم فاجتذب جماعة من أكابرهم^(٦٥)
منهم صعلوك بن محمد بن مسافر وأسفار بن سياكولي وجماعة من أمثالهم
وصار اليه جماعة من الموصل وفيهم رجل كان من قواد بجكم (فغاه بجكم من
عسكره لشيء أنكره منه) يقال له علي بن الفضل الصولي فافضل عليه ديسم
وموئله وعظم محله فاجتذب الديلم اليه فلما قويت شوكة ديسم بهم انتزع من
يد الاكراد ما كانوا تغلبوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وازداد من
عده الديلم واستظهر بهم . وكان متولي وزارته أبو القاسم علي بن جعفر
وكان من كذاب آذربيجان وكثرت سعاية أعدائه به فاخافه ديسم وأوحشه
حتى هرب منه الى الطرم ليعتصم بمحمد بن مسافر فوافق وصوله اليه
الوقت الذي استوحش فيه ابنائه منه وهسودان والمرزبان وملككا عليه قلعته
المروفة بسميران . وكان السبب في وحشتها قبح سيرته وسوء معاملته لاهل

(١) زاد فيه صاحب النكتة : ويصح الديار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان

عشرة وكتب ابن ثوابة عن المتقي بذلك كتابا

بيته وقبضه عليهم لغير ذنب كبير وذلك لشراً كان في طبعه . وكان استوحش منه وهسودان فصار الى أخيه المرزبان وكان في قلعة من قلاع أبيه بالطرم فلمحمد بن مسافر انه لا يتمكن من القبض عليه الا بعد أن يفرق بينه وبين أخيه فكتب الى المرزبان يستدعيه فقال وهسودان له : انى لا أقوم في القلعة بذلك . وأعلمه انه ان^(٦٦) فارقه تمكن منه وقبض عليه فقال له المرزبان : فاخرج معى . فلما صاروا في بعض الطريق ظفرا برسول لا بهما كان أغذه سراً الى اقيمين في القلعة يأمرهم اذا خرج المرزبان أن يقبضوا على وهسودان والاحتياط عليه وعلى القلعة فمجباً من ذلك وجمعهما الاستيحاش من أبيهما فوصلا الى قلعة أبيهما وقد خرج أبوهما الى قلعة أخرى فمرّفاً أمهما خراسويه ما كتب أبوهما فيهما وكانت أمهما هذه جزلة فساءت هما على القلعة وفيها ذخائر محمد بن مسافر وأمواله فأتوليا عليهما وتمكنا منها فلما عرف محمد بن مسافر ذلك تحيّر في أمره وحصل في القلعة التي كان قصدها وحيداً قد فرق بينه وبين نعمته . فلما وصل على بن جعفر كاتب ديسم الى هذه الصورة اعتصم بالمرزبان وأطمعته في آذربيجان فضمن له ان يملكه اياها فيوصله الى أموال جليّة من ارتفاعها من وجوه يعرفها فنفق عليه وقرب من قلبه وقلده وزارته . واتفقا مع ذلك على عصمة في الدين وذلك ان على ابن جعفر كان من دُعاة الباطنية وكان المرزبان معهوداً فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو الى هذا المذهب ظاهراً فاجتمع له كل ما أراد .

وكاتب عسكر ديسم وكان يعرف من استوحش من ديسم^(٦٧) ومن هو غير راض عنه ومن لا يرضى مذهب ديسم لان ديسما كان يرى رأى الشرارة وكذلك كان أووه وكان يصحب هرون الشارى^(١) اعنى أباه فلما قتل

هرب الى آذربيجان وتزوج الى رئيس من أكرادها فولد ديسم فاصطنعه ابن أبي الساج وارتقى معه الى ما ارتقى اليه .

ولم يزل على بن جعفر يصمصع أركانه ويفسد قلوب أصحابه وخاصة الديلم الى أن استجاب له أكثر أصحابه وكاتبوه وقالوا : ان صار اليينا المرزبان فارقنا ديسما بأجمعنا . فلما وثق المرزبان بذلك من ثبات أصحاب ديسم سار الى آذربيجان وسار اليه ديسم فلما صافه الحرب قلب الديلم ترأسهم في وجهه وصاروا الى المرزبان وكانوا نحو ألفي رجل واستأمن معهم كثير من الاكراد وحمل عليه المرزبان ففرق عنه من بقي معه وانهمزموا وهرب في طائفة يسيرة الى أرمينية واعتصم بجاجيق بن الديراي لمودة كانت بينهما فأحسن ضيافته وحمل اليه ما يحمل الى مثله . فاستأنف ديسم يألف الاكراد وعرف خطاه في الاستكثار من الديلم وكان أشار عليه بمض النصحاء الفضلاء ان لا يرتبط من الديلم أكثر من خمسمائة رجل بمصاه . وملك المرزبان آذربيجان وجرى أمره على سداد بتدبير كاتبه على بن جعفر الى ان أفسد ما بينه وبينه (٦٨) .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان له كاتب يعرف بابي سعيد عيسى بن موسى ويدرف بيسكويه فسمي عليه وأطعم المرزبان في ماله وكان علي بن جعفر قد أوحش جماعة من حاشية المرزبان فتضافروا عليه وعارضوه في تدبيره وأحسن على بن جعفر بذلك فاحتال على المرزبان بان أطعمه في أموال عظيمة يثيرها له من بلد تبريز وتبريز هذه مدينة جالية وعليها سور حصين وحواليها غياض وأشجار مشمرة وهي حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار . فضم اليه المرزبان جستان بن

شرمزن ومحمد بن ابراهيم ودليل بن أورسمناه والخابب الحسن بن محمد المهلب^(١) في جماعة من ثقافته فسار على بن جعفر الى تبريز . فلما تمكن بها استمال أهل البلد وكتب الى ديسم يتلافاه ويستدعيه ويمده من نفسه ان يقتل الديلم ويوازره حتى يعود الى ممالكه . فأجابه ديسم بأنه لا يثق به الا بعد أن يوقع بالديلم فواطأ أهل البلد على الايقاع بهم وأعلمهم انه انما حضر لطمع المزربان فيهم وان الديلم لا يساعدونه على صلاح أمرهم وهم لا يرضون الا باستئصالهم . فواطأ أهل البلد على الوثوب بهم في يوم ذكره وأحضر القواد المذكورين في ذلك اليوم فقبض في داره عليهم وقتل الديلم فصار الى ديسم في المعسكر الذي أجمع له .

وكان المزربان أساء الى^(٢) الاكراد الذين استأمنوا اليه فوافق ذلك ظهور ديسم بتبريز فصاروا بأجمعهم اليه وانصل بالمزربان ما جرى على الديلم فقدم على ايجاش على بن جعفر واستماع كلام أعدائه فيه واستوزر أبا جعفر أحمد بن عبدالله بن محمود وخلع عليه ولقبه المختار . ثم استعد وسار الى تبريز وقد سبقه ديسم فحرت بينهما حروب وثبت الديلم وانهمز الاكراد فماد ديسم الى تبريز متحصناً بها وحاي أهلها عليه وذلك لما سبق من فعلهم بالديلم وحاصرهم المزربان . وابتدأ في استصلاح على بن جعفر ومراسلته واعطائه عهد الله وميثاقه والعصمة التي بينهما من الدين على ان يعود له فأجابه على بن جعفر بأنه لا يريد من جميع ما بذله له الا السلامة وانه ما فارق ديسما حين فارقه الا هرباً من المكره ولا فارقه الآن وماذ اليه الا هرباً من مثل ذلك وان الذي ياتمه منه ان يعفيه من العمل ويصونه في نفسه وحاله ليأرم منزله

ويروح ويندو اليه فأجابه الى ذلك وسفر بينهم ما من الثقات الذين يجمعهم
الدين من وثق له بجميع ما أراد فسكن اليه . واشتد الحصار على ديسم فلم
تلمة في سور المدينة ليلا وخرج منها هو وأصحابه الى أردبيل ولم يحسر
المرزبان على اتباعه في الوقت خوفا من أن يمطف عليه في صماليكه^(٧٠) ويخرج
من ورائه أهل تبريز فتأخر عنه . وخرج اليه على بن جعفر فوفى له وأقام
أهل تبريز على ممانته

﴿ ذكر ما آل اليه أمر ديسم بعد حصوله باردبيل ﴾

لما عرف المرزبان حصول ديسم باردبيل خلف على تبريز بعض جيشه
وصار في معظم العسكر اليه واستدعى أخاه وهسودان اليه في جماعة من
أطاعه وجد في محاصرة ديسم . وكان ديسم استوزر بعد مفارقة على بن جعفر
أبا عبد الله محمد بن أحمد النعمي فراسله المرزبان وتلطف له ووعد ان يستوزره
فاستجاب له وآثره على ديسم وواطأه على التدبير عليه

﴿ ذكر حيلة النعمي على ديسم حتى فارق الحصار وخرج الى المرزبان ﴾
أخذ النعمي في المشورة على ديسم بان ينفذ الى المرزبان وجوه أردبيل
ليألوهُ الصلح ويعاهدوه ويستوثقوا منه بالايان المؤكدة على ان يومنه
ليدخل في طاعته وخوفه من طول الحصار والتجاش أهل البلد وانهم سيواطئون
المرزبان ويسلمونه بان ينتحوا له الباب وأعلمه انه قد وقف من ذلك على
أمر سيظهر له ان لم يبادر بالصلح . وانظر ديسم في أمره فوجد الصورة قريية
مما خوفه منه وذلك ان الحصار كان قد اشتد وانقطعت الميرة عنه^(٧١) وعن
جنده وعن أهل البلد فالجميع في شدة والدمدمة كثيرة والماس مستوحشون

وهم على يأس من الصلاح وخوف من زيادة المكروه . وانفذ ديسم اليه وجوه
البلد وأعيانهم ومذكوريهم ليتوثقوا له بالايان والعهد حتى يأس بها ويخرج
اليه ففعل القوم ذلك وتوثقوا له نهاية التوثيق . وراسل أبو عبدالله النعماني
المرزبان بان يحبس هؤلاء الوجوه ولا يردهم الى البلد الا بعد خروج ديسم اليه
لئلا يتغير الامر أو يحدث ما ينقض رأيه ولان أهل البلد اذا حبس عنهم
وجوههم ورؤسائهم اجتمعوا عليه ولم يعملوه وعرفوه انه قد أمن على نفسه
بالايان التي سألتها وسكن الى ما بذل له وايس لتأخره عن الخروج وجنة
ويشيد هو أيضاً كلامهم ويؤيده ولا يقنع منه الا بالخروج اليه في أسرع
وقت وأقربه . ففعل المرزبان ذلك واضطرب أهل البلد على ديسم لحصول
رؤسائهم في يد المرزبان فخرج اليه فلما أتم خبره تلقاه وأكرمه وأعظمه
ووفى له بكل ما وافقه عليه وقلد أبا عبد الله النعماني وزارته وقبض على ابن
محمود وسأله اليه فصادره وجميع أصحابه وصادره وجوه البلد واستخرج
أموالا عظيمة . واستقامت أمور المرزبان وخطب له ^(٧٢) على جميع منابر
آذربيجان .

فليعتبر الناظر في هذا الكتاب هل إني هؤلاء الملوك الامن سوء
تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقد ما لذاتهم وشهواتهم وإغفالهم
أمر أصحاب الاخبار وتركهم أمر شرفيات ودرائهم وفوادهم وأمر عساكرهم
وأمويلهم على الاتفاقات والدول التي لا يوثق بها وقلة نصيحهم أحوال الملوك
قبلهم ممن استقامت أمورهم كيف كانت سيرتهم وكيف ضبطوا ممالكهم
ونيات أصحابهم بضروب الضبط أولا بالدين الذي يحفظ نظامهم ويملك
سرايرهم ثم بأصحاب الاخبار النفقات والسيون المذكاة على مدبري أمورهم

والنفقة لهم يوما يوما وحالا خلا وترك ايجاشهم ما أمكن ومداراة من تجب مداراته والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء لسريته . وقد كان خصفاء الملوك يخرجون من خزائهم الاموال العظيمة جسدا الى أصحاب الاخبار ولا يستكثرونها في جنب ما ينتفعون به من جهاتهم

فاما ما انتهى اليه امر ديسم فاندخاف بعد ذلك على نفسه وسأل المرزبان ان يخرج به الى قلعة بالطرم ليقام فيها مع أهله ويقبض على ارتفاع ضياعه وهو ثلاثون ألف دينار في السنة وهو دون ما كان يبذله المرزبان له ويتكافه من مؤوته^(٧٣) فاجابه الى ذلك وحصل في القلعة مصونا في أهله ونفسه وضياعه

﴿ودخات سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة﴾

وفيها وافى الامير أبو الحسين أحمد بن بويه الى عسكر أبي جعفر بزاز البصرة وأظهر ان السلطان كاتبه في حرب البريدى فاقام مدة يحاربهم ثم استأمن جماعة من قواده الى البريديين مثل روستاباش وغيره فاستوحش من المقام وعاد الى الاهواز بعد ان استأمن اليه جماعة من عسكر البريدى

وفيها زوج ناصر الدولة ابنته^(٧٤) من الامير أبي منصور ابن المتقى ووقع الاملاك والخطبة بخضرة المتقى ولم يحضر ناصر الدولة وجعل العقد الى أبي عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي وكان الخاطب القاضي الخرمي فلحن في مواضع وجعل الصداق والنجلة واحداً وجمعها ما صدأفا وكان الصداق خمسمائة ألف درهم والنجلة مائة ألف دينار ولم يحسن ان يعقد التزويج ففقدته ابن أبي موسى

وفي رجب من هذه السنة عبر الوزير أبو اسحق القراربطى الى ناصر

الدولة على رسمه فقبض عليه وعلى جماعة معه فكانت مدة وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يوماً^(١) وجعل اسم الوزارة على أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصفهاني وخلع عليه المتقي لله خلع الوزارة^(٢) في دار السلطان لاثنى عشرة ليلة بقيت من رجب وانصرف بها الى دار الامير ناصر الدولة فكان يابس القباء والسيف والمنطقة في أيام الموابك والمدير الامور أبو عبد الله الكوفي وصور القراريطي والكتاب والمتصرفون

وكان ناصر الدولة ينظر في قصص أصحاب الجنائيات من العامة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بمحضرة وتعرض عليه الايدي والارجل اذا قطعت وتعد بمحضرة ويستوفي العدد عليهم لئلا يرتفق أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من غير علمه .^(٣)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٢٥٧ : هو محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن عبد المؤمن أبو اسحق الاسكافي الكاتب المعروف بالقراريطي الوزير كان كاتباً لـ محمد ابن رائق الامير ثم وزير ثم صار الى الشام وكتب لسيف الدولة ابن حمدان ثم قدم بغداد في وزارة المهدي فاكرمه ووصله وكان ظالمًا عسوفًا توفي في الحرم وله ست وسبعون سنة (٢) زاد صاحب التكملة : وصار عدل حاجب بحكم بعد الى ابن رائق وبعد الى ناصر الدولة فقلده الرحبة واستولى عليها وكثر أتباعه . فانفذ ناصر الدولة بدر الحرشي لحربه فلما صار بدر بالدالية توقف عن المسير الى عدل وكاتب الاخشيدي محمد بن طنج وهو بدمشق يستأذنه في المسير اليه فاذن له وانفذ اليه القرب والجل والروايا فسلك بدر البرية ووصل دمشق فقلده الاخشيدي المعاون بها . وجعلت الرحبة وأعمال الفرات لعدل وعامله أبو علي النوبختي وحصل لعدل من المصدرات التي الف درهم فانتعت يده وكثرت رجاله وأقبل الديلم والأتراك يقصدونه من بغداد في المرقعات نخاع عليهم . وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه أراد المضي الى يانس الموانسي بالركة فمزمه عدل من ذلك فقال له سهلون : قد كثرت أهبالك ولا ينبغي بمؤنسك ما في يدك وأنا أكتب عن ناصر

﴿ ذكر ما آل اليه أمر سيف الدولة بواسط مع الاتراك ﴾
﴿ وما اتصل بذلك من خبر ناصر الدولة يفتاد ﴾

كان سيف الدولة أبو الحسن مقيما بواسط مفكرا في أن يسير بالجيش والاتراك الى البصرة ليفتحها وكان أخوه ناصر الدولة يدا فعه بحمل المال وبضايق الاتراك خاصة وكان توزون وخججج^(١) يُسيَّان الادب على سيف الدولة بواسط ويتحكمان عليه حتي ضاق ذرعاً بهما . وكان ناصر الدولة قد أنفذ أبا عبد الله الكوفي الى سيف الدولة أخيه ومعه ألفي ألف درهم وخمسين ألف دينار لينفق في الاتراك فوثب توزون وخجججج به بحضرة سيف الدولة وأسمماه مكروها فضمه^(٧٥) سيف الدولة الى نفسه ثم ستره في بيت وقال لهما : أما تستحيان مني فنجاملاني في كتابي ! ثم وافق سيف الدولة كاتب خجججج ان يسير خجججج الى المذار ويُسرَّغه ارتفاعها اذا حاماها ووافق أبا على المسيحي كاتب توزون على المسير بتوزون الى الجامدة ويوهب له ارتفاعها وعليه حمايتها وانتظم هذا التدبير وعاد الكوفي الى مجلسه بحضرة سيف الدولة ورهب ان يعود الى منزله وعبر خجججج الى غربي واسط للمسير واستعد توزون أيضا للمسير الى الجامدة . فوافي أبو عمرو المسيحي وقت الظاهر ثلاث بقين من شوال هاربا من ناصر الدولة الى أخيه ابن على المسيحي

الدولة الى يانس بتسلم الرقة اليك . فتبعه على ذلك فلبغا الخاقوقة فقال له سهلون : الرأي أن أقدمك اليه . فطلب منه رهينة فقال : ان رآك وقد أخذت رجلى فظن (كذا) فتركه فلما حصل بالرقة مع يانس كاتبنا بني نير . فلما عرف عدل الصورة سار الى نصيبين فلقبه الحسين بن سعيد بن حمدان فاستأن من أصحاب عدل الى الحسين فامر به واينه وسلمهما وأغذهما الى ناصر الدولة وشهرهما على جملين .

وكان معه توقيع من ناصر الدولة بخطه اليه يقول فيه : قد اتصل طمعك في وانبساطك على وأنا محتمل وأنت مغترٌ وبلغني ادخالك يدك في وقف فلان ووالله لئن لم تخلصها وتفحص عن فمالك المذموم لا قطعن يديك ورجليك . فزعم أبو عمرو والمسيحي انه قرأه وانحدر وذكر انه قال له قبل ذلك بأيام : يا مسيحي أنت مجتهد في أن تجمل توزون أميراً وعلى رأسك تحنُّو التراب ان بلغ ما تؤمله له لم يرضك كاتباً لنفسه وطلب ابن شيرزاد أو مشله وشبهه فاستكتبه وأنف منك فصادرك

فلا في سيف الدولة أبو عمرو ^(٧٦) المسيحي وواراه وراسل توزون وسكنه . وكان سيف الدولة كثيراً يرُهد الاتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويضرب بينهم وبين أخيه فكانوا يصدقونه في أخيه ويأتون عليه في البعد من العراق وكانوا يتسحبون على سيف الدولة ويطالبونه باستحقاقاتهم وينصون على ان يوفيهم يوم الستين من أيامهم استحقاقهم ويستصرونه وأخاه . فلما وافى أبو عمرو المسيحي قالوا له : نحتاج أن تحمل مال قائد قائد ورجاله وتوفينا ذلك بالقبان وزنة واحدة مالا مالا . فاجاب الى ذلك قطعاً للحجة وساموه ان يكون الوزن بالليل والنهار فصبر على ذلك كله وأذن فيه . وأخرج سيف الدولة أبا عبد الله الكوفي ليلا وضم اليه ابن عمه أبا وليد في جماعة من العرب وأصعد معه بنفسه اشفاقاً عليه ثم وصى العرب حتى بلغوا به المدائن . فلما كان ليلة الاحد انسلاخ شعبان كبس الاتراك سيف الدولة بالليل وهرب من معسكره ولزم نهراً ^(١) بقرب معسكره فاداه الى قرية تعرف ببرقة ولزم البرية حتى وافى

بغداد . وأضرَمَ الأتراك النارَ في عسكره وقد كان بقي من المال المحمول إليه مع السكوفي من عند أخيه شيء لم يفرّق فيهم فهبوه ونهب جميع سواده^(٧٧) فهذا خبر سيف الدولة بواسطة

فأما خبر ناصر الدولة ببغداد فإن أبا عبد الله السكوفي وصل إلى بغداد ولقي ناصر الدولة ووصف له الصورة فبرز ناصر الدولة إلى باب الشماسية وركب إليه المتقي لله في دجلة يسئله التوقف عن الخروج من بغداد فعبر ناصر الدولة غلماة إلى الجانب الشرقي من بغداد وأكثر جيشه ليوم الأتراك أنه يعبر ويسير في الجانب الشرقي فلما حصل جيشه في الجانب الشرقي قطع الجسر . وسار ناصر الدولة في الجانب الغربي فنهبت داره وأفلت يانس غلام البريدي وأبو الفتح ابن أبي طاهر من الحبس وعادا إلى البصرة واستتر أبو عبد الله السكوفي^(١) وخرج من بقي من الديلم ببغداد إلى المصلّى وعسكروا هناك وضبط الأتراك الذين كانوا ببغداد دار السلطان ورحل الديلم من المصلّى ودبر الأمور بالحضرة أبو اسحق القراريطي من غير تسمية بوزارة وانعقدت الرئاسة بواسطة لتوزون . فكانت مدة إمارة ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام

﴿ ذكر ماجرى من أمر توزون بواسطة مع الأتراك بعد ﴾
﴿ هزيمة سيف الدولة حتى تمت له الإمارة ﴾

لما انصرف سيف الدولة من واسط على تلك الصورة وعاد توزون

(١) زاد صاحب التكملة : وابن مقاتل . وفي تاريخ الإسلام في ترجمة سنة ٣٥٠ أنه مات في شعبان هذه السنة بمصر وهو متولى ديوان الخراج بها فوجدوا في داره ثلثائة ألف دينار مدفونة . وليراجع كتاب الولاة لابن عمر الكندي ص ٢٩٤
(٦ - تجارب (س))

وخجججج الى معسكرهما وقع الخلاف^(١٨) بينهما وتنازعا الرئاسة ثم استقرت الحال على ان يكون توزون الامير وجيء بالأس والريحان اليه على رسم المعجم اذا ترأس واحد منهم وعلى ان يكون خجججج صاحب جيش وهو الاسفهلار وأمضى القواد ذلك عليهما بغير رضى جماعة ثم صاهر القواد بينهما وطمع البريدى بواسط فاصعد اليها وتقدم توزون الى خجججج ان ينحدر الى نهر أبان ويراعى من يرد من أصحاب البريدى ويطلبه فنفذ . ووافى عيسى بن نصر برسالة البريدى الى توزون يهته بالامارة ويسأله ان يضمه أعمال واسط ويعرفه عنه ان رأى تعجله الى الحضرة لخراج ابن حمدان عنها فاجابه جوابا جميلا وامتنع من التضمن وقال : اذا استقرت الامور تخاطبنا فى الضمان فاما وأنا بصورتى هذه وأنت تظن انى مطلوب خائف من بني حمدان فلا وعسكرى عسكر بحكم الذى قد جربت وخبرت وطائفة منهم تقى بك . وانصرف عيسى بن نصر واتبعه توزون جاسوسا

﴿ ذكر سبب قبض توزون على خجججج وسمه اياه ﴾

فما د الىه الجاسوس وأعلمه انه اجتمع مع خجججج وتخاليا طويلا وان خجججج على الاستئمان الى البريدى . فسار اليه توزون لثانى عشر من رمضان ومعه مائة غلام من الاتراك^(١٩) ومائة من الخاصة واشكورج وجماعة من الكبار وكبسه فى فراشه فلما أحس به ركب دابة النوبة بقميصه وفى يده لت ودفع عن نفسه سؤيعة ثم أخذوه وجاؤا به الى واسط وسمه توزون^(٢٠) وهدأت نار خججججج

وسمى أبو الحسين على بن محمد بن مقله فى الوزارة وراسل المتقى لله

واستصاح قبل ذلك الترجمان وضمن له مالا فبعث المتقى اليه : انى راغب
فيك مائل اليك محبٌ لتقليدك واسكن ليس يجوز ان أبتدي بذكرك
فاصلح أمرك مع الترجمان وقل له يسميك مع جماعة فانى أختارك من بينهم .
ففعل ذلك واتى المتقى لله وقاده وزارته وانصرف الى منزله
وورد الخبر بنزول سيف الدولة المروفة

(ذكر الخبر عن مصير سيف الدولة الى بغداد بعد)

(هزيمته وما انتهت اليه حالته)

لما بلغ سيف الدولة خلاف توزون وخججج بواسط طمع في بغداد
فوافى المروفة وظهر المسترون من أصحابه من الجند وخرجوا اليه . وانحدر
أبو عمرو المسيحي كاتب توزون الى واسط مستترا هاربا الى صاحبه وانحدر
أيضا الترجمان . وأرجف الناس بأعداء المتقى واضطرب الناس وأصبحوا على
خوف شديد فأمر المتقى لله بالبدء ببراءة الذمة ممن أرجف بالحدار^(٨٠)
وجاء سيف الدولة في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
الى باب حرب فنزل في المضارب وعليه وعلى أصحابه أثر الضرر الشديد لما
لحقهم في البرية وخرج اليه أصحابه ومن يريد الاثبات وجرت بينه وبين
المتقى لله رسائل على يد أبى زكرياء السوسى وطالب بان يحمل اليه مال
ووعدا ان يقاتل توزون ان ورد الحضرة . فحمل اليه المتقى أربعمئة ألف
درهم في دفعات وانضم اليه كل من بتى بالحضرة من القواد وما زال يقول
في مجلسه : ما أنصفنا أبو الوفاء توزون حيث كبسنا في الليل ونحن نيام والا
فابحضر نهارا ونحن مستيقظون . ونحو هذا من الكلام .

وخلع المتقى لله على الوزير أبى الحسين بن مقلة يوم السبت لاثني

عشر بقيت من شهر رمضان

ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلف بواسط كيغاغ في ثلاثمائة غلام وأصعد مبادرا من واسط الى بغداد ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاده رحل من باب حرب مع من انضم اليه من قواد الحضرة وفيهم أبو علي الحسن بن هرون ومضى على وجهه . ودخل محمد بن ينال الترجمان آذنا لتوزون الى بغداد لست بقين من شهر رمضان ودخل توزون من المد ونزل دار مونس^(١) وانتم البريدي بعد توزون من واسط فوافاها ثلاث بقين من شهر رمضان فنهب وأحرق واحتوى على الغلات وأخذ جميعها . وقبض توزون على أبي عمرو المسيحي كاتبه وقتل كتابته أبا جعفر السكرخي وسلم أبو اسحق القراريطي الى الوزير أبي الحسين ابن مقلة فصادره

﴿ ذكر الخبر عن تقليد توزون أمرة الامراء ﴾

لما حصل توزون ببغداد خلع المتقى عليه وعقد له لواء وقتله أمرة الامراء . وصار أبو جعفر السكرخي كاتب توزون ينظر في الامور كما كان السكرفي ينظر فيها فاما السكرفي فانه لحق بسيف الدولة وهرب معه . فكان مدة نظر الوزير أبي الحسين ابن مقلة في الامور الى ان ينظر فيها أبو جعفر السكرخي نحو شهر وقد كان كيغاغ لما استخلفه توزون بواسط أمرة بقتال أبي الحسين البريدي فمجز عنه فاصعد الى بغداد . ولم يمكن توزون المبادرة بالرجوع الى واسط الى ان تستقر الامور بالحضرة وتجهز جميع ما يحتاج اليه فاقام مدة شوال وأكثر ذى القعدة الى ان توطأت الامور واستقامت .

وكان وقت هزيمة سيف الدولة من واسط أسر غلاما له يقال له ثمل

عزيراً على سيف الدولة فاطمة ووهبه لسيف الدولة وأكرمه وأنفذه اليه^(٨٢) في هذا الوقت لما حصل ببغداد خسر موقع ذلك منه ومن ناصر الدولة حتى قال بالموصل : توزون صديقي وقد قلدة الحضرة واستخائته بها . فسكنت نفس توزون الى ذلك

وكان معيظا على البريدي إقبح معاملته به فانحدر توزون الى واسط وخلف الترجمان ببغداد^(٨٣) وتقدم الى أبي جعفر السرخي ان يلحق به وضمن ضياعه أبا الحسين ابن مقلة برغبة منه اليه بمائة وثلاثين ألف دينار في السنة . ووافي في هذا الوقت أبو جعفر بن شيرزاد الى توزون هاربا من البريدي فلتقاه توزون في دجلة وسر به وقال له : يا أبا جعفر كملت أمارتي بك ونمت النعمة عندي لاجلك أنت أبي وهذا خاتمي (فنزعه من يده وأعطاه اليه) فدبرني وصرّني على رأيك . فقبل أبو جعفر يده وسأله ان يُمهله فلم يجبه وكان أبو الحسن الأسمر واقفا وجماعة فقال الأسمر : بالله يا سيدي أجب الأمير وتصدق بصدقة وانظر في أمره ! ففعل ونظر في أمره وأنفذ طازاد ابن عيسى آخر ذلك اليوم الى الحضرة لخلافته . فكان مدة كتابة أبي جعفر السرخي وانظره نيفا وعشرين يوما

﴿ ذكر سبب مفارقة ابن شيرزاد البريدي ﴾

﴿ والاتفاق الغريب له في ذلك ﴾

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وخطب ابن مقلة كتابة توزون لعنه أبي عبد الله (يعني الحسن بن علي بن مقلة وترجمته في ارشاد الارب ٣ : ١٥٠) وأنفذ اليه هدية منها عشرون ثوبا ديقيا وعشرون ردا قصب وطيبا وذلك بعد ان استكتب توزون القراريطي وصرف النوبختي فلم يجب توزون اليه ذلك وقال : لا يحسن بي صرفه بعد ثلاثة أيام من استخدامي له .

كان يوسف بن وجيه صاحب عمان وافي (في) ذى الحجة في مراكب
وشذات يريد البصرة يحارب بني البريدي^(٨٣) وكان معه من يحارب بقوارير
النار فأحرق شذاتهم وزبازبهم فملك الابلّة وضغطهم فهرب في تلك الوهلة
أبو جعفر ابن شيرزاد ومعه طازاد وغيره . فاما سبب هزيمة يوسف بن
وجيه بعد تمكنه فسند كره .

(ذكر حيلة تمت على يوسف بن وجيه)

كان قد استظهر استظهارا شديدا وقارب ان يملك البصرة وكان مع
البريدي ملاح يعرف بالزبادي فلما ضغط يوسف بن وجيه البريديين
وأشرفوا على الهلاك قال هذا الملاح : ان أنا هزمت العدو وأحرقت
مراكبه ما تصنع بي ؟ فوعده الاحسان اليه ان فعل ذلك ولم يعرفه الملاح
ما يريد ان يعمل وكنتم أمره ومضى فاخذ بالنهار زورقين وايس يعلم أحد
لماذا يريد هما ولم يأخذ معه أحدا من أسباب البريدي ومضى فلأ الزورقين
سفعا (ومثل هذا لا يكرر بالبصرة) وحدرهما في أول الليل (ومثل ذلك
بالبصرة كثير لا يستراب به) وكان رسم مراكب ابن وجيه ان تُشدّ بمضها
الى بعض الليل في عرض دجلة فيصير كالجسر فلما كان في الليل ونام الناس
وكل من في المراكب أشعل ذلك الملاح السعف وأرسل الزورقين والنار
فيهما فوقما على تلك المراكب والشذات فاشتعلت واحترقت قلوبها
وتقطعت واحترق^(٨٤) من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما . وانقاع يوسف
ابن وجيه ومضى هاربا على وجهه وانكشف وجهه البريدي ووفى للملاح
بما وعده .

﴿ وفيها استوحش المنتهى من توزون ﴾

﴿ ذكر السبب في الوحشة بين توزون والمتقى ﴾
﴿ وما آل اليه الامر فيه ﴾

كان الترجمان قد نفر من توزون لشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقله خائفاً من توزون لانه خسر في مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به ويهلكه . وزاد في نفوره تقلد أبي جعفر ابن شيرزاد كتبه توزون . وما شك أحد أن أبا جعفر ابن شيرزاد وافى عن موافقة البريدى فطارت نفس ابن مقله خوفاً من ابن شيرزاد وان يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجمان وغيره وساءت النظرون . وغلب القنوط على الكافة من أهل الحضرة فوقع التدبير بين أبي الحسين ابن مقله وبين الترجمان على مكتبة ناصر الدولة في انفاذ من يُشيع المتقى ويخرجه اليه . وقيل للمتقى : ثبت للبريدى بالامس فجرى ما ندمت عليه وأخذ منك خمسمائة الف دينار وخرجت الى ناصر الدولة في دفعته الثانية فاظهرك الله وعدت موفورا وقد ضمنك بخمسمائة الف دينار أخرى وقال لتوزون « هي بانية في يدك من تركة بحكم » وهذا ابن شيرزاد وارد لتسليمك بمدخلك . فازعج واعتبر بما مضى على ^(١٠) مستأنف أمره وأصعد بعد ذلك أبو جعفر ابن شيرزاد الى الحضرة في ثلاثمائة غلام وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد بنخراسان وانتصاب نوح ابنه مكانه (ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة)

ووافى أبو جعفر ابن شيرزاد الخمس بقين من المحرم فدخل بغداد فلم يشك المتقى لله والجماعة في انه انما وافى لما أرجف به ولقى المتقى لله في اليوم الذي وصل الى بغداد فيه وحمل الوزير أبو الحسين والترجمان المتقى لله على القبض عليه فلم يفعل . وبادر أبو جعفر بالانصراف وأمر ونهى وأطلق

القراريطي من الاعتقال ونظر فيما كان ينظر فيه الوزير

ووافي أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فنزل باب حرب في جيش كثير فخرج اليه المتقي لله وحُرّمه والوزير أبو الحسين ابن مقلة والترجمان^(١) واستتر ابن شيرزاد وخرج وجوه أهل الحضرة وكتبّا بها . فلما بلغ المتقي تكريت ظهر ابن شيرزاد وطالب الناس وخبطهم

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش وبلغ توزون وهو بواسط ما جرى بالحضرة من خروج المتقي والوزير من بغداد فجرد موسى ابن نسيان في ألف رجل وبادر به الى بغداد . وامتد موسى الى باب السماوية وعسكر^(٢) هناك وأقام توزون حتى عقد واسطا على البريدي ثم أصعد ودخل بغداد وقلد الشرطة غلامه صافيا . وانحدر ناصر الدولة ومعه الجيش^(٣) ووصل الى تكريت فلقاه الخليفة وسار توزون الى عكبرا وعبر من الجانب الشرقي الى قصر الجصّ بسرّ من رأى . وصاعد المتقي لله الى الموصل ومعه أبو الحسين الوزير وأبو اسحق القراريطي وأبو زكريا السوسى وسار سيف الدولة للقاء توزون فاشتبكت الحرب بينهما أسفل من تكريت بفرسخين وناصر الدولة بتكريت فدامت الحرب بين سيف الدولة وتوزون يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء فلما كان يوم الخميس انهزم سيف الدولة . وأصعد معه ناصر الدولة ونهب الاعراب بعض سوادهما وملك توزون وشعب أصحاب توزون فانحدر الى بغداد . وتأهب سيف

(١) زاد صاحب النكتة : وسلامة الطولوني وأبو زكرياء السوسى وأبو محمد المادرائي والقراريطي وأبو عبد الله الموسوى وغيرهم (٢) وفي النكتة : انه انحدر في بنى نمير وبنى كلاب وبنى أسد .

الدولة للاقاء توزون ثانية فأنحدر الى تكريت وخرج توزون الى باب الشماسية ثم سار الى ناحية أخرى^(١) وواقعه هناك فانهزم سيف الدولة وتبعه توزون . فلما وصل سيف الدولة الى الموصل سار منها وسار ناصر الدولة والمتقى والوزير وسائر من معهم الى نصيبين ودخل توزون الموصل ومعه ابن شيرزاد وأبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي واستخرج^(٢) ابن شيرزاد من الموصل نحو مائة الف دينار

ورحل المتقى وحُرّمه ومن معه من نصيبين الى الرقة ولحق بهم سيف الدولة وقد كان توزون عند خروجه من بغداد زوج ابنته من أبي عبد الله البريدي وعقد الإملاك بالشماسية وأخذ المتقى لله أبا زكرياء السوسي الى توزون في رسالة يقول فيها : اني استوحشت منك لاجل البريديين لقبح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة وأبأفت انكما اجتمعتما وصرتما يداً واحدة فخرجت من الحضرة والآن فقد مضى ما مضى فان آتت رضائي فصالح ناصر الدولة وارجع الى الحضرة فاني اذا رأيتك مطيعاً لي عدت واستأمت لك الامور بي وبرضائي وكان الله عونك . قال أبو زكرياء : فلما وردت حضرة توزون اتهمني وعم بقتلي فخلصني ابن شيرزاد وقل : أيها الامير أنا والله سألت أبا زكرياء الخروج مع الخليفة ليلته الينا وايسكون خليفتنا بحضرته فان كان منهما فانا منهم . ثم أدبت الرسالة فقبلها ابن شيرزاد وأشار على توزون بالاحابة وسفرت في الصالح الى ان تم^(٣) وصح لابي جعفر ابن شيرزاد قبل الصلح

(١) وهي « حربي » كذا في النسخة (٢) قال فيه صاحب النسخة : فقال ابن سعيد : يا أمير المؤمنين اني أخافه على نفسي . فقال : اذا قصدت الصلاح كفيت . فقلت له : فان لم يتم الصلاح أعود الي وطني . قال : قد أذنت لك . فقبلت يده . فلما جئت

وبعده زيادة على مائتي ألف دينار . وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث ضنين كل سنة بثلاثة آلاف الف وستمائة الف درهم^(٨٨) وانصرف توزون الى بغداد وتواترت الاخبار بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطاً وكان على وعد من البريديين بعسكر الماء فاخلعوه وانحدر اليه توزون محارباً له والتقى في الموضع المعروف بقباب حميد وطالت الحرب بينهما بضعة عشر يوماً على اجتهاد شديد بين الفريقين الا أن توزون كان يتأخر كل يوم ويتقدم الديلم على سبيل الزحف وعلى عادتهم في مثل ذلك وكثر القتل من الجانبين الى ان عبر توزون نهر ديبالى يحصل في الجانب الذي يلي بغداد وقطع جسوراً كان عقدها عليه . فلما صار بينهما النهر ثبت الاتراك وكان مع توزون زبازب وخيل في الماء فيها غلمان رماة فكانوا يستولون في كل يوم على قطعة من خزائن أحمد بن بويه وزواريق عسكره ثم يحولون بين المسكر وبين الماء فيعطشونهم ودوابهم فرأى ممر الدولة ان يصعد على ديبالى الى نحو جسر النهران ليمد عن دجلة ويقرب من الماء ويحتال المدينة فقد كانت ضاقت عليه وأحس توزون بذلك

﴿ ذكر حيلة تمت على معز الدولة حتى انهزم بعد استظهار مائة ﴾

وعبر توزون بخمسمائة من الاتراك مع تسكين الشيرزادى والف فارس من العرب فيهم ابراهيم المطوق وقطينه وأمثالهم من حيث^(٨٩) لم

الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي فقلت : أيها الامير قد كنت أسفر بينك وبين ابن رائق وهبل عرفني المستغفم قال : صدقت . فقلت : انا رجل سنى وأرى طاعة الخليفة وخرجت معه احتساباً لأطلب الدنيا وقد أنقذنى رسولا وأنتم أولادى وريثكم وأرى الصلح . وأشار عليه ابن شيرزاد بذلك ووردت الاخبار بمجيء معز الدولة الى واسط فاحب توزون انعام الصلح وحصل لابن شيرزاد الخ

يشعر بهم معز الدولة فلما سار وسار سواده في أثره خرج عليهم القوم خالوا
بينه وبين الدواد ووقعوا في المعسكر على غير آمية . وتمجل توزون فسير
بجماعة من أصحابه سباحة ولم يزل يقتل ويأسر حتى ملّ . وأفلت معز الدولة
مع الصيمري^(١) ونفر يسير معه بأسوأ حال وحصل بالسوس واجتمع اليه
نفر من القل بعد أيام وعاد توزون الى بغداد

وفي صفر من هذه السنة ظهر لصّ يقال له ابن حمدي وكان أعبي
السلطان فخلع عليه ابن شيرزاد وأثبتهُ برسم الجند ووافقه على ان يصحح في
كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه وأصحابه وأخذ خطه بها فكان
يستوفيها منه ويأخذ البرأت وروزات الجهد بما يؤذيه أولاً أولاً
وفي هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف

﴿ ذكر السبب في قتل البريدي أخاه وما جرى ﴾

﴿ بعد قتله اياه وعاقبة أمره ﴾

كان أبو عبد الله البريدي لما حاصره سيف الدولة أيام مقاومته بواسط احد
عشر شهراً ثم توزون بعده ضاقت به الامور فاضطربت رجاله وعملوا على
الاستئمان الى أبي يوسف أخيه ليساره . واستقرض من أبي يوسف قرضا
بعد قرض فكان يعطيه النزر اليسير وذكر تخلفه^(١) وتضييعه وأنه
بالاقبال ثم له ماتم لا لتدبير ثم تعدى ذلك فصار يذكر جنونه وعجلته .
وصح عند أبي عبد الله ان أبا يوسف يريد القبض عليه واعتقاله لان يجري

(١) زاد صاحب التكملة : وأخذ في جملتهم ابن الاطروش المعروف بالداعي

العلوي (والاطروش هو أبو محمد الحسن بن علي الحسيني من ولد عمر الاشرف) وأبو
بكر ابن قرابة وكان قد وافي مع الدليم فصودر على عشر بن ألف دينار

عليه جناية على نعم فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه
فخفي اسرائيل الجهمي وكان خصيصا بابي عبدالله انه امتدعاه وشكا
اليه حاله في الاضاقه ثم قال : قم الى أبي يوسف أخي (وأوما الى درج بين
يديه وفتح فيه حبّ لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يهر الناظرين) وقال :
احمل هذا اليه وسله ان يقرض عليه عشرة آلاف دينار . وكان مافي الدرج
قد وهبه بحكم لابنته سارة التي تزوج بها وكان بحكم أخذه من دار الخليفة
فأخذه أبو عبد الله منها قال اسرائيل : فمضيت الى أبي يوسف وحدثته
بجميع ما خاطبني به أخوه وأخرجت الدرج اليه فقال لي : يا أبا الطيب من
سوء تحصيله يرى ولو مدّت دجلة مالا لبدّده هذا رجل حصل له من
واسط في كراته التي تولاها ثمانية آلاف الف دينار أما وجب ان يستظهر
بالف ألف دينار . فقلت : ياسيدي ومن أولى به منك على تصرف كل حال
فتفضل بما طلب . فقال : اني قد أعطيته الى هذا الوقت ومنذ انصرف من
واسط . خمسين الف دينار وما تمل عينه ابعث الى الجوهريين^(١) واحضرهم
حتى يقوموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته . فوجه اليهم وحضروا وأخرجوه
اليهم فقالوا : لا قيمة له تحدّ واذا حضر ملك يرغب بحكم صاحبه ولوانتهى
في السوم الى أقصى غاية . فاشتطّ وقال : يا جهال من قال لكم اني مروان
الامويّ (فانه كان راغبا في الجوهر وحضر للابتعا) أو خمارويه بن أحمد
وابن الجصاص ؟ قوموه بما اذا طالبتكم به بكرة صحّحتوه المصّر .
فقوموه خمسة آلاف دينار فقال : اعطوني خطوطكم بها . فتثبتوا ثم ردوها
الى خمسين الف درهم وضمّوها فقال : هذا أعطيك . فقلت : ياسيدي
اجعلها خمسة آلاف دينار . فقال : قم ودع في القيمة فضلا لطلبه فانه سيعاود

ويطرب . فانصرفت بخمسين الف درهم الى أبي عبد الله وحدثته الحديث
فقال : لا اله الا الله قل له : يا أبا يوسف جنوني الذي ذكرته وقلة تحصيلي
أومدك هذا المقعد وصيرك كمقارون : ثم عيّد ما عمله معه ودمعت عينه
وتبين الشر في وجهه . فلما كان بعد أيام نحو العشرة أقام غلمانهم وفيهم يانس
وأوبال وريب وملاح يانس في مخترق قد سقّف بين باب داره (وكانت
دار فضلان الساجي) بالالبّة وبين الشط . فتكمن له هؤلاء ووثبوا عليه
بالسكاكين وما زال يصيح « بأخي قتلوني قتلوني » وأبو عبد الله^(١٢) يقول
« الى لعنة الله » فخرج أبو الحسين أخوه وكان ينزل في جواره الى روشن
دجلة وقال : يا أخي قتلته ! فقال : يا فاعل خربت أسكت والا ألحقك به .
فجمع أبو الحسين نفسه وشغب الجند وظنوه حياً فنبشه وأظهره لهم فسكنوا
ثم أعاده الى قبره

وانتقل الى الدار بمساران فساعة مملكتها طلب الجوهر فأحضره قال
امرائيل : دخأت اليه فقال لما رأيته : يا غلام هات الدرج . فأحضره اياه
فقال لي : يا أبا الطيب أخذنا المال والجوهر ومضى الفاعل بن الفاعل الى لعنة
الله . ثم أودع أبو عبد الله هذا الجوهر ابنة أبا القاسم سرّاً وأمره أن يستره
فلما توفي أبو عبد الله وملك الامر بعده أخوه أبو الحسين طلب هذا الجوهر
طلباً شديداً فلم يجد له أثراً وقيل « أودعه من لا يعرف » ولما خرج ابنة الى
هجر أخذه معه فسأله الهجريون ان يريهم اياه ففعل ذلك ووهب لهم منه
حبة واحدة فلما حضر مدينة السلام في أيام أبي الحسين معز الدولة طلبه منه
ليراه فأحضره عنده ووسط أبا نخلد عبد الله بن يحيى لبيتاعه منه فامتنع من
بيعه ثم رأى الوجه في يبعه فاستجاب فقوّم بما قوّمه تجار البصرة فقال أبو

مخلد : حط منه ثمن الحبة التي أخذها المجربون . فأعطى ثلاثة آلاف دينار عن قيمة خمسة^(١٣) وأربعين ألف درهم وأحاله بذلك على كار التمر واستوفاه

وكان أبو عبدالله البريدى يتهم أبا الحسن ابن أسد بالتضريب بينه وبين أخيه وقيل له : ان عنده ستة عشر ألف ألف درهم . فلما ملك الأمير أخرج اليه دفتر فيه ثبت ودائع أبى يوسف بخطه فلم يجد فيه وديعة عند أحد الا ما عند ابن أسد فطالبه بها وبسط منه وأقره على ما كان يتولاه . فمضى الى منزله وحمل اليه ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ولم يظهر له وعرفه انه لا وجه للباقي وان أخاه حصل عليه ذلك من عجز بعد عجز لحقه فى مدة سنة معه وأخذ خطه بها انها وديعة له عنده . وكان فى أسفل الثبت الذى وجد له عمل الكل سنة عملا باضمان وما صح منه بالامانة وما تحصل من المعجز الذى أخذ خطه به وجمع ذلك وكان بازاء المعجز وهو ثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة ألف درهم . فقامت قيامة أبى عبدالله وقال : دم أخى فى رقبة ابن أسد فانى قتله طمعا فى المال . فمضى ولم يصل اليه ثم آمنه فظهر وقام بحجته شفاها وذكرا ان له بقايا هذه السنة فى النواحي زيادة على أربعة آلاف الف وله أصحاب منهم أبو العلاء صاعد بن نابت وأبوه وأخوه وأبو على الانبارى وقد هرب فتوسط أمره القاضي أبو الحسين بن نصرويه^(١٤) وصح لأبى عبدالله من جميع الوجود على أحوال قبيحة مع الالفى الالف والخمسمائة الالف الدرهم الموجودة عشرة آلاف ألف درهم وقاه الباقي وذهبت نفس أبى يوسف

وفىها قبض أبو النحاس الشكورج الديلمى وكان توزون قلده الشرطة

يغداد على ابن حمدي اللص^(١) وضرب وسطه فخنق مكروه اللصوص
عن الناس وانقطع شرهم بعد ان تحارس الناس بالليل بالبوقات وامتنع عنهم
النوم خوفا من كبساته .

وفيهما ورد الخبر بدخول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسط وانحدر
من كان بها من أصحاب البريدي الى البصرة

وفيهما صار محمد بن ينال الترجمان الى سيف الدولة وهو بلرقة فعاتبه
سيف الدولة على أشياء بلغته عنه وكان اتهم بأنه عقد الرئاسة لنفسه على العجم
وواطأ المتقي لله على الايقاع بسيف الدولة فجحد محمد بن ينال ذلك فلما خرج
من حضرته بعد العتاب وثب به غلمان سيف الدولة بسيوفهم فقتلوه .

وفيهما ورد الخبر بموت سليمان بن الحسن أبي طاهر القرمطي وانه جذر
ومات وصار الامر لاختوته بعده

﴿ ذكر الخبر عن الاصهباني الذي احتال لقتل ﴾

﴿ القرامطة بأيديهم حتى كاد يفنيهم ﴾

كان ابن سنبر يمادى المعروف بابي حفص الشريك فاحتال في حياة
أبي طاهر بان أحضر رجلاً^(٢) من أهل اصهبان فكشف له أسراراً كان
أبو سعيد الجنابي كشفها له في حياته ولم يكشفها لغيره وعرفه مواضع دفائن
له لم يعلم بها غيره ولم يعلم أبو طاهر ان أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر
فقال ابن سنبر لهذا الرجل الاصهباني : امض الى أبي طاهر وعرفه انك
الرجل الذي كان أبوه وهو يدعوان اليه فاذا هو سألك عن العلامات

(١) وردت حكاية تاجر مع ابن حمدي هذا في كتاب الفرج بعد الشدة

٢ : ١٠٨ وفيه يقال له « ابن حمدون » : وهذا هو غلط .

والدليل أظهرت له هذه الأسرار . وشرط ابن سنبر على هذا الأصهباني أن يكون إذا تمكن من الأمر قتل أبا حفص الشريك . فضمن له الأصهباني ذلك فضى إلى أبي طاهر وأعطاه العلامات وحدثه بالأسرار فلم يشك في صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلم الأمر إليه وقال لأصحابه : هذا هو الذي كنت أدعوكم إليه والأمر له . فتمكن الرجل من الأمر وثبت ووفى بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك . ثم كان يأمر أبا طاهر وأخوته بقتل من يشاء ويقول « قد عرض » يعني أنه قد شك في الدين فيقتل وأخذ يقتل واحداً واحداً من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمره ممثلاً لمطاع لا يخالف إلى أن أتى على عدد كثير منهم . وكان إذا أمر الرجل أن يقتل أخاه أو أباه أو ابنه لم يتوقف وبادر إلى امتثال أمره فخافه أبو طاهر ^(٩٦) وبلغه أنه عمل على قتله فمال لأخوته : قد وقع على غلط وشبهة في أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الأمر الذي يعرف ضمائر القلوب ولا تخفي عليه الأسرار ويمكنه أن يري المريض ويعمل كل ما يريد . وجاؤا إلى الرجل فعرفوه أن والدتهم عليه وسلم سألوه أن يدخل إليها ونوموا والدتهم على فراش وغطوها بازاء فدخل إليها فلما رآها قال لهم : هذه علة لا يراها صاحبها فطهروها (معناه اقتلوها) . فلما قال لهم ذلك قالوا لا مهم : اجلسي . فجلست وقالوا : انها لفي عافية وأنت كذاب . فقتلوه

وكان لهم سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له أخوان أبو القاسم - سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لا يدخل معهم في أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مُقبل على الشرب

والقصف وأمر الثلاثة واحد وكلمتهم واحدة لا يخلفون فكانوا إذا أرادوا عقد أمر أو ورد عليهم أمر ركبوا أو أصبحوا وانفقوا على ما يعملون ولا يطلعون أحدا على أمرهم فإذا انصرفوا أمضوا ما اتفقوا عليه^(١)

(١) وأما أبو طاهر الفرمطي فليراجع ما في تاريخ الإسلام في ترجمة سنة ٣٣٢ : هذا تمة أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي الفرمطي ذكرها المصنف في غير موضعه وأمر أن تلحق هنا فالحق هنا حسب مرسومه قال : كان أبوه يحبه ويرجيه للامر بعده وأوصي « أن حدث بي موت فالامر إلى أبي سعيد إلى أن يكبر أبو طاهر فيعيد أبو سعيد إليه الامر » وكان أبو سعيد قد عثا ومرد وأخاف العباد وهزم الجيوش . وكان قد أسر فيمن أسرخادما فحسنت منزله عنده حتى صار على طعامه وشرابه وكان الخادم ينطوى على اسلام فلم ير أبا سعيد يصلي صلاة ولا صام شهر رمضان فابغضه وأضر قلبه . فخلاه وقد دخل حماما في الدار ووثب عليه فذبحه ثم خرج ودعا بعض قواد أبي سعيد فقال له : كأم أبا سعيد . فلما حصل ذبحه ثم استدعى آخر ففعل به كذلك حتى فعل ذلك بجماعة من الكبار وكان شجاعا قويا جدا . ثم استدعى في الآخر رجلا فدخل في أول الحمام فاذا الدماء تجري فادبر مسرعا وصاح فتجمع الناس . وقد مر ذلك في سنة ٣٠٩ وأخذ سعيد ذلك الخادم ففرض عليه بالمقاريض إلى أن مات .

فلما كان في سنة ٣٠٥ سلم سعيد الامر إلى أخيه أبي طاهر فاستجاب لأبي طاهر خلق واقتنوا به بسبب أنه دلم على كنوز كان والده أطامه ثايبا وحده فوقع لهم أنه علم عينا ونخب موضعها من الصحراء وقال : أريد أن أحفر ههنا عينا . فقبل له : هنا لا ينبع ماء فخالقهم وحفر فنبع الماء فازدادت فتنتهم به ثم استباح البصرة وأخذ الحجيج ونزل المظالم وأرعب الخلق وكثرت جموده وتزلزل له الخليفة . وزعم بعض أصحابه أنه إله ومنهم من زعم أنه المسيح ومنهم من قال « هو نبي » وقيل « هو المهدي » وقيل « هو المهدي للهدي » وقد هزم جيوش الخليفة المقتدر غير مرة ثم أنه قصد بغداد ليأخذها فدفع الله شره وقد قتل بحرم الله تعالى مقالة عظيمة لم يتم مثلها قط في الحرم وأخذ الحجر الأسود . ثم لم يمض له الله بعد ذلك فلما أشقى على الناس سلم ملكه إلى أبي الفضل ابن زكريا الجوسي المعجمي .

قال محمد بن علي بن رزام الكوفي : قال لي ابن حمدان الطبيب : أقت بالقطيف

وفي هذه السنة مات أبو عبد الله البريدي بحمد حادثة مكث فيها سبعة أيام فكان بين قتله أخاهُ أبا يوسف وبين موته ثمانية أشهر وثلاثة أيام فتبارك الله رب العالمين . ^(٩٧) فتحدث أبو القاسم ابن أبي عبد الله البريدي بعد زوال أمره ومصيره الى بغداد ان أباه لما مات بالبصرة انتصب أخوه

أعاجل مرضا فقال لي رجل : أنظر ما يقول الناس يقولون ان بهم قد ظهر . فخرجت فإذا الناس يهرعون الى ان أتينا دار أبي طاهر سليمان الفرمطي فإذا بعلام حسن الوجه درى اللون خفيف الأرضين له نحو عشرين سنة وعليه عمامة صفراء تعمم العجم وعليه ثوب أصفر وفي وسطه منديل وهو راكب فرسا شهباء اسمه أبو الفضل الجوسي والناس قيام وأبو طاهر الفرمطي وأخوته حوله فصاح أبو طاهر بأعلا صوته : يا معشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو طاهر سليمان بن الحسن اعلموا انا كنا واباكم حمير وقد من الله علينا بهذا (وأشار الى الغلام) هذا ربي وربكم والهي والمك وكنا عباده والامر اليه وهو يملكنا كلها . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رؤوسهم ثم قال أبو طاهر : اعلموا يا معشر الناس ان الدين قد ظهر وهو دين أينما آدم وكل دين كنا عليه فهو باطل وجميع ما توصلت به الدعاة اليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد أما الدين دين آدم الاول وهؤلاء كلهم دجالون محتالون فالعنوهم . فلعنهم الناس وكان أبو الفضل الجوسي (يعني الغلام الامرد) قد سن لهم اللواط ونكاح الاخوات وأمر بقتل الامرد الممتنع وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس عراة به ويقولون « الهنا عز وجل »

قال ابن حمدان الطبيب : أدخلت على أبي الفضل فوجدت بين يديه أطباقا عليها رؤس جماعة فسجدت له كعادتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر فقال لابي طاهر : ان الملوك لم يزل تعد الرؤس في خزائنها فسلوه (وأشار الي) كيف الحيلة في بقائها بغير تغيير . فسألني أبو طاهر فقلت : الهنا أعلم وبعلم ان هذا الامر ما علمته ولكن أقول على التقدير ان جملة الانسان اذا مات يحتاج الى كذا وكذا صبر وكافور والرأس جزء من الانسان فيؤخذ بحسابه . فقال أبو الفضل : ما أحسن ما قال . قال ابن حمدان : وما زلت اسمع الناس تلك الايام بلغون ابراهيم وموسى ومحمدا وعليه وأولاده ورأيت المصحف يمشح به الغائط .

أبو الحسين مكانه . وكان لأبي عبد الله عسكر مقيم بنهر الأمير بازاء الأمير
أبي الحسين أحمد بن بويه وعسكر آخر بمطارا وكان ديلم أبي عبد الله
مضمومين الى يانس غلامه وكانوا يميلون اليه . وكان بين يانس وبين أبي
الحسين مباينة في الباطن وعداوة ولما تمكن أبو الحسين من الرئاسة أخذ

وقال أبو الفضل لكتابه ابن سنبر : أكتب كتابا الى الخليفة فصل لهم على محمد
وكل لهم من جراب النورة . قال ابن سنبر والله ما تنبسط يدى لذلك . وكان لأبي
طاهر أخت فاقنضها أبو الفضل وذبح ابنها في حجرها وقتل زوجها ثم عزم على قتل أبي
طاهر . فبلغ ذلك أبا طاهر فاجمع رأيهم ورأى ابن سنبر ووالدة أبي طاهر على أن يتمحنوها
ويقتلوه فأتياه فقال : يا لهذا ان فرجة أم أبي طاهر قد ماتت وتشتهى أن تمحضر لشق
جوفها ونحشوه جمرًا . (وكان قد شرع لهم ذلك) فضى معهم ما فوجد فرجة مسجاة
فامر بشق بطنها فقال أبو طاهر : يا الهى أشتهى أن تمحىها الى . قال : ما تستحق فأنها كافرة .
فعاوده مرارا فاستراب وأحس بتغيرها عليه فقال : لا تمجلا على ودعاني أخدم دوا بك
الى أن يأتى أبى فاني سرقت منه العلامة فيرى في رأي . فقال له ابن سنبر : وبلك
هتكت استارنا وحريمنا وكشفت أمرنا ونحن نرتب هذه الدعوة في ستين سنة لا يعلم
مانحن فيه فانت لو رأك أبوك على هذه الحالة لقتلك قم يا أبا طاهر فاقتله . قال :
أخشى أن يسخني . فقام اليه سعيد أخو أبي طاهر فقتله وأخرج كبده فأكثه أخت
أبي طاهر . ثم جمع ابن سنبر الناس وذكر حقه فيهم لأنه كان شيخهم وقال لهم : ان
هذا الفلام ورد بكذب سرقه من معدن حق وعلامة موه بها فاطعناه لذلك وأنا
وجدنا فوقه غلاما ينكحه فقتلناه . وقد كنا نسمع أنه لابد المؤمنين من قننة عظيمة
يظهر بعدها الحق وهذه هي فارجعوا عن نكاح المحرمات واطفؤا بيوت النيران واتركوا
اتخاذ الفلمان وعظمو الانبياء عليهم السلام . فضج الناس بالصياح وقالوا « كل يوم تقولون
لنا قولا » فانفق أبو طاهر أموالا كان جمعها أبو الفضل في أعيان الناس فسكنوا

قال ابن حمدان الطيب : وبعد قتل أبي الفضل اتصلت بخدمة أبي طاهر فاخرج
الي يوما الحجر الاسود وقال : هذا الذي كان المسلمون يعبدون . قلت : ما كانوا
يبدونه . فقال : بلى . قلت : أنت أعلم . وأخرجه الى يوما وهو ملقوف بذياب ديتي وقد
طيه بالمسك فعرفنا أنه معظم له . ثم أنه جرت بين أبي طاهر وبين المسلمين حروب

في الاستطالة على الديلم والأتراك ويستخف بهم فنفرت قلوبهم منه . وأحس يانس بذلك فمضى الى أبي القاسم مولاه وابن مولاه أبي عبد الله فقال له : ان كان عندك مالٌ أصاحت لك قلوب الرجال وعمدت لك الرئاسة . فاعترف له أبو القاسم ان عنده ثلاثمائة ألف دينار فاصاح له قلوب الديلم والرجال وواطأهم على الايقاع بابي الحسين وعقد الرئاسة لابني القاسم وضمن لهم عنه الاحسان . فسار الجيش الذي كان ينهر الامير الى مسماران وكان أبو الحسين بها فكبسوه وهرنأهم فخرج من تحت السكيلة ومضى ماشيا متكررا الى الجعفرية وكاتب الهجرى يستجير بهم وقصدهم فقبلوه أحسن قبول وسألهم ان يعاونوه على الرجوع الى البصرة وردّه الى أمره فضمنوا له ذلك وأقام عندهم^(٩٨) نحو الشهر وتقررت الرئاسة لابني القاسم ابن أبي عبد الله . ثم سار أبو الحسين من هجر ومعه من اخوة أبي طاهر اثنان وصاروا الى سور البصرة فوجدوا أبا القاسم قد حفظه بالرجال واحترس منه

وأمر وضمف جانبه فقتل من أصحابه في تلك الوقعات خاق وقتلوا فطلبوا من المسلمين الامان على أن يرد الحجر الاسود وان لا يتعرض للحجاج أبدا وان يأخذ على كل حاج دينار ويخفهم فطالب قلوب الناس وحجوا آمنين وحصل له أضاف ما كان ينته من الحاج . وقد كان هذا الملعون بلاء عظيما على الاسلام وأهله وطالت أيامه ومنهم من يقول انه هلك عقب أخذه الحجر الاسود والظاهر خلاف ذلك . فلما ضمف أمر الامة ووهت أركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبدعة على الاقاليم قويت همة صاحب الاندلس الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي المرواني فقال « أنا أولى الناس بالخلافة » وتسمى بامير المؤمنين وكان خليفا بذلك فانه صاحب غزو وجهاد وهيبة زائدة استولى على أكثر الاندلس ودانت له أقطار الجزيرة

انتهى ما للحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فالحقته هنا . ولا قوة الا بالله في كتابه مثل هذا دحض ونسأل الله العفو والسلامه .

فلم تكن لهم حيلة في الوصول الى البلد وطال مقامهم فضجر الهجريون
وكاتبوا أبا القاسم وسفروا بينه وبين عمه في الصلح وسألوه ان يؤمنه ويأذن
له في الدخول الى البصرة واحتاط أبو القاسم في أمره الى أن تأهب واختار
الشخص الى بغداد فأذن له وأطلقه فخرج وصار الى مدينة السلام
ثم طمع يانس في الرئاسة وأزاله أبي القاسم عنها فوآداً روستاباش فلما
العقد الامر بينهما تحرك روستاباش والديلم واجتمعوا في دار روستاباش .
وآثر روستاباش الاتباع يانس والنفر بالرائسة فلما خرج يانس من عنده
أتبعه بمن يوقع به فتحرك يانس ورماه الديلمى بزوين ووقع في ظهره
وهرب وصار الى خراب بقرب دار أبي القاسم ولم يعرف له أحد خبراً وكان
ليلاً وسار روستاباش الى دار لشكرستان وكان نقيب الديلم والمدير يانس .
وكان قد جزع أبو القاسم لما عرف الخبر وهم بالجلوس في طياره ^(١١)
والخروج عن داره فلما عرف لشكرستان ان روستاباش قد أوقع يانس
وعزم على النفر بالرائسة لم يطمعه وصاح الديلم وزبرهم فتفرقوا ومضى
بعضهم في الوقت معتذرا وهرب روستاباش بالليل عند تفرق الناس عنه
واستتر واصبح أبو القاسم وقد استقام أمره . وعرف خبر يانس فحمله الى
داره مكرماً ووجد روستاباش فنفاه الى حيدة وعولج يانس الى ان برأ وأبو
القاسم منهم له فلما كان بعد أيام قبض عليه وعلى لشكرستان وصادر يانساً على
مائة الف دينار ثم نفاه الى عمان فلما حصل على الحديدى لينزل به خرج اليه
بعض غلمان أبي القاسم فقتله وقتل لشكرستان وتمكن أبو القاسم من الرئاسة .
وفيها عرض لنوزون يوما وهو جالس للسلام والناس وقوف بين يديه
صرخ فوثب ابن مشيرزاد وموسى بن سليمان ومدّا في وجهه رداً كان على

رأس موسى وحجزوا بينه وبين الناس لئلا يروه على تلك الصورة وصُرف
الناس وقيل لهم ان الامير قد نار المرار به من خُمار لحقة .

وفي هذه السنة خرج عسكر الامة المعروفة بالروس الى آذربيجان
وقصدوا برذعة وملكوها وسبوا أهلها^(١)

﴿ شرح أخبار الروسية وما آل اليه أمرهم ﴾

هؤلاء أمة عظيمة لهم خلق عظام ولهم بأس شديد لا يعرفون الهزيمة
ولا يوتلي الرجل منهم حتى يقتل أو يقتل . ومن عادة الواحد منهم أن يحمل
آلة السلاح ويُعاق على نفسه أكثر آلات الصنّاع من الفاس والمشار
والمطرقة وما أشبهها ويُقاتل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويُعاق عليه
عمودا وآلة كالدشني ويُقاتلون رجالة لاسيما هؤلاء الواردين . وذلك أنهم
ركبوا البحر الذي يلي بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالكُرَّ يحمل
من جبال آذربيجان وأرمينية ويصب الى البحر وهو نهر برذعة الذي
يشبهونه بدجلة . فلما وصلوا الى الكُرَّ توجه اليهم صاحب المرزبان^(٢)

وخليفته على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم
صعاليق وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من المطوعة نحو خمسة آلاف
رجل لجهاد هؤلاء وكانوا مغترين لا يعرفون شدتهم وحسبوا أنهم يجرون
مجرى الارمن والروم . فلما صافوهم الحرب لم تكن الا ساعة حتى حمت
الروسية حملة منكورة فهزموا العسكر وولت المطوعة بأسرهم وسائر العسكر
الا الديلم فانهم ثبتوا ساعة فقتلوا كلهم^(٣) الا من كان بينهم فارسا واتبعوا
الفلَّ الى البلد فهرب كل من كان له صركوب بجملته من الجنود والرعية

وتركوا البلد. فزلهُ الروسية وملكوه.

فحدثني أبو العباس ابن نُدَار وجماعة من المحصلين ان القوم بادروا الى البلد ونادوا فيه وسكنوا الناس وقالوا لهم : لا منازعة بيننا وبينكم في الدين وانما نطالب الملكَ وعلينا ان نُحسن السيرة وعليكُم حُسن الطاعة . ووافقهم العساكر من كل ناحية فكانوا يخرجون اليهم ويهزمونهم وكان أهل برذعة يخرجون معهم فاذا حملوا عليهم المسلمون كبروا ورجعوا بالحجارة فكانت الروسية تتقدم اليهم بان يضبطوا أنفسهم ولا يدخلوا بين الساطان وبينهم فيقبل أهل السلامة منهم خاصة فاما العامة ومُعظم الرعايا فكانوا لا يضبطون أنفسهم ويظهرون ما في نفوسهم ويتعرضون لهم اذا حمل عليهم أصحاب الساطان . فلما طال ذلك عليهم نادى مناديتهم بالا يُقيم في البلد أحد من أهله وأجلوهم ثلاثة أيام من يوم نداءهم فخرج كل من كان له ظهر يحمله ويحمل حُرمةً وولدهُ وهم نفر يسير وجاء اليوم الرابع والاكثر مقيمون فوضعت الروسية فيهم سيوفهم فقتلوا خلقاً عظيماً لا يحصى عددهم وأسروا بعد القتل بضعة عشر الف رجل وغلام^(١٠٢) مع حريمهم ونسائهم وبناتهم وجمعوا النساء والصبيان في حصن داخل المدينة وهي شہرستان القوم وكانوا نزلوه وعسكروا به وتحصنوا فيه . ثم جمعوا الرجال الى المسجد الجامع ووكلوا بابوايه وقالوا لهم « اشترُوا أنفسكم »

﴿ ذكر تدبير صواب أشار به بعضهم فلم يقبلوا منه حتى ﴾

﴿ قتلوا باجمهم واستبيحت أهوالهم وفترارهم ﴾

كان بالبلد كاتب نصراني له رأى سديد يعرف بابن سميمون وكان يسمى في السفارة بينهم ووافق الروسية ان يُبتاع كل رجل منهم بعشرين

درهما فتابعه على ذلك عقلاء المسلمين وخالفه الباقون وقالوا : انما يريد ابن سمعون ان يالحق المسلمين بالنصارى في أداء الجزية . فامسك ابن سمعون وتوقف الروسية عن قتل الرجال طمعا في هذا القدر اليسير ان يحصل لهم من جهتهم فلما لم يحصل لهم شيء وضعوا فيهم السيوف فقتلوه عن آخرهم الا عددا يسيرا أخرجوا في قناة ضيقة كانت تحمل الماء الى المسجد الجامع والا من افتنى نفسه بذخيرة كانت له . فربما وافق الواحد من المسلمين الروسي على مال يقتنى به نفسه فحضر معه الى منزله أو خانوته فاذا استخرج ذخيرته وكانت زائدة على مال موافقته لا يمكن صاحبها منها وان كانت أضما ما مضاعفة عليه وعطف بالمطالبة حتى يجتاحه فاذا علم انه لم يبق له عين ولا ورق ولا جوهر ولا فرش ولا كسوة أفرج عنه وأعطاه طينا مخوما يأمن به من غيره فاجتمع لهم من البلاد شيء عظيم يحل قدره وبمعظم خطرته وكانوا قد حازوا النساء والصبيان ففجروا بهن وبهم واستعبدوهم .

فلما عظمت المصيبة وتسامع المسلمون في البلدان بنحبرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنذر الناس وأتاه المطوعة من كل ناحية فسار في ثلاثين ألف رجل فلم يقاوم الروسية مع إجماع هذه المدّة ولا أمكنه أن يؤثر فيهم أرا فكان يغاديهم القتال ويرأو حيه وينقلب عنهم مفلولا وانصابت الحرب بينهم على هذه الصورة أياما كثيرة فكانت الدبرة أبدا على المسلمين . فلما أعيا المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة النجاء الى الخيلة والمسلية وانفق له ان الروسية لما حصلوا بالمراغة تبدطوا في الفنا كره وهناك أنواع كثيرة منها فرسوا ووقع فيهم الربا لان بلادهم شديدة البرد ولا ينبت فيها شجر وانما يحمل اليهم الشيء اليسير من البلاد

الثالسة عنهم . فلما تحقق عددهم ونكر المرزبان في الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلاً وواطأ عسكره^(١٠٤) أن يُبادروا الحرب فإذا حمل عليهم القوم انهزم هو وانهزموا معه وأطعمهم بذلك في العسكر والمسلمين فإذا تجاوزوا موضع السكين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالسكين بشعار اتفقوا عليه فإذا حمل الروسية في الوسط تمكنوا منهم . فلما أصبحوا على هذه المكيدة تقدم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله واصطفوا للحرب جفروا على عادتهم وانهزم المرزبان والمسلمون واتبعهم الروسية حتى تجاوزوا موضع السكين واستمر الناس على هزيمتهم . فحكى المرزبان بعد ذلك أنه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم أن يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن في قلوبهم من هيتهم علم أنه إن استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع السكين فيكون ذلك هلاكهم قال : فرجعت وحدي مع من تبعني من أخي وخاصتي وغلماني ووضعت في نفسي الشهادة فحينئذ استجيا أكثر الديلم فرجعوا وكررنا عليهم وناديناهم « السكين » فخرجوا من ورائهم فصدقتهم الحرب وقتلنا منهم سبعمائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون في الحصن الذي كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا إليه غلات كثيرة^(١٠٥) وميراً عظيمة وحصلوا فيه السبي والاموال . فبينما المرزبان في منازلهم وهو لا يتدبر لهم على حيلة سوى المصاراة إذ ورد عليه الخبر بدخول أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان آذربيجان وانتهائه إلى سلماش واجتماعه مع جعفر بن شكويه السكردى في جماهير الهداينية^(١) واضطر إلى أن خلف على حرب الروسية

(١) وفي الاصل (الهداينة) والصواب فيما بعد وهم صنف من الاكراد

أحد قواديه في خمسمائة من الديلم والاب وخمسمائة فارس من الاكراد
والأفنين من المطوعة وسار الى أوران ولقي أبا عبد الله فاقتتلا قتالا خفيفا
وسقطت ثلجة عظيمة واضطرب أصحاب أبي عبد الله لان معظمهم اعراب
وساروا عنه فسار يسيرهم الى بعض المدن المحمية فلقية في طريقه كتاب
من ابن عمه ناصر الدولة يُعلمه فيه وفاة توزون بمدينة السلام واستئمان رجاله
اليه وانه قد عمل على الانحدار معهم الى بغداد ومحاربة معز الدولة لانه كان
دخلها فاستولى عليها بعد اصعاد توزون عنها وبأسره بالتخيلة عن أعمال
أذربيجان والانكفاء اليه ففعل .

فلم يزل أصحاب المرزبان عن قتال الروسية وحصارهم الى ان ضجروا
واتفق ان زاد الوباء عليهم فكان اذا مات الرجل منهم دفنوا معه سلاحه^(١٠٦)
وثيابه وآلته وزوجته أو غيرها من النساء وغلالمه ان كان يحبه على سنة لهم
فاستنار المسلمون بعد زوال أمرهم متباينهم فاستخرجوا منها سيوفاً يتنافس
فيها الى اليوم لمضائها وجردتها . فلما قل عددهم خرجوا ليلا من الحصن
الذي كانوا فيه وحملوا على ظهورهم كل ما أمكنهم من المال والجواهر
والثياب الفاخرة وأحرقوا الباقي وساقوا من النساء والصبيان والصبايا
ما شاؤوا ومضوا الى السكر وكانت السفن التي خرجوا فيها من بلادهم معدة
فيها مع ملاحهم وثلاثمائة رجل من الروسية كانوا يمدونهم باقساطهم من
نوائمهم فجلسوا فيها ومضوا وكفى الله المسلمين أمرهم

فسمعت ممن شاهد هؤلاء الروسية حكايات عجيبة من شدتهم وقلة
مبالاتهم بمن يجتمع عليهم من المسلمين فمن ذلك خبر شاع في الناحية وسمعت
من غير واحد ان خمسة نفر من الروسية اجتمعوا في بستان برذعة وفيهم

غلام أمرد وضىء الوجهه من أولاد رؤسائهم ومعهم نسوة من السبي وان
المسلمين لما عرفوا خبرهم أحاطوا بالباستان واجتمع عدد كثير من الديلم
وغيرهم على حرب أولئك نفر الخمسة واجتهدوا في ان يحصل لهم أسير واحد
فلم يكن اليه سبيل لانه كان لا يستسلم أحد منهم ولم يمكن^(١٠٧) قتلهم حتى قتلوا
من المسلمين أضعافا كثيرة لعدتهم وكان ذلك الامرد آخر من بقي فلما علم
انه يؤخذ أسيرا صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه بخنجر
معه في مقاتله الى ان سقط ميتا .

وفي هذه السنة ظهر للمتمقي من بني حمدان ضجرا به وبمقامه عندهم
وشهوة لمفارقتهم فراسل توزون في الصالح فتلقى توزون ذلك بنهاية الرغبة
فيه والحرص عليه ووردت رسالة المنقي لله الى توزون مع الحسن بن هرون
وأبي عبد الله بن أبي مرسى الهاشمي وتوثقا من توزون واستحلفاه ايمانا
مؤكدة للمتمقي وللوزير أبي الحسين ابن مقلة وأحضر توزون للقضاة
والعدول والعباسيين والطلبين ومشايخ الكتاب حتى حلف بحضرتهم
للمتمقي لله وكتب بذلك كتابا وأحكم ووقت فيه الشهادة من جميع من
حضر على توزون .

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

ولما كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم وصل
الخشيد الى حضرة المنقي لله وهو بالركة ولقيه بها وأعظمه المتقي بنهاية
الاعظام ووقف الخشيد بين يديه وقوف العلمان وفي وسطه سلاح ثم
ركب المتقي فمشى بين يديه الخشيد فامر ان يركب فلم يفعل^(١٠٨) ولم يزل

على تلك الحال مختلطاً بالعلماء الى ان نزل من ركوبه^(١) وحمل اليه هدايا ومالا وحمل الى أبي الحسين ابن مقلة عشرين الف دينار ولم يدع كاتباً ولا حاجباً الأبره . واجتهد بالمتقى لله ان يسير معه الى مصر والشام فيكون بين يديه فلم يجبه الى ذلك وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل فلما امتنع عليه من الامرين عدل الى الوزير أبي الحسين وأشار عليه بان يسير معه الى مصر وضمن له إنفاذ أمره وترك الاعتراض عليه في شيء يدبره فخالفه . وكان أبو الحسين بعد ذلك يظهر التندم ويقول « نصحني الاخشيدي فلم أقبل » وكانت دنائير الاخشيدي في صندوق أبي الحسين الى ان انتهت لما قبض على المتقى لله^(٢)

(١) وقال ابن العديم في تاريخه زبدة الحلب : وكتب الاخشيدي في هذه السفرة الى عبده كافور الخادم الى مصر وقال له : وما يجب ان تقف عليه أطل الله بفاك ان لفيت أمير المؤمنين بشاطئ الفرات فاكرمني وكناني وقال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله . فرحاً بأنه كناه والخليفة لا يكنى أحداً (٢) وفي خلع المنفى لله قال صاحب كتاب العيون : قال أبو محمد الفرغاني . حدثني ذا ك مولى الرازي قال : فلما بلغ المتقى الى الرحبة أقام بها أياماً الى أن هل هلال صفر ثم انحدرنا الى عانة فاستقبلنا الحسين بن المرزبان وهو رجل كان من خزان بيت المال فلقى المتقى فسأله عن أخبار توزون والعجم وما في نفوسهم وما ظهر له من عزمهم في أمره فذكر عنهم طاعة وموالاة وسرورا بقدوم السلطان قال ذا ك : وكان الحسين هذا أحد من اصطنته فخلوت به وقالت : عرفني ما في اعتقاد القوم للسلطان . فذكر أنه يدخل الى دار توزون ويفتش عن سرائرهم فلم يتبين منهم شيئاً يكرهه قال ذا ك : وكان الامر كما ذكرته لم يظهر منهم ذلك ولا كان لهم عزم عليه الى ان قربنا فسمي في القصة من أفسدها والسبب في ذلك ان حسن الشيرازية لها ابنة متزوجة بابي أحمد الشيرازي وكانت حسن هذه وابنتها امرأتين سوء مشهورتين بشرب البهيد والفاحشة وكانت تدخل الى عبد الله بن المكتفي ويمضي الى جماعة من العجم بحال قبيحة وكانت تستخص رجلاً منهم يعرف بابن مالك الديلمي

ولما توثق المتقي لله من توزون انحدر من الرقة يريد بغداد في الفرات
ومعه غلامان من غلمان الاخشيدي ومحمد بن فيروز ونقط فلما وصل الى هيت

نظيف الوجه وكان له عند توزون موضع ومحل وكان ابو عبدالله بن سليمان يكتب لذلك
الديلمي فكانت اذا جاءت اليه نطيل عنده وتكثر السرار معه فقال ابن سليمان للديلمي :
أراك نطيل سرار هذه المرأة فاكشف لي الحال فانك ان تجد مساعدة مثلي . فقال
الديلمي : هذه المرأة تزعم ان هاهنا رجلا يقال له عبد الله بن المكنتي يلتمس الخلافة
ويضمن انه يحمل الى توزون اذا قبض على المتقي ستمائة ألف دينار على انه يسلم المتقي
وحاشيته وانه يضمن ان يجعلني حاجبه وسأني ان أكون سفيرا بينه وبين توزون . فقال
ابن سليمان : أنا أحكم لك هذه القصة واباع من توزون كلما تحبه بعد ان تضمن
لي ان تستكتبني ولا تزياني أنت عن خدمتك . فضمن الديلمي لابن سليمان ما شرطه
 واجتمع الديلمي وابن سليمان عند دكلا وكان دكلا متمكنا من توزون يقبل مشورته
ويأخذ برأيه وكشفا لدكلا الحال وسألاه ان يدخل معهم فاعتنق القضية وأوصلهما الى
توزون وسألهما عايه أن يقبل قولهما فيها سيما له وان يقبض على المتقي عند وروده فلما
وقف ترزون على ذلك أكبره وقال : كيف يجوز ان أفعل هذا وقد عاقدنا وأشهدت على
نقبي سائر الناس واشهر هذا عني في البلدان ؟ فقال له : ياسيدنا هؤلاء بني العباس فيهم
قلة الوفاء وقد استوحش هذا الرجل وليس والله تأمن مكره فينبغي أن تعمل الحيلة عليه
قبل ان يحنك عليك وتقبل ما أشار به عبدالله بن المكنتي وتأخذ منه هذا المال الذي قد
بذله فهو أصلح لك من خدمة رجل لا تأمنه على نفسك (قال دكا) : وكان توزون
حدث السن فلم يزالوا به حتى أفسدوا نيته ثم شرطوا عليه ان لا يعرف كاتبه ابن شيرزاد
ما وافقوه عليه وقالوا : ما تأمن أن يشير عليك بضد ما قد أشرنا خبنا منه وليله الى المتقي
ولا تأمن أن يفتن الى المتقي من يندره فيفت من يدك . فسمع هذا توزون وكتبه عن
ابن شيرزاد .

وأراد توزون الاجتماع مع عبد الله بن المكنتي وكره ان يحدره اليه فيشيع خبره
فعمل على الاصعاد اليه الى دار ابن طاهر وأمر أن لا يظهر أحد في دجلة ولا في المدينة
بعد العشاء الاخرة لئلا يلقاه أحد فيقف على قصده وكان يصعد في زرب ومعه دكلا
وابن مالك وابن سليمان فيسيرون الى جزيرة بازاء دار ابن طاهر ويخرج عبد الله بن
المكنتي وينزل اليهم ويتحالفون ويمقدون الرأي والتدبير على المتقي ويضمن عبد الله بن

أقام بها وأنفذ القاضي الخرقى وابن شيرزاد حتى جددا على توزون الايمان والعهود والمواثيق وأكرم المتقى لله توزون وأقبله المظفر وعاد القاضي الى

المكتفي لتوزون المال . وكان يبلغ ابن شيرزاد فيظن ان هذا كله تدبير عليه ولما وافى المتقى الى هيت أنفذ القاضي الخرقى وأبا الفاسم سلامة أخا نجح الطولوني الى توزون ليشهدا حاله ويكشفاه عما في نفسه فوصلا الى بغداد وانفيا توزون فآظرا لهما سرورا بقرب السلطان وأحذر منهما الى دار فدخاها وأمر بتبييض مواضع من القصر وأمر باصلاح ما تشمت من الدار وانصرف الى داره وردھا الى المتقى . وتقدم الى ابن شيرزاد بالخروج الى الانبار ليلقى المتقى وحرد قطعة من المعجم وخرج توزون فاقام على البقي على موضع بالسندية على ست فراسخ من بغداد . وأقام المتقى بهيت ستة أيام الى ان وافاه رسوله بخلافهما وسألهما عما شاهداه من توزون فوصفا عنه كل جميل وعرفاه انه مجتهد في عمارة الدار وكان يثق بالقاضي الخرقى ثقة تامة فسكن الى ذلك (قال ذكا) : فلما وقف على ذلك رحل من هيت ورحلنا معه فوافينا الانبار ولفيه بها ابن شيرزاد فترجل وقبل الارض بين يديه وأمره بالركوب فركب . وأخذ يثبته عن اخبار توزون وهو يصنف له حسن طاعته وخلوص موالاه وشدة سروره وإتباعه بقدم موالاه (قال) وبينا بالانبار ثم رحلنا من الغد نريد بغداد وأخذنا على الطريق الاوسط الى ان قربنا من السندية وقد كان قدم له مضربا الى السندية فضرب له بازا مضرب توزون فلما قرب من السندية وأبطأ عن تلقيه توزون عجب من ذلك وانينا من عرفنا ان توزون أخذ على طريق الفرات موقرا ان السلطان يرافى على شط الفرات ولم يكن الامر كما حكاه وانما هو مضى ليخرج وراء المتقى فيتوكل به وبجميع أسبابه ولا يفوته منهم أحد . وقال ابن شيرزاد وقد كان مع المتقى : تأذن مولانا أهضي اليه فاعرفنه ان مولانا قد أخذ هذا الطريق ليلحق به ؟ فقال له : افعل . فضى وعادل المتقى الى حائط رفيع في وسطه سدة فوقف تحت ظلها ووقفنا بين يديه نحو خمسين غلاما وسبق كل من كان مع السلطان الى المضرب ونزلوا فلم يزل المتقى واقفا ونحن معه حتى لاحت لنا غبرة من ورائنا فعلمنا انها موكب توزون وأقبل يسير حتى دنا منا فقال لابنه أبي منصور : امض أنت ومعك الغلمان حتى تستقبله . فضى (قال ذكا) وكانت معه فلما قربنا منه استقبلنا ابن خاقان ووجع معنا حتى وصلنا اليه وهو سائر على تعبئة بالسلاح والعدة فسلم على أبي منصور ابن الخليفة وهو راكب ولم يوفه حقه كما يجب من الترحيل فانكرنا ما رأينا منه (قال ذكا)

هيت وعرف المتقي انه قد أحكم الامر مع توزون . وخرج توزون لليلة بقيت من سفر الى البثق الذي كان بالسندية ونزل الوزير أبو الحسين على

وسمت أنا عليه وكانت بيني وبينه أحوال وكيدة وكان اذا أراني بشربي فارد على السلام ولارد على أحد وقد كان بلغنا انه غليل فنذرنا انه لضعف ناله من العلة وسبقناه الى المتقي وجئت فوقفت بين يديه فلما وافى توزون سمعت المتقي يقول : اذا كان هؤلاء على هذه الصورة على غير حرب فكيف يكونون في الحرب ؟ ثم قال لابن خاقان : اخرج حتى توصله الي راكبا . فخرج من الحائط وأوصله اليه بعد ان أوما أن ينزل خارج الحائط ودارت ديلملة توزون حول الموضع الذي كان المتقي فيه واقفا وكذلك فرسانه وترجل هو وجماعة من الفواد وتقدم الى المتقي فقبل الارض ثم قبل يده ورجله وتبسم المتقي اليه وأظهر سرورا به ثم قال : الحمد لله الذي جمع بيننا يا أبا الوفاء وأزال ما كان في القلوب . فقال بالفارسية : الساعة تبصر مولاي أي خدمة أخدمه . ثم قال له المتقي : اركب يا أبا الوفاء فليس يحتمل الوقوف . فركب وسار المتقي وتأخر هو عنا وقام على تل ونحن لانعلم ما يريد وما يراد منا وقد كان المتقي آخر حرمة والخدم خلفه لا ترفع عليهم عيون المعجم فوجه اليهم توزون بقرامطة كانوا معه فوكل بكل من كان وراءنا من الخدم والحرم وغيرهم وسار هو من ورائنا . فوجه اليه المتقي بعبد الواحد بن عثمان الشرابي : قد ركبت عمارة وأنت غليل فبجيتني الراكبت أنت أيضا عمارة . فقال للرسول : ما أقدر على ركوب العمارة أسأل الله أن يطيل بقاء مولانا . فلما قربنا من مضرب السلطان سمعنا صوت الدباب على باب المضرب ووجه توزون جماعة من الديلم يتوكلون بالمتقي فداروا حوله وأخذوا بعنان البغل يقودونه ويسرون سيرا خبيثا . وقد كان قبل التوكل به وجه توزون بالحسين بن هرون يسأل المتقي ان ينزل في مضرب توزون فراساه : ان معنا حرما وليس يصلح ان ينزلوا الا في مضربنا . وانما أراد توزون ان يوكل به وجميع حاشيته فلا يقات منهم أحد ثم وجه بالسكرج الديلمي الى المتقي فوكله به فوافي أسكورج وفي يده حربة فسار قدام المتقي (قال ذكرا) ونحن تقدر انما يعملون هذا خدمة له واكراما لحقه ثم لم يملك المتقي من أمره شيئا وأغذني الى ابن شيرزاد شفعه توزون من ذلك وانتهرني فرجعت اليه وقد أحاطت به الديلم وهم يسألون سجع الكنيسة ويكلمونه بما لا يفهمه الا انه شتم فقال : يا ذكرا استعجل محمد بن يحيى (بنى ابن شيرزاد) وهو يقوم ويقعد في الكنيسة . فرجعت الى توزون فسالته ان يوجه بابي جعفر الى المتقي فصاح علي وعلى

شاطيء القرات وبين توزون والمتقى^(١٠٩) نحو فرسخ فلما هم بالانحدار استقبله توزون وترجل له وقبل الأرض بين يديه ووكل به وبالوزير وبالجماعة وأنزل بهم في مضرب نفسه مع حرم المتقى لله وارتجت الدنيا فسمله وحكى ثابت ان توزون سمله بمحضرة قهرمانة المستكفي بالله . وانحدر توزون من الغد وفي قبضه الجماعة فكانت مدة وزارة أبي الحسين ابن مقله سنة واحدة وخمسة أشهر واثنى عشر يوما .

﴿ ذكر السبب في القبض على المتقى وخلافة المستكفي بالله ﴾

قال ثابت : حدثني أبو المباس التميمي الرازي وكيله قال وكان

ابن شيرزاد ومنعه نخفت ان يوقع بي لعظيم ماشاهدت من أمره ثم رجعت الى المتقى وهو لا يملك أمره . وارتفعت غيرة عظيمة واشتغل كل واحد منا بنفسه وجزنا مضرب المتقى وانقطع عنا صوت الدباب ووقنا بين خيم العجم وتوجهت الى خيمة أبي عمران اصفهسلار مستجيبرا به فزلات في خيمته وأغار العجم على الناس فسلم كل من كان معنا حتى ما أفلت واحد بثوب ولا دابة وأدخل المتقى موكلا به الى مضرب توزون وقبض على حرمه وأسبابه وسلم العجم بعضهم بعضا لعظم القصة

(قال ذكا) ووافوا بابي الحسين ابن مقله الى الخيمة التي كنت فيها ثم وافوا بالعاضي الحرق في فجرت جزعا شديدا وخشيت من القتل ثم جاؤا بابي الحسن تحرير غلام الاخشيد وعليه سيفه ومنطقته فاطمأنت نفسي قليلا وعلمت انا انما وقعنا في الغلط وبقي تحرير متعجبا عما نزل بالمتقى وقال : يا قوم كذا يجري على الحلفاء ! فقلت : لانعجب من هؤلاء الملاحين فانهم لو قدروا على أكثر من هذا لفعلوا . ولما حصل المتقى في أيديهم بعد ان قضوا على جميع من قدروا عليه من أسبابه وقبض على أمه ووزيره ابن مقله والحرقى ومبشر ورائق الخادمين اعتقلوا في جزيرة بازاء السندية

واجتمعوا على كعله فحضرت حسن الشيرازية ومعه غلام لها سندی فتولت كعله بيد غلامها السندی وذلك يوم السبت ثلاث ليل بقيت من صفر من السنة المفدوم ذكرها ولم يزل المتقى بافيا الى أن توفي في خلافة المطيع في شعبان سنة ٣٥٠ وله ستون سنة

خصيصاً بتوزون مستولياً عليه قال : كنت أنا السبب فيما جرى على المتقى
وذلك ان ابراهيم بن الربيع الديلمي لقيني يوماً وسألني ان أصير الى دعوته
فاستأذنت توزون في ذلك فأذن لي فيه ومضيت اليه وهو ينزل في دار
القراريطى على دجلة فرجعت داره مفروشة منضدة فسألته عن السبب في
ذلك وقلت : أحسبك قد تزوجت . فقال : انا احذثك عن امرى اعلم انى
خطبت الى قوم وتحملت عندهم بان ادعيت ازل محلاً من الامير واختصاصاً
به فقالت لي المرأة : اذا كنت بهذه المنزلة فهل لك ان تسفر في شىء يجمع
صلاح الامير وصلاحك وصلاح المسلمين ؟ فقلت لها : نعم . قالت : هذا ^(١١٠)
الخليفة (يعنى المتقى لله) قد عاداكم وعاديتكم وكاشفكم وكاشفتكم وليس
يجوز ان تصفوني به لكم آخر الدهر وقد اجتهدت في بواركم فلم يتم له فرقة
بينى ورجل من وربة بينى بويه وهاهنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله
ودينه ورجلته كيت وكيت تنصبونه في الخلافة وتزيلون المتقى لله وهو يثير
لكم أموالاً جليلاً لا يعرفها غيره ولا يقدر عليها سواه وتكونون انتم قد
استرحمتم من عدو تريدون ان تحرسوه وتحرسون منه وتخافونه وبخافكم
وتقيمون رجلاً من قبلكم يرى انكم قد احسنتم اليه وان روحكم مقرونة
بروحه . وأطالت الكلام في هذا المعنى فوشتنى ودار كلامها في نفسى
وعلمت ان محلى لا يبلغ الكلام في مثله والسفارة فيه وكرهت ان اكذب
نفسى عندها لما ادعيت من المحل والمنزلة فاطمعت في ذلك وعلمت ان هذا
الامير لا يتم الأبك ولا تدرك عليه غيرك وقد اطاعتك عليه فاي شىء معزى لك
ان تعمل ؟ فقلت : أريد ان اسمع كلام المرأة

فجاءنى بامرأة تسكلم بالعربية والفارسية من أهل شيراز جزلة شهمة

فهمة فخطبني بنحو ما خاطبني به الرجل فقالت لها : لا بد من أن ألقى
الرجل وأسمع كلامه . فقالت : تعود غداً الى هنا حتى أجمع بينك وبينه .
فلما كان من غد عدتُ فوجدت الرجل قد أخرج^(١١١) من دار ابن
طاهر في زي امرأة وحصل في دار ابن الربيد فلقيتهُ وعرفني أنه عبد
الله بن المكتفي بالله . وخاطبني رجل حصيف فهم ووجدتهُ مع هذا
يتشيع ورأيتُه عارفاً بأمر الدنيا وضمن لي ستمائة ألف دينار يستخرجها
ويُمشي بها الامر ومائتي ألف دينار للامير توزون وقال : أنا رجل فقير
وانما أعرف وجوه أموال لا يعرفها غيري وأعرف من ذخائر الخلافة في
يد قوم لا يعرفهم غيري . وكرراً^(١١٢) أن وجوهها صحيحة لا شك فيها ولا يقدر
غيره عليها فلما سمعت ذلك وعرفت صحتهُ صرت الى توزون . وفكرت
في ان الامر لا يتم بي وحدي ففكرت في طريقي وأنا أصعد الى توزون أبا
عمران موسى بن سليمان في الحديدي الذي على باب توزون فاخذت بيده
واعترلنا . واستحلفته على كتمان ما أطلعهُ عليه فحلف ثم حدثتهُ به كله
وسألتهُ معاونتي على تمامه فقال : هذا أمر عظيم لا أدخل فيه . فلما أبسني
من نفسه سألتهُ أن يُمسك ولا يمارضني فقال : افعل . فدخلت الى توزون
وأدخلتهُ الى حجرة وخلوت به واستحلفتهُ بالمصحف وبإيمان مؤكدة ان
يكنم ما أحسنه به فحلف فلما حلف حدثتهُ الحديث من أوله الى آخره
فوقع بقلبه وقال : صواب ولكنني أريد ان أرى الرجل وأسمع كلامه .
فقالت : على ذلك ولكن ان أردت^(١١٣) تمام هذا الامر فلا تطلع عليه
أبا جعفر ابن شيرزاد فانه يفتأ عزمك ويصرفك عنه . فقال : افعل وبلغ

أبا جعفر خلونى بالامير فاتهمنى انى سميتُ عليه ومضيت الى القوم ووعدهم بحضور الامير ايزى الرجل ويكون الاجتماع فى منزل موسى بن سليمان .
(قال) واشددنا فى الطوف بالليل فى دجلة فلما كان ليلة الاحد لاربعم عشرة خلت من صفر وافى عبد الله بن المستكفى بالله الى دار موسى بن سليمان ولقيه توزون هناك وخاطبه وبادع له فى تلك الليلة وكتبنا القصة فلما وافى المتقى لله من الرقة ولقيه توزون وسلم عليه قلت لتوزون عزمك على ما كننا اثمنا عليه صحيح ؟ فقال : الى . قلت : فافعله الساعة فانه ان دخل داره بعد عليك مراره (قال) فوكل به وجرى ماجرى . وكانت المرأة التي سافرت فى هذا الامر المعروفه بحسن الشيرازية حمأة ابي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي فلما تمت للمستكفى الخلافة غيرت اسمها وجعلته «علم» وصارت قهرمانة المستكفى واستوات على أمره كله^(١)

(١) وفى حسن الشيرازية قال صاحب كتاب العيون :

فلما تمت للمستكفى الخلافة غيرت اسمها وجعلته علما وصارت قهرمانة للمستكفى واستوات على أمره كله وبث عن ذخار المتقى هي وابن سليمان الكاتب ففازوا باكثرها وكان يحمل الى المستكفى من ذلك فوجه الى توزون سبعة جواهر فى قد واحد خاتمها ياقوت حمراء لم ير مثل ذلك الدر والخمعة وقومت السبعة بخمسين ألف دينار فاخذها توزون بالقيمة من ماضن المستكفى . وصارت حسن تكبس منازل التجار والمستورين فتحوز ما يجده لفسها وانبسطت بدنها حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها (قال ذكا) : انحدر ابن شيرزاد الى دار توزون فاستغاث اليه خلق من تجار الكرخ وذكروا ان حسن القهرمانة كبست بعض التجار فأخذت منه متاعا كثيرا من بز وغيره ما قيمته ثلاثون ألف دينار فاحضرهم وسبع قولهم وقال : أنا أكفيكم هذا الامر . ودخل ابن شيرزاد الى توزون فقال له توزون : انحدر الى ولانا قد شكره عني فانه قد اهدى الى البارحة ابابا كثيرة فى نحوت . فقال له ابن شيرزاد : ياسيدنا هذه ثياب التجار وأموالهم وعلى بابكم منهم خلق كثير يستغيثون وينذكرون انه أخذ من تاجر ما قيمته ثلاثون ألف

﴿ ذكر مصير الامير أبي الحسين الى ديالى ﴾

وقد كان قبل خلافة المستكني صار الامير أبو الحسين أحمد بن بويه

ديناو . فواصلهم توزون الى حضرته وسمع كلامهم فلما تحقق عنده ما قالوا قال لابن شيرزاد : انحدر الى الخليفة من وقتك هذا وخذ هذه الثياب معك وقل له : اردد هذه الثياب على من أخذت منه فلا حاجة لي فيها وعرفه ان هذا فيبيع واذا جرى على الناس مثله كان عظيما وقد كان ينبغي لمولانا لو جرى هذا من أحد منا ان يكون الزكبر منه علينا واذا نظر غيره الى هذا الفعل يظهر من مولانا لم يعلم على ما يفعله . وقال : لا تزال من حضرته حتى يسلم الى التاجر ما أخذه منه . فانحدر ابن شيرزاد الى الدار وخاطب المستكني في أمر الثياب وردّها الى التاجر

قال ذكا : وكان قد التفت الى حسن نقر من كانوا معها على الاحوال القبيحة منهم المكشي بابي طلحة وسندي (كذا) وهو الذي كحل المني وقد ألبسهم سيوفا ومناطق وكانوا يدخلون الى المستكني أي وقت أرادوا على الافراد والحاجب ابن خاقان يستقل ولا يستخدم الا في وقت ينحدر توزون الى الدار وسائر الحاجب يتصرفون بين يدي حسن ولا يفتنون بالحاجب فكانت تولى عرض العلمان والحجاب والرجالة في قصر الخليفة في مجلس يقال له الحوادن لم يكن يصل اليه أحد الا وزير أو حاجب فانحدرت الهية بهذه المرأة وذهبت الرسوم التي كانت للخلافة وصارت الدار طريقا لكل من لم يرها وكان كل من وصل الى المستكني أجلسه بين يديه

وقد المستكني وزاره أبا الفرج السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله بن سليمان على ما كان شرطه له وخلع على توزون ووضع على رأسه تاجا مرصعا بالجوهر وطوق وسور وجلس بين يدي المستكني وانصرف بالخام والتاج وحمل على فرس بموكب ذهب مرصع بجوهر وخلع على ابن شيرزاد والفاض ولما فعل ابن شيرزاد ما فعل من رد أموال النجار وثيابهم علم ان هذا يشهد وبمظم على ابن سليمان ويسمى في افساد المستكني فقال ابن شيرزاد لتوزون : ان هذا رجل سوء مزور محتمل لا يصلح ان يكون كاتباً للخليفة . فصرفه عن خدمة المستكني وقبض عليه وعلى أخيه وأبوه ونفذهم الى الشام واستكتب المستكني للشيرازي زوج ابنة حسن

الى واسط وقت مصير توزون الى الموصل فلما صالح توزون ابن حمدان^(١١٣) وعاد الى الحضرة عمل على الانحذار لدفعه . فخرج في ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وورد عليه خبر الامير أبي الحسين ابن بويه بانه نزل بسبب بني كوما ولقيه جيش توزون وما زالت الحرب بينهما تسعة أيام في قباب حميد وهي في كل يوم على توزون يتأخر توزون الى خلف ويتقدم الامير أبو الحسين الى قدام الى ان بلغ توزون نهر ديبالي وعبره الى جانب بغداد وقطع الجسر الذي عليه وأقام . ووافاه أحمد بن بويه الى الجباب متابلا له وبينهما الماء فلما كان يوم الاحد لاربعة خلون من ذي الحجة انصرف الامير أبو الحسين راجعا الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في انصرافه مع استظهاره ﴾

﴿ وبعد ما هزم توزون ﴾

كان مع الامير أبي الحسين سواد عظيم وكراع كثير وجمال وافرة فكان اذا سار جعل سوادهُ بينه وبين دجلة وله خيمة تُضرب على رسم لهم فلما دامت الخيمة منصوبة فالقتال واقع ومتى قُلت كان ذلك علامة الهزيمة . فلما كان يوم مسيره الى ديبالي أخذ السواد يسير على طول ديبالي واجتهد ان يضبطه ويستوقفه فلم يمكن ذلك . وأراد أن يضرب الخيمة على الرسم فلما تباعد الديلم وصار بين السواد والديلم فرجة دخل أصحاب توزون وأعرابه^(١١٤) بين السواد والديلم وأوقعوا بالسواد ولم يكن عنه دافع فدفت الضرورة الى ان ينصرف وصارت هزيمة . واضطر الديلم الى ان يستأنموا الى توزون لانهم رحالة فاستأنم أكثرهم الى توزون وأخذ الامير على طريق بادرايا وباكساياء الى الاهواز . وقد كانت المرة أيضا

ضاقت على الامير أبي الحسين حتى اضطر في الليلة التي انصرف فيها من غد الى ان ذبح خمسين جلا من جماله و فرق لحمها على أصحابه ورجاله وأخذ له بقر فذبحها ونهب في وقت هزيمة نهبا عظيما . واستؤسِر من وجوه قواده سبعة عشر قائدا فيهم ابن الداعي العلوي^(١) وأسر أبو بكر ابن قرابة واستأمن من الديلم أكثر من ألف رجل . وأقام توزون وعواده الصرع يوم هزيمة الامير أبي الحسين وشغل نفسه عن الطلب فعاد الى داره . ونبود الى تمام خبر المستكنفي بالله . فلد وزارته أبا الفرج محمد بن علي السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير للامور أبو جعفر ابن شيرزاد . وخلع على توزون وطوق ووضع على رأسه تاج مرصع بجوهر وجلس بين يدي المستكنفي بالله على كرسي وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار الى منزله . وحلب المستكنفي بالله الفضل بن المقدر طالبا شديدا فاستتر^(٢) وأمر بهدم داره^(٣) وكان الفضل طول أيام المستكنفي بالله مستترا .

شرح قصة أبي الحسين البريدي وصيره الى بغداد مستائما

(الي توزون وما آل اليه أمره من القتل)

كناذ كرناحاله الى وقت خروجه الى بغداد ولما وصل الى بغداد ولقي توزون وأنزله أبو جعفر بالقرب من داره في دار طازاذ التي في قصر

(١) وابن الداعي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم الزبيدي الحسني وقام بالامر في سنة ٣٥٣ وبإيمه الزيدية وتسعى المهدي لدين الله وتوفي سنة ٣٦٠ ورويت ترجمته في كتاب عمدة الطالب (طبع بمكة ١٣١٨) ص ٦١ وفي نسبه الى عبد الرحمن الشجري ابراهيم ص ٦٩ . (٢) قال صاحب التكملة : فلما هدم داره قال علي بن عيسى اليوم بايع له ولاية العهد

فرج على شاطئ دجلة . ثم شرع أبو الحسين في مسئلة توزون ان يماونه على فتح البصرة وضمن له اذا فتحها ان يحمل اليه مالا رغبة عن كثرتة فكان يطعم في المال ويطل بالمواعيد . وسأل ان يوصل الى المستكفي بالله فوصل اليه مع توزون وابن شيرزاد نخلم المستكفي بالله عليه خلعة الرضاء وانصرف الى منزله . وبلغ الخبر ابن أخيه أبا القاسم وان عمه يسعى في أمر البصرة فوجه بمن أصلح أمره مع توزون وابن شيرزاد وحمل مالا فأقر على عمله وأتت الخلع اليه . ووقف عمه أبو الحسين على ذلك ويثس مما كان شرع فيه ولم يقطع توزون اطعامه فيه

﴿ ذكر الخبر عن قتل أبي الحسين البريدي ﴾

لما نثس أبو الحسين البريدي من معاونة تلحقه في فتح البصرة سعى في أن يكتب لتوزون ويقبض على ابن شيرزاد وصح ذلك عند^(١١٦) ابن شيرزاد فاستوحش من أبي الحسين ومن توزون فجلس في منزله أياماً وما زال توزون يرأسه ويتراءه حتى كتب اليه وأخذ في التديير عليه . فلما كان يوم السبت لست خلون من ذي الحجة أنفذ أبو العباس وكيله وصافي حاجب توزون الى أبي الحسين البريدي فقبضا عليه وأحدراد الى دار صافي وضرب هناك ليلة الاحد ضرباً عنيفاً وقيد وأحدر الى دار السلطان وبسط ابن شيرزاد لسانه فيه أقبح بسط وذكر مبايه واذكر بذنوبه . وكان أبو عبد الله محمد ابن أبي موسى الهاشمي أخذ في أيام ناصر الدولة فتوي الفقهاء والقضاة بأحلال دمه فظهرها في هذا الوقت فلما كان بعد اسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة وأحضر أبو الحسين البريدي وجمعوا بين يدي المستكفي بالله وأحضر السيف والتطع ووقف السياف بيده السيف وحضر

ابن أبي موسى الهاشمي ووقف فقراً ما أفتى به واحد واحد من اباحة دمه
على رؤس الاشهاد وكلماً قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هي فتواه فيعترف
بها حتى اتى على جماعتهم وأبو الحسين البريدي يسمع ذلك كله و يراه ورأسه
مشدود والسيف مسلول بأزائه في يد السياف فلما اعترف القضاة والفقهاء
بالتقوى أمر المستكني^(١١٧) بالله بضرب عنقه فضربت من غير أن يحتاج
لنفسه بشيء أو يماود بكلمة أو ينطق بحرف وأخذ رأسه وطيف به في جاني
بغداد ورد الى دار السلطان وصابت به^(١) حيث كان حديدية مشدوداً
فيه لما ظهر بدار السلطان فبقى مصلوباً هناك أياماً . ثم قرأت صكا على
الجهنم بثمان بوارى ونفط اشترت بتسعة دراهم لاحتراق جثته فأحرقت
للتصريف من ذى الحجة^(٢)

وقبض على الوزير أبي الفرج السامري وصودر على ثلاثمائة ألف
درهم فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه اثنتين وأربعين يوماً
وفي هذه السنة طالب المستكني بالله القاهرة بأن يخرج من دار السلطان
ويرجع الى دار ابن طاهر فامتنع فسأل فيه أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن
وهو يومئذ يكتب للمستكني بالله على خاص أموره وردق بالقاهرة وضمن

(١) زاد صاحب التكملة : على باب الخاصة على دجلة . وقال أيضا : فكان هذا
خاتمة أمور الثلاثة وعفي ما ارتكبوا من الظلم وأهله ومن البلاء كله . وقال أيضا انه أطلق
بوزون أبا الحسين ابن مقلة بعد ان صار له على ثلاثين ألف دينار

(٢) ليراجع مقال ابن حمدون في تذكرته في الباب السابع والاربعين في أنواع
السير والاختبار وعجائنها : وجد في بعض الاوارجات السلطانية : وما حمل الى أبي
الفضل جعفر بن يحيى (يعني اليرمكي) أعزه الله هدية السرور من المين الطرى مائة
ألف دينار . وفي آخر الحساب : وما أخرج ثمن النفط والبوارى والخطب لاحتراق
جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر درهما

أن ينزله عنده ولا يردّه الى دار ابن طاهر . قال أبو أحمد : فلما قلت له ذلك استجاب بعد أن سألني عن منزلي في أي جانب هو فقلت « في الشرق ناحية سوق يحيى » فسكنت عنده الى ذلك واستجاب حينئذ وأنزلات به الى طيارى بعد أن غيرت زبّه فاني وجدته ملتفا في قطن محشوّ جبة وفي رجله نعل خشب مرصعة فلما حصل في الطيار عبرت به ^(١١٨) من ازاء دارى وأومأت الى الملاحين ايماء من ذير أن أنطق بحرف فلما وضع صدر الطيار للعبور فطن وقال « هوذا يعبر بي الى دار ابن طاهر » وأراد أن يرمى بنفسه الى الماء فتقدمت الى غلاني بضبطه نصبطوه الى أن أصعدت به الى داره من دار ابن طاهر فاقام فيها مدة ثم خرج في يوم جمعة الى المسجد الجامع في مدينة المنصور واخذ في أن يتصدق فراه ابو عبد الله ابن ابى موسى الهاشمي فتمه من ذلك واعطاه خمسمائة درهم ورددّه الى داره

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن قوما يعرفون بالروس يكونون وراء بلدان الخزر خرجوا الى آذربيجان وملكوا برذعة . وهم قوم لا دين لهم وانما طلبوا الملك وليس يعرفون الهزيمة وسلاحهم وزينهم تشبه سلاح الديلم وفيهم قوة شديدة ولهم أبدان عظام . ثم أوقع بهم المسلمون فلم يبق منهم كبير أحد وكان للمرزبان بن محمد بن مسافر في ذلك أركبير وعناء عظيم وقد ذكرناه في موضعه .

(ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلثمائة)

وفي المحرم منها مات توزون في داره ببغداد فكانت مدة امارته سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً ومدة كتابة ابن شيرزاد له سنتان وستة عشر يوماً . وورد الخبر على ابن شيرزاد وهو بهيت ^(١١٩) وكان خرج اليها

لمواقفة ابي المرجى ابن فيان على مال ضمانه وكان قد أخره وطمع في ناحيته بموت توزون^(١) واضطرب العسكر ثم اجتمعوا على عقد الرياسة لابن شيرزاد . وكان أبو جعفر قد عزم على عقد الامر لناصر الدولة فانحدر ابن شيرزاد فلما وصل الي باب حرب وذلك في مستهل صفر أقام هناك في معسكره وخرج اليه الاتراك والديلم وانفذ اليه المستكفي بالله خلع ثياب بياض وجل اليه طعاماً عدة أيام

فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر أجمع الجيش بأسره على عقد الرياسة له وحلقوا له وأخذ البيعة عليهم لنفسه وحبوه بالريحان على رسم المعجم . ووجه ابن شيرزاد الي المستكفي بالله يسأله ان يخلف له يميناً بحضرة القضاة والعدول تسكن نفسه اليها ففعل المستكفي ذلك ثم سأله اعادة اليمين بحضرة وجوه الاتراك والديلم فاشتد ذلك عليه ثم فعله . فدخل ابن

(١) قال صاحب التكملة : فصالحه ابو المرجا عمرو بن كلثوم مقدمها على ثمانمائة الف وخمسين الف درهم يقسطها على اهل البلد واقام (ابن شيرزاد) لاخذها . وقال ايضا في ترجمة السنة المتقدمة : واخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بمال الضمان فدخل اليه ابو القاسم عيسى بن علي بن عيسى فقال له : اكتب عن والدك بالف دينار . فكتب ومضى الي ابيه فادى خمسمائة وركب الي ابن شيرزاد فخرج اليه ابو زكرياء السومى وطازاذ معتذرين فقال على بن عيسى : انى اريد ان القاء ولا أخاطبه في البقية . فضا وعادا اليه وقالاه به استحبي من لقائك فانصرف علي بن عيسى كثيراً من العزلة اكثر من كآبته بالمرم وقال ايضا : خرج نكبين الشيرزادى صاحب توزون الي جزيرة بني غبر وعاد الي جسر سابور وامر اصحابه بالتقدم الي واسط واجلس في بستان يشرب فأحاط به عسكر البريدى فأمره وحملوه الي البصرة . وفي رجب دخل ابو جعفر الصيرى واسط ودخلها معز الدولة ولما علم انحدر توزون اليه كفى بالله وانصرف عنها وراسل توزون البريدى فأطلق نكبتا وضمنه واسطاً واصعد المستكفي وتوزون (الي) بغداد

شيرزاد من مُعسكره على الظهر بتعبية الى دار السلطان ووصل الى الخليفة
وانصرف مُكرِّمًا

وزاد ابن شيرزاد الاتراك والديلم في ارزاقهم زيادات كثيرة فاشتدت
الاضافة فأُنفذ الى ناصر الدولة يطالبه بحمل المال ويطلبه في رد الامارة
اليه فحمل اليه ^(١٢٠) دقيقًا وسفاتيخ بخمسمائة الف درهم فلم يكن لها موقع
مع الاضافة فتقض ما عزم عليه من عقد الامارة لناصر الدولة وأقام على أمره
وفلد أبا السائب القاضي مدينة المنصور وقلد جماعة القضاة في نواحي بغداد ^(١٢١)
وأخذ في المصادرات وقسط على الكتاب والعُمال والتجار وسائر طبقات
الناس ببغداد مالا لارزاق الجند . وكان الغمازون يغمزون بمن عنده قوت
من حنطة أو عدة ليعياله فكبسه واخذه وكان قد انتصب للغمز بذلك وغيره
وبمن يرمق بنعمة رجلان من السعاة يعرفان بهاروت وماروت فكانا يصلان
الي ابن شيرزاد في الاسحار والخلوات ويمضيان أيضا الي دار المستكفي بالله
فلحق الناس منهما أمر عظيم وكذلك من الضرائب فانها كثرت حتى تهارب
التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب ^(١٢٢) وفاد الامر وزيادة الاخفاقة

(١) زاد صاحب التكملة وقبض المستكفي علي القاضي ابن أبي الدوارب ونفاه الي
سر من رأى وقسم أعماله فولى الشرفية ابا طاهر محمد ابن احمد بن نصر وولى المدينة
ابا السائب عتبة بن عبيد الله وكان الي ابن عبد الله ابن أبي موسى الهاشمي القضاء بالجلب
الشرقي فدخل عليه المنصوص في شهر ربيع الآخر فاخذوا أمواله وقتلوه فولى
ابو السائب مكانه

(٢) زاد صاحب التكملة : وانقطع الجلب . وقال ايضا : وورد الخبر بوقوع الصلح
بين سيف الدولة والاخشيد وسلم اليه سيف الدولة حذبا وانطاكية فزوج ابنة اخيه
عبيد الله بن طنج وتوسط ذلك الحسن بن طاهر العلوي . وورد الخبر بموت أبي عبد الله
الكوفي بجلب وقد تقدمت اخباره .

فاحتجج الي مصادرة ابن عبد العزيز الهاشمي واخوته . وكثرت كبسات
للصوص فكان اذا ظهر السلطان بلص قتلته العامة قبل ان يصل الي
انوالي .

وقلد أبو جعفر ابن شيرزاد ينال كوشه اعمال المعاون بواسطه والفتح
الاشكري أعمال المعاون بتكريرت فاما الفتح الاشكري فانه خرج الي عماله
بتكريرت فلما وصل اليها ^(١٢١) امتد الي ناصر الدولة بالموصل فقبله وأكرمه
وقلده بتكريرت من قبله وردّه اليها . وأما ينال كوشه فكتاب الامير أبا
الحسين ابن بويه

وأخرج ابن شيرزاد تكيين الشيرزادني الي الجبل فهزمه أصحاب أبي
علي ابن محتاج وانصرف الي بغداد

﴿ ذكر الخبر عن مسير أبي الحسين احمد بن بويه الي بغداد ﴾

ورد الخبر بدخول ينال كوشه في طاعة الامير أبي الحسين احمد بن بويه
وان الامير قد تحرك من الاهواز يريد الحضرة فاضطرب الاتراك والديلم
بيغداد وأخرجوا مضاربهم الي المصلي وعسكروا هناك وأخرج أبو جعفر
مضربه معهم . ثم ورد الخبر بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه باجسري
فزاد الاضطراب ببغداد واستتر ابن شيرزاد واستتر المستكفي بالله فكانت
امارة ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . فلما وقف الاتراك على استتارهما
عبروا الي الجانب الغربي وساروا الي الموصل فلما سار الاتراك ظهر المستكفي
بالله وعاد الي دار الخلافة

وورد أبو محمد الحسن بن محمد المهلب ^(١٢٢) صاحب الامير أبي الحسين

احمد بن بويه ولقى ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه ثم انحدر الى دار
السلطان واتي^(١٢٢) المستكفي بالله فظهر المستكفي بالله سروراً بموافاة الامير
أبي الحسين أحمد بن بويه وأعلمه أنه انما استتر من الأترك لينحل أمرهم
فيحصل الأمر للامير أحمد بن بويه بلا كلفة . فلما كان يوم السبت لأحدى
عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة نزل الامير أبو الحسن في معسكره بباب
الشمسية ووصل الى المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلاً وأخذت عليه البيعة
للمستكفي بالله واستحلف له باعظ الأيمان وادخل في اليمين الصياة لأبي
أحمد الشيرازي كاتبه ولعلم قهرمانته ولأبي عبد الله ابن أم موسى وللقاضي
أبي السائب ولأبي العباس أحمد بن خاقان الحاجب ووقعت الشهادة على
المستكفي بالله وعلى الامير أبي الحسين فلما فرغ من اليمين سأل الامير
أبو الحسين المستكفي بالله في أمر ابن شيرزاد واستأذنه في ان يكتبه فأمنه
واذن له في ذلك . ثم لبس الامير الخلع وكنى ولقب بمعز الدولة ولقب أخوه
أبو الحسن على بن بويه بمماد الدولة وأخوه أبو علي الحسن بن بويه بركن
الدولة وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدرهم وانصرف بالخلع
الى دار موسى^(١) ونزل الديلم والجبل والأترك دور الناس فلقق الناس
من ذلك شدة عظيمة وصار رسماً عليهم الى اليوم^(١٢٣)

﴿ ذكر كتابة ابن شيرزاد لمعز الدولة أبي الحسين ﴾

ظهر أبو جعفر ابن شيرزاد من استتاره ولقى معز الدولة ودبر أمر الخراج
وجباية الاموال . وقبض الامير أبو الحسين على أبي عبد الله الحسين بن
علي بن مقلة وذلك لوصول رقعة له اليه بطاب فيها مكان ابن شيرزاد

﴿ ذكر الخبر عن قبض معز الدولة على المستكفي بالله ﴾

كان السبب الظاهر أن علماً قهرمانته دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الأمير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنه لذلك ولما رأى من جسارتها واقدامها على قلب الدول . ثم قبض المستكفي بالله على الشافعي رئيس الشيعة من باب الطاق فشفع فيه اصفه دوست فلم يُشفعه فاحفظه ذلك وذهب الي معز الدولة وقال : راساني الخليفة في ان القاه متشكراً في خوف وازار . فنتج من ذلك وغيره مما لم يظهر خلعه من الخلافة فلما ان كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة انحدر الأمير معز الدولة الي دار السلطان وانحدر الناس على رسمهم فلما جلس المستكفي بالله على سريره ووقف الناس على مراتبهم دخل أبو جعفر الصيمري وأبو جعفر ابن شيرزاد^(١٢٤) فوقفا في مرتبتهما ودخل الأمير معز الدولة فقبل الارض على رسمه ثم قبل يد المستكفي بالله ووقف بين يديه يحدته ثم جلس على كرسي وأذن لرسول كان ورد من خراسان ورسول ورد من أبي القاسم البريدي فتقدم نفسان من الديلم فمدا أيديهما الي المستكفي بالله وعلا صوتهما فارسية فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها اليهما فجذباه بها وطرحاه الي الارض ووضعاه عمامتهما في عنقه وجراهُ . فنهض حينئذ معز الدولة واضطرب الناس وارتفعت الزعقات وقبض الديلم على أبي أحمد الشيرازي وعلى ابن أبي موسى الهاشمي ودخلوا الي دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانة وابنتها وتبادر الناس الي الباب من

الروشن فجرى أمر عظيم من الضغط والنهب^(١)

وساق الديلمان المستكنى بالله ماشيا الى دار معز الدولة واعتقل فيها ونهبت دار السلطان حتى لم يبق فيها شيء وانقضت أيام خلافة المستكنى بالله وأحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله الى دار الخلافة في يوم الخميس ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ وخطب بالخلافة وبويع له ولقب المطيع لله^(٢)

﴿ ذكر خلافة المطيع لله وما جرى عليه من الامور ﴾^(١٢٥)

وقام له ابن شيرزاد في تدبير الامور والاعمال بمقام الوزراء من غير تسمية بوزارة واستخلف على كتابته على خاص أمره أبا الحسن طازاذ بن عيسى واستحجب المطيع لله أبا العباس ابن خاقان . وأقام له الامير معز الدولة لفته كل يوم الف درهم وكتب بخبر تقلده الخلافة الى الآفاق

(١) وروى صاحب التكملة : قال ابن البهلول : كنا اذا كلمنا المستكنى وجدنا كلامه كلام العيارين وكان جليدا بعيد الغدر والحيلة وكان يلعب قبل الخلافة بالطور ويرمي بالبنق ويخرج الى البساتين للفرجة واللعب وكان لا ينفق عليه من الجوارى غير السودان ولا يباشر غير الرجال وعزم معز الدولة على ان يبايع ابا الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوى فبعمه الصيمري من ذلك وقال : اذا بايتمه استغفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك وبنو العباس قوم منصورون تعمل دوائهم مرة ونصح مرارا وتعرض نارة ونستقل اطوارا لان اصلها ثابت وبنياها راسخ . فعذل معز الدولة عن تعويله . ولما الزيدى العلوي فلما راجع انه الناصر لدين الله ابو الحسن احمد بن يحيى الهادي ولكن يروى انه توفي سنة ٣٢٥ وان مدة ظهوره نحو ثلاث عشرة سنة

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وأمه أم ولد صقلية واسمها مشغلة وتعرف بالصفارة (وكان العباس بن الحسن اهداها الى المقتدر) وتأخذ من ورق السوسن أو غيره الشيء اليسير وتجعله في فمها وتصفر به صغيراً لم يسمع بمثله تحسكى به كل طائر وغيره

وتم الصالح بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وتسلم ابن البريدي واسطا وضمن البقايا بها بالف الف وستمائة الف درهم واستخلف بالحضرة أبا القاسم عيسى بن علي بن عيسى

وطلب الامير معز الدولة ابن شيرزاد برهينة لانه تبين منه تليحاً في أمر المال ولم يأمن ان يهرب واضطرب أبو جعفر وسأل الامير أن يقرضه ما يمشي به أمره فدفعت اليه عدة من مراكب ذهب وفضة على ان يرد مكانها فتسلم أبو جعفر ذلك وسلم أخاه أبا الحسن زكريا رهينة .

وكان وصف للامير معز الدولة كفاية أبي الفرج ابن أبي هشام وشهادته فأوصله الى حضرة وأنس به ولطف محله ورد اليه أمر الضياع الخراب بالسواد وكلفه عمارتها . قال ثابت : وأخبرني أبو الفرج انه قال لمعز الدولة : لجبت أيتها الامير في أمر أبي جعفر ابن شيرزاد ^(١٢٦) في أن يكتب لك وراجعت الخليفة المستكفي بالله دفعات حتى ^(١) أذن بأن نستكتبه لك ليس هذا لرغبة في صناعته فانه ما كان صانعاً أمر كتاب الرسائل وأمر كتاب الخراج وإنما ولي ديوان النفقات مرة وكتب لابن الخال وكان إمرأاً متوسطاً وما عداه كتاب الحضرة وأصحاب دواوينهم في الكفاة وأهل الصناعة (قال)

(١) قال فيه صاحب النكمة . ولما استولى ابن شيرزاد على الامور قل أبو الفرج ابن (أبي) هشام : بأي شيء تنق عليك ؟ وما يصلح لكتابة الانشاء ولا لجباية الخراج وإنما تولى ديوان النفقات وكتب لابن الخال تارة وقد سألك المستكفي عزله بعد ان سأنك فيه فلم ينج . فقال : لما رأيت عظم طغيته الخ

وقال أيضاً . وصرف ابن نصر عن القضاء بالجانب الغربي وأعاد ابن أبي الشوارب . وصار ابن شيرزاد ابن أبي موسى وعلم القهرمانة على أربعين الف دينار وقطع لسانها وسلمها الى المطيع لله . ولم يارض أبا أحمد الشيرازي لقديم مودته

فقال : أنت صادق فإني ما سألتُ عنه أحداً قتال فيه إلا مثل قولك ولما رأيت لحيته قلت « هذا بأن يكون قطاناً أولى منه أن يكون كاتباً » ولكن وجدته وقد تقلد الإمارة ببغداد واستولى على الخلافة وصار لي نظيراً وللملوك الأطراف وتصوره الرجال بصورة من يصلح أن يرؤسهم ومن يقدون له على نفوسهم فاردت أن أحظه من هذه الحال إلى أن أجعله كاتباً للعلم لي أو عاملاً على بلد .

وكان الأمير معز الدولة قد أخرج موسى فياذه وينال كوشه في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب إلى عكبرا مقدمة له إلى الموصل فلما سارا أوقع ينال كوشه وابن البارد بموسى فياذه وأخذوا سواده ومضوا إلى ناصر الدولة

وفي يوم الاثنين لتسع خلون من شعبان استقر أبو جعفر ابن شيرزاد وأسلم أخاه أبا الحسن زكرياء ^(١٢٧)

ونزل ناصر الدولة ومعه الأتراك بسر من رأى لاربع بقين من شعبان وابتدأت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا وسار معز الدولة يوم الخميس لاربع خلون من شهر رمضان ومعه الخليفة المطيع لله إلى عكبرا وظهر أبو جعفر ابن شيرزاد ومضي فلتقى أبا المطاف جبير بن عبدالله بن حمدان أخا ناصر الدولة فإنه وافى بغداد ونزل باب قطربل فنزل معه أبو جعفر ابن شيرزاد ولؤلؤ وجماعة من المعجم . ولقيه أهل بغداد ودبر الأمور أبو جعفر ابن شيرزاد من قبل ناصر الدولة والحرب متصلة بين معز الدولة وناصر الدولة بسر من رأى ونواحيها .

فلما كان يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان وافى ناصر الدولة إلى بغداد

فنزول في الجانب الغربي أسفل قطربل بعد ان أحرق خزائن نفسه وأصحابه التي في الزواريق لظهور الديلم عليه وخلف أبا عبد الله الحسين بن حمدان في الحرب . ثم عبر أصحاب معز الدولة الديلم من الجانب الشرقي من سر من رأي الى الجانب الغربي من دجلة وساروا الى تكريت ونهبوها ثم صار بعضهم الي سر من رأي ونهبوها ثم عبر جميعهم مع معز الدولة الى الجانب الغربي من دجلة والخليفة معهم وساروا منحدرين الى بغداد وبازأهم أبو عبد الله الحسين ابن سعيد والأتراك في الجانب الشرقي . فلما حصل معز الدولة ^(١٢٨) في الجانب الغربي عبر ناصر الدولة الى الشرق ونزل في رقة الشامية واجتمع مع الأتراك وما خطب ناصر الدولة للمطيع لله ولا ذكر اسمه ولا كنيته في الخطب . وفي يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بعسكر معز الدولة في الماء فغرق منهم وملك آلات الماء التي كانت معهم

ولما كان يوم الخميس لليلتين خلا من شوال وجه ناصر الدولة بخمسين رجلا من الديلم الذين كانوا في جلته الى الجانب الغربي من بغداد في حملة الجيش الذين عبر بهم لمحاربة معز الدولة . فلما صاروا على الخندق الذي في قطعة أم جعفر وخاطبوا الديلم الذين مع معز الدولة أوهموا جيش ناصر الدولة الذين كانوا معهم ان جماعة من ديانة معز الدولة يريدون ان يعبروا الخندق ليستأنموا الى ناصر الدولة فافرجوا لهم عن الخندق حتى عبروه وقاربوا ترأسهم على جيش ناصر الدولة وحاربوه وأوقعوا به فانهزم أصحاب ناصر الدولة بأسره ^(١) . وحصل القرامطة من أصحاب ناصر الدولة وتسكن

الشيرزادى وغيره من قواده محققين بمسكر معز الدولة فى الجانب الغربى فلم يكن يتدر معز الدولة على تناول شىء من علف ولا غيره فالحق أهل الجانب الغربى غلاء شديد وعدوا^(١٢٩) الاقوات . وكان أبو جعفر الصيمرى لتشاغله بامر الحرب قد رد خدمة معز الدولة والقيام بما يحتاج اليه هو وحاشيته وأسبابه الى أبى على الحسن بن هرون خدنى أبو على هذا انه اشترى للامير معز الدولة كرت دقيق حواري بعشرين الف درهم^(١٣٠) وتعدر على الناس العبور من الجانب الغربى الى الشرق ومن الشرق الى الغربى لمنع ناصر الدولة من ذلك ولحق الناس فى السواد من الجانبين ضرر عظيم بتسلط الجند على غلاتهم فانهم كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها الى معسكرهم

وكان السعر فى الجانب الشرقى خمسة أرطال خبز بدرهم لورود الزواريق من الموصل بالدقيق وبقى السعر فى الجانب الغربى غاليا بعد ادراك الغلات لما ذكرنا فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع اذا وجد وذلك لمنع ناصر الدولة ما يرد من الموصل ان يصل الى الجانب الغربى ولأن اعرابه منتشرون فى الجانب الغربى يحولون بين أصحاب معز الدولة وبين الغلات . وضرب ناصر الدولة دنانير ودرهم بسكة سنة ٣٣١ باسم المتقى لله وناصر الدولة وسيف الدولة .

واستعان ابن شيرزاد بالعمامة والعيارين من بغداد^(١٣٠) على حرب معز الدولة والديلم وفرض قوما منهم^(١٣١) وكان يركب كل يوم فى الماء ومعه

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : قتال الكر سبعة عشر قطارا بالدمشقي لان الكر

أربع وثلاثون كارة والكرارة خمسون رطلا بالدمشقي

(٢) قال صاحب التكملة : وكان ابن شيرزاد قد أثبت خفا من العيلدين ليحاربوا

عدة زبازب فيها أثر الله فينحدر ويصعد في دجلة ويرمي من على الشطوط في الجانب الغربي من الديلم بالشاب وكان ناصر الدولة عبر بصافي التوزوي في الف رجل لسكيس معز الدولة وعسكره فلقية اصفه دوست وأبو جعفر الصيمري فهزمناه . فكان جعفر بن ورقاء يقول وكان معهما : كنت أسمع ان رجلا واحدا يني بالف رجل فلا أصدق حتى شاهدت اصفه دوست وجملة هزيمة صافي وزمرته فصدقت بذلك .

وكان معز الدولة بنى زبازب في قطيعة أم جعفر وعددها نيف وخمسون فخرجت يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الى دجلة وكان غلمان معز الدولة يحاربون فيها من في زبازب ناصر الدولة من أصحابه وذكروا أبو جعفر الصيمري ان الجهد كان قد بلغ منهم والخييل قد أعيتهم وضاق بهم الامر حتى عزم معز الدولة على الرحيل الى الاهواز وحمل أثقاله وقال : ترون في طريقنا العبور فان أمكننا حيلة فيه وإلا جعلنا وجهنا الى الاهواز . وتبأ ان عبر الصيمري واصفهدوست وبهما تسعة نفر في سحر يوم السبت انسلاخ ذي الحجة الى الجزيرة^(١٣) التي بازاء الخرم وأرادوا العبور منها الى الجانب الشرقي فعارضهم ينال كوشه معارضة يسيرة وتبأ لهم العبور وتبعهم أصحابهم فعبروا

وذكر الحيلة التي تم بها عبورهم

كان معز الدولة رتب هذه المعابر في العسرة ثم حذرهما في الليل على شاطئ دجلة الى موضع الثمانين^(١٤) لانه أضيق موضع في دجلة ووافق وزيره

مع ناصر الدولة (نظير) بكافور خادم معز الدولة فشهده . فظفر معز الدولة بابي الحسن ابن شيرزاد نصابه حيا فطرق أبو جعفر الخدم فحط معز الدولة أخاه .

الصيمري واصفهدوست وخواص دياره على العبور وأظهر هو أنه يبر من
أعلى قطرل . فمضى بالليل في وقت موافقتهم وضرب البوقات وسار
بالمشاعل وحمل بعض تلك المعابر بالأوهاق على الظهر . فلما رأى أعداءه
ذلك ساروا أكثرهم بازائه لِممانته فتمكن الصيمري ومن معه من العبور
وكان الصيمري أول من بذل نفسه لأن أصحابه تهيؤوا العبور فلما سبقهم
أنفوا وتبعوه . ثم عاد مع الدولة الى هذا الموضع وقد أحس القوم بحيلته
فكاثروا بالزباب ومنعوه من العبور وعرفوا ركوتين واشتدت الحرب
وانهزم الاتراك . وكان يال كرشه قد شرب لياته ولما حصل جماعة من
الديلم في الجانب الشرقي زعموا ينال كوشه فانهزم . وضى أصحابه الى
باب الشامية^(١٣٢) واضطرب عسكر ناصر الدولة فوجه ابن شيرزاد الى
ناصر الدولة : ان الصواب ان تركب لتلقى من عبر من الديلم . فردا عليه في
الجواب : ان العادة قد جرت بانى اذا ركبت انهزم الناس . وان الصواب ان
يركب هو فركب أبو جعفر ورأى الناس قد ركب بعضهم بعضا وليس
يلوى أحد على أحد ولا ينف فانهزم هو أيضا معهم وانهزم ناصر الدولة
وملك الديلم الجانب الشرقي وأحرقوا ونهبوا وقتل من العامة جماعة ومات
منهم عدد كثير من رجال ونساء وصبيان لأن الخوف حملهم على الهرب لما
كانوا قد موه الى الديلم من الشتم والحرب في أيام القصة فخرجوا حفاة في
الحر الشديد ومشوا الى عكبرافهاتوا في الدارقي^(١٣٣) وجى مع الدولة على

(١) زاد صاحب التكملة : قال بعضهم : رأيت امرأة تقول : انا بانى ابن قرابة
دمى حلى وجواهر تزيد على الف دينار فمن يأخذها ويستقي شرمة ماء فمساؤها
أحد ومات وما فتشها أحد لشغل كل انسان بنفسه

عادته في الرأفة فامر برفع السيف والكف عن النهب وأمن الناس ومالك الجانبين . ولما منعهم معز الدولة ونادى بالكف لم ينتهوا ولا كانت له قدرة على منعهم حتى ركب الصيمري فقتل جماعة وصلب بعض غلمان الديلم وواصل الطوف والحماية بنفسه حتى أمكنه تسكين الجند وحزر ما انتهب فكان بمقداره عشرة آلاف ألف دينار وذلك ان القصد وقع على مواضع التجار وحيث الاموال والامثلة .

ومضى ناصر الدولة وابن شيرزاد والأتراك^(١٣٣) التوزونية مصعبين الى عكبرا فلما استقروا بها راسل ناصر الدولة الامير معز الدولة يلتمس الصلح^(١) في آخر المحرم سنة ٣٣٥ وكان ناصر الدولة فعل ذلك بغير علم الأتراك فلما وقفوا على ذلك أرادوا الوثوب به وهموا به فرقى اليه الخبر وصح عنده ما عزموا عليه فهرب منهم ومضى مغدا مسرعان نحو الموصل وتركهم . وكتب معز الدولة بالفتح عن المطيع لله كتابا نفذ الى الامير عماد الدولة والى سائر الاطراف .

﴿ حيلة غريبة يدعي ان يحترق من مثلها ﴾

ومن أطرف الامور وأعجبها ان رجلا قصد مضرب ناصر الدولة وهو باب الشماسية بازاء معسكر معز الدولة فدخله بالليل ودخل خيمته وهو نائم فيها ولم يشعر به الحراس ولا الحجاب ولا البوابون ولا الخدم ومضى حتى عرف موضعه وشاهده وهو نائم وعرف موضع رأسه من الخدعة ورجع ليطلق السراج وشمعة كانت بقربه خارج الخيمة فيعود فيضع السكين في موضع حلقه . فاتفق ان اتلب ناصر الدولة في نومه ولما رجع

الرجل لا طفاء الشمعة من جنب الى جنب فاطفاً الرجل الشمعة وعاد وقد
أظلم الموضع فوضع سكينه في الموضع الذي كان فيه تقديره وما شك أن
السكين تقع في حلقة^(١٣٤) فبقي السكين مغرّزاً في الخدة مكان رأس ناصر
الدولة وعند الرجل انه قد قتله وخرج من المضرب ولم يعلم به أحد
واتبه ناصر الدولة ورأى السكين وطاب الرجل فلم يأتق وشاع الخبر
فصار الناس الى ناصر الدولة للتهنئة بالسلامة . ومضى الرجل الى مغز
الدولة ليشره بانه قد قتله واستشرحه ما عمل فشرحه له فقال معز الدولة :
مثل هذا لا يؤمن . وسلمه الى الصيمري ليحبسه فقتله الصيمري

وفي هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس
الموتى والحشيش والميتة والجيف وكانت الدابة اذا راثت اجتمع على الروث
جماعة فتتشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير وأكلوه وكان يؤخذ بزر
قطونا ويضرب بالماء ويُسَط على طابق حديد ويجعل على النار حتى يقب
ويؤكل كل ولحق الناس من ذلك في أحشائهم أورام ومات أكثرهم ومن
بقي كان في صورة الموتى . وكان الرجل والمرأة والصبي تقف على ظهر
الطريق وهو تالف ضراً فيصيح الجوع الجوع الى ان يسقط ويموت وكان
الانسان اذا وجد اليسير من الخبز ستره تحت ثيابه والآسباب منه ولكثرة
الموتى وانه لم يكن يلحق دفنهم كانت الكلاب تأكل لحومهم^(١٣٥) وخرج
الضعفى الى البصرة خروجا مفرطاً مبهمين لا كل التمر قلف أكثرهم في
الطريق ومن وصل منهم مات بعد مديدة . ووجدت امرأة فاشية قد
سرفت صماً فشوته وهو حي في ثور فاكلت بعضه وظهر بها وهي
تأكل البعض الباقي فضربت عنقها . وكانت الذود والعقارات تباع

برغقان ويأخذ الدلال بحق دلالته بعض ذلك الخبز . ووجدت امرأة أخرى تقتل الصبيان وتأكلهم ثم فشا ذلك فقتلت عدة منهم . ولما زالت الفتنة ودخلت الغلات الجديدة المحل السر

ولما استتر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد ثم قلد الأمير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقلة ما كان أبو جعفر ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الاموال^(١)

وفي هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه بالإسراع وخرقوا عليه بالسفك الكثير فضمن إطلاق أموالهم في مدة ضربها لهم فاضطر إلى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوها . فاقطع قواده وخواصه واتراكه ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية وصار أكثر السواد مُتَلَقًا وزالت أيدي العمال عنه^(٢) وبقي اليسير منه من المحلول فضمن واستغنى عن أكثر الدواوين فبطت وبطلت أزمته وجمعت الأعمال كلها في ديوان واحد .

﴿ ذكر ما انتهى اليه هذا التدبير من سوء العاقبة وخراب ﴾

﴿ البلاد وفساد المساكر وسوء النظام ﴾

ان التدبير اذا بُني على أصول خارجة عن الصواب وان خفي في

(١) زاد صاحب التكملة : فقبض (يعني ابن مقلة) على أبي زكرياء الموسى والحسن بن هرون فشتبهما فقال الصيمري : لم يكن غرضك غير التشفي منهما . وأطلق معز الدولة أبا زكرياء الموسى ولم يلزمه شيئا وألزم الحسن بن هرون خمسين ألف دينار ونزل ابن مقلة وأفراد الصيمري بالامر . وقال أيضا : وفي شعبان انشق البحر بشق الخالص والزمروان .

الابتداء ظهر على طول الزمان . ومثل ذلك مثل من ينحرف عن جادة الطريق انحرافا يسيرا ولا يظهر انحرافه في المبدأ حتى اذا طال به المسير بعد عن السمت وكما ازداد امانا في السير زاد بعده عن الجادة وظهر خطاه وتفاوت أمره . فمن ذلك انه أقطع أكثر أعمال السواد على حال خرابه ونقصان ارتفاعه وقبل عودته الى عمارته . ثم سأل الوزراء المقطعين وقبلوا منهم الرشي وأخذوا المصانعات في البعض وقبلوا الشفاعات في البعض فسلت الاقطاعات لهم بعير متفاوتة . فلما أتت السنون وعمرت النواحي وزاد الارتفاع في بعضها بزيادة الغلات ونقص في بعضها بالخطا الاسعار (وذلك ان الوقت الذي أقطع فيه الجند الاقطاعات كان السعر مفترط الغلاء للخط الذي ذكرناه) فبذلك الربحون بما حصل في أيديهم من اقطاعهم ولم يمكن الاستقصاء عليهم في العبرة . ورد الخاسرون اقطاعهم ^(٩٧) فمؤضوا عنها ونحت لهم نقائصها وأسع الخرق حتى صار الرسم جاريا بان يخرب الجند اقطاعهم ثم يردوها ويماضوا عنها من حيث يختارون ويتوصلون الى حصول الفضل والفوز بالربح . وقيلدت الاقطاعات المرتجعة من كان غرضه تناول ما يجده فيها ورفع الحساب بعرضه وترك الشروع في عمارتها ثم صار المقطمون يعودون الى تلك الاقطاعات وقد اخلط بعضها ببعض فيستقطعونها بالموجود بعد نائها في الاضمحلال والاختطاط . وكانت الاصول تدوب على ممر السنين ودرست المسير القديمة وفسدت المشارب وبطلت المصالح وأنت الجوائح على التناء وروقت اسوالهم فمن بين هارب جال وبين مظلوم صابر لا ينصف وبين مستريح الى تسليم ضيعته الى المقطع وبين شرسه ويوافقه . فبطلت الممارات وأغلقت الدواوين وأمحي أثر الكتابة

والعماله ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لا يعرفونها ومتى تولى أحدهم شيئاً منها كان فيه دخيلاً متجلبلاً . وانتصر المقطعون على ندير نواحيهم بفلمهم ووكلائهم فلا يضبطون ما يجري على أيديهم ولا يهتدون الى وجهه تمييز ومصلحة ويقطعون أموالهم بضروب الافساد واعتاض اصحابهم^(١٣٨) مما يذهب من أموالهم بمصادراتهم وبالخيف على معاملهم . وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الاعمال عن يد السلطان ووقع الاقتصار في عملها على ان يقدر ما يحتاج اليه لها ويقسط على المقطعين تقسيطات يتقاعدون بها وبأدائها وان ادوها وقعت الخيانة فيها فلم تنصرف الى وجوها . وقل حفل الناظرين بالحوادث تعويلاً على أخذ ما صفا وترك ما كدر والرجوع على السلطان بالمطالبة ورد ما تخرب على أيديهم من الاقطاعات وفوض تدير كل ناحية الى بعض الوجوه من خواص الديلم فاتخذوه مسكناً وطمنة والتحف عليهم المتصرفون الخونة وصار غرض احدهم الترجية والتمشية والدفع من سنة الى سنة . وعقدت النواحي الخارجة من الاقطاعات على طبقتين من الناس احدهما اكابر القواد والجند والاخري اصحاب الدراريح والمتصرفون فاما القواد فانهم حرصوا على جمع الاموال وحياسة الارباح ودعوي المظالم والتماس الخطائط فان استقصى عليهم صاروا اعداءهم . ولما كثرت أموالهم وانفتحت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج وان سوحوا استشرى طمعهم ولم يقفوا منه عند غاية . وأما اصحاب الدراريح^(١٣٩) فكانوا اهدى من الجندی الى تغريم السلطان والحيلة عليه في كسب الاموال ونظر بعضهم الى بعض فيما تجرى عليه معاملاتهم وبذلوا المرافق واعتصموا بالوسائل ووجب ان يجمع الناس حكم واحد . وتوالت السنون عليهم فتفردوا بنواحيهم وخلوا

بماملهم فمن مستضعف يصادر ويغير رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله ومن مانع جانبه فيخفف عنه الرسوم ويرتفق على ذلك منه بالاموال ويتخذ الضامن عضدا في شئدائه وعند مناظرة سلاطانه ويصطم المستضعفين ، فبطل ان ترفع الى الدواوين جماعة او تعمل لعامل مؤامرة او يسمع لاحد ظالمة او يقبل من كاتب نصيحة واقتصر في محاسبة الضمماء على ذكر اصول العقد وماصح منه وبقي من غير تفتيش عما عولمت به الرعية واجريت عليه احوالها من جور او نصفة من غير اشراف على احتراس من الخراب او خراب يعاد الى العماره وجبايات تحدث على غير رسم ومصادرات ترفع على محض الظلم واضافات الى الارتفاع ليست بعبرة وحسابات في النفقات لا حقيقة لشيء منها ومتى تكلم كاتب من الكتاب في شيء من ذلك فكان ذالحال ضمن ونكب واجتبح وقتل وباعه السلطان بالتطفيف .^(١٤٠) وان كان ذا فاقة وخلة ارضى باليسير فانقلب وصار عوناً للخصم ولم يكن بذلك بلوم لان سلاطانه لا يحمله اذا خاف ولا ينصره اذا قال .

فمذه جملة الحال في ضياع الدخل فاما الخرج فان النفقات تضاعفت وسوق الدواوين ازيلت والارمة نطت الى غير ذلك من أمور يتسع فيها القول ويقتضى بعضها سياقة بعض فاقصرنا على الاشارة دون التطويل

ثم ركب مع الدولة الهوي في أمور غلما نه فتوسع في اقطاعاتهم وزياداتهم واسرف في تمويلهم وتخويلهم فتعذر عليه ان يذخر ذخيرة لنوابه او ان يستفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤونته تزيد ومواده تنقص حتي حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما وأدى ذلك على مر السنين الى الاخلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم

المنافسة للآثرak من اجل حسن احوالهم . وقادت الضرورة الى ارتباط
الآثرak وزيادة تقريهم والاستظهار بهم على الديلم وبحسب انصراف العناية
الى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيات وفسد الفريقان
اما الآثرak فبالطمع والضرارة^(١١٠) وأما الديلم فبالضر والمسكنة واشترأبوا
الى الفتن وصارت هذه المعاملة لتأحاً لها وسبباً لوقوع ماوقع فيها مما سئذكر
جلا منه في مواضعها بمشيئة الله

وفي هذه السنة سمات علم الفهرمانة وقطع بعد ذلك لسانها
وفيه ورد الخبر بان نوحاً صاحب خراسان قبض على اخوة ابي علي ابن
محتاج وقتل بعضهم

ذكر السبب في ذلك

لما انهزم ابن محتاج من بين يدي ركن الدولة بعد ان كان ضمن
لصاحب خراسان فتح الري أمدته صاحبه بابن ملك وجماعة من نظرائه
وقواده وبالغ في تقويته فسار في عدة وعدة وافرة . فكاتب ركن الدولة
عماد الدولة وسأله المدد فأمره ان يخلي لهم الطريق ويصير اليه واعلمه أن
له تدبيراً في ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل الخراسانية الري . فراسل
عماد الدولة صاحب خراسان سراً يعرفه قلة جدوى الري عليه مع ما يلتزمه
من النفقات على العساكر العظيمة وان الاستيحاء بينهما زائد مع ذلك
ويسأله ان يرزق هذه الوحشة بان يضمه اعمال الري عشر سنين بمثل ما تقرر
عليه بينه وبين ابن محتاج وزيادة مائة الف دينار في كل سنة على ان يسلفه مال
سنة^(١١٢) وسأله انقاذ ثقة من ثقائه ليوقع العهد معه ويحمل المال على يده
وأنه يعاونه بعد ذلك على ابن محتاج حتى يظفر به فوردت هذه الرسالة على

نوح بن نصر ونيته فاسدة لابن محتاج وتطلعت نفسه الى تحصيل المال فشاور
نقاته وكلهم اضداد واعدا لابن محتاج فاشاروا عليه بقبول ما بذله عماد الدولة
فاظهر حينئذ ما كان في نفسه وقبض على اخوة ابي علي ابن محتاج وأهله
واسبابه وقتل بعضهم . وانفذ الى عماد الدولة على بن موسى المعروف بالزرار
وكان من قواده واكابر حاشيته فسار على الجحازات واستقبله عماد الدولة
واكرمه وواصل اليه العطايا والتحف ومأطله فيما ورد له . وراسل ابا علي
ابن محتاج يعلمه خبر هذا الرسول ويطلعه على ما ورد له وقرر في نفسه انه على
عهده محافظ على وده وحذره من غدر نوح وخوفه منه . فحينئذ انفذ ابن
محتاج رسوله الى ابراهيم بن احمد وهو عم نوح وكان اذ ذاك بالمرسل احد
قواد ناصر الدولة فعرفه انه قد عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على اصحابه
على ان يكون اليه خراسان ويمضى معه فيحاربان نوحا ويؤكد عليه ان يجعل
اليه . فرغب ابراهيم بن احمد في ذلك واستأذن ناصر الدولة ^(١٣) في المضى
فقال له : نحن على المصير الى بغداد فانتظر حتي ندخلها فاذا دخلناها قلنا لك
الخلافة وخلع عليك من داره وعقد لك لواء فيكون أعز لك وأقوى لامرك .
وكان هذا في آخر أيام المستكفي بالله فعمل ابراهيم بن احمد على ذلك فلما طالت
المدة وحدث على المستكفي بالله الحادثة وانحدر ناصر الدولة الى بغداد تابعت
رسل أبي علي ابن محتاج الي ابراهيم فعبير تكريت في سبعين غلاماً ومضى
الى دقوق ومنها الى طريق خراسان . ثم وردت كتبه من الري على ناصر
الدولة بانه سائر الي نيسابور لمحاربة ابن أخيه نوح فانفذ اليه ناصر الدولة
خلفاً سلطانية ولواء عقده له عن الخليفة المطيع لله وحمل اليه ذلك مع خججج
المسول فتطير الناس له من ذلك وقالوا انه لا يتم أمره . ولما بلغ أبا علي مسير

ابراهيم تلقاه الى همدان وعاهده علي السمع والطاعة والنصيحة وعاد معه الى الري ثم نهضا جميعا الي خراسان وكتب كتابا الي ركن الدولة بانه سائر الي خراسان وأنه قد أفرج له عن الري فكتب عماد الدولة الي أخيه ركن الدولة بالمسير اليها فيادر الي ذلك واضطرب خراسان على نوح بن نصر

(ذكر ما تم من الحيلة لعماد الدولة في تلك الحال)

لما فرغ عماد الدولة من التضييق بين ابن محتاج وبين صاحبه وتمت المكاشفة بالعداوة بينهما^(١٤٤) بادر برّد الزرار رسول صاحب خراسان على نوح برسالة يقول فيها : انه قد ظير ما كان ينذره به من سوء نية ابن محتاج وسعيه عليه وانه لما كشفه بالحرب مع عمه ابراهيم أنفذ أخاه ركن الدولة الي عسكره حتى اذا سارت جيوش نوح بن نصر الي عمه والى ابن محتاج واحتاج الي أن يسير ركن الدولة من ورائهم معاونا له عليهما فمل ذلك . وأقبل نوح الي نيسابور في عساكره وجميع من معه من أصحاب جيوشه ورجاله فبرز له ابراهيم وابن محتاج لخارباة وكسراه وأسرا ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين وعددا كثيرا من قواده واستأمن أكثر جيشه وانصرف نوح مغلولاً على حال سيئة من الضعف والحيرة واتبعه ابراهيم وابن محتاج وحملوا معهما ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين أسيرين واستمرت بنوح الهزيمة الي سمرقند فدخل ابراهيم بن أحمد بخارى واشتمل على الخزائن والذخائر وذلك في سنة ٣٣٥ . وكتب ابن محتاج الي عماد الدولة يشمره بما جرى ويستلّه تجديد أمر السلطان لابراهيم ابن أحمد بالخلع والعقد له على خراسان .

﴿ ذكر ما انتهى إليه أمر إبراهيم وابن محتاج مع نوح بن ﴾
﴿ نصر وما اتفق من الأسباب التي أعادت نوحا ﴾
﴿ إلى سريره ومقرّ عزه بخراسان ^(١٤٥) ﴾

كان سبب ذلك ان ابراهيم اصغى الى قوم حساد لابي علي ابن محتاج فكانوا يوهونه ان ابا علي انما استعان به ليجتمع له جيوش خراسان فاذا فرغ من نوح عطف عليه فعامله بمثل ما عامل به نوحا وان الصواب له ان يحتز منه . فوقر ذلك في نفس ابراهيم وأطلق ابن سمجور وابن قراتكين وخلع عليهما من غير رأي أبي علي ابن محتاج فاستوحش ابن محتاج وانقبض عن ابراهيم وتمكن ابن سمجور وابن قراتكين من استماله الجند وكاتبوا نوحا وترددت الرسائل بينهم سرا . ثم ان نوحا سار الى ثغور خراسان فجمع منها جيشا واستخرج أموالا وعاد الى بخارى فملكها وقهر عمه وحصل أسيرا في يده فسمله وسمل جماعة من أهل بيته

﴿ ذكر الحيل التي تمت لنوح على عمه حتى تمكن منه ومن عسكره ﴾

كان ابراهيم وابن محتاج خرجا الى ظاهر بخاري وعسكرا بموضع يقال له ريكنستان فينما هم نزول اذ صاح صائح في الميدان الذي بجذاء دار الامارة ببخارى « نوح يامنصور » واجتمع اليه طائفة من الحشم . ثم ان نوحا زحف الى عمه ابراهيم وكان يدير أمره ابن أبي داود البخاري فاحتال على تقوية قلوب أصحابه بان أعلمهم ان مددا كثيرا قد أقبل اليهم وهم يلحقون في ^(١٤٦) الليل وكانت الحرب قد وقعت في ذلك اليوم فكانت على نوح . فلما كان في الليل أنفذ طائفة من عسكره مع مرأسيهم وأمرهم بالإبعاد فاذا كان في الثالث الآخر من الليل ضربوا بطبولهم وبوقاتهم وذبذبهم

ودخلوا العسكر في صورة المدد ففعلوا ذلك فلم يزلوا الى الصبح يدخلون العسكر على هذه الصورة فلما أصبحوا وتصافوا للحرب استأمن الديلم الذين كانوا مع ابراهيم وانهم قوم من أصحابه وانهمزم أبو علي ابن محتاج وظفر نوح بابر ابراهيم وعامله بما ذكرت

وفي هذه السنة مات أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد وتقلد مكانه ابنه أبو القاسم أوجور وغلب كافور الخادم الأسود وكان خادم الاخشيد على الامر^(١) وفيها مات علي بن عيسى عن تسعين سنة^(٢)

(١) زاد فيه صاحب النكتة : وكان ابن طنج جباناً شديداً ينفذ في حروبه وكان جيشه يحتوي على أربع مائة رجل وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنوبة كل نوبة ألفا مملوك ويوكل بجانب خيمته الخدم ثم لا يبق بعد ذلك فيمضي الى خيم القراشين فنام . قال التوخي : لقب الراضي أبا بكر محمد بن طنج أمير مصر بالاخشيد وسبب ذلك انه فرغاني وكل ملك فرغانة يدعاه اخشيد كما تدعو الروم ملكها بقصر والفرس بكسرى وشاهانشاه والمسلمون بأمير المؤمنين وملك أشروسنة الافشين وملك خوارزم خوارزم شاه وملك الترك خاقان وملك جرجان صول وملك آذربيجان اسبيد وملك طبرستان يدعاه سالار . وأبو بكر ابن الاخشيد على مذهب الجبائي كان جدّه يدعاه بحضرة المنقذ الاخشيد ولقب على ابنه بذلك وهو من أولاد الملوك بفرغانة .

والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي شيخ المعتزلة توفي سنة ٣٠٣ كذا في تاريخ الاسلام

(٢) قال صاحب النكتة : حكى هارون بن الحسن : قال أبو علي بن محفوظ : لما ورد معز الدولة وأبو جعفر الصيمري معه الى بغداد أراد أبو الحسن على بن عيسى الركوب اليه وقضاء حقه . وافق أنه نزل الى داره ليجلس في سميرة وأبو جعفر محتاج في طيارة وأما وأخي وأبو الحسن طازاد بن عيسى معه فقال لنا : من هذا ؟ قلنا الوزير أبو الحسن على بن عيسى . فقال لابي الحسن بن طازاد : قدم بنا اليه فاسأله ان ينزل معنا في الطيارة . فقدمنا منه وسألنا عليه فقال له أبو الحسن طازاد : الى أين توجه سبدينا . فقال : أشار فتياننا بلقاء الأمير الوارد وقضاء حقه فعملت على ذلك . فقال له .

﴿ ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ﴾

لما اجتمع لمعز الدولة أمر بغداد في هذه السنة زاد في التوثق من أمير المؤمنين المطيع لله فاستحلفه يمين عظمية ألا يتغيب عن معز الدولة ولا يغيبه

فيتنقل سيدنا الى الطيار فانه أولى . فامتنع ولم يزل راجعه . وكان معه ابنه أبو نصر فحطبه حتى فعل وسهل عليه ذلك ونزل . وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه وقد وصانا ان لا نعرفه اياه وكان أبو نصر عرفه وأراد ان يشهر أباه فلم تدعه طاعة لابي جعفر . وسرنا مصعبين ووصلنا الى معسكر معز الدولة بباب الشمسية وقدم الطيار الى المشرقة فقال أبو جعفر لابي الحسن : نجلس يا سيدنا بمكانك حتى أصعد الى الامير وأعرفه خبرك وأؤذنه بحضورك . فقال له : لك أطال الله بقاءك عند الامير آرة وبه أمانة : قال : نعم . وصعد فلما صعد قال أبو نصر لابي : هذا الاستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلمنا ذلك لاوفي للرجل حقه ؟ قال : منعني أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك كذا يفعل الناس ! فقال : والله يا سيدنا ما فعلت ما فعلته الا لان الاستاذ أمرني به ولم تمكنني الخافة له . فقال : انا لله وانا اليه راجعون . ووجه وجها شديدا ثم قال : من هاذان أعزهما الله ؟ (وأشار الى والي أخى) فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستنبتة وقال : الذي كان يصحب جعفر بن الفرات ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من الممال الظالمة .

ولما صعد الصيمري الي معز الدولة وجده على شراب فلم يقل له شيئا وعاد الى علي بن عيسى فنهض له وأعظمه . وقال له : قد جنبنا على أصحابنا في كتماننا موضع الاستاذ حتى كان في تقصيري في قضاء حقه ما لم أحتمله وأنا أعذر اليه أدام الله عزه من ذلك . فقال : فعل الله بك يا سيدنا وضع وأى تقصير جرى ؟ فالتفت الى طازاد فقال : ألم أوصك بترك اعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولده أعلمه وقد حصلت بين العنب أيها الاستاذ منك ومنه . وقال له أبو جعفر : الامير على حال لا يجوز لقاءه مثلك عليها وهو يمتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها واذا تكلم سيدنا العود في غداة عز لقيه ووفاه من الحق ما يجب ان يوفيه اياه والطيار يداكر بابه . وانصرف أبو الحسن وساد أبو جعفر الى معز الدولة فقال له : وافي علي بن عيسى للقاء بك وخدمتك فاعتذرت اليه عنك بانك على نبيذ ولم يجوز ان يراك عليه . فقال : من علي بن عيسى ؟

سوءاً ولا يُمالئ له عدواً فلما حلف أزال عنه التوكيل وعاد الى دار الخلافة واعتزل أبو علي الحسن بن هرون النظر في الامور لتحامل

فقال : وزير المقتدر بالله . فقال : ذلك العظيم ! قال : نعم . قال ما وجب ان ترده فاني كنت أقوم الى مجلس آخر واللقاء فيه . فقال : ما كان يحسن ان يشم منك رائحة شراب وفي غد يا كرك . فقال معز الدولة : وكيف أمامه وما الذي أقول له ؟ فقال له الصيمري : تزعج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتطبخه مخدة من سخاك وتقول له « ما زلت مشتاقا الى لفائفك ومتشوقا للاجتماع معك وأريد ان تشير علي في تدبير الامور وعمارة البلد بما يكون الصواب فيه عندك »

وجاء أبو الحسن علي بن عيسى من غد ودخل على معز الدولة فوفاه من الاجلال والاكرام أكثر مما وافقه عليه أبو جعفر وأعطاه مخدة من دسسته فقبلها أبو الحسن وقال له ما يقال لمنه فقال له معز الدولة : كما اسمع بك فيعظم عندنا أمرك ويكثر في نفوسنا ذكرك وقد شاهدت منك الآن ما كنت مؤثرا واليه متطلما والدنيا خراب والامور على ما تراه من الانتشار فاشر علي بما عندك في اصلاح ذلك . فقال له أبو الحسن : هذه النية منك أيها الأمير داعية الى الخير وممهلة الى النجح وطريق العمارة ودرور المادة واستقامة أمر الجند والرعية والعدل . والذي أهلك الدنيا وأذهب الاموال وأخرج الممالك عن يد السلطان خلافه وإنما يأتي الصلاح ويطرد الاغراض بالولاء الموفين والاعوان المنصحين

وحدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان (وذكر الاسناد عن النبي صلعم) انه قال : اذا أراد الله بوال خيراً قبض له وزير صدق ان عمل أذكرك وان رفل أيقظه . وقد وفق الله الأمير من هذا الاسناد (وأشار لابي جعفر) من تمت فيه أسباب الكفاية وبانت فيه شواهد الخالصه ويوشك ان يجري الخير على يده ويتأتى المراد بحسن تدبيره . فتراجع أبو جعفر وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة وفطن معز الدولة ان توقفه لامر كره ذكره فقال لابي سهل العارضي : انظر ما يقول . ففهم له تفسيراً لم يفهم عنه ولا استوفى القول فيه وتلجلج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة أسماهم وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلعم ؟ فقال أبو الحسن : لا هؤلاء رجال نقلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر الى الترجمة بينهما وقال أبو الحسن : ومن أولى ما نظرت فيه الأمير وقدمه سد هذه البثوق هي أصل الفساد وخراب السواد . فقال :

الصيمري^(١٠٧) عليه ومصادرة كاتبه فرد النظر في الاعمال الى أبي الحسين على بن محمد بن مقالة من قبل أبي جعفر الصيمري ورعى له مع الدولة مكاتبه له أيام مقامه في الجانب الغربي فلما عبر مع الدولة ولقيه لزمه ثم رد في هذا الوقت اليه النظر في الامور^(١٠٨) وقائد كتبة الخليفة أبو أحمد الفضل

وقد اذنت لله عند حضوري في هذه الحاضرة الا أقدم شيئاً على ذلك ولو نفقت فيه جميع ما ألاك . قال : إذن يحسن الله عونك ويذل لك على صعب ويسهل كل مراد بين يديك . ولما أقضي القول بينهما في ذلك قال مع الدولة : أذكر حوائجك لا تقدم فيها بما أقضي به حقك . قال : الحاجة الحاضرة هي الى الله تعالى في أن يطيل بقاءك ويديم علاك ومنى عرضت من بعد حاجة اليك كل المول فيها عليك . قال : لا بد من أن تذكر شيئاً . قال حراسة منازلها فأنها اشتمل على عدد كثير من بنين وبنات ومجانز وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب . قال : هذا أقل ما أفعله . ونهض أبو الحسن وشيخه أبو جعفر وشيخ العلمان بين يديه .

وتوفي أبو الحسن بعد عبور مع الدولة وهرجته ناصر الدولة يوم فنى أبو عمران موسى بن قنادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمري اليها وقد فرغ من تجهيزه ووضع في تابوته فصرى عليه وقال لوسى : اخرج من هذه الدار فلا يجوز لك فيها . فقال لا اخرج . فقال لا أمالك فيها . فقال لا أقبل منك . قال اذالم تقبل أكرهك . وتنازعا بالمول اذا تولدت منه فتنة واجتمع الى موسى أصحابه والى أبي جعفر آخرون وعرف مع الدولة ذلك فبادر لاطفاء النائرة وقال للصيمري ليس هذا وقت ذلك . قال بلى أيها الأمير هذا وقته ومتى افتتحنا أمراًنا بحقوق هيئة الأمر ذاك وبعد تلافيه وازداد الأمر من بعد وهذا والطمع استحكما . فاخذ مع الدولة بيد موسى بن قنادة فاخرجه معه وقال له يكون نزولك في الدار التي أرسلها ولا تفتح أمراً بما يقبض من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم . وبقيت دور أبي الحسن على ولده ودور (ابن) أخيه أبي على بن عبد الرحمن عليه في حياته بفعل أبي جعفر ما فعله .

(١) زاد صاحب التكملة . وكان ابن مقالة يواصل مع الدولة في أيام الحصار بالهدايا والاخبار فلما عبر الى الجانب الشرقي حما داره بها واستخدمه . فاخذ في المصادرات

ابن عبد الرحمن الشيرازي وسُلمت اليه ضياع الخدمة ارتفاع مائتي ألف دينار في السنة

وفيه ورد الخبر في المحرم بدخول الأمير ركن الدولة الريّ وأنه ملك الجبل بأسره .

وفيه ورد أبو بكر ابن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة يلتمس فيها من معز الدولة الصلح وقد كان تردد قبل هذه الوقعة مرات فتقرر أمر الصلح على أن يكون في يد ناصر الدولة من حد تكريت الى فوق ويضاف الى أعماله مصر والشام على أن لا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً مما كان يحمله من المال ويكون الذي يحمله عن مصر والشام ما كان يحمله الاخشيدي محمد بن طنجع عنهما وعلى أن يدرّ ناصر الدولة الميرة الى بغداد ولا تؤخذ لها ضريبة وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به

وانفذ القضاة مع ابن قرابة الى معز الدولة لالتماس الصلح^(١٤٨) بغير موافقة منه للاتراك ولا علم منهم فلما علموا بذلك وظهر أمر الصلح اجتمع الاتراك الايقاع به وأحس ناصر الدولة بذلك فخرج بالليل وعبر الى خيمة ملهم . وكان ملهم والقرامطة في الجانب الغربي والأتراك وناصر الدولة في الجانب الشرق واستجاره فاجاره^(١) وسيّره في الجانب الغربي ومعه ابن

للتجار والشهود فصادف أحد العامة معز الدولة منصرفاً منفرداً نصف النهار فعرفه ما الناس فيه من الخوف فتقدم بصرف ابن مقلة . واحترق دور ابن شيرزاد ودوز أسبابه وأخيه وصودر على مائة وثمانين ألف درهم . وقد معز الدولة الشرطة أبا العباس بن خاقان (١) قال صاحب التكملة فاستجار بأمر ملهم حتى أمرت ولدها بتسييره

شيرزاد وبقي الاتراك في الجانب الشرقى . فلما فاتهم ناصر الدولة اجتمعوا على تأمير تكين الشيرزادي وقبضوا على أبى بكر ابن قرابة بعد ان نزل به مكروه عظيم وقبضوا على كُتَّاب ناصر الدولة وأسبابه وساروا يطلبونه واستأمن ينال كوشه ولؤلؤ الى معز الدولة واسرع ناصر الدولة في سيره فلم يلحقه الاتراك . ولما صار الى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد وسلمه وعلى طازاذ وعلى أبى سميد وهب بن ابراهيم وجوهر خادم ابن شيرزاد وأنفذ جماعتهم الى القلعة . ولم يتلبث ناصر الدولة ومضى الى نصيبين ورحل تكين الشيرزادي والاتراك الى الموصل وغلبوا عليها ثم ساروا في طلبه فمضى الى سنجار فتبعوه وكتب الى معز الدولة يستصرخه فانفذ اليه معز الدولة جماعة من قواده ثم أنفذ أصفه دوست بعدهم ثم أخرج الصيمرى . ولما سار^(١٤٩) تكين الشيرزادى الى سنجار في طلب ناصر الدولة سار من سنجار الى الحديثة فتبعه تكين الى الحديثة فلما قرب منه سار ناصر الدولة الى السن وهناك لحق به جيش معز الدولة وأبو جعفر الصيمرى واصفهدوست فساروا بأسرهم الى الحديثة للقاء تكين الشيرزادي . ووقعت الواقعة بالحديثة وكانت شديدة فانهمز تكين وتقطع أصحابه واستؤسر منهم وجره القواد وجماعة من الاصاغر وقتل منهم خلقاً بعد ان كان استعلى واستظهر في الحرب

﴿ ذكر السبب في هزيمة تكين والظفر به بعد استعلائه ﴾

كانت العرب على كثرة عددهم فى عسكر الصيمرى ينقضون صفوف الديلم ولا يصدقون اللقاء فقال لهم الصيمرى : اعتزلوا عنا ولا تدخلوا بيننا وانظروا فان انهزم واحد منهم فاتبعوه وان ثبت فدعونا واياه ما دام ثابتاً

واعلموا انكم اذا قربتم منا واختلطتم بمصافنا بدأنا بكم قبل اعدائنا . ففعلوا
واعتزلوا وصبر الفريقان وحمل الاتراك حملات شديدة ثبت لها الديلم ثم
وثبوا في وجوه الاتراك فلما ولوا حمل عليهم العرب ووضعوا الرماح بين
ظهورهم ونكسوهم فأكثروا القتل والاسر . ثم استأسر^(١٥٠) جنود تكين
الشيرزادى فتقربوا به الى ناصر الدولة فسلمه للوقت وانفذه الى قلعة من
قلاعه وسار ناصر الدولة وأبو جعفر الصيمري الى الموصل فنزل الصيمري في
الجانب الشرقي بازاء الموصل ودخل اليه ناصر الدولة وحصل عنده في
خيمته وخرج من عنده وعبر الى الموصل ولم يعد اليه بعدها .

حكى عن ناصر الدولة انه قال : لما حصلت مع أبى جعفر الصيمري في
خيمته ندمت وعلمت انى قد أخطأت وغررت فبادرت الى الانصراف . وحكى
عن الصيمري انه قال : لما خرج من عندي ناصر الدولة ندمت على تركى
القبض عليه وعلمت انى قد ضيعت الحزم وأخطأت بعد ان فاتنى الصواب
ثم تسلم أبو جعفر الصيمري طازاذ ووهباً وجوهراً والى ألف كر حنطة
وشعيراً وانحدر بهم الى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له هبة الله
وأدخل ابن شيرزاد بعده بيوم الى بغداد موكلًا به^(١) وصادره معز الدولة

(١) قال صاحب التكملة . وضمن لناصر الدولة طازاذ وأبو سعيد وهب النصرانى
الكتاب (وهو الكتاب الذى مدحه ابن تباتة) خمسين ألف دينار على ان يطلقه فلم
يفعل وسلمه الى الصيمري وكان الصيمري مراعيًا لطازاذ . وقال أيضاً وكتب أبو عبد الله
ابن تواتة (وزجته فى ارشاد الاريب ٢ . ٨٠) عن المطيع لله كذابا بالفتح الى عماد
الدولة منه فلم يسفر العجاج الا عن قنيل مرسل أو غريق مهجل أو جريح معطل أو
أسير مكبل أو مسنأ من محصل أو حنينة ملاها الله بلا تعب أو غنيمة آفاه الله بلا نصب .
وفى هذه السنة صرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبى الشوارب عن القضاء بالجانب

على خمسمائة الف درهم ثم حمل ناصر الدولة تكين الشيرزادي مسمولا الى معز الدولة فأحسن اليه معز الدولة وأطلقه واقطعه اقطاعا .

وفىها خرج لشكر رورز بن سهلان في جيش الى الاهواز ومعه عامل خراج وظهرت الوحشة بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وقبض معز الدولة على نال كوشة^(١٥١) وكان استجبه وعلى أرسلان

كور وعلى فتح الشكري وحملهم الى قلعة رامهرمز وفى يوم الاحد ثمان خلون من شوال ضرب الصيمري ابن شيرزاد بحضرته بالمقارع وطالبه بمال المصادرة وانحدر الصيمري الى الاهواز وفيها جرت وقعة بين أصحاب البريدي وبين أصحاب معز الدولة فكاتب على البريدي وأسر منهم نحو مائتى رجل من وجوه الديلم

التركي وأضيف الى عمل القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي ويعرف بابن أم شيان . وفي النصف من شعبان خرجت العامة لزيارة قبر الحسين وعقدت الفباب بباب الطاق . وورد الخبر ان سيف الدولة قبض على القراريطى واستكتب بعده أبا عبد الله بن فهد الموصلى . وفي هذه السنة انقطعت قنطرة دهما بأسرها . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة ولما مات الاخشيد بدمشق سار سيف الدولة من حلب فلك دمشق واستأن الى به بأسس المويسى ثم سار سيف الدولة وزل الرملة . وجاء من مصر أنو جور بن الاخشيد بالحوش والقام بأمره كافور الخادم فرد سيف الدولة الى دمشق وسار وراءه المنصريون فانهزم الى حلب فساروا خلفه فانهزم الى الرقة ثم تصالحوا على ان يعود سيف الدولة الى ما كان يده . قال المسبحى وكان بين سيف الدولة وبين أبي المظفر حسن بن طنج وهو أخو الاخشيد وقعة عظيمة بالمجون فأنكسر ابن حمدان ووصل الى دمشق بعد شدة وتشت وكانت أمه بدمشق فزل المرح خائفا وأخرج حواصله وسار نحو حمص على طريق قارا وسار أخو الاخشيد وكافور الاخشيدي الى دمشق ثم سار الى حلب فى آخر السنة واستقر أمرهم . وكثرة المظفر لابن حمدان مذكورة فى كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٩٥

﴿ ودخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيهما سار المطيع لله والامير معز الدولة الى البصرة وانتزعاها من يد أبي القاسم البريدي فسارا من واسط في البرية على الطفوف فلما صاروا في البرية ورد على الامير معز الدولة رسول الهجريين القرامطة من هجر بكتاب منهم اليه بالانكار عليه في سلوك البرية من غير أمرهم اذ كانت لهم فلم يجب عن الكتاب وقال للرسول : قل لهم « ومن أنتم حتي تستأذنوا في سلوك البرية وكأني أنا أقصد البصرة انما قصدى بلدكم واليكم بعد فتحي اياها وستعرفون خبركم » وكلام في هذا المعنى فانصرف الرسول . وانحدر أبو جعفر الصيمري وموسى فياذه في الماء فملك مسماران ودخل دار البريدي بها بعد حرب يسيرة ووصل الخليفة والامير معز الدولة الى الدرهمية فاستأمن اليه ^(١٥٣) جيش البريدي بأسره وهرب أبو القاسم البريدي الي هجر وملك معز الدولة البصرة فانحلت الاسعار كلها ببغداد انحلالا شديدا . وقبض معز الدولة على جميع قواد البريدي بالبصرة واستخرج أمواله وودائعهم وقبض خزائنه وأحرق كل ما وجد له من آلات الماء من الشذاآت والطيارات والزبازب واستدعى لؤلؤا من بغداد فقلده أعمال البصرة والحرب . ووصل معز الدولة من البصرة الى الاهواز ليمتني أخاه عماد الدولة وتأخر الخليفة والصيمري بالبصرة . وتأخر كوركير عن صحبة معز الدولة من غير موافقة وقيل انه في التدبير عليه وعقد الرياسة لنفسه فوجه اليه بابي جعفر الصيمري فامتنع عليه وحاربه في داره فظفر به أبو جعفر وقبض عليه وصار به الي معز الدولة فأنفذه الي القلعة برامهرمر

ولقى معز الدولة أخاه عماد الدولة فقبل الأرض بين يديه واجتهد به
 عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل وكان يتردد إليه كل يوم بالنداء والعشية
 فيقف ولا يجلس . وقيل للأمير معز الدولة ان عماد الدولة يريد أن يسأله
 في الافراج عن رامهرمز وعسكر . فحكي أبو الحسن المافروخي ^(١)
 انه كان مع معز الدولة وكان عماد الدولة ورد أرجان فالتقي بها قال : فدعاني
 عماد الدولة وقال : بلغني انه حكى لآخي ^(٢) اني وافيت الى هذا الموضع
 لارتجع منه بعض أعمال الاهواز . وضرب يده الى حيته وقال : سوءة لها
 انما تواضعت لهذه الحال امن لي حتى احتاج الى استعمار البلاد وادخار
 المال له ؟ هذا وأخوه ابنائنا وأما أريد الدنيا لهما والله ما وافيت الا لاعتقد
 ما بينهما من الرياسة حتى لا يجري خلاف ان حدثت بي حادثة فاني عليل
 كما ترى واسأله أن يقدم الكبير على نفسه كما جرت العادة وبارك الله له في
 بلاده ولو أراد بعض فارس لو هبته له ولقد أصبحت وأمسيت وما مناني
 على الله الا العافية وسلامتهما وابقاؤها فانهما أخوأي بالنسب وابنائنا
 بالتربية وصنيمناي بالولايات ومن لي غيرهما فيقدر ما يقدر . (قال) فعدت
 الى معز الدولة وحدثته بالحديث فبكي وحضر في آخر النهار عند عماد
 الدولة فأسرف في الشكر والدعاء وتذكر الكلام فبكي بحضرته حتى
 ضمه عماد الدولة الى نفسه .

ثم انصرف الى بغداد وامتد الى باب الشمسية وقدم الخليفة فنزل
 بالزبيدة . وأظهر معز الدولة انه يريد الموصل وكتب عن المطيع لله كتابا
 الى ناصر الدولة وورد أبو بكر ابن قرامة الى هالك بجواب الرسالة وورد

(١) هو محمد بن أحمد كذا في ارشاد الاريت ٣ : ١٨١

مرات ثم حمل المال وتم الصلح^(١)

﴿^(٢) ودخلت سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بوقعة للروم مع سيف الدولة انهزم فيها سيف الدولة
وأخذ الروم مرعش وأوقعوا باهل طرسوس^(٣)

وفيها قض معز الدولة على اصفه دوست وحمله الى قلعة رامهرمز^(٤)

ذكر السبب في ذلك

كان اصفه دوست خال ولد معز الدولة وولد له من أخته الحبشي وكان
يكثر الدالة عليه ويقل الهبة له وكان يزري عليه في كثير من أفعاله وبلغ معز
الدولة عنه انه يرسل المطمع لله في الإيقاع به وانه قد استجاب له الى ذلك

(١) قال صاحب التكملة . ولما ورد المطمع لله من البصرة وكان في محبته أبو
السائب عقبة بن عبيد الله الهذلي فولاه قضاء القضاة وصرف ابن أم شيان ولم يرتزق
أبو السائب واستخلف أبا بشر عمر بن أكتم . وورد الخبر بأن ركن الدولة فتح
طبرستان وجرجان وهزم وشمكير بن زيار وأسأمر من أصحابه مائة وثلاثة عشر قائدا
وفي ذي القعدة ضمن روزبهان التليسي السواد والضرائب بعشرة آلاف ألف درهم
واستكتب على ذلك ابن سنجلا . وضمن الصيرى أعمال واسط واستكتب عليها أبا
الحسن طازاذ . وفي ذي الحجة خلع معز الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الذي كان
رهينة عنده وأنقذه مع ابن قرابة الى أبيه

(٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٦ . وفيها غارت الروم لعنهم الله
على أطراف الشام فسبوا واسروا فساق وراهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة
واسترد ما أخذوا ثم اخذ حصن برزبة من الاكراد بعد ان نازلهم مدة ثم اتمتع به في
سنة سبع

(٣) قال فيه صاحب التكملة . وقبض على اصفه دوست لانه اشار على معز الدولة
بمبايعة ابن عبد الله ابن الداعي فقال الصيرى انه قصد ان يولي الامارة اذا صار الامر
اليه فكان ذلك سببا لاعتقاله برامهرمز ومات بقلعها معتقلا .

فلما كثر عليه ذلك قبض عليه

وفيها ورد الخبر بان ركن الدولة هرم العلوي الذي كان بجرجان وطبرستان
 ر وفيها دخل أبو القاسم البريدي في الامان الى بغداد واقضى مع الدولة
 وقبل الارض بين يديه وأمره وأقطعه بمائة وعشرين ألف درهم ضياعاً^(١)
 وفيها ورد الخبر بعير السلار وهو المروزيان بن محمد الى الري طامعاً
 فيما وفي دفع ركن الدولة عنها فخار به ركن الدولة وأسيره مع ثلاثة عشر قائداً
 من قواده وحمله الى القلعة بسعيرم وحبسها فيها وعاد الامير ركن الدولة
 الى الري وقد شرحت امره على الاستقصاء فيما بعد

وفيها خرج الامير معز الدولة^(٢) الى الموصل ودخلها وجرت
 مراسلات بين ناصر الدولة ومن الدولة اسفراً آخرها على ان يحمل عن
 الموصل وديار ربيعة وديار مضر والرحبة والشام في كل سنة ثمانية آلاف
 الف درهم وتقيم الخطبة لعماد الدولة ومن الدولة وبخيار بن معز الدولة وأخذ
 الفضل والحسين ابني ناصر الدولة رهينة وانصرف الى بغداد . ولم يكن
 الصيمري أخذ خط ناصر الدولة بهذه المارقة وذلك لان ابن قرائكين
 غلام صاحب خراسان قصد الري واضطرب معز الدولة فبادر الى بغداد
 لينفذ منها جيشاً الى أخيه قوسف أبا جعفر عسماً شديداً في فصل القضة .
 فقال الصيمري تسكينه : ارحل اذا شئت فقد أخذت الخط بمائة آلاف
 الف درهم . ونما بعض الخبر الى ناصر الدولة فامتنع على أبي جعفر من بذل
 الخط وخاف أبو جعفر أن يخبر الامير معز الدولة بالصورة بعد الاعتراف

(١) زاد صاحب التكملة . واعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخاباد من بادوريا

وانزله في الدار المعروفة بالموزة بمشرفة الساج مخناً عليه

فلا يقبله العثرة وانحدر الى بغداد

فقال أبو محمد المهابي وكان يخاف الصيمري : قلت لابي جعفر : بأي شيء تحتج على الامير اذا طالب بهذا الخط فلم تحضره اياه ؟ فقال : اطالب ابن قرابة حتى يكذب خطه عنه فانه لا يقدر على مخالفتي ثم ان أنكر ناصر الدولة قلت انه خايفته وما كذب عنه يلزمه . قلت : فان لم يكذب ابن قرابة خطه وهذا مما لا يجوز ان تذكره عليه ؟ قال : زور^(١٤٦) على خط ابن قرابة . (وكان ببغداد من زور على الخطوط عجبا) قلت : فاذا صح رأيك على هذا فلا تطالب ابن قرابة بكذب الخط فانه ان امتنع عليك بطل التزوير به ولكن زور . فزورنا والله على خط ابن قرابة ضمنا بمائة آلاف درهم وخرج الصيمري لحرب عمران ثم حدثت الحادثة من موت عماد الدولة وشخص وكانت كرتة التي ما عاد يدها . ووافي ابن قرابة وطالبت بالمال فاني وأريت الخط فجدده وحلف بالطلاق انه ما كتبه ثم قال : ما أشك انه خطي ولكن ما كتبه . ثم هذا يا هذا انا قد شككت فكيف غيري ممن تشبه عليه الخطوط ؟ وأنت تعلم يا ابا محمد ان ناصر الدولة امتنع من كذب الخط على ابن جعفر وان ابا جعفر خرج وما أخذه وقد أحاطت بي البلوى وليس هذا حقي عليك . فقالت : الاستاذ أبو جعفر غائب وكلامك فيه لا يقبل والامير ينصر وزيره ولا يصيرك ويشهد ونحن معه ان هذا خطك لا يبطل ماله ويصير محصوه مخاصمة وزيره ولكن الرأي ان تقول للامير : « لما حدث أمر ابن قرابة كين وخرج الجيش الى الري طمع ناصر الدولة وجهد الضمان والوجه مقاربتة حتى يصح من جهته بعض المال والا بطل الاصل ثم اذا زال هذا الشغل بعد سنة صار^(١٤٧) الكلام لبنة مجتأفة

وإيجل شيئاً يؤخذ منه فإن هذه السنة أصلح ، فأعاد ذلك على الأمير معز الدولة ودعأني على خلوة وقال لي : أي شيء ترى ؟ فقلت : الوجه ان تقارب وتأخذ ومتى تمكنا من قصد الموصل فالضمان معنا ونحن نستوفي تمام الثمانية آلاف الف درهم . قال : فافعل . وقررنا الامر على ثلاثة آلاف الف درهم سنة واستوفيناها . وكان الصيعري لما انصرف من عند ناصر الدولة بالاصح صار ناصر الدولة الى الموصل وعسف الناس وطالبهم بال التعجيل . وفي هذه السنة خرج سبكنكير الحاجب ومعه أكثر الجيش والقراطة الى الري مددا لركن الدولة ثم أتبعه معز الدولة بوزبهان وعايكان وجماعة من الديلم ولحقوا به

(ذكر السبب في ذلك)

كان السبب فيه أن جيش خراسان تحرك فورد الخبر على ركن الدولة وكان ابن عبد الرزاق من كبار أصحاب الجيوش بخراسان الا أنه كان مستوحشا من صاحبه فكاتب ركن الدولة بأنه صائر اليه في الجيش الذي معه فاستعد له ركن الدولة واعد أصناف الكرامات له . وكاتب أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه معز الدولة وأخاه أبا الحسن على بن بويه عماد الدولة فحمل كل واحد منهما اليه شيئاً كثيراً من المال والدواب^(١٥٨) والثياب والالطاف فصرفها كلها اليه مع ما أضاف اليه من جهته وذلك بعد أن حضره ووطئ بساطه ورده الى الدامغان فوصل اليه شيء لاعمده له بمثله وانما رده الى الدامغان لئلا يتضايق الري بالعساكر وقيل له : فرّق من الاموال ما ترى على من ترى . ثم استقر الرأي بين الامراء الثلاثة أعني عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة على تقليد ركن الدولة خراسان والصد له عليها ليكون

مجارته اياهم على الاصل والولاية . ثم وردت الاخبار بحركة المارزيان بن محمد بن مسافر وهو السلار وانه عازم على قصد الري لمحاربة ركن الدولة معتمدا وورود جيش خراسان وانه سيثقله ذلك عنه . فندب عند ذلك معز الدولة سبكتكين الحاجب السير الى ركن الدولة مددًا له بمد أن عظم أمره ونظم شأنه وضم اليه جماهير عسكره وأكابر قواده وفيهم بورریش وروزبهان ومن يجري مجراهما وقطعة وافرة من الأتراك وثلاثة آلاف من شجعان العرب المروفيين فيهم ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد وعمار المجنون واحمد بن صالح السكلابي وطبقهم وأطلق الأموال وأراح العتل في الخيل والسلاح وغيرها . وكتب عهد ركن الدولة على خراسان وعقد لواءه وحملت الخلع اليه معه وخرج بذلك أحد حجاب^(١٥٩) السلطان مع سبكتكين الحاجب فسارت الجماعة معه على أتم أهبة . فلما وصل العسكر الى ظاهر الدينور خلع بورریش الطاعة وألف من متابعة سبكتكين والمسير تحت رايته وجمع الى نفسه الديلم الذين في العسكر فاستجابوا له جميعاً وبكروا عليه في غداة غد وهو فيها غافل جالس في خيمة له ففأفصوه ورموه بزورق أثبتته في كتفه وولى من موضعه وخرج مجروحاً من تحت ذيل خيمته وركب جنديبة اللوبة فبرز الى الصحراء وتلاحق به غلمائه وسائر الأتراك مع العرب وتمكن الديلم من رحله وسواده فتهبوه ونهب رحل حاجب السلطان الذي معه الخلع فذهبت في النهب . وتميز الديلم كلهم مع بورریش الآروزبهان ونفراً قليلاً معه فانهم اختاروا طاعة سبكتكين على طاعة بورریش وصر بورریش هائماً على وجهه ورجع عنه الديلم الى سبكتكين فقبلهم سبكتكين وبسط عندهم ولم يسي الى أحد منهم . وأمر العرب بطلب بورریش فلم يكن بأسرع من

أن يوافي به إبراهيم بن المطوق المعروف بابن البارء أسيراً مسلوباً فأقيم بين
يدي سبكتكين فخطبه بما يجرى مجرى التشفي واسمه القبيح ثم أمر بتقييده
ورحل إلى همدان واستأنف تجديد الخلع التي انتهت حتى^(١٦٠) أقام العوض
عنها ثم تم المير إلى حضرة ركن الدولة فوجده نازلاً بساب الري فسلم
بوررش إليه فكان آخر العهد به . ولبس الخلع فبرز فيها للناس وقرن^(١٦١) عهده
على خراسان بمشهد من القضاة والقواد ووجوه الناس ووافاء المدد من شيراز
واستدعى محمد بن عبد الرزاق من الدامغان لمساعدة المرزبان فإنه كان أهم وأولى
بالبداة فلما واقعه ظهر به وأخذ أسيراً كما حكينا في أخباره

(ودخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة)

وفيها الحذر أبو جعفر الصيمري لمحاربة عمران بن شاهين وكان هذا
الرجل من أهل الجامدة^(١) وجنى جناية فهرب إلى البطيحة من سلطان
الناحية فأقام بين القصب والالام واقصر على ما يصيده من السمك قوتاً
ثم اضطر إلى معارضة من يسلك البطيحة متلصصاً وعرف خبره جماعة من
صيادي السمك فاجتمعوا إليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حشي جانبه
من السلطان فلما اشفى من أن يقصد استأمن إلى البريدي فقلده أبو القاسم
الجامدة للجاية والاهواز التي في البطائح فما زال يجمع الرجال إلى أن كثر
أصحابه وقوى فتلب على تلك النواحي .

وفيها ورد الخبر بأن ابن قرانكين غلام صاحب خراسان^(٢) انصرف
إلى نيسابور وفرقت جموعه عنه وبقي وشمكير بطبرستان فسار إليه ركن

(١) زاد صاحب كتاب العيون . وهي قرية من اسافل واسط يزعم أنه عربي من بني
سلم ولكن سوادى المنشأ واللغة وكان قد جنى الخ

الدولة يريدہ فلما قرب منه انصرف بنیر حرب وعارضہ علی بن سرخاب
أحد قواد ركن الدولة فوقع بسواده واستأمن أكثر أصحاب وشمکیر الى
رکن الدولة ودخل رکن الدولة آمل

وفیہا أوقع الصیمری عمران بن شاهین دفعةً بعد دفعةً واستأسر أهلہ
وعیالہ وهرب عمران بن شاهین واستتر . ثم ورد الخبر بموت عماد الدولة
علی بن بویه فاضطرب الجيش هناك وكتب معز الدولة الى الصیمری بالمبادرة
الى شیراز لاصلاح الامور بها فترك الصیمری ما كان فیہ من طلب عمران
ابن شاهین وبادر الى شیراز . ووافی رکن الدولة الى شیراز واجتمعا علی
تقرير الامور وضبط البلد واصلاح امر الجيش فلما استقام الامر وصالح البلد
الماء الى الامیر أبی شجاع فآخسره بن رکن الدولة وانصرف عنه
وكانت علة عماد الدولة التي مات فیها قرحة في كلاله طالت به ونهكت
جسمه ^(١) ولما مات نفذت كتب الخليفة بانه قد نصب أخاه الامیر رکن
الدولة مكانه وجعله أمير الامراء .

وتغيرت نية الامیر معز الدولة علی أبی الحسن المافروخی وقبض علی
أبی محمد علی بن عبد العزيز ابن عمه بالبصرة ثم علی أبی الحسن بعده لما
عجزا عن ^(٢) ضمان البصرة والاساقل فان أمرها كان مشتركا وكتب
الى أبی جعفر الصیمری وهو بشیراز بان يُنفذ اليه أبو الفضل العباس بن
فسانجس فأنفذه وقلده الدواوين التي كانت الى أبی الحسن المافروخی
ويسألها منه قبل ان يستكتب الامیر معز الدولة أبا محمد المهدي بأسبوع
ثم حاول ان يدخل بده في ديوان السواد ليحرق في ديوانه فنعه أبو محمد

المهلي واحتج عليه بان هذا الديوان كان يجري في ديوان الصيمري ثم حاول أن يدخل يده في ديوان النفقات وكان يتولاه أبو الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي وفي ديوان الجيش وكان الى سهل بن برديشت وفي حساب الحراة الذي يتولاه أبو علي الحسن بن ابراهيم الشيرازي ^(١) فنهضه من الدولة من ذلك الخصوص هذه الطائفة به ^(٢) وسكونه اليها

وفيها ورد الخبر بان كوركير وبنال كوشه قتلوا الموكلين بقلمة رامهرمز وكسرا قيودهما وخرج بنال كوشه وهرب فلقية الا كراد وماتهم فقتلوه ولم يخرج كوركير ولا فتح الشكري ولا ارسلان كور ولا اصفهدوست وكتب معز الدولة الى أبي جعفر الصيمري وهو بشيراز ان يبادر الى القلمة وحفظها فبادر وكان اصفهدوست عليلا من قولنج فمات بها . ولما بعد الصيمري عن عمران ^(٣) وشغل بهذه الاسباب بعد ان لم يبق في أمره شيء تنفس وخرج من استناره وعاد الى أمره وجمع اليه من كان تفرق عنه من رجاله وتقوى أمره .

وفي هذه السنة انس على بن بويه عماد الدولة بالموت لخائفة الملل اياه وخاف لبعده أخيه عنه وكثرة من في جلته من كبار الديلم ان يطمع في مملكته بعده فاستدعى فناخره بن ركن الدولة من أبيه ليرشحه للامر بعده ويأمن به القواد والجيش ففعل ذلك وسار فناخره بن ركن الدولة الى شيراز وضم يسكره اليه أبوه حاشيته الثقات ولما قرب من شيراز تلقاه عماد الدولة في جمع وأجلسه في داره على السرير وأمر الناس بالسلام عليه ووقف بحضرة لكلا مجتمعاً أحدهما فكان يزما عظيم مشهوداً ثم عهد اليه بعد ذلك ومات

(١) هو « النصراني » في ارشاد الارب ٣ : ١٨٣ (٢) ليس فيها الاصل

هو ذكر استعمال حزم واستظهار من عماد الدولة قبل موته ﴿
كان عماد الدولة يهتم جماعة من أكابر قواديه ويعرفهم بطلب الرياسة
لأنفسهم وكانوا يرون أنفسهم أكرم منه مناصبا وأحق بالولاية فظف
عسكره منهم وقبض على جماعة . فكان ممن قبض عليه شيرنجين بن جليس
فخطب فيه وتشفع فيه ^(١٦١) وجوه حاشيته وثقات أصحابه فقال لهم : اني
أحدثكم عنه بحديث فان رأيتم بعد استماعه ان أطلقه فقلت . ثم ابتدا
يحدثهم انه كان بخراسان في خدمة نصر بن أحمد قال : ونحن يومئذ في
خدمة من الديلم وكان يجلس نصر بن أحمد للسلام في كل أسبوع مرتين
جلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك أبيه بضعة عشر ألف
غلام سوى سائر المسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد دشنيا ^(١) واشتمل
عليه بكسائه فقلت له : ما هذا ؟ قال : أريد أن أصنع اليوم ما أذكر به آخر
الدهر . قلت : وما هو ؟ قال : ادنو كاني متظلم أو طالب حاجة فاقبل
الأرض ولا أزال أدنو حتى اذا وثقت بالوصول الى هذا الغلام (يعني نصر
ابن أحمد) فتدكت به ثم لا أبالي ان أقتل بعده وقد أنمت من القيام بين
يدي صبي (وكان لنصر بن أحمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته)
فعلمت انه ان فعل لم يقتل وحده حتي نقتل كلنا معه مماشر الديلم فأخذت
بيده وقلت له : بيني وبينك حديث . وجهت عليه الديلم وحدثهم بما هم به
وما يجي علينا كلنا ان تم له ما يريد فقبضوا على يده وأخذوا منه الدشني .
أقتر بدون من بعد ان سمعتم رأيه في نصر بن أحمد ان أمكنه من الوقوف
بين يدي هذا الصبي ^(١٦٢) فامسكوا عنه وقالوا : الامير أعلم بحيشه . ولم

يزل محبوبا حتى توفي في محبته .

وفي هذه السنة قُتل أبو السائب عُبَيْة بن عبيد الله قضا القضاة^(١)

﴿ ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بدخول ابن قراتكين غلام صاحب خراسان الى الري وانصراف من كان بها من أصحاب ركن الدولة وكان ركن الدولة بطبرستان واستولى أصحاب ابن قراتكين على الجبل كله .

وفيها مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري في حُمى حادة بالبربوني من الجلمدة لما عاد لمحاربة عمران بن شاهين^(٢)

وفيها استسكتب معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى ولما ورد

(١) وله قصة مع صاحب ابن عباد : ارشاد الاريب ٢ : ٣٣٨

(٢) زاد صاحب التكملة : وكان الصيمري يحسد المهلبى على تخصيصه وأدبه فكان اذا جلس معه على الطعام رأى كلامه وفصاحته فأمر الفراشين بعينه فيطرحون المرقعة على ثيابه فكان المهلبى متعصبا به وكان يستصحب مع غلامه دائما ثيابا يغير بها ماعليه . وقال أيضا : ولما خرج الصيمري في هذا الوجه استخاف أبا محمد المهلبى فلما علم نفاقه على معز الدولة أطلق لسانه فيه فكان أبو محمد قد تبين انه يهلك على يد الصيمري فأنفذ الى معسكره طورا وأوقف من يكتب عليها اخباره فأناه البراج بطبر قد أقبل باللاء بكتاب لم يقف عليه فقال للصائبي (يعنى أبا اسحق ابراهيم بن هلال الذي ولى ديوان الرسائل بعد أبى عبيد الله بن نوبة في سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) . تلطف في قراءته . فقرأه بعد جهد فاذا فيه « هلك الصيمري » فدخل الى معز الدولة وعزاه وجلس للعزاء به . وترشح للوزارة أبو على الطبرى وهو عامل الاهواز قال التتوخى . من أعظم المصادرات مصادرة معز الدولة لابى على الحسن بن محمد الطبرى صادره على خمسمائة الف دينار فلما مات الصيمري طمع في الوزارة وبذل فيها مالا عظيما فقم منه أول نوبة ثلاثمائة الف دينار فلما بين عليه خروجها فاخذها منه وقلد المهلبى وليراجع أيضا ارشاد الاريب ٣ : ١٨١

الخبر بموت أبي جعفر الصيمري أرجف جماعة بان الأمير معز الدواة يستكتبه فمنهم أبو علي الطبري ومنهم أبو علي الحسن بن هرون ومنهم أبو محمد المهلب واجتمع أبو محمد المهلب وأبو علي الحسن بن هرون فتحالفوا على ان من صح له الامر منهما كان لصاحبه على مودة ومشاركة . وسمى أبو علي الطبري وكان رجلاً أميناً في أول أمره ثمناً يبيع الرقيق فخطب كتيبة الأمير أبي الحسين مكان أبي جعفر الصيمري وبذل مالا فاطمعه معز الدواة فيما قدر وتقدم اليه بحمل المال فحمل الى الخزنة مالا فلما صح المال عدل عنه الى أبي محمد المهلب فقلده كتابته وتدير أعمال الخراج وجباية الأموال (١٦٦) وخلع عليه لذلك يوم الاثنين ثلاث بقين من جمادى الاولى . وزوج أبو محمد المهلب ابنته من أبي علي الحسن بن محمد الانباري الكاتب واستخلفه بالحضرة وانحدر الى الأهواز

﴿ ذكر السبب في اختيار معز الدواة أبا محمد المهلب ﴾

﴿ وإثاره إياه على وجوه الكتاب من الحضرة ﴾

﴿ وغيرهم مع وفور عدد الكفاة يومئذ ﴾

سبب ذلك انه وجدته جامعا لإدوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره وان كان فيهم من هو أرجح كتابة وأيضاً فقد أنس به على طول الزمان وانه خاف الصيمري على الوزارة فعرف غوامض الامور وأسرار المملوكية وكان الباؤون لا يعرفون ذلك ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم فيها . وكان مع ذلك حسن الانباء عن نفسه فصيحاً مهيباً متوصلاً الى انارة الاموال عارفاً برسوم الوزارة القديمة سخياً شجاعاً أديباً يفصح بالفارسية فتلافى أكثر ما دارس من رسوم الكتابة واستدرك كثيراً من العمارات وأثار وجوه

الاموال من مواضعها فحسنت آثاره. وتوفر مع ذلك على أهل الادب والعلوم فاحيا ما كان درس ومات من ذكركم وتوّه بهم ورعب الناس بذلك في معاودة ما أحمل منها. ثم خرج الى الاهواز فجمع أموالا^(١٦٧) كان قد طمع فيها العمال من بقايا وزيادات زادها في العقود عليهم ومن مؤامرات ناظر عليها العمال والضمان فألزمهم أموالها فانتصت حمولة وظهر فضله على من تقدمه. ثم انتقل من الاهوار الى البصرة فكان أثره فيها أوفر وإباريه الاموال منها أكثر كما سند ذكر بعضه

وفي هذه السنة ورد الخبر بان سيف الدولة غزا وأوغل في بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة من حصون الروم وسبي عددا فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذ الروم عليه الدرب الذي أراد الخروج منه فتلّف كل من كان معه من المسلمين أسرا وقتلا وارتجع السبي الذي كان سباه وأخذ سواده وكراعه وخزائنه وأمواله وسلاحه وغنم الروم منه غنيمة لم يروا مثلا

(١) زاد صاحب التكملة : وكان المهلب ثقیل البدن وشي في صحون الخليفة وقد أنفقه ما عليه من اللباس فسقط بين يدي المطيع لله عند دخوله من ذلك ومن شدة الحر ووقع على ظهره فاقم . وطن من معه انه يحصر بما جرى فتكلم وأحسن وأطال الشكر والقول ومثل بايات فتعجب الناس من بديته وركب الى داره ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافة . وداره هي الدار المعروفة بالمرشد ونزلها السلطان (طغرل بك) ركن الدولة في سنة ٤٧٧ عند دخوله بغداد ونقضها موفق خادم القائم بأمر الله رضوان الله عليه في سنة ٤٥٥ وبنى ما أتى حجرة للطيور بباب النوبي وعمرها سعد الدولة الكوهرايني في سنة ٤٩٠ ولما قتل وقفها زوجته ونفذ ما كان بقي من التقض في الدور الشاطبية بباب الطاق وما امتدت يده من قصر بني المأمون رضي الله عنه ثم نزلها قوام الدولة كربغا في سنة ٤٩٣ ثم جلت بعد خروجها . ولراجع أيضا ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٢

وأفأت في عدد يسير ^(١)

وفيها خرج الحاجب سبكتكين الى همدان مدداً لركن الدولة فلما
دخل قريشيين أسير من كان بها من أصحاب ابن قراتكين .

وفيها رد القرامطة الحجر الأسود الى موضعه من البيت الحرام بمكة
وكان أخذه أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي من البيت الحرام وكان يحكم

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وفيها غزا سيف الدولة فصار في ربيع الاول
ووافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو حصين فصار الى قيسارية ثم الى
المدق ووعل في بلاد الروم وفتح عدة حصون وسبي وقتل ثم سار الى سمندو ثم الى
حرشة يقتل وسبي ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام فلما نزل عليها
دافع الدمستق مقدمته فظهرت عليه فلقها الى الحصن وخاف على نفسه ثم جمع والتقى
سيف الدولة فهزمه الله أقبح هزيمة وأسرت بطارقه وكانت غزوة مشهورة وعظم المسلمون
مالا يوصف وبقوا في الغزو أشهراً . ثم ان الطرسوسيين قتلوا ورجع العربان ورجع
سيف الدولة في مضيق صعب فاخذت الروم عليه الدروب وحالوا بينه وبين المقدمة
فقطعوا الشجر وسدوا به الطرق ودهدوها الصخور في المضائق على الناس والروم وراء
الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون ولا منذ لسيف الدولة وكان معه أربع مائة أسير
من وجوه الروم فصرب أعناقهم وعقر جماله وكبرأمن دوابه وحرق الثقل وقاتل قتال
الموت ونجا في نهر يسير واستباح الدمستق أكثر الجيش وأسرا أمراء وقضاة ووصل
سيف الدولة الى حلب ولم يكد . ثم مات الروم فعاثوا وسبوا ونزلزل الناس ثم لطف الله
تعالى وأرسل الدمستق الى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة وبعث
بتمده ثم جهز جيشاً فدخلوا بلاد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا خلقاً وغزوا أهل
طرسوس أيضاً في البر والبحر ثم سار سيف الدولة من حلب الى آمد فحارب الروم
وخرب الضياع وانصرف سالماً . وأما الروم فانهم احتالوا على أخذ آمد وسعى لهم في
ذلك نصراني على ان ينقب لهم نقبا من مسافة أربعة أميال حتى وصل الى سورها ففعل
ذلك وكان نقبا واسما فوصل الى البلد من تحت السور ثم عرف به أهلها فقتلوا النصراني
وأحكموا مانقيه وسدوه . ومعنى الدمستق نائب البلاد التي في شرقي قسطنطينية .

بذل في رده خمسين الف دينار فلم يُردّ وقيل : انا أخذناه بامرٍ واذا ورد الامر برده رددناه . فلما كان في ذي القعدة ^(١٦٤) من هذه السنة كتب اخوة أبي طاهر كتابا يذكرون فيه انهم ردوا الحجر بامرٍ من اخذوه بآمره ليتم مناسك الناس وحجهم . وكان الذي جاء به أبو محمد ابن سبر ثم سار به الى مكة ورده الى موضعه ^(١)

﴿ ذكر الآثار الجميلة التي أثرها الوزير أبو محمد المهدي ﴾

﴿ حتى عمرت الحراب وتوفر دخلها واتصل ﴾

﴿ الحمل منها بعد انقطاعه ﴾

قد كان معز الدولة لما فتح البصرة ودخلها تظلم اليه الرعية من سوء ماملات البريدين فصرف أكثرها وذلك ان أبا يوسف البريدي خاصة تفرّد بالنظر في أعمال البصرة وجباية أموالها فرسم لابي الحسن ابن أسد الكاتب ان يطالب ملاك الارضين التي يؤخذ منها حق الشر (وتعرف

(١) وفي تاريخ الاسلام : قال المصباحي : واتي سبر بن الحسن الى مكة ومعه الحجر الأسود وامير مكة معه فلما صار بقناة البيت أظهر الحجر من سقف وعليه ضباب فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقا حدثت عليه بعد انقطاعه وأحضر له صائغا معه جص يشده به فوضع سبر بن الحسن بن الحجر بيده وشده الصانع بالجص وقال لما رده : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله .

وفيه أيضا في ترجمة سنة ٣٤٠ : وفيها قلع حبيبة الكعبة الحجر الذي نصبه سبر صاحب الخياي وجملوه في الكعبة وأحبوا أن يجعلوا له طوقا من فضة فيشده به كما كان قديما لما عمل به عبد الله بن الزبير وأخذ في اصلاحه صائغان حاذقان فاحكامه . قال أبو الحسن محمد بن نافع الخراعي . فدخلت الكعبة فيمن دخلها قتألت الحجر فإذا السواد في رأسه دون سائر وسائر أيضا وكان مقدار طوله فيما حذرت مقدار عظم الذراع . قال . ومبلغ ما عليه من الفضة فيما قيل ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعون درهما ونصف

بصدقات أراضي العرب (بالبصرة عن كل جريب من الخنطة وللشعير
عشرين درهما وإنما فعل ذلك بسبب زيادة الاسمار بالبصرة وإن المكر
بالمعدل من الخنطة بلغ بها مائتي دينار ولم يستعمل ذلك الا على تدريج . فلما
قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف أقر ابن أسد على العمل وأجرى
الناس على ذلك الرسم . وكانت العمارة تنقص في كل سنة لاجل جور
البريدين وعمّالهم وهم يطالبون بالعبرة فنقص مال العبرة^(١٦٩) عن جريبان
العمارة فزاد ذلك ما يلزم كل جريب في السنة على ما كان يلزمه في السنة
التي قبلها . وكان قد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم فالزموا ان
يزرعوا تحت النخل حنطة وشعيراء فلما فعلوا ازموا عن كل جريب أربعين
درهما فقصروا في العمارة فجعل ما كانت يرتفع عبرة عليهم واستوفى من
ملاك أرض المشرك هارب الناس فزاد ذلك على من بقي . فلما تقلد أبو محمد
المهلبى وزارة معز الدولة ودخل البصرة ونظّم اليه أهل البصرة من العبر
التي جُمعت عليهم في أراضي الخنطة والشعير فوعدهم بكل ما أنسوا به . ثم قرر
أمرهم على ان يردوا الى رسمهم القديم في أخذ العشر حيا بعينه من غير ترييع
ولا تسخير ونظر فيما بين ذلك وبين ما يؤخذ منهم على تقريب فأشار على
أرباب العشر ان يتناخوا فضل ما بين المعاملة على انظلم والمعاملة على الانصاف
بشمن يرغب فيه معز الدولة عاجلا فيسهل عليه ما ينحط من الارتقاع مع
ما ينجل له من المال ثم يضاف الى ذلك ما يشمره العدل وموتمه من قلوب
الناس مع الرجاء في المستقبل زيادة الارتقاع فاستجابوا وتقرر الامر بينهم
على ألفي ألف درهم^(١٧٠) ومائتي ألف درهم وكتب لهم بذلك وثيقه ثم
من الجميع عن الضعفى مائتي ألف درهم وكتب الى معز الدولة بان فى

ذلك حفا عاجلا وصلاحا ووفورا في ارتفاع الناحية في المستقبل فحسن .
موقع فعله من معز الدولة فامضاء . وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله
باليبيع وسجلوا بالابتياح ونسب المبتاع الى فضل ما بين المعاملتين في العبر .
فممر الناس وتضاعف الارتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم
وصار يرتفع عن المراكب ما يمدل ألفي الف درهم فكان هذا من الآثار
الجميلة لابي محمد المهلبى .

وفي هذه السنة ورد الخبر بشرب جرى في عسكر الحاجب
سبكتكين وان القرامطة انصرفوا عنه مع الاتراك بعد ان أوقع بهم
ركن الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان الاجتهاد شديدا في استصلاحهم لانهم كانوا يزاء حرب فلما
تعدى قال ركن الدولة : هؤلاء أعداء ممنا في عسكرنا وهم أشد علينا من
أعدائنا الذين يازائنا والوجه ان نحاربهم ونطردهم . فحاربهم وهزمهم فلما
العرب فصاروا الى معز الدولة وأما الاتراك فمضوا الى الموصل ولما سار
ركن الدولة الى همدان ارتحل ابن قراتكين من الري ^(١٧١) الى أذربهان
وفي هذه السنة واقع أبو محمد المهلبى عمران بن شاهين ومع أبي محمد
المهلبى روزبهان فكانت على المهلبى وروزبهان واستؤمر أ كثر قواهما
وقتل أبو الفتح ابن أبي طاهر بعد ان استظهر المهلبى واستعلى

﴿ ذكر السبب في ذلك وفي هزيمة المهلبى بعد ﴾

﴿ الاستظهار على عمران ﴾

كان السبب في ذلك ان معز الدولة كان عول على روزبهان في محاربة

عمران فبنى آلات الماء وأثبت الرجال واحتشد فطاولة عمران وتحصن في مكانه من البطائح فضجر روزبهان وأقدم عليه طلباً لمناجزته فاستظهر عليه عمران وهزمه وهزم أصحابه وغنم جميع آلاته وسلاحه فتوى بها . وتضاعف طمعه في السلطان وصرى أصحابه على جند السلطان واستخفوا بهم فكان بعد ذلك إذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقواد والامراء من الديلم والآراك سفهوا عليهم وطالبوهم بحق المرصد والبذرة فان تأبى عليهم احسد تناولوه بالشتم القبيح والضرب المبین وكان الجند لا يستغنون عن الاجتياز بهم لحاجتهم الى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة^(١٧٢) والاهواز ثم انقطع طريق البصرة الاعلى الظاهر . فشغل ذلك قلب معز الدولة وكثر بكاء الامراء والحجاب والقواد بين يديه بما يجري عليهم من الهواز في اجتيازاتهم فكتب الى الوزير المهلبى بالاصعاد الى واسط لتساقط الحادثة والتجرد لطاب عمران ومعاودته الحرب وجرد اليه عسكريا جرارا فيه ابن أبي طاهر ووجوه قواده وعلمانه وحمل اليه سلاحا كثيرا واطلق يده في اشاق الاموال فرحف الى عمران وسد عليه مداخله وانتهى الى مضيق في البطيحة شعب لا يعرف مسالكها الا عمران واصحابه . فاحب روزبهان ان يلحق المهلبى مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر فاشار عليه بالاعتحام والهجوم وتوثق المهلبى واراد سد تلك المضائق فاخذ روزبهان في التضريب عليه وعارضه في كل ماذبره ومنعه من هذا الاستظهار وسد الشعب وكتب الى معز الدولة يستعجزه ويذكر أنه انما يحجم ويخرج الى المطاولة ليحتسب بالاموال في النفقات ولم يزل بذلك وشبهه الى أن وردت كتب معز الدولة بالاستبطاء فترك المهلبى الحزم وركب الخطا وعدل عما يدبره كله ودخل

بجميع عسكره ^(١٧٢) هاجماً على عمران ونأخر روزبهان ليصير أول الخارجين
عند الموقعة . وقد كمن عمران كمناءه في تلك المعارك وشحنها بالآلات
الموافقة لتلك المضائق فخرجوا على المساكر وهم متزاحون متضائقون في
طريق الماء لا يعرفونها فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسروا وانصرف
روزبهان موفوراً ونجا الوزير المهدي سباحة وحصل القواد والوجه في
الأسر . فاضطرت الحال الى مصالحة عمران فتوى واستفحل امره واجيب
الى كل ما اقترح

وقد كئناذ كرنا ورود الخبر بمسير السلار المرزبان الى الري ووعدنا هناك
باستقصاء خبره والان حينئذ بدأ بذلك

﴿ ذكر الاسباب التي بعثت السلار المرزبان على قصد الري ﴾

﴿ وما انعكس عليه من تدابير حتى أسر ﴾

(وحبس في القاعة بسيرم)

كان المرزبان انفسه رسولا الى معز الدولة في أمور حماله اياها فورد
مدينة السلام وقد رحل عنها الى البصرة فافتتحها وأقام هذا الرسول منتظراً
له الى أن عاد فأدي اليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدم بحلق لحيته ففعل
وأسمع نهاية ما كره وانصرف على هذه الحال . فحكى للمرزبان ما جرى
عليه فامتعض وأخذ ^(١٧٣) في جمع الرجال والاستعداد ورأي أن يتدي
بالري فراسل ناصر الدولة سراً يئذله للملاوة بنفسه وأولاده ورجاله وماله
وأشار عليه بأن يتدي بقصد بغداد خائنه وأجابه بحسب وعلمه أنه يرى
الصواب في الابتداء بالري فانتم له ما يريد طلب بعد ذلك بغداد وغيرها .
وكان استأمن اليه من قواد الري علي بن جران قوله فعرفه نية القواد الذين

وراءه بالري وانهم على المصير اليه فراده ذلك طمعا واستدعي ابا محمد بن مسافر واخاه ابا منصور وهسودان فلما وافاه ابوه تلقاه وقبيل الارض بين يديه واجلسه في صدر الدست ووقف يحضرته وامتنع من الجلوس حتى حلف عليه ابوه دفعات كثيرة جلس وامتنع وهسودان من الجلوس فلما جن الليل خلوا جميعا وتفاوضوا فلما عرف ابوه صحة عزمه في قصد الري فثأ عزمه وعرفه احوالا توجب الامتناع من قصدها فأبى عليه وقال : قد وردت على كتب واكثر القواد هناك مستعدون للانحياز الى . فلما كان وقت الوداع بكى ابوه وقال : يا مرزبان ابن اطلبك بعد يومى هذا . فقال عجيبا له : اما في دار الامارة بالري واما بين القتلى .

وقد كان ركن الدولة ^(١٧٥) حين عرف خبره كتب يستمد من اخويه عماد الدولة وممزر الدولة وخشى أن يعاجله المرزبان قبل ورود المدد فكتب اليه على سبيل السكر والخديعة يعظه ويستخذي له ويسأله أن ينصرف عنه على شريطة أن يفرج له عن ابر وزنجان وقزوين . ولم تزل الوسائل تتردد بينهما الى ان ورد حضرة ركن الدولة بارس الحاجب في الفى رجل من جيش عماد الدولة وورد سبكتكين الحاجب في الفى رجل من جيش ممزر الدولة وكان قد صار اليه محمد بن عبد الرزاق مستأمناً من عسكر خراسان ومحمد بن ما كان مدداً من جهة الحسن بن الفيروزان فلما تساهى استظماره قبض على جماعة من قواده الذين شك فيهم وانهم هم بمكاتبة المرزبان وسار الى قزوين في جميع هذه الجيوش . فلم المرزبان أنه لا طاقة له به . ولكنه أنف من الرجوع فعمل على محاربتهم وكان مع المرزبان يومئذ خمسة الآف من الديلم والجيل والاكراد فحلت ميمنة ركن الدولة وميسرته على ميمنة

المرزبان وميسرته فانهزمتا جميعا وثبت هو في القلب الى أن قتل بين يديه
جموه بلى وونداسفحان بن ميشكى وأسر على بن ميشكى المعروف بلط و محمد
ابن ابراهيم وعدة من أ كابر قواده وأحاطت الرجال به فأسروهم (١٧٦)
ركن الدواة الى الرى ومنها الى أصبهان وحمل من أصبهان الى قلعة سميرم
فلما انفصل من الرى مع جماعة من قواد ركن الدواة وخواصه وكابوا
مضمومين الى الأستاذ الرئيس حتما أعنى أبا الفضل ابن العميد رحمه الله
وكان (١) هو المتولى حفظه والاستظهار عليه الى أن يحصل فى القلعة

﴿ ذكر تدير تم على المرزبان حتى حصل بأصبهان بعد أن كان واطأ الديلم ﴾
﴿ الذين أخرجوا معه على الفتك بابى الفضل ابن العميد والهرب به ﴾
حدثني الأستاذ الرئيس أبو الفضل قال : لما كنا بين الرى وأصبهان
تحقق عندى مراسلة الديلم اياه واجتماعهم على أن يأخذوه قهراً ويحلوا قيوده
ويفتكوا بي وظهر ذلك حتى كادت المكاشفة تقع . فلما خفت قوت التدير
سأرتة وهو فى عمارية وحادثته وهو ينتظر فى ذلك اليوم أن يتم له ما يريد
وجئت أقاربه والين له فظهر التوجع والتألم مما حصل فيه فلما أطمعته فى
نفسى (وكان لا يطمع فى ذلك من قبل) أنال الى رأسه وقال : أنت مقبل
فان كنت صادقاً فابدأ بحل قيودى وعلى لك كيت وكيت . وضمن
الضمانات التى تبدل فى مثل ذلك الوقت (قال) فأوهمته انى لا أعرف شيئاً
من مواطاة الديلم له وقلت : اخشى ألا يساعديني من معى على ذلك . فقال :
غفر الله لك انت لا تعرف (١٧٧) الصورة جميع من معك قد عملوا على فك
قيودى والفتك بك وأنا أريد ذلك الساعة ان شئت . ففقت : يكفينى ان

اتق بذلك ثم انا اول عبد خدمك وناصرحك وتابعك حتى يتم لك ما تريد .
 وحديثه باثبات أنكرتها من صاحبي وحقود في قلبي عليه فاستدعي واحداً
 بعد واحد من القواد الذين كانوا معي وأسر اليهم أني معه وموال له ووصل
 حديثه معهم بأن أدخلني معهم في التدبير فظهرت سروراً شديداً بذلك
 وتواعدنا الزول في المنزل القريب وانعام التدبير . فلما نزلنا وضربت خيمتنا
 وخركاها بنا وحصل في موضعه راساني وأخلاقني بنفسه ثم قال لي : ابعث
 الى فلان وفلان (يعني جماعة ممن يتق بهم) حتى يحضروا . فقلت : أيها
 السار ان هاهنا تدبيراً يجب أن نسميه فان وقع بوفائك والا فما تأمر به
 ممثل . فقال : وما هو . فقلت : ان حرم ركن الدولة وأولاده وخزائمه
 كلها باصمهان وأنا وزيره وثقته والمتولي للجميع فلو استدنا على صورنا هذه
 حتى لا نهم لتمكنت من القبض على الجميع وحصلنا في مدينة عامرة تسكن
 فيها من التدبير ومع ذلك فان حرم جميع القواد باصمهان وكذلك أولادهم
 فاذا قبضنا عليهم لم يبق في واحد ^(١٧٨) منهم فضل لمحاربتك واستسلم الجميع
 لك وانهد جانب ركن الدولة انهداداً لا انجباراً له وتمكننا ايضاً من قتلاءه
 وذخائره وأخرجناها ولم يكن له بقية وان نحن عاجلنا الامر وخرجنا من
 هذا المكان طلبنا الخيول وأحدثت بنا ولم نأمن مع ذلك تقرب بعض من
 هو الآن معنا الى تلك الحنية ونحن في عدة يسيرة وجوالينا اصحابه ورجاله
 ولاشئ بالسلامة الى المأمن . (قال) فرأيت قد تهلل وجهه ولم يملك نفسه
 لما استخف من السرور وقل : ليس الرأي الا ما رأيت . قلت : فاني منصرف
 عنك فراسل انت كل من واطاك على رأيك الاول بماحدث لك من الرأي .
 قال : نعم . وقت عنه وليس عنده شك في حصول الملك له بمواطأتي وانه

قد اقبل جده وتمت سعادته بتمام تديرى وشاع في أصحابه ومن كان واطاه
انا في تدير فسكنوا بعد ان كانوا هموا بما هموا به . وسرت امانا حتى
حصات باصبيان فلما تمكنت من الرجال والتدير بدأت بالقبض على اوتيك
القواد واستظهرت على المرزبان بثمانى حتى حصاته فى القلعة بقيوده
(ذكر ما جرى فى امر عسكر المرزبان فى آذربيجان)
(بعد حصوله فى الامر)

اجتمع من اقلت من عسكره وقواده وفيهم بستان بن ثيرمزن وعلى
ابن الفضل وشهنيروز بن ^(١٧٩) كردويه وجماعة من الرؤساء مع ألفى رجل من
الفل الى الشيخ محمد بن مسافر فعقدوا له الرياسة عليهم وصاروا الى أردبيل
فلما آذربيجان وهرب ابنه وهسودان منه وتحصن فى قلعة بالطم لما كان
يعرفه من حقه وسوء رعايته . فلم تأت الايام على محمد بن مسافر حتى تجبر
وعاد الى أسوأ أخلاقه مع الديلم فاجتمع الديلم على التوب به فشبهوا وهموا
بقتله فالتجأ بالضرورة الى ابنه وهسودان وعنده انه يعصمه فقبض عليه
وحبسه فى قلعة شيسجان التى كان فيها وضيق عليه فلم تنبسط له يد ولا تفذه
أمر حتى توفى وكانت وفاته قبل خلاص ابنه المرزبان من قلعة سميرم . وتلد
ركن الدولة محمد بن عبد الرزاق أعمال آذربيجان بعد أمر المرزبان وأنفذه اليه
فجبر وهسودان فى أمره واضطر الى اخراج ديسم بن ابراهيم من القلعة
لطاعة الاكراد اباه ورياسته القديمة على آذربيجان فاطلعه وخلع عليه
وقواه ومكنه ووافقه على جمع اكراد آذربيجان ومن يطيعه من غيرهم
ويقصد محمد بن عبد الرزاق . وكان الديلم بعد محمد بن مسافر اجتمعوا الى على
ابن الفضل ورأسوه فتوسط وهسودان بينهما حتى أطاعه على بن الفضل

وتم^(١٨٠) أمره وسار ديسم الى اردبيل واستكتب أحمد بن عبد الله بن محمود
وورد ابن عبد الرزاق فأنجاز عنه الى ورنان من نواحي بردعة ليستخرج
الاموال وترد عليه عساكر الاكراد

ذكر خطأ ديسم في انحاش وزيره حتى فارقته وثلمه فهزمه عدوه
كان بنواحي خوي وسلماس كاتب نصراني يعرف بابن الصقر من
جهة المرزبان قبل أسره فلما بلغه خبر ديسم صار اليه وحمل اليه ما كان جباه
حسن موقعة من ديسم فأكرمه وبالغ في اكرامه حتى صار مخلوبه وبشاوره
فاستوحش وزيره ابن محمود واتماه . فلما استعد ديسم للقاء ابن عبد الرزاق
سلم الى ابن محمود خزيائه وثقله وأمره بالمصير الى جبال موقان للتحصن بها
استظهر ارا الى أن ينكشف الأمر . فسلم ابن محمود ذلك كله وعدل الي اردبيل
وأرسل ابن عبد الرزاق بانه صائر اليه وسأله ان يستقبله بطائفة من عسكره
فقبل ذلك ووقع ذلك من ابن عبد الرزاق أحسن موقع . وقت في عضد
ديسم ولما ذلك يوم القتال فضعت نفسه واضطرب رأيه وتبين ذلك منه
أصحابه فاضطربوا واستظهر عليه ابن عبد الرزاق فهزمه^(١٨١)

ودخلت سنة أربعين وثلثمائة

وفيهما لحق ركن الدولة بابن قراتكين غلام صاحب خراسان وواقعة
بروذر من خان النجان سبعة أيام متوالية فانهزم ابن قراتكين وذلك في
الحرم من هذه السنة

قال الاستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب :
أكثر ما أحكيه بعد هذه السنة فهو عن مشاهدة وعيان أو خبر محصل
يمري عندي خبره مجرى ما عاينته وذلك ان مثل الاستاذ الرئيس أبي الفضل

محمد بن الحسين بن العميد رضى الله عنه خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما
ديره وما اتفق له فيها فلم يكن اخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به والسكون
الى صدقه ومثل أبى محمد المهلبى رحمه الله خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه
وذلك بطول الصجبة وكثرة المجالسة . وحدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما
بما يستفاد منه تجربة وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته
وجربته بنفسى فسأحكىه أيضا بمشيئة الله

حدثنى الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه
الوقعة وأنا أحكى أولا السبب فى ورود ابن قراتكين ^(١٨٢)

﴿ ذكر السبب فى ورود ابن قراتكين الى ﴾

كان ركن الدولة عند وفاة أخيه عماد الدولة بنواحى جرجان وذلك أنه
قصد وشمكير وهزمه وتبعه الى حالوس فلما بلغه وفاة أخيه اضطرب وجزع
وعلم ان فارس ستضطرب على ابنه فسارع الى المسير اليها لتوطئة الامور
وانصرف الى الري فاستخلف بها على بن كامه وانسم خناق أعدائه يبعده
عن ممالكه وكل حدث نفسه بامر . وكتب ركن الدولة الى معز الدولة
بما عزم عليه ومما كان من وفاة أخيهما فكتب معز الدولة الى وزيره أبى
جعفر الصيرى وهو يومئذ منازل ليعمران بن شاهين بالبطائح بان يخل
ما هو بسبيله وبصير الى فارس لخدمة ركن الدولة فعمل وسبق وصوله
وصول ركن الدولة حسن موقع ذلك من ركن الدولة . فلما وصل الى
شيراز ابتداء بزيارة قبر أخيه بباب اصطخر فمشى حافيا حاسرا ومشى أهل
عسكره وعسكر فارس على تلك السبيل ولزم المصيبة ثلاثة أيام الى أن خاطبه
الرؤساء وسألوه ان يرجع الى المدينة فعمل وأقام ستة أشهر وأنفذ نصيبا

من تركة عماد الدولة الى أخيه معز الدولة وسكان في جملتها مائة وسبعون غلاما ومائة وقر من السلاح ثم ما يجري مجرى ذلك من الثياب والآلات واقتطع من أعمال ^(١٨٣) فارس ارجاء وهي كورة من كور فارس الى أعماله وخلف وزيره هناك وانتقل الى الري . وجدت اطماع من ذكرت وامتدت الى الري والجل واصلها وتسربت العساكر اليها فمن ذلك مسير صاحب جيش خراسان الى الري ومعه محمد بن ما كان من جهة الحسن ابن الفيروزان وسار شيرج بن ليلي من قبل وشكير ثم جمهور عسكر خراسان وكان أبو الحسن علي بن كامل قد انحاز الى أصبهان وتفرق قواد عسكر ابن قراتكين في ولايات أعمال الجبل وكان منهم بهمدان ينال قام وفي كل بلد من بلدان الجبل مثله . وكان ركن الدولة قد كاتب أخاه معز الدولة وهو بعد بفارس يستدعي من يدفع معرات هؤلاء فأمدّه بسبكتكين الحاجب في عسكر منجم من الأتراك والديلم وفيهم جماعة من الأتراك القدماء التوزونية وجماعة من العرب وكان مسيره من بغداد سنة ٣٣٩ فدفّر سبكتكين تديرا جيدا

﴿ ذكر تدير صواب تمكن به سبكتكين من ﴾

﴿ أول عدوّ لقيه بقرميسين ﴾

رأى سبكتكين ان يخلف عسكره وما ثقل من سواده ويتخبط من الفرسان من يشق به ويسرى الى قرميسين وكان فيها قائد من قواد الأتراك الخراسانية يقال له بحكم الخارتكيني وكان ^(١٨٤) ينال قام أنفذه الى همدان والبا عليها فدكبه سبكتكين وهو في الحمام وأخذة أسيرا وأوقع برجاله وأحجابه وأنفذه الى معز الدولة فاعتقله مدة طويلة ثم أطلقه . ولما بلغ ولاية

أعمال الجبل ما جرى على بحكم هذا فارقوا صرا كرم واجتمعوا الى بنال قام
بهمذان فلما سار سبكتكين نحوهم ساروا من همذان باجمعهم فلم يحاربوا
وورد سبكتكين همذان وأقام بها منتظرا ركن الدولة وذلك ان كُتِبَ ركن
الدولة كانت ترد عليه انه يسير من فارس على طريق الجبل ثم تأخر انظارا
لأنحصار اللوح ثم ورد همذان وتقدم الى سبكتكين بالمسير على مقدمته .
فشعب الصف من الأتراك التوزوية وأظهروا التصجر بالمقام الطويل
فوسط الاستاد الرئيس أبو الفضل رحمه الله إليهم وداراهم وسكنهم فسكنوا
في الوقت ثم عاودوا من المد وطال ذلك منهم حتى انهوا . فسمعت
أبا الفضل ابن العميد رحمه الله يقول : اني قلت للأمير ركن الدولة : هؤلاء
أعداؤنا وقد كانوا فكيف يسير بهم الى أعدائنا ؟ فاتفق الرأي بيننا ان
نُسكنهم فان سكنوا والآن حاربناهم وفرغنا من العدو الاقرب فلما عملنا على ذلك
عملوا على الحرب فاقبضناهم ومضوا مفلولين .^(١٨٥) وسبق خبرهم الى معز الدولة
فكتب الى ابن أبي الشوك الكردي وسائر وجوه الأكراد القيمين في
أعمال حلوان بطاهم والابقاع بهم ففعلوا ذلك وطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا
قاما الاسارى فانفذهم الى بغداد وأما المل فصاروا الى الموصل بحال سيئة
وأقام ركن الدولة بهمذان لعرف خبير ابن قراتكين الى ان صح
عنده مدير ابن قراتكين من الري نحو همذان فيث جواسيسه وطلابه
يعرف خبره فآباه الخبر به عدل عن سمت همذان وأخذ على طريق
بودى الى أصبهان فصار ركن الدولة في أثره يقفوه حتى انتهى الى
جرباذقان ووصل ابن قراتكين الى أصبهان فمات بها عينا كثيرا مدة ما أقام
ثم عرف قرب ركن الدولة منه فسار الى طرف مغارة يقرب من أصبهان

فنزل منها على زرين رود ليكون وصول ركن الدولة اليه مع عسكره . وقد قطعوا المفازة ومسهم التعب والعطش ولا يصلون الى الماء فرأى ركن الدولة ان يعدل الى خان النجان ليلازم سمت قري زرين رود ولا يعدم الماء واتصل بذلك بابن قراتكين فالتاب عن موضعه معتصلاً له التلا تلك عليه ظهره فالتقى في الموضع المعروف بالروذبار وبينهما زرين رود ولكنه يخض ولا يمنع الرجل ولا الفارس^(١٨٦) العبور وذلك ان الفصل كان ضيقاً . فدامت الحرب بينهما سبعة أيام واشتدت في اليوم السادس خاصة ثم انهزم ابن قراتكين في اليوم السابع

وعاد الحديث الى حكاية ابن الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه الواقعة . حكى انه لحقه وركن الدولة وسائر الجيش من الاضاقة وعوز الميرة والملوفات وتذكر جميع الاقوات ما لم يلحقها مثله وذلك ان الاكراد أخذوا بنا فلم يتمكن أحد من اطلاع رأسه عن المصكر وانقطعت عنا المواد وكنا نصل الى اقواتنا مما نحمله الاكراد الينا ويديمونا باوفر الايمان وكذلك الملوفات فكان يجئنا السكردى بحراب أو مخلاة أو وعاء فيه دقيق فيبعثناه بحكمه فاذا أخذناه ونفضناه وجدنا قدر الدقيق فيه مقدار ما رأيناه في رأس الوعاء وأسفله كله راب ثم يختلط ذلك القدر اليسير بالتراب فلا ينفع بشئ منه وكذلك يفعل بالشمير والخطة وكانت لهم حيل تجرى هذا المجرى كثيرة قال : فكنا نجر الجمل أو الدابة فتوزع لحمه بين عدد كبير وتبلغ به على عادة الديلم وصبرهم على المجاعة والشدة في الحرب وكان أعداؤنا الاثراك في مثل حالنا الا أنهم لا يصبرون كما نصبر ولا^(١٨٧) يفتنون بما نفتح^(١)

فاذا ذمنا نحن جزورا ذبحوا أضغافا كثيرة ثم ان اصحابنا يعودون الى نشاطهم في الحرب ويتسخط اوائك ويثقبون على صاحبهم ولا ياصحونه في الحرب الى ان ملوا . واصبحنا يوما وقد رحلوا من معسكرهم فتركوا خيمهم بازائنا وانانا الخبر برحيلهم فما صدقنا به حتى عبر عنا جماعة وتلامع المسكر أولا أولا واشفقنا ان يكون لهم كمين او مكيدة فلم يكن الا هزيمة وذهبوا على وجوههم

﴿ ذكر خبر عجيب واتفاق غريب ﴾

حكى الاستاذ أبو الفضل ابن العميد نصر الله وجهه ان ركن الدولة دعاه في اليوم السابع وقد لقد صبره وصبر أصحابه : وشكا الى شدة الامر وصعوبته عليه وكأنه يفكر في حيلة للاهمزام وان كانت متعذرة عليه فقلت : أيها الامير انك كنت منذ اسبوع مالك أكثر تملك سرير الخليفة فينفذ أمرك في أكثر بلاد الاسلام ومن لم يكن من الملوك في سائر الارض تحت امرك وولايتك فهو ايضا تحت حكمك حشمة لك يقبل امرك تجملا ويطيعك تهييا وقد أصبحت اليوم وانت لا تملك من الارض الا ما عليه مضربك وقد اجتمع عليك هؤلاء الاعداء ^(١) ليصبوا عليه ويمعوك منه ولا مفرع لك الا الى الله عز وجل فاخاص نفسك له واعقد عزيتك على ما بينك وبينه تعالى يطلع على صدقها ويعرف صحتها وانبي السلامين خيرا ولا كفاة الناس مثله وعاهده على ما آمله وتفي به من الاعمال الصالحة والاحسان فيما تلى الى من تلى عليه فان الحيل البشرية كلها انقطعت بنا ولم يبق لنا الا هذا الذي نصحتك به . قال فتبسم وقال : يا أبا الفضل قد سبقتك الى ما اشرت به . وجري في هذا الباب ما يجري مثله من النور وصدق النة . وشنا تلك اللثة

على حالنا فاما كان في الثالث الاخير من الليل جاءني رساله متقاطرة فصررت اليه وهو مسرور قوي النفس بخلاف ما عهدته وقال : يا ابا الفضل انت تعرف منامائي وصدقها وقد رأيت ما أرجو ان يكون تأويله قريبا غير بعيد . قلت : وما ذاك . قال : رأيت كافي على دابتي المعروف بفيروز وقد انهزم عدونا وانت تسير الى جانبي وتذكر لي نعمة الله علينا فيه وأن المرح جاءنا من حيث لا نحتسب فينا نحن في هذا الحديث وشبهه حتى مددت عيني بين غيرة الوكب الى الارض فرأيت خائفا يلاؤلا قد سقط الى الارض عن صاحبه بين التراب فقلت ^(١١) للركابي الذي بين يدي « يا غلام هات ذاك الخاتم » فطأطأ ورفعه الى فاذا خاتم فيروز فاحذته وجعلته في أصبعي السبابة وبركت به وانتهيت وقد تقالت به وأيقنت بالظفر (وذلك ان الفيروز زوج معناه الظفر اذا عُرِب وكذلك لقب دابته الذي رآه فيروز) . قال ابو الفضل ابن العميد رحمه الله : فوالله ما أضاء الصبح حتى جاءنا الخبر والبشرى بان العدو قد رحل فما صدقنا به ولا التفتنا اليه حتى توارت الاخبار وعبر سرعان الخيل وعادوا الينا مستبشرين فقمنا حينئذ وركبنا متعجبين لا نعرف سبب هزيمته حتى عبرنا على حذر من كمين او مكيدة فيينا نحن نسير وانا الى جانب ركن الدولة وقد نعد ركوب دابته فيروز ليصدق رؤياه اذ صاح الامير بعلام بين يديه « يا غلام ناواني ذاك الخاتم » فطأطأ وناولته من الارض خاتم فيروز فاخذه وابسه في سبابه والتفت الى وقال : هذا بلا تأويل هو الخاتم الذي حدثك بحديثه منذ ساعة . فهذا من طرائف الاخبار ولولا صدق محمده وجلالة قدر من حكاه لي وإيماده عن التريد لما سطرته في كتابي هذا

وفيهما تم الصلح بين معز الدولة وبين عمران بن شاهين وقلده معز الدولة ^(١٩٠) البطائح وأطلق اخوته وعياله وأطلق عمران بن شاهين من أسأسر من القواد وغيرهم

فلما ابن قراتكين فانه عاود حرب الامير ركن الدولة وجرت بينهما وقائع عظيمة بناحية الري ومات ابن قراتكين فجأة وكان سبب وفاته انه كان شرب أياماً متوالية بليلها فاصبح يوماً ميتاً وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة

وفيهما انهزم صاحب عمان من باب البصرة من بين يدي أبي محمد المهلبى وأسر جماعة من أصحابه وأخذت عدة من سرا كبه ودخل أبو محمد المهلبى بغداد ومعه المراكب والاسارى

﴿ ودخلت سنة احدى وأربعين وثلثمائة ﴾

وفيهما ملك الروم مدينة سروج وسبوا أهلها وأحرقوا مساجدها وفيها ضرب الامير معز الدولة أبا محمد المهلبى بحضرته بالمقارع وحمله الى داره وأقره على كتابته

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك أن ابا محمد المهلبى لما خرج الى عمان وانفق في ذلك الوجه ما اتفق ثم انهزم تنكر له معز الدولة وهم بالقبض عليه فلما حدث بالرى ما حدث من ورود جيش خرسان اليها شغله ذلك عما في نفسه منه . وكان ورد ابو العباس الخناط الى الحضرة برسالة ركن الدولة يطالب بمثل يحمل اليه فدفت الضرورة ^(١٩١) الى مكاتبة الوزير المهلبى وهو بواسط قد وافاها منهزماً وأمر بالمسدول الى الاهواز وتسليم الف الف درهم الى

ابى العباس الحناط من القاعة ورد الدوض مما يستخرجه وأن يواصل الحمل الى الحضرة ويسرب الجيوش الى الاهواز على طريق اصبهان الى الري فنفذ لذلك كله وفي نفس الامير معز الدولة عليه ما فيها . فلما أصد المهبلي الى الحضرة اثر في امر يوسف بن وجيه صاحب عمان اثرًا كبيرًا وذاك أنه كان قصد البصرة فسبقه أبو محمد المهبلي اليها وحاربه وهزمه وأسر أصحابه وأخذ مراكبه كما ذكرنا

(ذكر السبب في طمع ابن وجيه في البصرة ثم انهزامه منها)
 كما ذكرنا ما كان من استيحاء القرامطة من معز الدولة ومن جوابه اليهم عن رسالتهم واستخفافهم بهم فلما عرف ابن وجيه ذلك كاتبهم وأطمعهم في البصرة وسألهم أن يمدوه من ناحية البر فأمدوه بأخيهم أبي يعقوب في سرية قوية فورد باب البصرة وأنقض ابن وجيه رجاله في مراكبه من ناحية البحر ونقض هو بنفسه . ووافق ذلك فراغ المهبلي من الاهواز فبادر الى البصرة وأخرج معه من القواد والرجال والزيابز والطيارات وآلات الماء كفايته وشحنها بالرجال وأزاح عنهم في الجبش والسلاح وأتقذ اليه معز الدولة ^(١٩٣) مددًا من بغداد . وكان المهبلي رتب على سور المدينة بالبصرة الرجال يحمونه وجمع الى نفسه وجوه القواد مثل لشكروزر بن سهلان وموسى فياذه وموسى بن ماكان وأشباههم من وجوه الناس وطبقات الغلمان وحارب ابن وجيه ايما ثم هزمه وظفر المهبلي بمراكبه ورجاله وأسر جماعة من وجوه أصحابه فخف بذلك بعض ما كان في قلب معز الدولة وانجلي هم كثير كان في نفسه

فلما قدم بغداد تلقاه معز الدولة وجامله مُدِدة ثم وقف على طازاذ

مال من ضمانه له قدر وكان سُبب عليه للأتراك والمهمات فردّ التسبيات
وطالب أصحاب المال باستحقاقهم وأضجر ذلك معز الدولة فطالب أبا محمد
المهلبى وهزّ المهلبى طازاذ فاستسلم وأظلمت القصة . فدخل المهلبى الى معز
الدولة فصدّقه عن الصورة فاغتناظ من جريته فى الامر وأثار ما كان فى
نفسه منه فزيره وطرده من بين يديه وأمره ألا يعود اليه الا بعد ان
يستدعيه فانصرف كشيئا . وحرك بطازاذ فصحيح له مالا ونهض الى الامير
مُعجبا له من طازاذ بغير استدعاء من الامير له فلما حصل بين يديه وأخبره
بالصورة بطش به وضربه مائة وخمسين مفرقة زارح منها (ثم أمر) بان
يرفع عنه الضرب حتى ^(١٦٣) يوبّخه ويكفّه بذنوبه منذ استخدامه ثم بعده
عليه الضرب الى ان تفسخ وثقل وقيل له انه كالتالف وأراد ان يرمى به الى
دجلة ثم تماحك وردّه الى منزله ووكل به . وفى اليوم الثانى استدعى طازاذ
أيضا وضربه وعمل على صرف المهلبى فلم يرتض خدمة أحد من كان
بحضرته فى الوقت فترجّع رأيه وصعد وصوب فلم يقيم أحد مقام أبى محمد .
وكان أبو محمد المهلبى شهما قوى النفس لا يتحرك لشيء من نواب الدهر
فعمل عملا يشتمل على ثلاثة عشر الف درهم باقية فى الممالك والأعمال
وأفذه اليه وذكر انه يقيم باستخراجه وانه ان تمادت الايام فى التوكيل به
تمزقت وطمع فيها فشاور معز الدولة من حضرته وكان فيهم أبو مخلد عبه
الله بن يحيى وقال : هل يجوز أن أستقيم الى هذا الرجل وقد لحقه منى هذا
المكروه العظيم ؟ فقال أبو مخلد : قد ضرب مرداويج وزيره أبا سهل أعظم
من هذا الضرب ولحقته ما لحقك من سوء عنه ثم خلع عليه وردّه الى
أمره وكان لا يطيق المشي لما حل به من الضرب فركب عمارية وثر عليه

في الطريق مال ولا يمكنه ان يستقل بالجلوس وبقي كذلك مدة ثم عاود
مرداويج الانكار عليه فكتبه وأتى على نفسه .^(١٩٤) فعند ذلك راسله معز
الدولة بالركوب اليه اذا استقل وأزال عنه التوكيل فتجلبد المهلبى وركب
بعد أيام يسيرة تخلع عليه وعاد الى أمره

وكان معز الدولة حديداً سريع الغضب بذي اللسان يكثر سب
وزرائه والمحتمين من حشمه ويفترى عليهم فكان يلحق المهلبى رحمة الله من
خشمه وشمه عرضه مالا صبر لاحد عليه فيحتمل ذلك احتمال من لا يكثر
له وينصرف الى منزله وكنت أنادمه في الوقت فلا أرى لما يسمعه فيه أثرا
ويجلس لانسـه نشيطا مسرورا حتى لقد سمعت أبا العلاء صاعدا بن ثات
وكان يخلفه ويأنس به بما يـبـه ويـسـول في عرض كلامه : ان الأمير اذا اتصل
به أنسك وقلة اكراتك لغضبه وما يحقك من شتيمة نسبك الى الاستهانة
به فيزيد ذلك في ضرره عليك فان أظهرت الانخزال والاستكانة حتى
يلفه تحرمك وانقباضك كان أحرى ان يقصر ويندم ولا يشتتم على عادته
معك وغضبه منك . فقال له أبو محمد المهلبى : ما يذهب على ما تقول ولكن
هذا امير خرق عجز لا يملك لسانه فان ذهب أظهر الاستيحاش من
هذياناته وقع له انى قد تنسكت له وانى لا أناصحه وانـه يـتـهـمـنى بما لا يدور
في فكري فيكون سببا لجائحة ونسبة وليس له غير التغافل والتبسم^(١٩٥)
في وجهه اذا أمكن فان لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس الا قلة الفكر فيه .
فسكان الامر على ذلك .

وحدثني أبو بكر ابن أبى سعيد رحمه الله ان معز الدولة وقت مقامه
بالبصرة وهزيمته للبريدى افترى على المهلبى وذكر جرمه وأخفش عليه وكان

المافروخي حاضرا فلما انصرفنا من عنده قال لي المافروخي : قد ساءني أن
أجرى هذا الفحش القبيح بحضرتي على الوزير فكيف الطريق الى تسليته ؟
(وانما أراد ألا يتهمه بالثمّة ولا يراه بعين من علم استهانة الامير به) فقلت :
الامساك في مثل هذا أولى من الكلام . فأمسك أياما لا يركب اليه الا مع
الناس وقت الاذن ثم اتفق ان يدخل المافروخي وأنا معه لمهم فوجدناه
واجما مطرقا فقال المافروخي : أرى الوزير واجما فهل تجدّد أمره ؟ فقال :
ويحك اني أرى الامير منذ أيام قد أمسك عما كان يتعاهدنا به من برّه
بلسانه وأخاف أن يكون مشغول القلب بطارق تطرقه وأنا مفكر في ذلك .
قال أبو بكر ابن أبي سعيد : فلما خرجنا من عنده قال لي المافروخي : هل
رأيت أدهى من هذا الرجل وأذكّر منه ؟ فقلت : لا

وفيهما خرج أبو مخلد وأبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو الشرايبي
حاجب الخليفة المطيع لله الى صاحب خراسان في الصباح ينسبه وبين أمراء
في بويه وكتب معها كتاب عن الخليفة ^(١) ^(١١٦)

﴿ ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما مات أبو الفضل العباس ابن فسانجس بالبصرة ^(٢) وقُلد الديوان

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها اطعم أبو محمد المهدي
على قوم من الناسخية فيهم شاب يزعم ان روح علي رضي الله عنه انتقلت اليه وفيهم
امرأة تزعم ان روح فاطمة عليها السلام انتقلت اليها وفيهم آخر يدعي انه جبريل فضرّبوا
فعمدوا بالانتهاء الى أهل البيت فامر مع الدولة باطلاقهم لميله الى أهل البيت وهذا كان
من أفعاله الملعونة . وليراجع ما نال فيه ان الاثير في السكّال في سنة ٣٤٠ في العزافرية
يعني أصحاب محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن العزافر (٢) زاد صاحب التكملة :
وسنة سبع وسبعين سنة وحمل تابوته الى الكوفة

بعده أبو الفرج محمد ابنه وأجرى على رسم أبيه .

وفيه ليلة الجمعة للتاسع من جمادى الآخرة ولد الأمير أبو اسحق
ابراهيم بن معز الدولة بطالع السنبلة .

وفيهما وافى أبو سالم ديسم بن ابراهيم الكردي منهزما من
آذربيجان هزمه السيلار المرزبان وهو الذي حكينا ان ركن الدولة أسره
وحبسه في قلعة سُميرم فاحتال حتى فكَّ قيده وقتل صاحب القلعة وخرج
منها وسنحى حيلته هذه فيما بعد . وعاد الى آذربيجان واجتمع اليه من كان
مع ديسم من الديلم وانصرف ديسم عنها وصار الى الحضرة مستنجرا بمعز
الدولة ومستنصرا فاكرمه معز الدولة جسدا ووقع منه وأنس به وعاشره
وحمل اليه مالا وثيابا وكان يسميه في كتبه « الاخ أبو سالم »

﴿ ذكر السبب في خروج ديسم عن آذربيجان بعد ﴾

﴿ تمكنه منها وانزاعه من بين يدي المرزبان ﴾

كنا ذكرنا خبر ابن عبد الرزاق وتمكنه من آذربيجان من قبل ركن
الدولة واتفق ان أوحش كاتبه له كان صحبه من خراسان واعتمد لوزارته ابن
محمود لخدمته اياه بالاموال قديما وخبرته بالبلدان فاستوحش السكاتب
وتركة الى ان أشغفه لجباية الاموال في نواح ديسم وضم اليه جيشا فلما
وجد الفرصة كاتب ديسما وهرب اليه بذلك الجيش كله . فنفرت نفس ابن
عبد الرزاق ^(١٩٧) من آذربيجان وعاد الى الري وأخذ معه ابن محمود وسار
ديسم الى أردبيل واستأذنه السكاتب الخراساني في العود الى بلده فأذن له
وأحسن اليه بالخلع والجوائز . ودبر أمره أبو عبد الله النعماني وابن الصقر
النصراني ونو فر اليه الديلم والاكراد فملك آذربيجان وبلادها وجي

الاموال وأعطى البلاد له باليد فتمكن من آشوا ودَّيَل وكان عليهما الفضل ابن جعفر الحمداني وابراهيم بن الضابي على سبيل التغاب فصاحت حاله وانتظمت . واتفق ان مات ابن الصقر النصراني فوصل من تركته اليه مائة الف درهم سوى ما انغضى عنه وهو شيء كثير فتفرَّد النعيمي بوزارته . ولم يزل أمره منتظما الى ان شره الى مال النعيمي وطمع فيه فقبض عليه ونصب في موضعه كاتباً له يقال له علي بن عيسى فاحتال النعيمي^(١) * * * الى بذل خطه بكل ما اقترحه عليه ولم يخالفه وسلك سبيل المداواة ثم قال له : ان ردّني الى العمل وسلمت اليّ خليفتي علي بن عيسى صححت لك من جهته وجهتي سوى مال الموافقة الف الف درهم . فشرهت نفسه الى ذلك ورده الى موضعه وقبض على علي بن عيسى وسلمه اليه .

وكان المرزبان بن محمد في تلك الايام قد ملك القلعة التي حبس فيها بسميرم وقتل الموكل به وهو شيراسفار وكان أيضاً قد أفلت علي بن ميشكي المعروف بياسكا المأسور معه^(١٩٨) من حبس ركن الدولة وصار الى الجبل وجمع جمعاً كثيراً وكاتب الديلم الذين كانوا مع ديسم واستمالهم وسار حتى قرب من وهسوذان أخى المرزبان فكانا جميعاً يدبران على ديسم . ثم وصلت كتب المرزبان اليهما بخلاصه من القلعة وكاتب سائر الديلم بأذربيجان وايس عند ديسم من الخير كله الا خبر علي بن ميشكي وظن أنه وحده يقاومه . فلحق باردبيل ابن أخت له يقال له غانم مضموماً الى وزيره النعيمي ومستوفيا عليه المال الذي ضمنه عن نفسه وعن علي بن عيسى خليفته وسار على اغترار بمن معه من الديلم فوجد النعيمي الفرصة لما كان في نفسه وأفسد غانماً على

خاله ديسم وقتل على بن عيسى بالسكروه العظيم واستأمن الى على بن ميشكى واحتمل معه كل ما قدر عليه من المال . وبلغ الخبر ديسما فعاد الى أردبيل بعد ان كان بلغ الى زنجان وشغب الديلم عليه فخرج كل ذخيرة له من الصياغات وغيرها وتوجه الى برذعة على سبيل الترهة والصيد وهو يظن ان خصمه على بن ميشكى واپس عنده خبر المرزبان . وكان أنفذ الى أرمينية من يوطى له نيات ملوكها من ابن الديراني وابن جاجيق وأخيه حمزة وابن سباط وغيرهم ليأجأ اليهم ان حربة أمر وورد عليه خبر على بن ميشكى بتوجهه الى أردبيل مع عدة يسيرة ثقة بان الديلم الذين مع ديسم سيستأمنون اليه فانكفأ ديسم الى أردبيل ووقت الحرب فقلب^(١٩٩) الديلم ترأسهم في وجهه وانحازوا الى ابن ميشكى سوى جستان بن شرمزن فانه أخلص مودة ديسم فقبض الديلم عليه وأهزم ديسم في نفر من الاكراد الى بلد الارمن فحمل اليه ملوكها ما تملك به . وورد عليه خبر المرزبان هناك في مسيره عن قلعة سميرم التي كان محبوسا فيها وحصوله بأردبيل وتسليمه القلاع والاموال وانفاذه على ابن ميشكى في جيش لطاب ديسم فلم يتمكنه انتقام فهرب الى الموصل ثم صار الى بغداد وذلك في سنة ٣٤٢ فتلقاء معز الدولة وأكرمه ورتبه في أعلى مرتبة وقضى حقه وواصل اليه المباراة والالطاف وبذل له خمسين الف دينار اقطاعا في كل سنة على أن يقيم بحضرته فاقام مديدة في أطيب عيش وأرخى بال فكان يقول ذلك لكتابه وأسبابه ويقول : أرغد عيش لي وأهنأ أيام مقامي ببغداد

ثم كاتبه أسبابه من آذربيجان بما اغتر به فزع الى الامرة والاستبداد فرحل من بغداد وزوده معز الدولة مالا كثيرا وثيابا ودواب ومراكب

فسار الى الشام زائراً سيف الدولة في طريقه ثم انقلب من عنده الى أرمينية وقصد ابن الديرائي وابن جاجيق لثقته كانت به وأنه كان أودعه ذخيرة له وكتب المرزبان اليه يلزمه القبض [عليه] ^(٢٠٠) فدافعه ثم اضطر الى أن أطاعه في القبض عليه وسأله الا يلزمه تسليمه اليه فأجاب المرزبان الى ذلك فأوقع ابن الديرائي الحيلة على ديسم حتى قبض عليه وحصله عنده فلما فعل ذلك كتب اليه المرزبان يلزمه حمله الى حضرته ناقضا الشرط فدافعه مدة ثم اضطر الى تسليمه فحبسه عنده ثم سئل عنه فلما توفي المرزبان قتله بعض أسبابه خوفاً من غائلته

﴿ ذكر حيلة المرزبان على صاحب قلعة سميرم وما تم عليه حتى ﴾

﴿ أفلت من موضعه وعاد الى مملكته بأذربيجان ﴾

لما حصل المرزبان في القلعة امتنع من الطعام والشراب خاصة اللحوم وما أشبهها واقتصر على القوت اليسير من الخنطة التي يستطهر منه أيضا فبلغ خبره ركن الدولة فأمر أن يوصل اليه طبائخه الذي يشق به ليتولى له ما كان يتولاه من الماء كل والمشراب فحصل الطبائخ في القلعة معه وأخذ المرزبان في تدبير الخلاص على يده . وكان الطبائخ خفيفاً أحرق وظهر منه ما في نفسه وعرف خبره شيراسفار صاحب القلعة فرمى به من قمة القلعة فهلك وضيق علي المرزبان . وكانت والدته المرزبان خراسويه بنت جستان بن وهسودان الملك تبذل الاموال في تعرف أخباره وتحتال في خلاصه وكان ابراهيم المعروف بابن الضائي (وقد تقدم ذكره) في حبس ديسم فتخلص منه ولم يجد منفراً الا خراسويه فقصدها ولأذنها ^(٢٠١) وضمن لها أن يتوصل الي المرزبان فأطلقت له مالا وأنقذته . وكانت المراغة بها رجل يعرف بتوبان

يصارع ويقامر ويدخل في كل منكر فطلبه أصحاب الشرط بها نخاف
وهرب من المراغة وقصد خراسويه وضمن لها السعي لها في أمر ابنها
فطمعت في جلادته وأطلقت له مالا وعرفته خبر ابن الضابي وأنه نفذ قبله
فاجتمعوا ولبسوا لباس التجار وأظهروا الستر والدين والورع ولزما فناء القلعة
وراسلا شيراسفار وعرفاه أنهما تاجران وأنهما كانا فيما مضى يعاملان
المرزبان وأنه أخذ بضائعهما واستعده التجار وسألاه أن يجمع بينهما وبين
المرزبان ليتعجرا كتبه وإعلاماته بازاحة علمهما فيما يستحقانه وتستحقه التجار
عليه وواصل الدعاء له وعلى المرزبان وأكثرا لعه وشتمه وكانا يقولان :
الحمد لله الذي كفى الناس شر هذا الظالم الذي لا يعرف الله ولا يؤمن
بنبيه صلى الله عليه . وما أشبه هذا حتى رق شيراسفار لها وأوصل
واحدا واحدا منهما إليه من غير اجتماع فقال المرزبان : لا أعرفهما .
فأغلظاه وواجهاه بالقبيح وخوفاه بالله وسوء العاقبة وقال : انى لا أعرف
حسابهما والكنى أكتب بأن يحاسبنا . وكثر^(٢٠٢) تردهما إليه فضمت
والدته اليهما وصيفا الديلمي للتنقب وكان في عسكر السلطان قديما ورجلا
آخر يعرف بابي الحسن ابن جنى وجماعة من أهل الطرم على هيئة التجار
وحملوا اللطاف الى شيراسفار وأسبابه والى بواب القلعة وكانوا يشترون
منهم الخواثج ويمدونهم الى أن يصلوا الى أموالهم وبضائعهم انهم يبدلون
لهم أموالا جائلة وفي خلال ذلك يكون ويشكون ظلم المرزبان وعدوانه
وكانوا يصلون الى المرزبان فرادى ويوصلون الكتب ويتجزون الاجوبة
ويدسون اليه في خلال ذلك الدنانير الكثيرة ليبدلها وينفقها فيما يحتاج اليه
وكان لشيراسفار الموكل بالقلعة غلام أسود وضىء الوجه يحمل ترسه

على مذهب الديلم فأظهر المرزبان عشقاه ومحبة مفرطة فكان يعطيه سرا
الشيء بعد الشيء ويعدده ان هو تخلص بامور عظيمة وولايات كبار حتي
طمع الغلام وواطأه على كل ما أحب وأوصل اليه درعا في زنبيل فيه تراب
وعدة سكاكين وأوصل اليه شموعا فيها مبارد واجتمع معه على وجوه الحيل .
وأظهر أولئك القوم الذين كانوا في زى التجار النسك والثأله والخشوع
فصاروا يصلون الى باب القلعة ويوسلهم البواب واحدا واحدا الى ان تمت
الحيلة بموافقة هذا الغلام للأسير سرا^(٢٠٣) وكان اتفق معه على يوم بعينه اذا
دخل اليه شيراسفار يناوله الترس والزوبين الذي لصاحبه اذا استدعاه منه
ووافق بعض أولئك التجار ان يكونوا مع البواب ليفتكوا به اذا صاح بهم .
فلما كان في ذلك اليوم وصل اليه توبان وكان أجلدهم وجلس آخر مع
البواب ليفتك به اذا سمع الصوت وجلس الباقون قريبا من الباب ليدخلوا
عند يتمكن فلما صار اليه شيراسفار على رسم كان له وكان المرزبان قد برد
سمار قيده على رايام وابس في ذلك اليوم درعه والتف بكسائه وكان
يخاطب شيراسفار قديما ويسئله ان يطلقه ويعدده المواعيد العظام فيمتنع عليه
شيراسفار ويقول : لا أخون ركن الدولة أبدا ولكن أساعدك على كل
ما يخفف عنك غير هذا الباب . فلما كان في ذلك اليوم عاد المرزبان في
مسأله وكان توبان حاضرا فقال لهم توبان : بالله الا خلصتموني من الديون
عليكم ثم عودوا شأنكم . فقال المرزبان لشيراسفار : قد أطلت غنائى .
ونفض من موضعه وقد أخرج رجله من القيد وادر الى الباب فتسلم
الترس والزوبين من الغلام ونفض شيراسفار ليملاق به فوثب توبان
اليه وعاركه وصرعه ثم وجاه بسكين كان معه حتى قتله وصاح المرزبان

اشتلم^(١) على عادة الديلم فوثب الرجل^(٢) الذي كان في الدهليز على البواب فقتله ودخل القوم الذين كانوا بالقرب فأخذوا بالمرزبان وكان منغمساً في دم شيراسفار . وكان الموكلون في القاعة على تفرق ولعب بالنرد فتداخلم الرعب واجتمعوا وطلبوا الأمان فجمعهم المرزبان في بيت وأخرج حرم المقتول شيراسفار وحرم الجماعة ثم طالب سلاح القوم الذين في البيت فملكه ثم أخرجهم من القلعة وتوافى إليه الرجال حتى خرج ولحق بمأمنه

وفي هذه السنة تم الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج بعد حروب كثيرة على باب الري ومنازلة ثلاثة أشهر وانصرف ابن محتاج الى خراسان ﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان استمد وشمكير على عادته صاحب خراسان فامسده بابي على ابن محتاج في جموع كثيرة وتوجهوا الى الري وظنوا أنه الاستيصال وأنه لا نبات لركن الدولة ولا بقية له وجاء وشمكير على ثقة بذلك فعلم ركن الدولة أنه لا يقوم لهؤلاء الجمع الكثير الا بالمطاوعة والتحصن بحيث يكون القتال من وجه واحد فجعل بلد الري خلفه وحارب في الموضع المعروف بطبرك فدامت الحرب وصبر الفريقان الى أن قرب الشتاء وميل الخراسانية فلم يصبروا وخافوا ايضاً سقوط الثلج عليهم فأخذوا^(٣) في العتاب والتراسل ورق أمر الحرب . وكان الواسطة من قبل الخراسانية أبو جعفر الخازن وهو صاحب الكتاب المعروف بزيج الصفائح^(٤) وله تقدم في علوم الرياضة ومر بينهما كلام كثير انتهى الى المواءمة والصلح

(١) كلمة فارسية معناها المنف

(٢) وردت ترجمته في تاريخ الحكماء لجمال الدين الففطي ص ٣٩٦

فاشير على ركن الدولة بان يجهز على الجرح ولا ينفس عن خناق عدوه
فانه انما جنح للسلم عن ضرورة وقد فقد صبره وماله وشغب عليه جنده
« ووراءك بلدة مثل الرى وأنت وادع جام بها » ولم ير له احدا من نصحاءه
ان يجيبهم الى الصلح وذلك ان النكول كان قد ظهر فيهم . فلم يقبل ركن
الدولة هذا الرأي من احد على سداده ووضوحه ولو صدقهم بصدمة
يصددهم بها لآتى عليهم والله اعلم بمواقب الامور فقبل الصلح وشق
ذلك على وشمكير وبلغ منه مبلغا عظيما وذلك انه كان لا ينظر ولا يرجو ان
يجمع اكثر مما جمع ولا يحتشد اكثر من هذا الاحتشاد . فلما انصرف ابن
محتاج طلب ركن الدولة وشمكير فانهزم من بين يديه ولم يقف فاتبعه حتى
اخرجه من طبرستان وجرجان وحصل بالسفرايين . وكتب الى نوح بن نصر
يعرفه ما جرى ويفرجه بان يحتاج فاعتاظ نوح وتحرك منه ما كان في نفسه
على ابن محتاج " " ففرزه من الجيش بيكر بن مالك وانهذه في جيوش
عظيمة فصار ذلك سببا قويا ضروريا لمكاتبة ابي على ابن محتاج ركن الدولة
وعدوله الى طاعته بعد ان اصابه في نفسه واسبابه واحواله مكاره عظيمة
ازالت ثقته بصاحبه وثقة صاحبه به ولم يبق بينهما حال يرجى منها الصلاح .
وكتب الخليفة في هذا الصلح كتابا نفذ على يد ابن ابي عمرو الشرابي
حاجب الخليفة وابي محمد عبد الله بن يحيى صاحب ممز الدولة واتفق موت
نوح قبل ان يؤدى الرسالة والكتاب وقعد مكانه عبد الملك بن نوح . ولما قدم
ابو محمد من خراسان عائدا ومعه ابوبكر عبد الواحد بن ابي عمرو الشرابي
اعترضهما ابن ابي الشوك الكردى من الشاذنجان وكان متقلدا أعمال المعاون
بخلوان واليه الحماية والطريق وأظهر الخدمة وخرج معهما مبذرا بهما ثم

غدر فنيهما ونهب القافلة التي كانت معهما وأسر أبا مغلد وأفلت أبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو والشرابي فطالب ابن أبي الشوك معز الدولة باطلاق رهائيه ووعده أنه ان أطلقوا أطلق أبا مغلد فضمن له ذلك وأطلقوا وأطلق أبا مغلد ثم خرج الحاجب سبكتكين الى حلوان للايقاع بالاكراذ فدخل حلوان وقرر أمر الاكراذ وابن أبي الشوك^(٢٠٧) وعاد

﴿ ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها خرج أبو سالم ديسم من بغداد وذلك لما يئس من نصرة معز الدولة .

﴿ ذكر السبب في يأس ديسم من نصرة معز الدولة اياه ﴾

سبب ذلك ان ركن الدولة صالح المرزبان بن محمد السلار وصاهره وتمكن سلار من آذربيجان فانصرف ديسم من حضرة معز الدولة وودعه وطنه انه يجد ناصر الدولة عوناً وقصده وأقام عنده بالموصل مدة ثم مضى من عنده بعد اليأس منه الى سيف الدولة أخيه وأقام عنده أيضاً مدة وفي هذه السنة قصد أبو علي ابن محتاج ركن الدولة للضرورة التي ذكرناها وجاء على طريق جبل ونداز هُرمز فاستقبله ركن الدولة وبأبلغ في إكرامه وأمنائه وجميع منومه وأقام لهم الاكرام الواسعة والنمى ابن محتاج عهداً يكتب له من جهة الخليفة على خراسان فكتب معز الدولة في ذلك فتكفل به حتى فعل .

وفيها وصل رسول ابن محتاج الى بغداد ولقي معز الدولة فاحتشد له احتشاداً كثيراً وأوصله الى الخليفة حتى عمداً لابي علي على خراسان وقلده اياها مكان نوح بن نصر وسلم اليه العقد والخلع وضم^(٢٠٨) اليه أبا مغلد وأبا بكر بن أبي عمرو والشرابي وأنفذ معهم معز الدولة أبا منصور لشكروروز

نجدة لابي علي ابن محتاج ومعاونة له علي نوح فلما كان بعد مدة ورد كتاب
أبي علي ابن محتاج بانه قد خطب لامير المؤمنين المطيع لله بنيسابور ولم يكن
خطب له الى هذه الغاية في شيء من بلدان خراسان^(١) وذكر في كتابه
صحة موت نوح . وورد الخبر بان نوحا لما حضرته الوفاة كان بحضرته ابن
مالك وهو أحد قواده السكبار فغلب علي الامر وعقد الامر لملك بن
نوح في ولاية خراسان وتقلد هو رئاسة الجيش مكان أبي علي ابن محتاج .
وسار يطلب ابن محتاج واتقل عن ابن محتاج رجاله وعادوا الى صاحب
خراسان وبقي أبو علي في مائتي رجل من أصحابه سوى من ضم اليه من
الديلم فاضطر الى الهرب من بين يدي ابن مالك . وورد خبره من الدامغان
بانه صائر الى ركن الدولة مستجيبرا به فقبله ركن الدولة أحسن قبول وأقام
عنده بالرى . ونزل ابن مالك بنيسابور وتبع أسباب ابن محتاج

وفيهما صرف الابرأعجي عن الشرطة بفساد واعتقل وصور علي
ثمانية ألف درهم وقلد الشرطة مكانه تكينك نقيب الأتراك وقد كان
طواب قبل صرفه بأربعين ألف درهم علي ان يقرر^(٢) في عمله من
الشرطة ووعد بانقطاع فلم يفعل

﴿ ذكر الرأى الخطأ من الابرأعجي حتى استمرت عليه ﴾

﴿ النمكة وعظمت بعد ان كانت خفيفة ﴾

كان الابرأعجي منقطعا الى أبي علي الخازن فاستشاره وكان أبو علي
يعتني به فإشار عليه ألا ياتزم شيئا ولا يدخل تحت شيء مما يُطالب به وقال

(١) زاد صاحب التكملة . وبلغ الخبر بموت موسى فإذنه فأنحدر المهلي لحيازة

تمكنة وكانت عظمت

له : هذا يطعم فيك ويسير رسماً عليك فان امتنعت انهم الطمع فيك وفيما بعده . فقبل رأيه فاداه ذلك الى النكبة وما أراد به أبو علي الا الخير ولكنه أخطأ الرأي كما يخطئ الانسان ولما أدى هذا المال وانصرف الى منزله قبض أيضاً عليه ونسكب نكبة ثانية وسلم الى تكيته جفري عليه مكره عظيم وصودر على مائتين وخمسين الفا فاداهما .

وفيها دخل ركن الدولة الى جرجان ومعه أبو علي ابن محتاج بغير حرب وانصرف وشمكير عنه ودخل خراسان

وفيها خطب (بمكة والحجاز) لركن الدولة وممّن الدولة وبختيار وبمدهم لابن طنج وذلك بعد حرب جرت بين أصحاب ممّن الدولة وبين المصريين وكان أبو علي ابن محمد بن عبيد الله صاحب الحاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه

﴿ ودخلت سنة أربع وأربعين وألتمائة ﴾

وفيها عقد ممّن الدولة لابنه أبي منصور بختيار الرئاسة وقلة أمة الامراء وذلك في الحرم من هذه السنة وكان سبب ذلك انه عرض لأمير الدولة علة يقال له فريافسمس وهي علة الانماط الدائم ويكون معه وجمع شديد مع تواتر القضيبي وكان ممّن الدولة خوارا في أمراضه فافصى وقلة ابنه كما حكينا أمة الامراء .

وبلغ عمران بن شاهين ان ممّن الدولة قد مات واجتاز به مال يحمل الى ممّن الدولة من الاهواز ومعه كار كبير فيه للتجار أمتعة عظيمة وكان مقدار المال المحمول لأمير الدولة مائة الف دينار وما للتجار أضعاف ذلك . فد عمران يده الى المال والكار على رسمه في مثل ذلك فأخذ الجميع وقمض .

على المزعبل ملاح ممز الدولة الذي كان مع المال فصادره وضربه ضربا عظيما ودهقه الى أن أزمته ثم أُنقذ اليه ممز الدولة أبا الحسين السكوكي^(١) نقيب الطالبين برسالة الى ان رد المال وذهبت أمتعة النجار وانتقض الصلح وتأدى الامر الى الوحشة

وكان الحاجب سبكتكين أخرج الى شهرزور في جيش كثير ومعه عرادات ومنجنقات فأقام مدة عليها ولم يمكنه فتحها^(٢) واتفق أن جيشا ورد من صاحب خراسان الى الري فاحتجج الى انفاذ سبكتكين الى ركن الدولة مددا له فانصرف من شهرزور ولم يصنع شيئا

وفيها ورد ابن ما كان اصبهان وكان مسيره اليها على طريق المفازة من خراسان فهجم هجومًا واضطر أبو منصور بويه بن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع أصحابه أن يخرجوا على وجوههم الى خان النجان ومنها الى الرباط على أقبح صورة واستولى ابن ما كان على اصبهان . وكان الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رفع الله درجته بارجان فبادر مع قطعة من العرب وتفر يسير من الديلم كانوا معه فوجد ابن ما كان قد تبع أبا منصور بويه بن ركن الدولة ومن معه من الحرم فالحق سواده وملك خزائنه وتخلص الامير بويه والحرم على . وقد أشرف هو والحرم على الفضيحة والاسر

(١) هو أحمد بن علي بن أبي جعفر محمد السكوكي من ولد محمد الارقط بن عبيد الله الباهر بن علي زين العابدين وقال صاحب كتاب عمدة الطالب انه كان نقيب النقباء ببغداد في أيام ممز الدولة : وفي كتاب الافادة في تاريخ الائمة السادة لابن غالب يحيى ابن الحسين البطحاني العلوي المتوفى سنة ٤٢٢ . كان فيه زعارة وغف فشكا العلوية الى ممز الدولة سوء معاملته اياهم مرة بعد أخرى . فقال لهم . قد عزائنه عنكم فاخترأوا لانفسكم من ترصونه . فاجتمع العلوية كلهم على الرضي بأبي عبد الله ابن الداعي .

فلحقه الاستاذ الرئيس فعارض ابن ما كان ودافعه بخان النجان فأوقع به واستأسره وبه ضربات وأسر جميع قواده وقتل أصحابه قتلا ذريعا . وحمل الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن ما كان وقواده الى القلعة بالخان ثم صار الى اصبهان فأوقع بمن فيها من أصحاب ابن ما كان وورد الامير^(٢١٢) أبا منصور بويه بن ركن الدولة مع الحرم الى اصبهان مصونين وتلافى ذلك الخطب العظيم أحسن تلاف .

وكان يحدثني رحمه الله بخبر هذه الواقعة مرات فيقول : لما التقينا بالخان انهزم عنى أصحابي واشتغل أصحاب ابن ما كان بالنهب والغارة وثبت آتفة فقط من غير رجاء منى في ظفر بل وقفت وقوف المستسلم للقتل والاسر . وذلك انى افكرت فى تلك الحالة وفلت « ان انصرفت بنفسى سالما ومثلت بين يدي صاحبي أى وجه يكون لى عنده وأى لسان يدور بعذر لى بحضرته بمد ان أسلمت أعزته وأولاده وحُرّمه وباجملة مملكه ! » ونظرت فاذا القتل على فى حالتى تلك أهون من هذه الحال التى تصورتها فصرت لان أقتل كريما (قال) فكنت واقفا وراء خيمة لى بعمودين وأنا أرى أظناهم تقطع وما فيها يخرج ومن يرانى لا يظن انى أثبت فى ذلك الموضع مع تلك الصورة فينما أنا كذلك وأصحاب ابن ما كان مشغولون عنى بالهب اذ تاب الى ثلاثى روين وفلات وفلان وراهم العرب فتاب منهم جماعة يسيرة فحملت بهم وصاح الناس الكثرة فقتلنا وأسرننا ولم يفلت أحد ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ما كان عين تطرف^(٢١٣) الا من أخذ أسيرا وحمل الى ابن ما كان وبه ضربة فى يده وقد تعلق منها اصبعان بجلدة رقيقة فمدها حتى قطعها (قال) فهو على ذلك بين يدي حتى شق الرحمة اليه

مكاراً أو ركابي فصفه صفعة طن بها الموضع وغاص فلحقني غيظ عظيم
وأمرت بطلبه وهممت بالمثلثة به وقطع يده فما وتف له على أثر ولا عرف
له خبر الى اليوم

وكان ابن ما كان مع عظم قدره في نفوس الديلم وشدة بأسه محرباً
عظيم القوة ورأيت أنا جوشنة وهو رزين جدا يمرض على فتیان الديلم
واشدائهم أن يلبسه فيستغنى منه لثقله على اليد

وفي هذه السنة أنجد سيف الدولة ديسما وعاضده بعض الاكراد
فقصد سامس وملكها وخطب لسيف الدولة بها وكان السار غائباً بتاحية
باب الابواب مشغولاً يقوم خرجراً عليه هالك فلما عاد من باب الابواب
وأصاح أمره هناك وظهر بعدوه فقصد ديسما فاستأمن رجاله الى سار
وهرب ديسم ومضى الى ابن الديراني صاحب أرمينية مستجيراً به فقبله ثم
غدر به وقبض عليه وقيدته وحمله الى السار . فيقال ان السار سمله ثم قتله
وفيهامات أبو علي ابن شتاج وابنه بالري في وبأ حدث هناك

وفيهامات الصالح^(٢١) بين ركن الدولة وصاحب خراسان .

وفيهامات ورد أبو الفضل القاشاني صاحب ركن الدولة مع ابن أخت ابن
مالك برسالة عبد الملك بن نوح صاحب خراسان ياتمس أن ينفذ اليه خلع
ولواء على خراسان فمقد له الخليفة اللواء وسلمه مع الخلع الى ابن أخته الوارد
برسالته ورده مع أبي الفضل القاشاني وقاد أيضاً اليه فرسا وأضاف الى خلع
الولاية خلع منادمة^(٢٢)

(١) زاد صاحب التكملة . وفي هذه السنة سد ممر الدولة فوهة نهر الرقيل وسد
بنق النهروانات وحفر للخلاص محوله وشرع في سد بنق الرومانية بإدوريا . وقال أيضاً

﴿ ودخات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما خوطب أبو محمد المهلبى بالوزارة وأمر بذلك معز الدولة وخلع
عليه وزاد في اقطاعه

وفيهما خرج روزبهان بن ونداذ خرشيد الديلمى على معز الدولة وخرج
أخوه المسمى بيلسكا بشيراز وكاشفا بالمصيان وفعل مثل ذلك أخوه الآخر
أسفار بالاهواز وجاء روزبهان الى الاهواز وكان بها الوزير المهلبى ليحاربه
فاستأمن رجاله الى روزبهان وانحاز الوزير عنه . وورد الخبر بذلك على معز
الدولة فلم يكن يصدق بذلك لشدة ثقته به فانه هو الذى اصطنعه ونوّه
باسمه فكان خاملا وعظم قدره وكان صغيرا قبل ذلك من رجال موسى فيأذه
وصغار أصحابه . وأنفذ معز الدولة شيرزىل على مقدمته للحرب واضطرب
الديلم بأجمعهم على معز الدولة ^(٢١٥) اضطرابا شديدا وأظهروا أشياء كانت فى
نفوسهم عليه من العتب والاستبطاء وكشفوه وواجهوه بكل ما كره
وأخذوا يستأمنون . فقدم معز الدولة الابرزاجى الشرطة بواسطة وأنفذه اليها
وفى يوم الخميس لحس خلون من شعبان خرج معز الدولة من داره ببغداد متوجها
الى قتال روزبهان وزاد الامر فى استئمان الديلم الى روزبهان . وخرج الخليفة
المطيع لله منحدرا الى معز الدولة وذلك ان ناصر الدولة لما بلغه خبر روزبهان
وما عمله هو واخوته حدث نفسه ببغداد فوجه بابنه أبى المرحجى وآخر من
أولاده الى بغداد وبلغ ذلك معز الدولة فرد الحاجب سبكتكين من واسط
لضبطها وكتب الى مسافر بن سهلان (وكان بنهاوند متقلدا لها) يأمره

وانحدر روزبهان فى شهر رمضان لقتال عمران وجاء المهلبى الى زاوطلا لمعاونته وترك
روزبهان مجاربة عمران ومضى الى الاهواز ناصيا

بالتمجّل الى بغداد لمضامة الحاجب سبكتكين ببغداد . فشغب الديلم المقيمون ببغداد لطلب أرزاقهم فبعث اليهم . مسافر وسبكتكين ولشكر ورز ووعدهم بالمال فسكنوا وكان مسافر نزل في أعلى القطيعة وخرج سبكتكين الحاجب فنزل بباب الشماسية وهم على قنوط من [معز] الدولة . ومنع معز الدولة جميع الديلم من العبور لقنطرة أربق معه لما رأي من استئمانهم الى روزبهان ووكل بالقنطرة من يمنهم من عبورها قلة ثقة بهم^(٢١٦) وخوفاً من أن يندروا به ويشوشوا باقى عسكره لانه كان يتفق فيهم فاذا قبضوا النفقات صاروا الى روزبهان من فورهم فمأبر معه من الديلم الا ليلي بن موسى فيأذه وشيرزيل ابن وهري والحسن بن فناخسره فقط

وكان اعتماد معز الدولة على غلمان الاتراك لخارب روزبهان يوم الاثنين انسلاخ شهر رمضان نهاره كله الى ان سقط القوم^(٢١٧) ثم حمل بنفسه في غلمان داره وحضهم بأن قال : يا أولادى قد ريتكم تربية الأولاد فأرونى غناءكم الساعة . فحملوا معه حملة الصبيان الاغمار فلم يردهم شيء وانهمزم روزبهان وأصحابه وأسر روزبهان وبه ضربات وأسر كوركير وفتح اللشكري وأرسلان كور

﴿ شرح صورة هذه الحرب على سياقة من شاهدها ﴾

استوحش الديلم من منع معز الدولة اياهم من العبور فاجتمعوا عليه وقالوا له : ان كنا رجالك فاخرجنا نقاتل بين يديك فأنا لا نصبر ان نجلس مع الصبيان لحفظ سوادك ونرى الاتراك يقابلون عنك فتى ظفرت بمدوك خرجنا من المحمّدة ومتى ظفر عدوك فلحقنا العار والسبة . وكانهم سلكوا

في هذا الكلام مسلك الحيلة لإطلاق لهم العبور فيتمكنون من ^(٢١٦) كسر
عسكره والاستئمان الى عدوه فسألهم التوقف وقال : انما أريد ان أشام
القوم ولا أناجزهم فيما فعلت بالامس فاذا كان في غد باكرناهم باجمعنا على
تعيية واستعنا بالله وناجزناهم . وكان يدرّ عليهم النفقات وبواصل العطايا
ويكثر المدارة فامسكوا عنه وعبر معز الدولة وعبي غلمانة كراديس تتناوب
في الحملات الى وقت غروب الشمس فهناك قتل الاتراك وانقطعت حيلهم
وفنى شأبهم وشكوا الى معز الدولة وقالوا : ليس فينا فضل وقد أمسينا
فاستريح الليلة وتفرّق فينا الشباب ونباكرهم الحرب . فعلم معز الدولة
انه ان رجع عن هذه الحالة زحف روزبهان والديلم ونار من خاف وراءه
من أصحابه الديلم الذين كان يهتمهم فلا يمكنه الهرب وكان الهلاك فبكي
بين أيدي غلمانة وكان سريع الدمعة ثم سألهم ان تجمع الكراديس
كلها ويحملوا وهو في أولهم قائما ان يظفروا واما ان يقتل أول من يقتل
فطابوه بالشباب فقال : قد بقى مع الغلمان الا صاغر نشاب نخذوه وتوزعوه
وكانت عدة من الغلمان الا صاغر تحتم الخيل الجياد المتاق وعليهم الجُب
والتجافيف وكانوا سألوا معز الدولة ان يأذن لهم في الحملة نوبة في
الكراديس فلم يأذن لهم ^(٢١٨) وقال لهم : اذا كان الوقت الذي يصلح
لكم ما سألتكم اذنت فيه . فوجه اليهم بنقيب وأوما بيده أن اقبلوا ما يقول
النقيب ليأخذ الشباب منهم فلم يشكوا انه انما أوما اذاً لهم فيما كانوا
يسألونه ووعدهم به خملوا وهم مستريحون وكذلك خيلهم فصدموا صفوف
الديلم فكسروا بعضهم فوق بعض وصاروا من ورائهم وحمل معز الدولة
فوضع فيهم اللوت فكانت اياها وكتب بالظفر الى بغداد .

فورد على الديلم المقيمين ببغداد ما أدهشهم ولم يصدقوا به وقدروا
انه أرجف بذلك أرجافاً فكانوا يستهزئون استهزاء ظاهراً ويقولون « نعم
كانوا دجاجاً وضع عليهم مكبة فما ألبت أحد » وكانت نفوسهم اشترأبت
الى روزبهان فلما صبح عندهم الخبر ضمفت نفوسهم وانخذلوا . وأسرع معز
الدولة الانصراف ليلحق ببغداد قبل ورود أصحاب ناصر الدولة اليها فدخل
بغداد يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة بقيت من شوال ودخل داره ثم سار في
يومه ذلك في المساء الى معسكر الحاجب بياب الشمسية في زرب ومعه
روزبهان في زرب آخر مكشوفاً ليراه الناس وكور كبير في زرب آخر
واجتمع الناس على الشطوط فدعوا له وعلى روزبهان . وقد كانت العامة
محبين لايام^(٢١٩) معز الدولة وذلك لما كان منه في سد بئق نهر الرفيال
وسد بئق بادوريا فانه خرج بنفسه حتى سد هذا البئق وحمل الزاب بنفسه
في بركة قبائه حتى فعل جميع المعسكر مثل فعله وسد ذلك البئق ثم خرج
الى النهروانات فسد بئقها وكانت النهروانات قد بطأت وكذلك بادوريا
فلما سد بئقها عمرت ببغداد وبيع الخبز النقي عشرين رحلاً بدرهم فصالت
العامة الى أيام معز الدولة وأحبوه .

ومضى الامير معز الدولة ممتداً الى عسكره بقطر بل وكان أبو المرجى
وأخوه قد وصلا الى عكبرا ووصلت خيولهما الى البركان فلما بلغهما قدوم معز
الدولة وما جرى على روزبهان انصرفا من عكبرا الى الموصل وتبعهما الحاجب
سبكتكين فلم يلحقهما لا غذاذهما السير .

وحبس روزبهان بالصراة في حصن كان هناك فكان الديلم يحدثون
أنفسهم بكبس موضعه واخراجه وأشار أبو العباس مسافر على معز الدولة

بقتله فأبى وكره ذلك الى ان قال جماعة من ثقائه : انك ان لم تبادر الى قتله
أخذته الديلم غصبا وزالت الدولة وذهبت أرواحنا . فأخرج حينئذ بالليل
وغرق في سميرية أسفل دار الخليفة وورد الخبر بعد ذلك بظفر الاستاذ^(٢٢٠)
ابن العميد يملكاً أخى روزبهان وردّه الملك على أبي شجاع فناخسره بن
ركن الدولة . فانطوى ذكر روزبهان واخويه بعد ان اشتعل اشتعال النار
وانهار اليه والى أخيه بأسكاً الديلم وظنوا انهم قد نقلوا ملك بني بويه والله
الامر من قبل ومن بعد . ثم ان معز الدولة أسقط الديلم الروزبهانية وقبض
على جماعة من قواده وأعرض عن سائر الديلم وأقبل على الأتراك واصطنعهم
وكتب بالفتح الى الامصار

﴿ ودخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما ورد الخبر بموت السلار المرزبان بأذربيجان في شهر رمضان
وكانت وفاته بفساد المزاج فلما يأس من نفسه أوصى الى أخيه وهسودان على
ان يكون الرياسة له ثم من بعده لابنه جستان وكان قد تقدم الى أصحاب
قلاعه الموكلين بحفظها ان حدث عليه حدث الموت الا يسلموها الا الى
جستان ابنه فان حدث به حدث الموت فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه
ناصر . وكان له ولد رابع يقال له كيخسره^(٢٢١) فلم يذكره لصغره وقال « فان
لم يبق من هؤلاء أحد فسلموها الى أخي وهسودان » ولما وصى الى أخيه
وصيته هذه عرفه علاماته التي بينه وبين أصحاب قلاعه فانفذ وهسودان^(٢٢٢)
بعلاماته وخاتمه الى المرتبين في القلاع في تسليمها اليه فابوا عليه وأظهروا
وصيته المستورة . وكان ابراهيم بن المرزبان متزوجاً بابنة وليكين بن خرشيد

وهو من أكابر الديلم وكان ولسين هذا محبوسا من جهة المرزبان باردليل فلما مات المرزبان خاطبته زوجته في أبيها وحملته على ان يمضى بنفسه ويخرجه من محبسه فركب وأخرجه من غير استئذان عمه وهسودان فاستوحش وهسودان وفكر في مخاللة أخيه له في الوصية وفي اقدم ابن أخيه ابراهيم عليه وإخراجه ولسين من محبسه بغير اذنه فساء ظنه وخرج من أردليل كالهارب الى الطرم فاستولى جستان على ممالك أبيه وأطاعه أخواه ابراهيم وناصر وقلد وزارته أبا عبد الله النعماني وتوافق اليه قواد أبيه الا جستان بن شرمزن فانه تأخر عنه وفكر في التغلب على ناحية أرمينية وكان واليا بها . وأخذ وهسودان في التضريب بين أولاد أخيه وتفریق كلمتهم واطماع أعدائهم فيهم والتشفي بما عومل به حتى اضطرب عليهم عسكرهم وطالبوهم بما لا يتسمون له حتى تمكن منهم وقتل بعضهم وحرص على من لم يمكنه قتله حتى بلغ ما أراد واشتفى وزاد (٢٢٢)

وفي هذه السنة كثر ببغداد أورام الحلق والماشرا وكثر الموت بهذين الضربين (١) وموت الفجأة وكل من اقتصد انصبت الى ذراعه مادة حادة عظيمة يتبعها حتى حادة فيحتاج الى بط وما سلم أحد ممن اقتصد . وكانت شتوة هذه السنة دفيّة عادمة الامطار وحكى أهل البحر ان البحر نقص في هذه السنة ثمانين باعا وانه ظهر لهم جبال وجزائر لم يعرفوها ولا سمعوا بها قط وكانت زيادة دجلة في هذه السنة يسيرا نحو عشرة أذرع وكان بالرى ونواحيا زلازل عظام مات فيها من الناس ما يعظم مقداره ويكثر عدده (٢)

(١) لعله « للرضين » (٢) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة خرج أبو الحسين ابن مقله الى كربلا لزيارة وبه فالج فمات في طريقه وأعيد الى داره ودفن في مربعة أبي

﴿ ودخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها كثرت الزلازل ببغداد وحلوان وبلدان الجبل وعظم أمرها
بالجبل خاصة فخرت الابنية وقتلت الخلق^(١)

وفيها شغب الأتراك والديلم بالموصل على ناصر الدولة وزحفوا الى
داره وأرادوا الفتك به فحاربهم بنلمانة وبالعامة وظفر بهم وقتل بعضهم في
الوقعة وقبض على جماعة وهرب الباقون الى بغداد

وفيها ورد الأمير أبو منصور بويه بن ركن الدولة الى بغداد يخطب ابنة
معز الدولة ومعه أبو علي ابن أبي الفضل القاشاني وزيراً ومعه أبو القاسم
اسماعيل بن عباد يكتب له على سبيل^(٢٢٣) الترسل . فلما كان ليلة السبت
لليستين خلنا من جمادى الأولى زُفَّت بنت معز الدولة الى أبي منصور بويه
ثم حملها الى إصبهان

وفيها خرج معز الدولة نحو الموصل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من
جمادى الآخرة وعبر من باب الشماسية الى قطربل وضرب مضاربه هناك
وعزم على قصد الموصل لمحاربة ناصر الدولة وأولاده لما كان منهم في قصد

عبيد الله . وزاد صاحب تاريخ الاسلام . وله تسع وثلاثون سنة (١) زاد صاحب تاريخ
الاسلام : وكان بالرى ونواحها زلازل عظيمة وخسف بلد الطالقان في ذى الحجة ولم
يفت من أهائها الا نحو ثلاثين رجلاً وخسف بخمسين ومائة قرية من قرى الري واتصل
الامر الى حلوان تخسف بأكثرها ودمرت الارض عظام الموتى وتفجرت منها المياه
وتقطع بالرى جبل وناقت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها
وانخرقت الارض خروفا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هذا نقل ابن الجوزي
قاله أعلم . وقال أيضا . وفي سنة ٣٤٧ عادت الزلازل بحلوان وقم والحبال فالتفت خلفا
عظما وهدمت الحصون وجاء جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات والاشجار .

ممالكه والطمع فيها بعد الصلح والموادعة وتردّدت الرسل فامر معز الدولة ان تُكتب عنه توبيخات وتهجينات عنيفة شديدة وأمر أن تُقرأ وتُسوّف أجوبتها

﴿ ذكر هذه التوبيخات ﴾

قال فيها : أنت ذاكر ماجرى عليك من تسكين الشيرزادي فانه أخرجك من نعمتك وكاد يأتي على مهجتك فليجأت الى بعد عداوة سبقت لامنك لي ومنازعة نازعتنيها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء فاطرحت لاحقاد واعتفرت الذنوب وآثرتك على تسكين وهو اذ ذاك يبذل لي الخدمة والطاعة وحمل المال واقامة الخطبة ولا يلتمس مني الا ترك الدخول بينك وبينه والا انصراف عن النصرة لك عليه فأثرتك . وأثقت كاتبني وعسكري باموال أنفقها ومؤون تكلفتها^(٢٢٤) حتى أخذت بناصيته وسلمته اليك فشفيت صدرك منه وعدت الى وطنك . ثم حصلت في يد وزيرى الصيمري حصول المستجير الذليل فوفي لك ولو شاء لأسرك واشتمل على بلادك وفلاحك . وظننت انك تعرف الى حق هذه النعمة وأطالب نفسك عليها بالمجازاة فاييت الا غدرآبي وتقييحا في معاملي . وليتك لما لم تعمل عمل الاصدقاء لاوفياء عملت عمل الاعداء الخزماء فكأبتني تعرض نفسك على في النأبة العظيمة التي نابتنى في أوثق الناس عدى وتبذل لي معاوتك فكنت تنفذ عسكري الى تكريت على انه مدد لي فان لاح لك استظهار مني تحمّدت على وتودّدت اليّ وان لاح لك استظهار على أظهرت ما في نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة . ثم اتبع هذا القول بالتوعد والتهديد بالمسير الى أعماله واستيصاله .

﴿ الجواب عن هذه الرسالة ﴾

انك قد صدقت في جميع ما عددت واني معترف به ووالله ما كان عن رأي ولا أمرت به والسكنى شيخ لي أولاد أحداث يخالفوني في تديرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأي لمن لا يطاع . وتمت الموافقة بينه وبينه على تعجيل ألفي ألف درهم فمجلها له ^(٢٢٥) والتزم مثلها في كل سنة فظهر معز الدولة الرضاء ضرورة لانه كان غير واثق برجاله ولان أعماله اختلفت بتلك الفتنة فعاد الى داره . ثم أخر ناصر الدولة المال الثاني لان الاول كان في سنة ست فخرج معز الدولة اليه وسار ناصر الدولة الى نصيبين ودخل معز الدولة الموصل وسار الى نصيبين وخلف سيكتكين بالموصل . وأتخذ سرية الى سنجار لانه بلغه ان أبا المرجي وهبة الله ابني ناصر الدولة بها وبلغهما خبر السرية فانصرفا وقد كان أعجلهما الامر فتركا خيمهما وجميع معسكرهما بحاله ولم يمكنهما حمل شيء فاسرع الديلم الذين كانوا في السرية الى الغارة والنهب

﴿ ذكر عجلة واضاعة حزم ﴾

ان الديلم نزلوا في خيم أبي المرجي وأخيه فعادا وكبسا العسكر واستأسرا جماعة وقتلا جماعة وكان ممن قتل ابن ملك الديلم المعروف بسلاجشم قتله هبة الله ووقع في الاسر شيرزاد وشير مردى وعدد كثير

﴿ ذكر السبب في هذه النكبة وضعف ﴾

﴿ معز الدولة بعد الاستعلاء ﴾

كان من عادة ناصر الدولة اذا تنحي من بين يدي معز الدولة الا يترك في البلد لا كاتباً ^(٢٢٦) ولا دليلاً ولا أحداً ممن يعرف تقع السلطان وضربه ويحشرهم

الى قلاعه مع حساباته ودواوينه ثم يأمر الصماليك والعرب أن يتصرفوا
 البلد ويغنموا العلافه ومن يخرج لطاب العلف والطعام الا أن يكون معهم
 عسكر قوى فاذا رأوا عسكراً قويا لم يظهروا ولم يتعرضوا وكان غرضه في
 ذلك أن يضيق المير والعلوفات فينصرف عنه معز الدولة ففعل ذلك في هذا
 الوقت . وبلغ معز الدولة كثرة الغلات بنصيبين وكانت للسلطان فقصدها
 وخلف حاجبه سبكتكين بالموصل فلما صار ببرقعيد بلغه أن أبا المرحي وهبة الله
 ابني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فعمل على كبسهما وندب لذلك جماعة من
 القواد الكبار وجعل الرئيس عليهم تكين الجامدار وكان غلاماً أمرد وضىء
 الوجه منهم كما في الشرب لا يعرف الصحو ولا تقدمت له حُسكة فاشار الوزير
 المهلبى ألا يخرجهم في مثل هذا الوجه وان يعدل الى أحد مشايخ القواد فلم يقبل
 منه وأنفذه في خمسمائة رجل فاشرفوا على أبي المرحي وهبة الله فارهقوها عن
 تقويض الخيم واستصحب شيء من رجالهما وافتلنا على ظهور دوابهما وتركوا
 جميع ما لهم^(٢٢٧) فأنهيه العسكر . ثم تعجل اصحاب معز الدولة الى الخيم وتركوا
 الحزم فزولوها واستقروا فعطف عليهم أولئك وصارت الكبسة لهم فقتلوا
 وأسروا وغنموا ما شاؤا . وبقي معز الدولة في عدد يسير ببرقعيد في طريقه
 الى نصيبين فكتب الى بغداد يستدعي المساكر فتعجلوا وتلاحقوا اليه فلما
 قويت عدته سار من برقعيد الى نصيبين وسار ناصر الدولة من نصيبين الى
 ميافارقين وفض جيشه عنه بأسره وصرفهم فصار جميعهم الى معز الدولة في
 الأمان واستأمن أبو زهير اخو ناصر الدولة الى معز الدولة ورحل ناصر
 الدولة من ميافارقين الى حلب مستجيراً بأخيه سيف الدولة فلتقاه أخوه
 باجل تلقى وقبله احسن قبول وخدمه بنفسه حتى تولى زرع خفيه بيده . وكان

حامد بن النمير توجه من قبل معز الدولة الى الرحبة فهزم من كان بها من جيش ناصر الدولة

وكان طريف الخادم وهزارمرد وهما غلاما ناصر الدولة يتطرقان الموصل في الجانب الشرقي منها كل يوم ويلتقطان عمال معز الدولة ويأخذان العلافه من عسكر الحاجب ويمنعان ورود^(٢٢٨) شيء الى الموصل حتى صارت محاصرة واخذوا من الثمنار من عمال معز الدولة رجلا يعرف بعلي بن الصقر وحمله الى القلعة ثم كبسا الحديدية وكان فيها محرز حاجب الوزير ابي محمد الماهدي وأبو العلاء ابن شاذان يتفقد عيالتها فقبضا عليهما ثم اطلقا محرزا وحمله ابا العلاء الى القلعة

وكان معز الدولة راسل كافور الخادم بمصر بأمره بمحمل مال الى الحضرة فحبس كافور الرسول حبسا جميلا وطاوله وبث جواسيسه لتعرف الاخبار فلما عرف انصراف معز الدولة عن ذلك الوجه الى بغداد رد الرسول خائبا . وورد عمرو النقيب من قبل ناصر الدولة الى نصيبين وسفر في الصلح وطال الخطب بينه وبين معز الدولة فلم يتم الصلح فلما رأي عمرو الصورة استأمن الى معز الدولة وأقام بحضرته ولم يعد الى ناصر الدولة . ثم ترددت رسائل بين معز الدولة وبين سيف الدولة وتوسط بين أخيه وبينه حتى تقرر ما بينهما ورجع معز الدولة من نصيبين قاصدا الموصل

﴿ ذكر اتفاق صعب غير محتسب ﴾

لما صار معز الدولة بين المونسية وآذرمة في اليوم الخامس عشر من شباط^(١) هبت ريح باردة^(٢٢٩) مغربية ووقع دمع قتل في ساعات يسيرة

من النهار عدد عظيم من عسكره ولحق معز الدولة غشية وكاد يتلف من كثرة ما عليه من الوبر والخز . فقلع أهل العسكر سقوف آذمة وأبوابها وأوقدوها فاطلق معز الدولة لاهلها ثلاثة آلاف درهم لبيتاعوا بها مكان ما أخذ من اتقاضها

﴿ ذكر تدبير سيء ورأى ظاهر الفساد رآه معز الدولة ﴾

﴿ بعد فراغه من روزبهان ادى الى تخریب المملكة ﴾

(وسوء عاقبة الاولاد والرعية)

دبر معز الدولة عند فراغه من حرب روزبهان ان يطرد الديلم الروزبهانية يسك من لم يفارقه منهم وان كانوا متهمين عنده وكان وعدم لامشرة ثلاثة في اصول اموالهم وظن انه ان وفي للكل لم يتسع له مع ان الفتح الاترك وكان مائلا اليهم بالهوى قبل الاستحقاق فكيف بعد هذا الاثر العظيم ! فابتدأ يجازى الاترك بالاحسان ففقد منهم جماعة واستحجب جماعة ونقب جماعة ورفع كل طبقة الى ما هو اعلى منها ونفى الديلم الروزبهانية ليتوفر عليهم ما لهم ويصير ذلك بازاء ما يلزمه لاصحابه الديلم من الزيادات . فاخرجهم الى الاهواز وكتب الي وزيره المهلبى بجمعهم^(٢٣٠) من جميع النواحي والاعمال والتوكيل بهم والمسير معهم الى آخر الحدود لينفروا حيث شاءوا . فدفع الوزير من ذلك الى خطة صعبة وحال مخاطرة عظيمة لان القوم كانوا ذوي عدد وعدة الا انه تطف واحسن التدبير حتى اخرجهم زمرة بعد زمرة

ثم حمل معز الدولة الاترك على التحسب على الديلم وتعميرهم بشق العصا وخلع الطاعة وتقريرهم بهذا ونحوه وان عدد الاترك مع قتله وفوا بهم حتى قهروهم واذلهم . ثم رسم للاترك رسوما صار سببا لضراوتهم وطلب الاموال

والغالب على الاعمال والتسحب على المال وذلك انه امر بتسبيب ما يستحقونه على واسط والبصرة والاهواز واخرجهم طبقة بعد طبقة على النوبة لاستيفاء أموالهم ولمن وراءهم من رفقاتهم المقيمين وان يقام لهم نزل ياخذونه راتبا في كل يوم الي ان يستوفي ماله ومبلغه عشرة دراهم لكل غلام في كل يوم وعشرون درهما لمن كان نقيبا وأراد ان ينفعهم عاجلا لا مؤبداً . واقترح عليه من ذلك باب من الفساد كان اضرعاه من زيادة أوزارها في أصول استحقاقاتهم وذلك انهم اثروا أن تتأخر أموالهم المسببة لتكثر أيام مقامهم^(٢٣١) وصيروا اصول أموالهم بضائع يتجرون فيها واذا راج لهم من مال تسببها لم ينسبوا شيئا منه الى الاصل وقد بقي لهم درهم واحد ويستروح العمال الى اطلاق الشيء بعد الشيء لئلا يرهقوا بالمال جهة فرما أقاموا ستين وثلاثة وحدات التجارات في صدورهم وإجازة ما يحصل لهم في الطريق بغير ضريبة ولا مؤونة ثم تجاوزوه الى الدخول في التلجج فلما كوا البلاد واستطالوا على العمال وحاموا على التجار ومن انتصم بهم فضغنت أيدي العمال واستعبدوا الناس واستمر ذلك وازداد الى اليوم

(ودخلت سنة ثمان وأربعين وثمانائة)

وفيها وافى أبو محمد الفياضى كاتب سيف الدولة الى الموصل في المحرم وتقرر الامر على أن عقدت الموصل وديار ريعة والرحبة على سيف الدولة بالثمن الف درهم وتسعمائة الف في السنة وذلك لان معز الدولة لم يستجب الى عقدها على ناصر الدولة وعلى أن يقدم من ذلك الف الف درهم ويطلق لاساري الذين أسروا بسنجار . فلما تقرر هذا انحدر معز الدولة وتأخر الوزير المهلب والحاجب سبكتكين بالموصل والجيش بأسره معهما^(٢٣٢) الى أن يحمل

مال التعجيل ثم وردا مع الجيش ومع أبي محمد الفياضى كاتب سيف الدولة
﴿ ذكر انحدار معز الدولة والسبب فيه بعد ﴾
(تحككه من ديار ريعة ومضر)

كان السبب في اصعاده الاضاقة الشديدة التى لحقته بعد الامور التى
ذكرناها وتأخر أموال الجمول عنه فعلم ناصر الدولة بذلك فانهزم من بين يديه
وقال لاصحابه : اذهبوا حيث شئتم فاني لا أقف للحرب فاستأمن اصحابه الى
معز الدولة كما كتبنا فيما تقدم فازدادت اضاقة معز الدولة ولم يمكنه ضبط
النواحي ولا الحماية وتقاعد الناس باداء الخراج احتجاجا بأنهم لا يصلون الى
غلاتهم وطلبوا الحماية واضطر معز الدولة الى الانحدار ولكن له أنف وأقام
على كرهه ومشقة فلما ورد عليه رسالة سيف الدولة استراح اليها وأجابه بالشكر
الجميل وشكا اليه أخاه وقلة وفائه والغدر به مرة بعد مرة وقال له : ان
ضمنته أنت أجبت . فضمنه وانحدر معز الدولة

(وفى هذه السنة انقطعت الجمول من واسط الى البصرة والاهواز)

(ذكر السبب في ذلك)

السبب في ذلك ما كنا ذكرناه من استيلاء الاتراك واستغنائهم العمال
ومضايقتهم ايام حتى اضطروهم الى بذل المرافق^(٢٣٣) الكثيرة لهم فاقتنوا
الاملاك وحاموا على قوم على سبيل التلاجيء فتغلبوا على حقوق بيت المال
وصار العمال يعولون على العلمان الاتراك في أخذ حقوقهم على التناء فيتنجزونها
كما يتنجزون تسيبائهم وتشبه بهم الديلم واصطالح الفريقان على هذا السبيل
فكسروا على السلطان حقوقه . واجتمع العمال بذلك فكسروا أصول العقود
وسألوا إزالة ما دهمهم فلم يمكن ذلك وصارا بمنزلة الداء الذى لا يرجى حسمه

لان الديلم كانوا مستوحشين ومتفرقين والأتراك متطاولين مدلين فلو قموا
لصارت كلمتهم مع الديلم واحدة . فجرى الرسم بأن ينقل ما رفعه العمال من
فاضل ما عليهم الى السنة التي بعدها وحصل الوزير وكل من دبر فيه تدبير
متعرضا لسفك دمه وذهاب نفسه الا ان هذا الفساد كان في أيام معز الدولة
كالطفل الناشيء لهيبته وبقية حشمته ثم ظهر الافراط بعد علي أولاده ولما
أتي عليه الزمان بعد وفاته

وفيها خلع السلطان على الأمير أبي منصور بختيار بن معز الدولة وعقد
له لواء وقلده إمرة الأمراء ولقبه عز الدولة^(١)

وفيها أُنقذ لواء وعهد الي أبي علي^(٢) [محمد] بن الياس وكان السفير في
ذلك كله القاضي أبو بكر أحمد بن سيار الصيمري وفيها مات أبو الحسن محمد
ابن أحمد المافروخي وكان يكتب لمعز الدولة وكتب له بعده أبو محمد علي بن
عبد العزيز المافروخي مدة شهر ثم استعفى وانصرف وتقلد مكانه أبو بكر
ابن أبي سعيد

وفيها كانت وقعة بين علي بن كامه ابن أخت ركن الدولة وبين يستون
ابن وشمكير فكانت على يستون

وفيها غرق الحاج الواردون من الموصل وكانوا في بضعة عشر زورقا

(١) زاد فيه صاحب كتاب العيون : واستكتب له ابا الحسن المافروخي الاصباهي
وزوجه بابة أبي منصور لشكرورز بن سهلان فماتت بعد الاجتماع والانتقال وقد كان
زوجه بابة روزبهان فانقطعت بعصيان أبيها العلاقة بينه وبينها ثم خطب له ابنة أبي علي محمد
ابن الياس صاحب كرمان وانقذ في ذلك أحمد بن سيار الصيمري القاضي فتمت الوصلة ولم
تقع النفقة . وقال أيضا : وفي هذه السنة توفي لشكرورز بن سهلان بعلة القوانج وتبعث
وفاته وفاة أخيه مسافر بن سهلان بنهاوند في هذه السنة وكان بين وفاتهما أمدا قريب

(٢٣٥) نمرة الاصل (سنة ٣٤٩ هجرية) (١٧٧)

كباراً فيها من الرجال والنساء نحو الف نسمة
وفيهما غزا الروم المساميين فأسروا وقتلوا وسبوا^(١) وانصرفوا وذلك
في طرسوس والرها

(ودخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة)

وفيهما ورد الخبر بأن صاحب خراسان قتل رجلاً من قواده يسمى
بختكين [وكان] من وجوه قواد الاتراك فاضطربت خراسان لاجله
وفيهما ورد الخبر بأن ابناً لعيسى بن المكتفي بالله ظهر بناحية أرمينية
وتلقب بالمستجير بالله يدعو إلى المرتضى من آل محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولبس الصوف وأمر بالمعروف [ونهى عن المنكر] . وكان هذا
الرجل مضى إلى بلد الجبل فاستنصر بجماعة من الديلم المعروفة^(٢٣٥) والمسودة
والمتسين إلى مذهب السنة من مذاهب المسلمين فخرجوا معه وصاروا إلى
آذربيجان فغلب على عدة بلدان منها ما كان في يد سلار الديلمي . ثم ورد
الكتاب في شهر رمضان من جهة ابن سلار بأنه أوقع بهذا الرجل المتلقب
بالمستجير بالله فأسره وقتله

(ذكر السبب في خروجه وسرعة هلاكه)

كان السبب فيه أن جستان بن المرزبان ترك طريقة أبيه في سياسة
الجيش وتوفر على النساء واللعب ثم أدخلهن في التدبير . وكان جستان بن
شرمزن تحصن بسور أرمينية وكان وهسودان بالطرم ويضرب بين أولاد

(١) قال صاحب التكملة : أسروا (الروم) محمد بن ناصر الدولة من نواحي
حلب وأسروا أبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين ابن عبد الملك بن بكر بن الهيثم وغلمانه
من سواد حران

المرزبان كما حكينا فيما تقدم . وكان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي واتفق بين النعيمي وبين كاتب جستان بن شرمزن وهو أبو الحسن عبيد الله ابن محمد بن حمدويه مصاهرة فلما قبض جستان بن المرزبان على النعيمي استوحش صهره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وحمل صاحبه على مكاتبة أخي جستان وكان يومئذ بأرمية وأطمعه في أموال عظيمة ووعد أنه يقوم بين يديه وينصره بجيشه الذين جمعهم ويقيم مقام أخيه فعمل إبراهيم على ذلك وأشار عليه نصحاؤه بالآ فعل^(٢٣٦) فخالقهم وركب هواه وسار إلى أرمية واجتمع مع جستان بن شرمزن وكاتبه أبو الحسن عبيد الله بن حمدويه ووعدهما بكل ما سكتا إليه فصاروا إلى المراغة واستولوا عليها . وقد كان جستان ابن المرزبان صار إلى بردعة فلما عرف خبر أخيه إبراهيم وانحيازه إلى جستان ابن شرمزن عاد إلى أردبيل فراسل ابن شرمزن وكاتبهما ومناهما ووعدهما باطلاق النعيمي وبذل لهما كل ما اقترحاه فعاد إلى موالاته وترك إبراهيم وانصرفا عنه إلى أرمية واخلفاه في كل ما كانا بذلاه فلما رأى إبراهيم ذلك عاد إلى أرمية وبقي جستان بن شرمزن وكاتبه يطمعان كل واحد من الاخوين أغنى إبراهيم وجستان ابني المرزبان أنهما معه حتى استكملا بناء سور أرمية وقلعة في داخلها منيعة واستكثرا من جمع الاقوات والآلات . وظهر للاخوين معاناة ابن شرمزن في النفاق والعداوة فتراسلا وتصالحا وعملا على أن يجتمعا ويقصدا . واتفق أن هرب أبو عبد الله النعيمي من حبس جستان بن المرزبان وصار إلى موقان وكاتب ابن عيسى بن المكتفي بالله المتلقب بالمستجير بالله وأطمعه في الخلافة وأن يجمع له من الرجال من يستولي بهم على آذربيجان فاذا قوي بالمال والرجال^(٢٣٧) قصد العراق . فسار المستجير بالله في نحو

ثلاثمائة رجل من المسودة ولم يكن بعد تمكن ولا اجتمع له من الرجال ما اراد فلما اطعمه النعيمى صار اليه واجتمع معه وصار أيضا اليه جستان بن شرمزن في عسكره فقوى به وقلده أمر عسكره وبايعه الناس . وسار اليه جستان و ابراهيم ابنا المارزبان في جموعهما فلما عبي جستان عسكره تقدم اليهم بان يلزموا مصافهم ويحفظوا نظامهم ولا يحملوا حتى يأذن لهم وكان معهم الفضل بن أحمد الكردي القحطاني وهم صنف من الاكراد ومع جستان الصنف الآخر من الاكراد الذين يعرفون بالهداiane وتلقاهم الهداiane وابتدأوا بالحرب فالتقض على جستان بن شرمزن صفوفه فخرج من موضعه الذي كان فيه مع الديلم لينكر على الفضل مخالفته اياه ويرده الى موضعه فوجده قد أبعد فاتبعه فهاشك أصحابه في انهزامه فاقتفوا اثره وصحت الهزيمة . وركب الهداiane وأصحاب جستان و ابراهيم اكتفهم واضطر جستان بن شرمزن الى الانصراف الى ارمية وظفر باسحق بن عيسى بن المكتفى بالله ولم يدر ما فعل به الا اني سمعت بقتله وسمعت بموته خفف أنفه في الحبس

وتم لو هسودان تفريق كلمة بنى أخيه وذلك ^(٢٣٨) انه استزار ابراهيم فلما صار اليه أكرمه ووصله بجوائز كثيرة وجمله على دواب وكاتب ناصراً واستغواه حتي صار الى موقان مفارقا لأخيه ووجد الجند سبيلا الى اقامة سوقهم والمطالبة بالاموال فقارق أكثرهم جستان وصاروا الى ناصر فقوى وسار الى أردبيل فملكها والجا أخاه جستان الى القلعة المعروفة بالنير . ثم اجتمع الديلم والاكراد على ناصر يطالبونه بما لا يفي به وقعد به عمه وهسودان فعلم حيثذا ان وهسودان عمه كان يغويه وعرفا جميعا مغراه فتراسلا وتصالحا وسلم ناصر الامر الى أخيه جستان فنزل من قلعبه وصارا جميعا الى أردبيل

على اضافة شديدة لنفاد الاموال وكثرة المتغلبين على الاطراف فاضطرا الى الخروج الي عمهما وهسودان مع والدته جستان بعد أن توثقوا منه بالايمان الغليظة والعهود فلما حصلوا تحت قبضته حبسهم ونكث واستولى على العسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل بن وهسودان وسلم اليه أكبر قلاع شميران وأخرج الاموال وأرضي الجند وجعل ابا القاسم شرمزن بن ميشكي صاحب جيشه وأخرجه الى أردبيل . وكان ابراهيم قد صار الى أرمينية فتأهب^(٢٣٩) لمنازعة اسمعيل ومحاربتة ولاستنقاذ أخويه جستان وناصر من محبس عمهما وهسودان وكان وهسودان قد ضيق عليهما وأساء كل الاساءة اليهما فلما عرف وهسودان اجتماع ابراهيم على حرب اسمعيل واجتماع خلق من الديلم معه بادر بقتل جستان وناصر وأمهما وأتى على كل من يقرب منهم ويخاف ناحيتهم وكاتب جستان بن شرمزن والحسين بن محمد بن الرواد بقصد ابراهيم وأنفذ اليهما مديداً من جهته فاستجابا له وزحفوا اليه وزحف اسمعيل فهرب ابراهيم الى أرمينية وكان جستان بن شرمزن قريباً منه فاستولى على عسكره وملك المراغة وأضافها الى أرمينية

وفيها غزا سيف الدولة في جمع كثير فأثر في بادن الروم آثاراً عظيمة وأحرق وفتح حصونا وحصل في يده سبي كثير وأسارى وانتهى في غزوه الى خرشنة فلما أراد الخروج أخذ الروم عليه المضايق فما تهيأ له ان يتخلص الا بجهد عظيم هو ونحو ثلاثمائة غلام وهلك باقي أصحابه أسرا وقتلا وارتجع منه السبي كله والأسارى والغنيمة وأخذ جميع خزائنه وسلاحه وكراعه وقتل من أوجوه الذين [كانوا] معه حامد بن النمى وموسى بن سيا كان والقاضى أبو حصين^(٢٤٠) وكان معه من المسلمين ثلاثون ألفاً وأخرج أهل طرسوس

من طريق آخر فسلموا

ذكر السبب في سلامتهم ومصاب سيف الدولة
كان هذا الرجل أعنى سيف الدولة ممجبا يجب أن يستبد برأيه والا
تحدث نفسان انه عمل برأى غيره وكان أشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج
منهم لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه
وشحنوه بالرجال فلم يقبل منهم ولج فأصيب المسلمون بأرواحهم وأصيب
هو بماله وسواده وغلمانه

وفيها استأمن أبو الفتح المعروف بابي العربان أخو عمران بن شاهين
وصار الى واسط بحرمه وعياله وولده لانه خاف أخاه ودخل بغداد في
ذي القعدة ولقى معز الدولة

وفيها أملاك أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي^(١) بانيه الوزير
أبي محمد المهدي

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي^(٢)
وفيها اسلم من الأتراك نحو مائتي الف خرگاه

وفيها انصرف حاج مصر بعد ان قضوا حجهم فنزلوا في واد بمكة فلما
كان بالليل حملهم الوادي وهم لا يشعرون ففرق اهل مصر وكانوا عددا

(١) قال صاحب التكملة: وفي هذه السنة انحدر أبو أحمد الشيرازي كاتب المستكفي
بالله الى شيراز فقبله عضد الدولة واقطع ابنه أبا الفضل مائة الف درهم وحصن به
(٢) وقال فيه صاحب كتاب العيون: وأنزله معز الدولة دار حسنة على دجلة
وأطلق له ضياعه القديمة التي كانت لآبيه في السواد وأقطعه اقطارا بمشيرة الاف دينار
ورسمه بمئذنته ولم يزل مصونا مكرما مجتمع الشمل مع اخوته وولده متمتعا بملاذه
متمتعا بملاذه وأوطاره الى أن توفي

كثيرا جدا وكبسهم الماء مع امتعتهم الى البحر^(٢٤١)

﴿ ودخلت سنة خمسين وثلثمائة ﴾

فيها اشتدت علة معز الدولة وامتنع عليه البول فاشتد جزعه وقلقه واستدعى الوزير ابا محمد المهلبى فى الليل والحاجب سبكتكين فاصالح بينهما عن وحشة قديمة وبكى وندب على نفسه على عادة الديلم فلما كان آخر الليل بال دما بشدة ثم تبعه رمل وخف ألمه فلما كان من الغد وهو يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سلم داره وكراعه وغلما نه الى ابنه عز الدولة وفوض اليه الامور وجمع المهلبى الوزير والحاجب سبكتكين على الوصاية به وخرج فى عدة يسيرة من غلما نه وخاصته ليمضى الى الاهواز

﴿ ذكر سبب هذه الحركة والخروج بعد ظهور ﴾

﴿ الصلاح والبراء من المرض ﴾

كان سبب ذلك استشهاده ان بغداد هى التى أحدثت له الاسقام وهى التى افسدت عليه صحته وتذكر ايام مقامه بالاهواز وهى ايام شبابه ووفور قوته وظن أن الاهواز هي التى كانت تجلب له الصحة وانها توافقه فوصى الحاجب سبكتكين والوزير المهلبى بابنه عز الدولة وبالجيش وغيره مما كان فى نفسه وانحدر الى كلواذى . فلما صار بها أشار المهلبى بان يقيم ويتأمل أمره ويفكر فيه ولا يعجل فأقام بكلواذى وأخذ^(٢٤٢) فى تقدير بناء قصر ثم انتقل الى الشفيعي وقدر هناك البناء ثم انتقل منه الى قطربل لانها أعلى بغداد والهواء والماء هناك اصفى واعذب وعمل على ان يبنى من حد قطربل الى باب حرب قصرانم صاح من عاتيه وابو محمد المهلبى فى كل ذلك بماله ويصرف رأيه لعلمه بكثرة المؤن والنفقات التى تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لايزعاجهم

من اوطانهم ومألفهم ولكرامية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها فلم يزل به حتى صرف رأيه . ولما علم انه لم يكن من البناء بد [فيجب] ان يكون متصلا ببغداد من اعاليها ليكون هواؤه ومأؤه اصح وانظف انزله في البستان المعروف بالصيمري وهو في اعلى بغداد من الجانب الشرقى بقصر فرج واخذ في هدم ما يلية من العقارات وابتاعها من اهلها الى حدود ربيعة الدور وكلف ابا القاسم ابن مكرم و ابا القاسم ابن جستان العدلين ابتاع العقارات المجاورة له . واصلىح ميدانا على طول دجلة وبني الاصطبلات على نهر مهدي وقلم الابواب الحديد التي على المدينة (مدينة ابي جعفر المنصور) والتي بالرصافة وعلى شارع نهر الملى ونقلها الى داره ونقض قصور الخلافة بسر من رأي وسور الحبس المعروف بالحديد وبني به داره وبالأجر الذي استعمله وطبخه في الاتنين ووثق البناء واختيرت له الآلات^(٢٤٣) والجص والنورة وبالغ في الاحكام وجلب له البناءون الحذاق المشهورون من جميع البلدان الكبار من الاهواز والموصل واصبهان وبلدان الجبل وغيرها . ونزل [سفلا في الارض] لبعض الاساسات ستا وثلاثين ذراعا ورفعها الى وجه الارض بالنورة والاجر الى ان ارتفع فوق الارض باذرع . ولزمه على هذا البناء الى ان مات ثلاثة عشر الف الف درهم صادر فيها أسبابه سوي ما لم يشتره من الآلات التي ذكرناها والتي لم نذكرها . وكان مقبلا طول المدة في بستان الصيمري ثم انتقل الى الدار التي بناها في يوم الاثنين ثمان بقين من ذي القعدة سنة ٣٥٠ قبل أن يستتم بناؤها^(١)

(١) وفي تاريخ الاسلام : فقد درست هذه الدار من قبل سنة ٦٠٠ ولم يبق لها أثر وبقي مكانها دحلة يأوي اليها الوحوش وشيء من الاساس يعتبر به من يراه

وفيه مات أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي رحمه الله ومنه سمعت كتاب التاريخ لابي جعفر الطبري وكان صاحب أبي جعفر قد سمع منه شيئا كثيرا ولكني ما سمعت منه عن أبي جعفر غير هذا الكتاب بعضه قراءة عليه وبعضه اجازة لي وكان ينزل في شارع عبد الصمد ولي معه اجتماع كثير. وفيها مات قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله ^(١) وقبضت أملا كما وصودر محمد الحاجب غلامه وضربه الوزير أبو محمد المهلبى بحضرتي ضرب التلف لما كان بلغه [عنه] من التخرم والتهتك في أيام ^(٢) أبي السائب ولم يكن به الا النشفي منه فنثر كعابه ضربا . وكان هذا الرجل عاهرا يتعرض لحرم الناس وكان مرسوما بحجة قاضي القضاة فكان لا يمتنع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضي القضاة وكان جميلا مقبول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بنواحش مع صاحبه

وفيه مات أبو نصر ابراهيم بن علي بن عيسى كاتب الخليفة بخاة وتقلد كتابة الخليفة عن خاص أمره أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وفيها قبض معز الدولة على أبي علي الخازن ^(٣) وأبي مخلد وأبي الفرج

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته . عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمداني القاضي أبو السائب كان أبوه تاجرا يؤم بمسجد همدان فاشتغل هو بالعلم وغلب عليه في الابتداء التصوف والرشد وسافر فلقى الجليل والعلماء وعني بفهم القرآن وكتب الحديث وتفقه للشافعي ثم دخل مراغة واتصل بابي القاسم ابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء اذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همدان ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه الي ان ولي قضاء القضاة بالعراق سنة ٣٨ وتوفي في ربيع الاول وله ست وثمانون سنة وقد سمع في الكهولة وحدث عن عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي وهو اول من ولي قضاء القضاة بالعراق من الشافعية (٢) هو الحسن بن ابراهيم النضراني . ليراجع ارشاد الاريب ٣ : ١٨٢

محمد بن العباس صاحب الديوان وعلى أبي الفضل العباس بن الحسين
الشيرازي وأبي سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش وحملهم الى دار الوزير
المهلبى وسلمهم اليه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

احتيج الى النفقة على البناء وكان الوزير المهلبى رحمه الله يقصد أبا على
الخازن لشيء كان بلغه عنه قديما وكذلك أبا غلاد وأبا الفرج فذكر لمعز
الدولة انه يلزم مالا ويلزم كل واحد من هؤلاء مما ادخره واحتجته ولا
يحتاج اليه مالا يتم به أمر البناء . وكان معز الدولة شديد الثقة بأبي على الخازن
وكان أبو على كثير التمويه متفائرا يظهر من الفقر والاقتصاد أكثر مما
يحتمل . مثله فقال معز الدولة للوزير أبى محمد : ما تريد من هذا البائس ^(٢٤٥)
الذي قد قنع منا بالقوت اليسير ؟ فقال له الوزير : أنا أستخرج منه وحده
ما يحتاج اليه للبناء . وتكلم على غيره بقريب من ذلك فنلّم الجميع اليه
فحضرتُ مناظرة الوزير أبى محمد للجماعة .

أما أبو مخلد فإنه لما خوطب والتمس منه مال قال : اني خدمت الامير
معز الدولة ولا أملك الا طنفسة وكساء ودواة وأنا اليوم نظير أكبر ملك
من ملوك الاطراف مالا وضياعا وأنا غلمانا رُوقة وفرشا فالى ان أعود الى
رأس مالي فانا على الربح . فالزمه الوزير خمسمائة الف وجزاه الخير وصرفه
الى منزله بئد ان أخذ خطه بها فلما خرج التفت الوزير اليها وقال : هذا رجل
مقبيل كنت أظنه يمتان ويخاطبني بحسب دالته وموضعه من الامير فقد
أتقاني بما قال وحمى نفسه وعرضه وماله وهكذا يصنع الاقبال بصاحبه .
وخاطب أبا على الخازن فسلك سبيله المعروف وزعم انه لا يستيت ولم

يستجيب الى شيء ، بته فنجي من بين يدي الوزير ووُكِّل به في ناحية من الدار .
وأما أبو سهل ديزويه فتمارض وشهد رأسه بخرقه فأحضر كرازا
ووضعه عند رأسه وقال : أنا غريب ، فاضحك الناس من نفسه وأعرض
الوزير عنه ذلك اليوم

وأما أبو الفضل فلحقته عناية الوزير لما بينهما من الوصلة ^(٢٤٦) فأخذ
خطه بثلاثمائة ألف درهم وصرفه الى منزله وكذلك فعل بابي الفرج صاحب
الديوان أجراه مجرى أبي الفضل وأخذ خطه بثلاثمائة ألف فلما كان بعد
أيام راسله ديزويه وسأله أن يعفو عنه ويجريه مجرى أبي الفضل ففعل ذلك به .
وبقي أبو علي الخازن على لجأه لا يلتزم شيئا ثم أنعم بعد التهديد بشيء
وراسل أخت معز الدولة يستقرض منها ما يشتري به نفسه من مكروه
الوزير وظن ان ذلك يبلغ الأمير فيكون سبب اطلاقه فخاطب معز الدولة
الوزير فيه وقال : ألم أقل لك انه لا يملك شيئا . فقال : أيها الأمير لا تلتفت
الى مخاريقه وخدائمه ودعني أستخرج منه مالا عظيما . فسكت عنه وراسل
أبو علي الخازن كل من عرفه فاستقرض منه حتى شاع خبره في الدولة بالفقر
وان الوزير يقصده فلما كان في بعض الليالي لسمعه في ظهره شيء أدماه وتألم
منه وكان موضعه الذي وُكِّل به فيه من دار الوزير موضع غنم فيما تقدم فظنه
الناس لسع طبوع وقالوا : ليس شيء من الهوام يخرج بلسعته الدم الا هذا
الحيوان أو الافعى . فاتفق ان مات أبو علي الخازن بعد أيام قلائل في اعتقاله
وقامت على الوزير أبي محمد المهلب القيامة وخاف ان يتهم به ومع ^(٢٤٧) ذلك فلم
يكن ارتفع من جهته الا شيء نزر قليل ثم عرف انه قد وصل اليه من القروض
ضعاف ما أداه في مصادره فنهجب من جلادته وتوقع عتب الأمير معز

الدولة في باب ووطن نفسه على [كل] مكروه . ثم رأى ان يتسدى معز الدولة ويستأذنه في البحث والتفتير عن أسبابه وأظهر انه على ثقة من تلك الاموال التي وعده بها من جهته حتى سكن من معز الدولة وأخذ أذنه في ذلك (ولم يكن يثق بشيء مما ضمنه من جهته ولكنه برّد عن نفسه في الحال) . ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالاً كثيرة بعضها جرى بحضرتي فكان من ذلك ان قبض على غلامه وأسبابه وخلا بواحد واحد منهم فارهبه وأرغبه وسأله هل يتهم موضعاً من داره بدفين أو يتهم معاملاته بوديعة فقال له : ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيئاً مما تطلبه وتبحث عنه بحضرة أحد ولست أتهم أحداً الا أنه طرد غلاماً له مزيناً من حجرة مرسومة به وجلس في حجرته للخاوة أياماً . فمهر الوزير بنفسه الى دار أبي على الخازن والتمس حجرة المزين وكان غلاماً حبشياً أونوبياً جلس فيها خفيراً مواضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبالغه ^(١) وكان في جملة المدفون آله شبيهة ^(٢:٨) بميزان أعنى بيت الميزان من خشب الساج له طبق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترايحه شبيهاً بحوض وعليه طبقة مهندما عليه وهو خال لا شيء فيه فعجب منه ثم تلب ذلك الطبق ووجد عليه كتابة خمل تلك الآلة الى منزله وحمل المال الى خزانة معز الدولة .

فمهدى به يقاب تلك الآلة ويتأمل تلك الكتابة وكانت بخطه خط رديء فاذا هي أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء وكانت تلك الاسماء

(١) وردت هذه الكتابة في ارشاد الارباب ٣ : ١٨٣ . ويقال فيه ان الوزير

استخرج عدة قساقم فيها نيف وتسعون ألف دينار

مفردة لا يقترون بها شيء يستدل به على صاحبه . فما شك الوزير ان تلك
الاسماء أسماء قوم مودعين وان تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال فاستعمل
دهاءه فيه وقال : أجد هذا الاسم وهو « على » مكررا فان استخرجناه
أخرج لنا باقي الاسماء . ف قيل له : كم من رجل اسمه على كان يواصل هذا
الرجل . فقال : لا تفعلوا فان المعاملين الذين هذا اسم لهم قليلون فمن كان
منهم يصلح للمدينة أقل منهم . ثم تجاوز ذلك الى اسم أظنه « أحمد » فقال :
هذا اسم صيرفي في دار أبي على (وهو في درب عوف) فاحضروه .
فأحضر وقال له الوزير : قد وجدنا ثبنا باسمك وبخط أبي على بمبلغ ما عندك
فانفذ الساعة صاحبك ليحضره . فاضطرب الرجل وأنكر ان يكون ^(٢٤٩)
له عنده مال فبطش به ولحقه أذى ومكروه ثم أمر به خبسه وقيده بقيد ثقيل
فيه ثلاثون مائة فتفسخ فيه الرجل ودخل اليه المستخرج وهدده فاعترف .
وكان باسمه سبعة أنوكي ولم يكن فينا أحد يعرف معنى « أنوكي » فقال
الوزير : فطالبوه بسبع بدر دنائير استظهارا . ففعل ذلك فوافق تخمينه صحة
الامر وأدى خمسين الف دينار . ثم لم يزل يتتبع تلك الاسماء وقد صحت له
الرموز فاستخرج نحو مائتي الف دينار من هذه الوجوه سوى دفائنه .
وقامت حرمة الوزير أبي محمد عند معز الدولة وانبسط لسانه وجاهه وصار
مقبول القول عنده بعد ان ظن ان الذي فاته من خازنه شيء لا عوض له
منه امانة وثقة ودينار . وتقدم مكان أبي على الخازن أبو محمد على بن العباس بن
فسانجس للنصف من شعبان واقطع اقطاع أبي على

وفيها تقلد القاضي أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب
القضاء في جاني بغداد ومدينة أبي جعفر المنصور وقضاء القضاة وخلع عليه

من دار السلطان من حيث امتنع الخليفة من ان يصل اليه وركب بالخلع من دار معز الدولة^(١) وبين يديه الدباب والدرك والبوقات وفي موكب الغلمان الاتراك والجيش^(٢) وكان توصل الى تقلد ذلك بان خدم ارسلان الجامدار فتى معز الدولة ووافقه على ان يحمل الى خزانة الامير في كل سنة مائتي الف درهم وكتب عليه بها كتاب وجعلت على نجوم معروفة ولم يأذن الخليفة ان يصل اليه هذا القاضي في يوم موكب ولا غيره . وكان فعل القاضي ما فعله من سماجته وقبح ذكره سببا لان ضُمَّت الحسبة ببغداد وضمت الشرطة بعشرين ألف درهم في كل شهر من شهور الاهلة وهذا القاضي مع قبح فعله قبيح الصورة مشوهها . وفيها وافي أبو القاسم أخو عمر ان مستأمننا .

وفيها ورد الخبر بان عبد الملك بن نوح صاحب خراسان تقطر^(٣) به فرسه فمات وافتتحت خراسان ونُصِب مكانه أخ له يسمى منصورا وفيها حمل الى ابراهيم السالار من دار السلطان خلع وعقد له على آذربيجان^(٤) .

﴿ ودخلت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها نقل الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى سنة خمسين الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة^(٥)

(١) وفي الاصل : الخليفة . والصواب في تاريخ الاسلام (٢) انه « تقطر » كما في تاريخ الاسلام (٣) وقال صاحب النسك : وفي شعبان ابتدئ بناء المغيض بنهر الرقيل تولى البناء أبو بكر ابن الحايي (٤) قال صاحب تاريخ الاسلام : فمات السنة من حيث الفلات وكتب الصابي (وهو أبو اسحق ولي ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الارب ٢ : ٨٠) كتابا عن المطبع في المعنى فنه : ان السنة الشمسية

وفيهما دخل الامير ركن الدولة سارية من بلد طبرستان وانصرف عنها
وشمكير الى جرجان واسنأمن من أصحابه الى ركن الدولة ثلاثة آلاف رجل
وفيهما ورد الروم عين زربة [في مائة وستين ألفا وهي] في سفح جبل
(٢٥١) والجبل مطل عليها فلما جاءه الدمستق في هذا الجمع العظيم أنفذ قطعة من
جيشه الى الجبل ونزل هو على بابها فملك جيشه الجبل فلما رأى أهل عين
زربة ان الجبل قد مُلك عليهم وان جيشا آخر قد ورد الى باب المدينة وان
مع الدمستق دبابات كثيرة وانه قد أخذ في نقب السور طلبوا منه الامان
فأمّنهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها . فوجد خيله الذين في الجبل قد نزلوا
الى المدينة فندم على اعطائهم الامان فنأدى في البلد من أول الليل بان يخرج
جميع أهله الى المسجد الجامع وان من تأخر في منزله قُتل فخرج من أمّكنه
الخروج فلما أصبح أنفذ رجاله في المدينة وكانوا ستين ألف رجل وكل من
وجدوه في منزله قتلوه فقتلوا عالما من الرجال والنساء والصبيان والاطفال
وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجُمع منه أمر عظيم وكان في جملة أربعة
الف رمح وقُطع ما في البلد من النخل فقطّعت نحو خمسين ألف نخلة . ونأدى

ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع بالتقريب وان الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون
يوما وكسر وما زالت الامم الساقفة تكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبهم وفي
كتاب الله شهادة بذلك قال الله تعالى « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا »
فكانت هذه الزيادة بزاء ذلك فما الفرس فانهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي
شهورها اثني عشر شهرا وأيامها ثلاثمائة وستون يوما ولقبوا الشهر اثني عشر لقباً
وسموا الايام باسمي وأفردوا الايام الخمسة الزائدة وسموا المشرقة وكبسوا الربع في كل
مائة وعشرين شهرا فلما انقضت ملكهم بطل ذلك وذكر كلاما طويلا حاصله
تمجيل الخراج وحساب أيام الكيس .

فيمن حصل في المسجد الجامع من الناس بان يخرجوا عن البلد الى حيث
شاؤوا وان من أمسى ولم يخرج قتل نخرج الناس مبادرين وتزاحوا في
الابواب فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ووروا على
وجوههم^(٢٥٢) حفاة عراة لا يدرون الى أين يتوجهون فماتوا في الطرقات
ومن وجد في المدينة آخر النهار قتل وأخذ كل ما خلفه الناس من أمتعتهم
وأموالهم وهدم السوران اللذان على المدينة وهدمت المنازل . وبقي الدمستق
مقيما في بلدان الاسلام أحد وعشرون يوما وفتح حول عين زربة أربعة
وخمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالامان

فكان في بعض الحصون التي فتحت بالامان حصن أمر أهله
بالخروج منه فخرجوا فعرض بعض الارمن للنساء اللواتي خرجن منه
فلحق رجالهن غيرة عليهن فجردوا سيوفهم فاغتازل الدمستق منهم وأمر بقتل
الجميع وكانوا أربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا جارية حديثة
أو من يصلح ان يسترق

فلما أدركه الصوم انصرف على ان يعود بعد الفطار وزعم انه يخلف
جيشه بقيسارية . وكان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في أربعة آلاف
رجل من الطرسوسيين فاوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه وقتل
أخاه وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدولة وأتذ اليه رسلا فلما
وقف ابن الزيات على ذلك لبس سلاحه واعتم^(٢٥٣) وخرج الى روشن داره
وكانت داره على شاطئ^(٢٥٣) نهر فرمى بنفسه من داره الى النهر فغرق فيها

وفيها دخل ركن الدولة جرجان وذلك في المحرم
وفيها ورد الخبر بان صاحب خراسان أنفذ جيشا كشيئا الى غلام له

شدّ عنه يقال له الفتكين وان الفتكين أوقع بالجيش وهزموه واستأسر
وجوه القوّاد وفيهم خال صاحب خراسان
وفيها لقب الخليفة الامير أباشجاع فناخسره بن ركن الدولة عضد
الدولة وكتب به كتاب .
وفيها أسر الروم أبافراس ابن أبي العلاء ابن حمدان من منبج وكان
متقلدا لها

وفيها ورد الخبر بان الدمستق ورد الى حلب وملكها وكان الدمستق
واقفاها ومعه ابن أخت الملك ولم يعلم سيف الدولة ولا أحد بخبره لانها كانت
كبسةً فلما علم سيف الدولة به أعجله الامر فخرج نحوه وحاربه قليلا فقتل
أكثر من مائه وقتل جميع ولد داود بن حمدان وابن الحسين بن حمدان
فأهزم سيف الدولة في نهر يسير وظفر الدمستق بداره وهي خارج مدينة
حلب فوجد لسيف الدولة من الورق ثمانمائة وتسعون بدرّة فأخذها ووجد له
الف وأربعمائة بعل فقتلهمها ووجد له من خزائن السلاح مالا يحصى كثرة
فقبض جميعها وأحرق الدار وملك الرض . وقتله أهل حلب من وراء
السور فقتل من الروم جماعة بالحجارة وسقطت ثلثة ^(٢٥١) من السور على قوم
من أهل حلب فقتلهم وطمع الروم في تلك الثلثة فأكبوا عليها ودفنهم أهل
البلد عنها فلما جنّهم الليل اجتمع المسلمون عليها فبنوها وأصبحوا وقد فرغوا
وعلوا عليها وكبروا وبعد الروم قليلا الى جبل هناك يعرف بجبل جوشن .
وذمب رجالة الشرطة بحلب الى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل
لناس « الحتموا بمنازلكم فانها قد نهبت » فزولوا عن السور وأخلوه ووضوا
الى منازلهم مبادرين ليدفعوا عنها فلما رأى الروم السور خاليا وطالت المدة

وتجاسر الروم صعدوا وأشرفوا على البلد ورأوا الفتنه فيه والنهب
فزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا فوضعوا السيف في الناس فقتلوا كل من
لقيمهم ولم يرفعوا السيف الى ان كلوا وضجروا . وكان في البلد من أسارى
الروم الف ومائتا رجل فخلصوا وحملوا السلاح على المسلمين وكان سيف
الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادى بهم فأخذهم الدمستق وسبي
من البلد من المسلمين والمسلمات بضعة عشر الف صبي وصبية وأخذ من
خزائن سيف الدولة وأمتعة التجار ما لا يحصى ولا يوصف كثرة فلما لم يبق
معه شئ يحمل عليه أحرق الباقي بالنار وعمد^(٢٥٥) الى الحباب التي يحرز فيها
الزيت فصب فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الارض وأخرب المساجد
وأقام فيها تسعة أيام .

وكان بذل لاهل الباد قبل أن يفتحه الامان على أن يسلموا اليه ثلاثة
آلاف صبي وصبية ويحملوا اليه مالا وأمتعة حدها وينصرف عنهم فلم يستجيبوا
له الى ذاك . وذكر ان عدة رجاله كانت مائتي الف رجل وازعدة أصحاب
الجواشن فيهم ثلاثون الف رجل وفيهم ثلاثون الف صانع للهدم ولتطريق
الثلج أربعة آلاف بغل عليها حسك الحديد يطرحه حول عسكره^(١) بالليل
وخركاهاات عليها ابود مغربية فمن صعد قامة حاب تخلص بحشاشته . فلما كان
بمديسة أيام أراد الدمستق ان ينصرف بما فاز به وحصل في يده فقال له ابن
أخت الملك : هذا بلد قد حصل في أيدينا وليس بازاثنا من يدفعنا عنه ومن كان
فيه من العلوية وبنى هاشم والوزراء والكتاب ومن لهم أموال مقيمون في
القائمة فباي سبب تنصرف عنه قبل فتح القائمة ؟ فقال له الدمستق : قد وصلنا الى

(١) وفي النسخة : يتحدثون به على عسكرهم

ما لم نكن نقدره ولا يقدرها الملك وقتلنا وبينا وأسرنا وأحرقنا وهدمنا
وخلصنا أسرانا وأخذنا من أردنا أن نغادي به بلا فدية وغنمنا غنيمة ما سمع
بمثلها ^(٢٥٦) ومن حصل في القلعة فهم عُرِا وإذا نزلوا هلكوا لانهم لا يجدون
موتنا والرأي ان تصرف عنهم فان طلب النهايات والغايات ردى . فأقام ابن
أخت الملك على أمره ولىح وقال : لا أنصرف أو افتح القلعة . فلما لح قال له
الدمستق : فانزل عليها وحاصرها فان الصورة والضرورة تقود من فيها الى
فتحها . فقال : لا أفتحها الا بالسيف . فقال له : شأنك وما تريد فاني أنا مقيم
في عسكرى على باب المدينة . فما كان من غد ترجل وأخذ سيفاً ودرقة
وصعد راجلاً والمسلك الى باب القلعة ضيق لا يحمل أن يسلكه أكثر من
واحد فصعد وتبعه أصحابه واحداً واحداً . وقد كان حصل في القلعة الجماعة
من الديلم فتركوه حتى اذا قرب فتحوا الباب وأرسلوا عليه حجراً فوقع عليه
وانقلب ثم وثب وهو مدوخ فرماه واحد من الديلم بخشب فانفذ صدره
وركب رأسه فأخذه أصحابه وانصرفوا الى الدمستق فلما رآه مقتولاً أحضر
من كان أسير من المسلمين فضرب أعناقهم باجمعهم . وسار الى بلد الروم بما
معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها وقال لاهابا : هذا البلد قد
صار لنا فلا تقصروا في العمارة فانما بعد قليل نمود اليكم ^{(١) (٢٥٧)}

(١) وفي تاريخ الاسلام : واقعة حلب من تاريخ على بن محمد الشمشاطى (وترجمته
في ارشاد الارب ٥ : ٣٧٥) قال : في ذى القعدة أقيمت الروم فخرجوا من الدروب
فخرج سيف الدولة من حلب فتقدم الى عزاز في أربعة آلاف فارس وراجل ثم يقن
أن لا طاقة له ببقاء الروم لكثرتهم فرد الى حلب وخيم بظاهرها ليكون المصاف هناك
ثم جاءه الخبر بان الروم مالوا نحو العمق فجهاز فتاهنجبا في ثلاثة آلاف لفصدهم ثم
لم يصبر سيف الدولة فسار بعد الظهر بنفسه . ونادى في الرعية : من لحق بالامير فله

﴿ ودخلت سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما ورد الخبر بان قوما من رجاله الارمن صاروا الى الرها فاستاقوا

دينار . فلما سار فرسخا اليه . بعض العرب فاخبره ان الروم لم يرحلوا من جبرين وانهم على ان يصبحوا حلب فرد الى حلب ونزل على نهر قوبق . ثم تحول من الغد فزل على باب اليهود وبذل خزائن السلاح الرعية . وأشرف العدو في ثلاثين الف فارس فوق القتال في أماكن شتى فلما كان العصر وافى ساقه العدو في أربعين الف راجل بالرمح وفيهم ابن الشمسقيق وامتد الجيوش على النهر وأحاطوا بسيف الدولة فحمل عليهم فلما سارهم لوي رأس فرسه وقصد ناحية بالس . وساق وراءه ابن الشمسقيق في عشرين الفا فأنكس في أصحابه وانهمزمت الرعية الذين كانوا على النهر عند ما انصرف سلطانهم وأطلم السيف وازدحموا في الابواب وتلقى طائفة من السور بالحبال فقتل منهم فوق الثلاثة وقتل من الكبار أبو طالب بن داود بن حمدان وابنه وداود بن علي وأسر كاتب سيف الدولة الفياض وأبو نصر الي ابن حسين بن حمدان وكان عسكر الملاءين ثمانين الف فارس والسواد فلا يحصي .

ثم تقدم من الغد منتصر حاجب الدمستق الى السور فقال : اخرجوا الينا شيخين يعتمدون عليهم . فخرج شيخان الى الدمستق فقرهما وقال : اني أحببت ان أحقق دماءكم فتخبروا اما ان تستروا البلد أو تخرجوا عنه باهلكم . وإنما كان ذلك حيلة منه فاستأذناه في مشاورة الناس فلما كان من الغد أتى الحاجب فقال : انخرج الينا عشرة منكم لنعرف ما عمل عليه أهل البلد . وكان رأي أهل البلد على الخروج بالامان فخرج العشرة وطلبوا الامان وتدخل الروم فقال الدمستق : صح ما بلغني عنكم . قالوا . وما هو ؟ قال : بلغني انكم قد أقمت مقاتلتكم في الارفة محتجين فانا خرج الحرم والصبيان ودخل أصحابي لانهب أغناوهم . فقالوا : ليس في البلد من يقاتل . قال : فاحزنوا . خافوا له وإنما أراد أن يعرف صورة البلد فينبذ تقدم بجيوسه الى قبالة السور ولجأ الناس الى القاعة . ونصبت الروم سلام على باب أربعين وعند باب اليهود وصدوا فلم يروا مقاتلة فزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الابواب وقضي الامر وعم القتل والسبي والحريق طول النهار ومن الغد وثق السيف يعمل بها ستة أيام الي يوم الاحد ثلاث بقين من ذي القعدة فزحف الدمستق وابن الشمسقيق على الفتحة ودام القتال الى الظهر فقتل ابن الشمسقيق من عظمائهم ونحو مائة وخمسين من الروم وانصرف الدمستق الى مخيمه ونودي : من

خمسة آلاف رأس من الغنم وخمسمائة رأس من البقر والدواب واستأسروا
تقرا من المسلمين وانصرفوا موفورين

وفيها قلد القاضي أبو بشر عمر بن أكنم القضاء بمدينة السلام على أن
يتولى ذلك بلا رزق وأعفى مما كان يحمله أبو العباس ابن أبي الشوارب^(١)
وخلع عليه وأمر بالأيضي شيئا من أحكام وسجلات ابن أبي الشوارب ثم
قلد قضاء القضاة .

ومنها خرج الوزير أبو محمد المهلبى ومعه الجيش لفتح عمان وذلك يوم
الاربعاء استخلون من جمادي الآخرة فأنحدر وبلغ الى هاتى^(٢) من قم
البحر واعتل فكنت أسمع من طيبيه فيروز بانه مسموم لا محالة وكنت
أسأله عن سمة فلا يصرح باسمه الى ان كان بعد ذلك بمدة وانقضت
تلك الايام فذاكرته بذلك فقال : كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ

كان معه أسير فليقتله . فقتلوا خلفا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا طلائع قد أقبلت نحو
قصرين وكانت نجدة لهم فتوهم المستق انها نجدة لسيف الدولة فترحل خائفا .
وفيه أيضا ان في هذه السنة وقع بالعراق بارض الجامدة برد وزن البعض منه رطل
ونصف بالعراق

وقال صاحب التكملة : وفيه خلع معز الدولة على أبي الفرج محمد بن العباس (وهو
ابن فسانجس) وقلده كتابة عز الدولة مضافا الى ما اليه من الدواوين

(١) هو عبد الله ابن الحسن وقال فيه صاحب التكملة . وفي رجب عزل ابن أبي
الشوارب عن القضاء وقد ذكر ان ضمنه فكان النظار يحيلون عليه بمشاهدة الساسة والنفاطين
وكانوا يجيئون به ويشدون زمامهم على بابه ويدخلون يطالبونه كما يفعلون بضامن المأخوذ .
فاتي أبو عبد الله ابن الداعي العلوي معز الدولة وقال له : رأيت في المنام جدي عليا
رضي الله عنه وهو يقول لك « أحب أن تقطعني ما على القضاء » وتأمر بإزالته . قال :
قد فعلت . وهكذا رواية ابن الصايي في كتاب القضاء لابي عمر السكندی ص ٥٤٥

(٢) وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ٤ . ٩٧٩ : هلتا

داره والمستولى على خاص أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه وكان قد فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وتلج وتنعم الى حر شديد وشقاء كثير وتوجه الى عمان فواطأ الخدم على سبه وقتله والراحة من ذلك السفر وظنوا أنهم يملكون ويمودون^(٢٥٨) الى نعمهم . وكان فيروز الطيب لما أحس بذلك استأذن في العود الى بغداد وزعم انه لا يركب البحر فأرغب في مال كثير فامتنع ثم أُرهب بالحبس فصبر وقال : لا أخرج البتة . فأذن له وانصرف . فلما كان في النصف من شعبان ثقل ورد الى الابله زائل العقل مسبوفاً فيئس منه وعمات له آلة سببه المحفة يحمله أربعون رجلاً يتناوبون عليه وينام فيها ورد على طريق البر فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر مات رحمه الله بزاوطا .

وكان ممن الدولة لما سمع بخبر عاهة أنفذ أبا على حمولى اليه لتعرف خبره وتقدم اليه أن وصل اليه وقد توفي ان محتاط على تركته واسبابه ففعل ذلك وقبض على كتابه وأساببه وحمل جميعه الى الحضرة . وورد تابوته مدينة السلام يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان^(٢٥٩) وقبض على عياله وولده

(١) قال صاحب التكملة انه دفن بالتونجية بمقابر قريش . وروى أيضا عن أبي على التونخي الحكاية التي وردت في ارشاد الاربيب ٣ : ١٩٣ وقال أيضا : وكان المهلب قد أصطحب أبا العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا النصراني الكاتب واستكتبه على خاصه وأطاعه على أموال وذخائر دفنها فأخذ أبو العلاء في جملة المأخوذين وعوقب أشد عقوبة وضرب أرح ضرب وهو لا يقر بشئ ولا يعترف بذخيرة . فعدل أبو الفضل (وهو العباس بن الحسين الشيرازي) وأبو الفرج (وهو محمد بن العباس بن الحسين بن فسانجس) الى يحيى (وهى أم أبي الغنائم الفضل بن الأذبر المهلب) وأمرها بضرب ابنها أبي الغنائم بين يديها فبكي من عزفها من الذي يتم عليها . وقالت لهم : ان مولاي المهلب فعل هذا بي حين استدعي الآت العقوبة لزوجة أبي على الطبري لما

ومن دخل يوما اليه مثلاً وصودروا حتى المسكرين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته وجرى من ذلك ما لا جرى مثله الا على عدو مكاشف واستفظم الناس ذلك واستقبحوه لمز الدولة . وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات بموته عن الكتاب الكرم والفضل رحمه الله .^(٢٥٩) ولما مات الوزير أبو محمد المهدي رحمه الله نظر أبو الفضل وأبو الفرج في الامور من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة .

وفيها ورد الخبر بان الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلد الروم ودخل نجا غلام سيف الدولة من درب آخر فغنم أهل

قبض عليها بعد وفاته . ثم قالت : أحضروني أبا العلاء ابن أرونا . فاحضروه وحمل في سبينة بين أربع فراشين فطرح بين يديها فجعلت تسأله عن شيء شيء وهو يخبرها بمكانه حتى كان في جملة ذلك ثلاثون ألف دينار فقال له من حضر : وبلك ألت من الأدميين ! تقتل هذا القتل ويفضي حاكك الى التلف وأنت لا تعترف ! فقال : يا سبحان الله أكون ابن أرونا الطيب الفصاح على الطريق مدائق ونصف دائق يأخذني الوزير أبو محمد وبصطنعني ويحملني كاتب سره وأعرف بخدعته واطلع الناس على ذخيرة دخرها لولده ! والله ما كنت لأفعل هذا ولو هلك . فاستحسن فعله وكان ذلك سبباً لاطلاقه وتقدم بذلك عند أبي الفضل وأبي الفرج وابن بنية وتوفي سنة ٣٦٩ في أيام عضد الدولة . وروى أيضاً عن التتوخي : قال المهدي : لما عزم معز الدولة على إقناذى الى عمان طرقي أمر عظيم فبت ببليلة مابت في عمري مثلها لاني فقري ولا في صغر حالي وما زلت أطاب شيئاً يسلي به عما ذهمني فلم أجدا الا أني ذكرت اني كنت حصلت في أيام صباهي بسيراف لما خرجت اليها هارباً فعرفت هناك قوماً أولوني جيلاً وحصات لهم على أياد فقكرت وقلت « لعلني إذا قصدت تلك البلدان أجدهم أو بعضهم أو أعفاهم فأكافئهم على تلك الايادي » فلما ذكرت هذا تسليت عن المصيبة بالخروج وسهل على ووطنبت نفسي عليه .

وفي سبب خروج الوزير الى عمان ليراجع ما رواه ياقوت في كتاب إرشاد الارب

طرسوس غنيمة يسيرة وأقام سيف الدولة على درب آخر ولم يدخل لانه كان غليلا من فالج لحقه قبل ذلك بسنتين فلما خرج نجا والطرسوسيون عاد سيف الدولة الى حلب وهو غليل ولحقته غشية ظن معها انه قد تلف . وجاء أبو الحسين ابن دنحا الى هبة الله ابن ناصر الدولة ليسلم عليه ويهنئه بمعيد الفطر وكان هبة الله راكبا فاستجر أبا الحسين ابن دنحا الحديث الى ازاء صخر ثم رماه بخشب كان في يده فوقع في لبتة ومضى يركض يريد الهرب فلاحقه هبة الله وانما فعل ذلك لغيره لحقته من تعرض ابن دنحا لعلام من غلامه . وبلغ هبة الله أن عمه لم يمت وأنه أفاق من غشيته فخافه واستوحش مما فعله بان دنحا جفد في السير الى حران .

وان دنحا هذا هو الذي كان استأمن الى معز الدولة ثم انصرف عنه الى سيف الدولة لانه لم يصل ^(٢٦٠) يفتد الى ما كان يرجوه وما جسر أن يعود الى ناصر الدولة فساقه الحين الى ما ذكر . فتبع نجا غلام سيف الدولة هبة الله فلم يلحقه ولحق سواده فأخذه وانصرف به الى سيف الدولة ودخل هبة الله حران وأومأ أهله أن عمه قد مات فانه قد كتب الى أبيه ناصر الدولة يستنجده لينجده بالرجال ويقيم بحران ويدفع كل من نازعه عليها وطالب أهل حران بان يخلفوا له أن يكونوا معه حربا لمن يحاربه وسالما لمن سالمه وظن أهل حران أن الذي خبرهم به صحيح فخلعوا له على ما أرادوا واستثنوا في عيهم الا أن يكون الذي يحاربه عمه سيف الدولة فانهم لا يحاربونه ورضى بذلك منهم . فلما كان بعد أيام وافى نجا أخو نجا غلام سيف الدولة فاعلق هبة الله وأهل حران ابواب حران في وجوههم وعلم نجا انه لا يمكنه فيهم حيلة فظاهر انه لم يرد (ابواب) حران وانما اراد قصد ارزن وميفارقين

فانصرف عن حران اليها وكتب الى أخيه نجا (يعرفه ما جرى ويفريه بأهل
حران فسار نجا الى حران فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه واسلم أهل
حران فنزل نجا) خارج حران وخرج اليه وجوه أهلها واشرافها وهم سبعمون
شيخا يسلموا عليه فوكل بهم وتمدد بهم بالقتل وطالبهم عن البلد بالف الف
درهم ارش ما عملوه من غلق الابواب في وجه أخيه ولم يسمع لهم عذرا
وجرت^(٢٦١) لهم معه خطوب الى ان قنع منهم بثلاثمائة الف درهم وعشرين
الف درهم ووجه معهم بالفرسان والرجالة والزمهم الاجمال الثقيلة ورسم ان
يستخرج له المال في يوم واحد وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام
وقسط المال على أهل البلد وأدخل فيه الملى والذى والسوقة والنساء الارامل
وغيرهم ووضع عليهم العصى والضرب في دورهم بحضرة حرمهم وعيالهم
فاخرجوا أمتعتهم وباعوا ما يساوي ديناراً بدرهم ولم يجدوا من يشتري لان
أهل البلد كانوا يديعون فاشترى اصحاب نجا الامتعة والحلى بحكمهم وبما
أرادوا . ولزم أهل البلد من الاجمال امر عظيم وخرب بذلك البلد وافترق
أهله وانصرف عنهم نجا الى ميفارقين بعد ان استوفى جميع المال وترك البلد
شاغرا بلا سلطان قد سيطر عليهم العيارون . وأظهر نجا الخلاف على مولاه
سيف الدولة والخروج عن طاعته ولم يزرع في هذه السنة أحد بديار مضر
كبير شيء للجور الذي كانوا فيه .^(٢٦٢)

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : يوم عاشورا قال ثابت (بن سنان)
أنزم مع الدولة الناس بغلق الاسواق ومنع الهرايين والطباخين من الطبخ ونصبوا القباب
في الاسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منشرات الشعور ومضجات بلطن في
الشوارع ويقمن المئات على الحسين عليه السلام وهذا أول يوم نبح عليه ببغداد
وقال أيضا : وفي ثامن عشر ذى الحجة عمل عيد غدير خم وضربت الديداب

﴿ ودخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما ورد الخبر من حران بأنه اجتاز بهم الغازي الوارد من خراسان في نحو خمسة^(٢٦٢) آلاف رجل ماضين الى حلب الى سيف الدولة وهذا الرجل وافى من خراسان على طريق اذربيجان ثم الى أرمينية ثم الى ميافارقين ثم الى حران ثم الى حلب ثم ورد بان هذا الغازي اجتمع مع نجا غلام سيف الدولة . وكان ببلاد أرمينية ولازجر رجل يعرف بابي الورد قد استولى عليها فطمع نجا فيه ولم ياتفت الى حديث الغزو ولا الى الخراساني وقصد

وأصبح الناس الى مقابر قريس لصلاة هناك والى مشهد الشيعة

واستنصرت الروم على الاسلام بكاتبة حاب فضعف أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي طير فيها لب العدو ومزقهم فلهذا الأمر وما شاء الله كان . ففيها عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة وأغلق أهل الموصل الاسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ومضوا الى ماسر الدولة فضمن لهم الغزو . ووردت الكتب من بغداد أن الرعية أغلقت الاسواق وذهبوا الى باب الخلافة ومعهم كتاب بشرح مصيبة حاب وضجوا فخرج اليهم الحاجب وأوصل الكتاب الى الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم فعرّفهم أن الخليفة بكى وأنه يقول : قد غمى ماجرى وأنتم تعلمون أن سبى معز الدولة وأنا أرسله في هذا فقالوا : لا تفنع إلا بخروجك أنت وإن تكتب الى سائر الافاق وتجمع الجيوش والافاق فقل لولي غيرك . فغظه كلامهم ثم وجه الى دار معز الدولة فركب ومعه الاتراك فصرفهم صرفاً قبيحاً ثم لطف الله وجاءت الاخبار بموت طائفة الروم وإن الخلف وقع بينهم في من يملكونه . فطمع عسكر طرسوس ودخلوا أرض الروم في عدة وافرة وأوقعوا بالروم ونصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير من دهر منلها فلما ردوا الى الدرب اذا هم بآبن الملائني على الدرب فقتلوا طول النهار ونصر المسلمون . وبلغ سيف الدولة أيضا اختلاف الروم فبادر ودوخ الاعمال وأحرق وحصل من السبي أكثر من الفين ومن المواشي مائة الف رأس وفرح المؤمنون بالنصر والاستظهار على العدو . ثم بعد شهر أو شهرين توجه سيف الدولة غازيا فسار على حران وعطف على ملطية فلما يديه سببا وغنائم ثم خرج الى آمد

أبا للورد^(١) فأوقع به وملك قلاعه وبلده وحصل في يده من أمواله ما يكثر قدره فأقام في القلعة وحصل في يده من بلدان أرمينية وملازجرد وخلاط وموش . ومضى الغازي الخراساني الى سيف الدولة فلما اجتمع معه نفر الى المصيصة وورد الخبر^(٢) بنزول الروم على المصيصة في جيش ضخم وفيه الدمشقي وأنه أقام عليها سبعة أيام ونقب في سورها نيفا وستين نقبا ولم يصل اليها ودفعه أهلها عنها ثم انصرف لما ضاقت به المير وغلا السعر وبعد ان أقام في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً . وأحرق رستاق المصيصة وأذنة وطرسوس وذلك لمعاونتهم أهل مصيصة فظفر بهم الروم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وقتل أهل أذنة من الروم عددا قليلا وكذلك أهل طرسوس . ولما مضى سيف الدولة^(٣) والخراسانية الى المصيصة وجد جيش الروم قد انصرف عنها وتفرقت جموع الخراساني لشدة الغلاء في الثغور وبحلب ورجع أكثرهم الى بغداد وعادوا منها الى خراسان . وقبل انصراف الدمشقي عن المصيصة^(٤)

(١) وقال الفارقي في تاريخ ميافارقين : وصل الخير بان أبا للورد صاحب اخلاط وما يليها وقع من السور وهلاك وملك البلاد جميعها نجح غلام سيف الدولة وقتاه . وقال أيضا في هذه السنة حضر نجح ميافارقين ليا أخذها ويسلمها الي معز الدولة وأمدّه بالعساكر فلما جد في ذلك وصله الخبر ان سيبا لابي للورد وثب على ملازجرد وأخذها فاتفصل عن ميافارقين فطلب اخلاط وتلك الولاية فخرج أهل ميافارقين فنهبت عسكره .

(٢) زاد صاحب تاريخ الاسلام : أن الروم خرجوا يريدون أذنة والمصيصة فاستجد أهل أذنة بأهل طرسوس فجاءوهم في خمسة عشر ألف فارس وراجل فالتقوا واشتد القتال وركب المسلمون أقبيسة الروم وأتبعوهم فخرج للروم كمين أقطع أربعة آلاف راجل فماتلوا عن أنفسهم ونحيزوا الى تل فقاتلوهم يومين ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم ثم أزلوا المصيصة الح . وفيها ملك المسلمون حصن اليمانية بحيلة وهو على ثلاث فراسخ من آمد . (٣) وفي الأصل : الضيعة .

وجه الى أهلها بانى منصرف عنكم لا اعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوقة وانا عائد اليكم بعد هذا الوقت فمن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعى فلينتقل ومن وجدته بعد عودي قتلته .

وفيهما اجتمع الاكراد على قافلة الحاج الصادرة الى خراسان فملكوها واجتاحوها فوق حلوان ورجع الحاج الى حلوان

وورد الخبر بان الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور حتى لم يقدر احد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء فان الدمستق قد جمع الجموع للخروج الى بلدان الاسلام وان السلطان بجران مقيم بعد الذى جري على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الامتعة عليهم والجور فى معاملتهم وان الغلاء بها وبارقة شديد جدا .

وفيهما استهدى الهجريون من سيف الدولة^(٢٦٤) حديدا فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهى من حديد وسد مكنها وأخذ حديدا بديار مصر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا اليه : اننا قد استغينا عن الحديد . فأخذ القاضي أبو حصين الابواب فكسرها وعمل منها أبوابا لداره . ثم كتب الهجريون يلمسون الحديد فأخذ الابواب التى عملها أبو حصين وسائر ما قدر عليه من الحديد وحمله فى الفرات الى هيت ثم منها اليهم فى البرية .

وفيهما ورد أبو الحسين الباهلى برسالة ناصر الدولة ليقرر ما يذنه وبين معز الدولة فتقرر على أن يحمل ناصر الدولة عن سنة ٣٥٢ الف الف درهم يقدم منها ثلثمائة الف درهم وعن سنتى ثلاث وأربع الف درهم يقدم منها مائتى الف درهم والباقي فى نجوم . ولما تقرر الامر بذل ناصر الدولة

زيادة عشرة آلاف دينار على أن يعقد لابنه أبي تغاب فضل الله الغضنفر فلم يستجب معز الدولة الى ذلك فلما كان مستهل جمادى الآخرة وردت الخمسمائة الالف درهم التي وقع الاتفاق عليها مع الباهلي وقبضت وصحت في الخزنة . وأظهر معز الدولة الاصل معاد الى الموصل وأخذ يستعمله فسأله الباهلي التوقف^(٢٦٥) عن المسير الى أن يمضى برسالة الى ناصر الدولة ويعود فقبل له : تمضى وتتمس رد ما لزم من النفقة على التأهب للسفر . فمضى وأخرج معز الدولة مضاربه الى باب الشماسية وخرج الحاجب سبكتكين وجماعة من القواد على المقدمة الى الموصل وتبعه معز الدولة . ومد الجسر الذي يبعد الى السن وعقد هناك وعبر عليه مع الجيش الى الجانب الغربي وسار على الظهر الى الموصل

وكان الباهلي قد عاد بجواب الرسالة وبذل ان يحمل ثلاثمائة الف درهم عوضا عما لزمه من النفقة على السفر فلم يقبل منه وانصرف الباهلي من تكريت وتعم معز الدولة المسير . ولما بلغ ناصر الدولة أن معز الدولة قد قرب من الموصل ولم يكن له عزم على لقائه رحل من الموصل الى نصيبين ورحل معز الدولة من الموصل الى بلد في آخر النهار وخاف بالموصل أبا الملاء صاعد بن ثابت ليحمل الفلوات ويستخرج الاموال وخلف بكتوزون وسبكتكين المعجمي ووهرى وجماعة من الأتراك والديلم لضبط البلد . ولما بلغ ناصر الدولة مسير معز الدولة نحوه - ار من نصيبين الى ميفارقين (يوم السبت للنصف من شعبان وسار خلفه الحاجب الكبير فلما قرب من ميفارقين) رحل ناصر الدولة عنها ورجع الحاجب الى نصيبين وعرف معز الدولة أن العدو قد رحل لما قرب منه^(٢٦٦) وأنه لا يدري اين قصد فرحل معز الدولة

للوقت من نصيبين يريد الموصل خوفا من مخالفة ناصر الدولة اليها وخلف
الحاجب وجماعة من القواد بنصيبين . وكان صار أبو تغلب ابن ناصر الدولة
واخوته الى الموصل ووقع بينهم وبين من خلفهم معز الدولة بها حرب شديدة
وكانت على أولاد ناصر الدولة وانصرفوا الى الموصل وأحرقوا زبازب معز
الدولة التي كانت ببلد وزواريق العسكر التي كانت بالموصل وبلغ ذلك
معز الدولة فسكنت نفسه الى ظهور أصحابه بالموصل على بني حمدان . فلما
كان بعد ذلك اجتمع ناصر الدولة مع أولاده وقصدوا الموصل فأوقعوا
بكتوزون وسبكتكين العجمي وعسكر معز الدولة الذي كان خلفه بالموصل
واستأمن الديلم الى ناصر الدولة فأخذ ترأسهم وأحرقها ووهب لكل واحد
منهم عشرة دراهم وصرفهم وأسروا بكتوزون وسبكتكين وسائر الأتراك
ووهرى وصاعداً واحمد الطويل غلام موسي فيأذه وكان قد أصعد من
الاهواز ليتظلم الى معز الدولة من وضيعة لحقته في ضمان كان في يده^(٢٦٦) وأخذ
بنو حمدان ما كان لمعز الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب خز ومائتي
الف درهم كانت (حمات اليه من بغداد ومائتي الف درهم كانت) للحاجب
وحمل جميع ذلك مع الاسارى^(٢٦٧) الى القلعة . وبلغ ناصر الدولة وأولاده
مسير معز الدولة من نصيبين فلم يقيموا ومضوا الى سنجار وصار معز الدولة
الى برقيمد ولم يكن عنده ما جرى على أصحابه بالموصل وبلغه ببرقيمد ان
ناصر الدولة قد صار بالجزيرة فعبدل من برقيمد الى الجزيرة . فبلغه اقبال
حمدان بن ناصر الدولة اليه فوقف له فاذا هو مستأمن اليه مع علوان القشيري
وسار معز الدولة الى الجزيرة فلم يجد بها ناصر الدولة فسار الى الموصل

وبلغه في طريقه ماجرى على أصحابه بالموصل فكتب الى الحاجب وهو
بنصيبين أن يصير الى بلد وعبر هو الى بلد واتخذ سواده الى تكريت .
ووافاه الحاجب وأبو الهيجاء حرب بن أبي العلاء ابن حمدان مستأمنًا وسار
يريد نصيبين ووافاه أبو جعفر العلوي النصيبيني برسالة ناصر الدولة ياتمس
الصالح فلم يجبه . وكان أبو تغلب قد صار الى الموصل ونزل في الدير الاعلى
ولم يهج في أيام مقامه أسباب معز الدولة ولا عرض لهم وظهر جميلا

ومضى حمدان الى الرحبة وكان بها الفتيكين خاربه هناك وأقبل معز الدولة
الى الموصل فرحل أبو تغلب من الدير الاعلى وجاء معز الدولة فنزل مكانه
واستأمن^(٢٦٨) اليه هزار مرد الصغير من غلمان أبي تغلب وجاء المسيب
والهيا بكشمرد أسيراً فخلع على المسيب والهيا وطبوا وسورا . وراسل
أبو تغلب معز الدولة بصاحبه أبي الحسن على بن عمرو بن ميمون وجرت
له خطوط استقرت على ان ضمن أبو تغلب ما كان في يد أبيه ناصر الدولة
من الموصل وديار ربيعة والرحبة على ان يحمل عن بقايا سنة ٣٥٣ ستمائة الف
درهم وعن أربع سنين مستأنفة آخرها سنة ٥٧ لكل سنة ستة آلاف الف
ومائتي الف درهم وان يعجل حمل الستمائة الاف مع الاسارى الذين في
يده الى الحديثة اذا حصل الامير معز الدولة بها وضمن ان يرد من جملة
ما حصل في أيديهم من المال والامتنعة التي أخذت في وقت الايقاع
بيكتوزون ما حصل في يده بقسطه ووعد بطالب الباقي وحمله وتقرر ذلك
وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والمدول وقاضي البلد بامضاء ذلك
وكتب الى الفتيكين بالانصراف من الرحبة وكتب على بن عمرو خطه
بضمان ما تقرر عليه الامر ورهن نفسه على امضاء أبي تغلب ذلك وسار معز

الدولة الى الحديثه وورد صاحب أبي تغلب بالمسال ثم وافاه بكتوزون^(٢٦٩) وسبكتكين المعجمي وسار الي بغداد .

وفيهما ورد الخبر بالموصول بان أبا عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الداعي الحسن^(١) خرج من بغداد سرا إلى بلد الديلم وخلف والدته وابنه وعياله في داره ببغداد ظاهرين

(١) ووالده الحسن بن القاسم هو امام الزيدية الذي قام بالرى وقتل سنة ٣١٦ (صله عريب ص ١٣٧) وأما أبو عبد الله فقال صاحب التكملة انه كان لزم الكرخى والحنبل وقرأ عليه الفقه وقرأ الكلام على أبي عبد الله البصرى ومنشاه بطبرستان وكان يجيب في الفتاوى أحسن جواب والزمه معز الدولة النظر في نقابة الطالبيين ببغداد سنة تسع وأربعين ففعل بخيرا وعمر وقوفهم . وسأله معز الدولة عن طليحة والوزير فقال : هما من أهل الجنة لان النبي صلعم بشرهما بالجنة . وكان المهلب يخافه فوضع عليه موضوعات منها انه كان يأخذ البيعة على الديلم وبلغ من اجلال معز الدولة له انه دخل عليه وهو مريض فقبل يده استشفاه بها . ولما غاب معز الدولة في هذه السفرة الى نصيبين تخلف ابنه عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعي خطبه بعض أصحاب عز الدولة في معنى علوى خطابا أومأ عليه فامتعض أبو عبد الله من ذلك وخرج مغضبا وكان ينزل بدار على دجلة بباب الشعير فرتب قوما معهم بالجانب الشرقى وأظهر انه مريض وخرج محتفيا ومعه ابنه الاكبر وخلف أولاده وعياله وزوجته ببغداد ونعمته وكما تحويه داره ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفا ومصحفا وسلك طريق شهرزور ومضى الى هوسم . وسماه علوى هناك قام بعده وكانت وفاته سنة ٣٥٩ . وفي الاصل هو أبو عبد الله محمد بن الحسين وكذا في الكامل لابن الاثير والصواب انه ابن الحسن .

وأما الكرخى فهو أبو الحسن شيخ الحنفية بالعراق اسمه عبيد الله بن الحسين بن دلال وعن الخطيب : انه لما أصاب أبا الحسن الكرخى الفالج في آخر عمره حضره وحضر أصحابه أبو بكر الدامغانى وأبو على الشاشى وأبو عبد الله البصرى وقالوا : هذا مرض يحتاج الى ثقة وعلاج والشيخ مقل ولا ينبغي ان نبذله للناس . فكتبوا الى سيف الدولة ابن حمدان فأحسن أبو الحسن بما عم فيه فبكى وقال : اللهم لا تجعل رزقي الا من حيث عودتي . فمات قبل ان يحمل اليه شيء ثم ورد من سيف الدولة عشرة

(٢٠٨) (سنة ٣٥٣ هجرية) (٢٧٠) ثمرة الاصل

وصار سيف الدولة الى ميافارقين واحتال أصحابه على القلعة التي كانت
خدمات له من أبي الورد وهرب نجا فحصل لسيف الدولة القلاع وأسارى
[الروم] وأخ انجا .

وأقام الدمستق على المصيصة وهادى سيف الدولة ببغال ودواب
وثياب ديباج رومية وصياغات ذهب وقبالة سيف الدولة بهدايا فصار سبباً
لمقام الدمستق في بلدان الاسلام ثلاثة أشهر لا ينزعه أحد ولا يمكنه فتح
المصيصة وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ووقع في أصحابه الوبأ فاضطر الى
الانصراف بعد ان حمل اليه مال من المصيصة

وفيهما ظهر بالكوفة رجل ذكر انه علوي وكان مبرقما فوقعت بينه
وبين أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وقائع فلما دخل معز الدولة بغداد
هرب المبرقع .

وورد الخبر بان نجا صار الى مولاه سيف الدولة فأعاده الى مرتبته (٢٧٠)

آلاف درهم فتصدق بها . توفي سنة ٣٤٠

وأما أبو عبد الله البصري فهو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي
المتكلم صاحب أبي الحسن الأشعري وهو بصرى قدم بغداد ودرس بها علم الكلام
وصنف التصانيف وعليه درس الفاضل أبو بكر ابن الطيب الباقلائي هذا الفن (وفي ترجمة
الباقلائي انه أخذ عنه علم النظر) وقال الخطيب : ذكر لنا غير واحد انه كان فحش الستر
حسن التدين توفي في حدود سنة ٣٧٠ - ٣٦٠ كذا في تاريخ الاسلام .

وأما أبو علي الشافعي فقيه أيضاً انه الحسن بن صاحب بن حميد وانه طواف جوال
أرتخه الخطيب ونعته بالمعظ الخليلي وتوفي سنة ٣١٤ وهو مذکور في كتاب الانساب
للسمعاني ص ٣٢٥

وفيه أيضاً (ص ٢١٩) ان أبا بكر الدامغاني هو أحمد بن منصور الانصاري أحد
الفقهاء الكبار من أصحاب الرأي فدرس ببغداد على أبي الحسن الكرخي ولما فجع
الكرخي جعل الفتوى اليه دون أصحابه فقام ببغداد دهرًا طويلاً .

﴿ ودخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه^(١) ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فامرت زوجته وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ان يُجر برجل نجا ففعل ذلك الى ان اخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ما جرى وطُرح في مجرى ماء ينصب اليه المياه والافذار وبقي فيه الى الغد وقت العصر ثم اخرج وكفن ودُفن وفيها وصل أبو أحمد خلف بن أبي جعفر ابن بانو الى الخليفة اُوصله ممز الدولة فقلده سجستان وخلع عليه وعقد له لواء .

وورد الخبر بان الاتراك نزلوا على بلد الخزر واستنصروا أهل خوارزم فامتنعوا من نصرتهم وقالوا : أنتم يهود فان أحييتم ان نعاونكم فاسلموا . فاسلموا الا ملوكهم

وورد الخبر بان أبا عبد الله ابن الداعي لما وصل الى بلد الديلم اجتمع اليه منهم عشرة آلاف رجل وان ابن الناصر العلوي هرب من بين يديه . ثم أوقع بقائده كبير من قواد وشمكير وانه تلقب بالمهدي لدين الله^(٢)

(١) وقال صاحب تاريخ ميفارقين . حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة على الشراب فكلّم سيف الدولة في شيء وحاجة وخرج عليه بكلام قبيح فوثب عليه غلام لسيف الدولة يسمى نجا حا فضربه على رأسه بسيف فقتله فحمل الى ميفارقين ودُفن بها وندم سيف الدولة على قتله وسار وملك اخلاط وتلك الولاية بأسرها .

(٢) الناصر لدين الله هو أبو الحسن أحمد بن الهادي الى الحق يحيى امام الزيدية استعان به وجوه خولان على أخيه المرتضى (أبي القاسم محمد بن يحيى) في سنة ٣٠١ وقام الناصر فيهم وتوفي سنة ٣٢٥ وله أولاد منهم الحسن وجعفر ويحيى كذا في كتاب الحقائق الوردية . وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئي ص ١٥٧) ان ابنه الحسن قام بالامر بعد أبيه . وكان يلقب المنتجب لدين الله ونازعه أخوه يحيى على الامامية ويقب

وورد الخبر بان نقفور ملك الروم بنى بقدسارية مدينة^(٢٧١) وهي تقرب من [بلاد] الاسلام فاقام بها ونقل اليها عياله ليقترب عليه ما يريد من بلدان الاسلام^(٢٧٢) وان أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا يسألونه أن يقبل منهم إمارة يؤدونها اليه على ان ينفذ اليهم صاحبها ليعقيم فيهم فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد ضعفوا جداً وانه لا ناصر لهم ولا دافع له عنها وانه لم تبق أقوات وانه قد آل الامر بأهل طرسوس الى أكل الكلاب [و] الميتة وانه يخرج منها في كل يوم ثلثمائة جنازة فانصرف رأيهم عما كان عمل عليه وأحضر رسولهم وضرب له مثلاً وقال « مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد وذبلت وضعفت حتى يقدر من رآها انها قد ماتت فان أخذها انسان وأحسن اليها وأدفاها انتعشت ولدغته وأنتم انما بنجتم بالطاعة لما ضعفتم وان تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم . وأخذ الكتاب الذي أوردته فاحرقه على رأسه فاحترقت لحيته وقال : امض اليهم وعرفهم انه ليس عندي الا السيف . فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على ان ينفذ^(٢٧٣) جيشاً الى

بالمصور كان فيه خير أنفذ رجلاً الى بغداد أيام كان أبو عبد الله ابن الداعي بها وذلك في أيام معز الدولة وقال له : اختر حاله فان رأيته أفضل مني وأولى مني بالامامة فاكتب الي بذلك لاتباعه له وأدعو اليه . وفي الحقائق انه لما قام ابن الداعي في سنة ٣٥٣ حاربه أبو محمد الحسن بن محمد بن الثائر المعروف بأميركا وانه أنفذ اليه من جرجان نصر ابن محمد الاستدار لحاربه فالتقوا بشاوس ثم وقع تخليط عسكر ابن الداعي بسوء تدبير من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة عليه فلم يتمكن من الامتداد الى طبرستان وعاد الى هوسم فقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الديلم بالجيل وكان ينادي بتلوهم ونفاقهم وقلة وفائهم بما كانوا بذلوا له أيام مفاهه بغداد وتوفي سنة ٣٦٠ (١) وفي تاريخ الاسلام : وسكنها لغير كل وقت وترك أباه بالقسطنطينية

الشام وجيشاً الى الثغور وجيشاً الى ميفارقين وكان سيف الدولة بميفارقين
[قد] تخاض البطارقة الذين في يد نجبا وكان بميفارقين نحو الف كُرّ حنطة
فمزقها وفرقها لثلاث تأخذها الروم

ثم ان ملك الروم أتقذ الى المصيصة قائداً من قواده فأقام عليها يحارب
أهلها ثم جاء الملك بنفسه فأقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف في
أهلها فقتل منهم مقاتلة عظيمة ثم رفع السيف وأمر أن يُساق من بقي في
المدينة من الرجال والنساء والصبيان الى بلد الروم وكانوا نحو مائتي الف
انسان ثم سار عنها الى طرسوس فحاصرها فاذعن أهلها بالطاعة فأعطاهم الملك
الامان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقي أهلها بالجميل ودعاه رؤساءهم الى طعامه
فأكلوا معه وأمرهم بالانتقال عنها وان يحمل كل واحد من ماله وسلاحه
ما أطاق حماله ويُخلف الباقي ففعلوا وساروا وسير معهم ثلاثة نفر من
البطارقة يحمونهم فمرض لهم قوم من الارمن فاوقع الملك بهم وعاقبهم وقطع
انافهم لمخالفتهم أمره . ولم يزل طول طريقهم يتعرف أخبارهم بكتبه ورساله
الى ان عرف سلامتهم وحصولهم بانطاكية وحمل بعضهم في البحر في
شنديات له الى حيث ارادوا .

ثم جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلًا لدوابه ونقل ما كان
فيه من قناديل الى بلده وأحرق المنبر وقلد البلد بطريقاً من بطارقتة في خمسة
آلاف رجل وقلد المصيصة بطريقاً آخر وتقدم بعمارة طرسوس وتحصينها
وجلب الميرة اليها من كل جهة فعمرت ورخص السعير بها حتى صار الخبز
بها رطلين بدائق فتراجع أهلها اليها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم
وعمل الملك على ان يجمعها حصناً ومقلاً له لحصانتها وليقرب عليه ما يريد

من بلدان الاسلام .^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وقيل رجع جماعة من أهل المصيصة اليها وتنصروا وكان السبب في فتح المصيصة أنهم هدموا سورها بالنقوب فأشار عليهم رجل بمحيط أن يخرجوا الاسارى يعطف عليهم الملك نفقور فاخرجوهم فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطعموه في فتحها فزحف عليها ولقد قاتل أهلها في الشوارع حتى أبادوا من الروم أربعة الاف ثم غلبوهم بالكثرة وقتلوهم وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا رقابهم بأزاء طرسوس فأخرج أهل طرسوس من عندهم من الاسرى فضربوا أعناقهم على باب البلد وكانوا ثلاثة الاف . وقال أيضا . ان في هذه السنة اشتد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثرت عليهم جموع الروم وضعفت عزائمهم بأخذ المصيصة وبما هم فيه من القلة والغلاء . وعجز سيف الدولة عن نجدهم واقطعت المواد عنهم وطال الحصار وخذلوا فراسلوا تقفور ملك الروم في أن يسلموا اليه البلد بالأمان على أنفسهم وأموالهم واستوثقوا منه بإيمان وشرايط . ودخل طائفة من وكلاء الروم فاشتروا منهم من البز الفاخر والاولاني الخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحماتهم لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها وخرجوا بحريتهم وسلاحهم وأموالهم .

فوافى تبج الثملى من مصر في البحر في مراكب فاقبل بملك الروم خبره فقال لاهل طرسوس . غدرتم . فقالوا : لا والله ولو جاءت جيوش الاسلام كلها . فبعث الى الثملى : يا هذا لا تفسد على القوم أمرهم فانصرف . ثم عمل تقفور دعوة للكبار أهل البلد وخالع عليهم وأعطاهم جملة وخفرهم بحيش حتى حصلوا بغير اس وحصل منهم خمسة الاف بانطاكية فأكروهم أهلها . ثم دخل الروم مدينة طرسوس فأحرقوا المنبر وجعلوا المسجد اصطبلًا

وأما سيف الدولة فانه سار الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس وخلط وبها أخو نجا غلامه عصيا عليه فتملك المواضع ورد الى ميفارقين . وعمد أهل انطاكية فطردوا نائب سيف الدولة عنهم وقالوا . نذارى بيت المال ملك الروم أو نبرح عن انطاكية فلا مقام لنا بعد طرسوس . ثم أنهم أمروا عليهم رشيقا النسيجي الذي كان على طرسوس فكاناب ملك الروم على حمل الخراج اليه عن انطاكية فتقرر الامر على حمل أربع مائة الف درهم في السنة وجعل على كل رأس من المسلمين والنصارى ثلاثين درهما والامر لله . وفي هذه السنة ورد الخبر باجابه تقفور الى ما طلبه منه سيف الدولة من الهدنة

وكان معز الدولة قد أنفذ كردك النقيب إلى عمان فلقى أميرها نافعا ووافقته على الدخول في طاعة الأمير معز الدولة وإقامة الخطبة له وكتب اسمه على الدنانير والدراهم واستجاب نافع إلى ذلك وكتب اسم معز الدولة على الدراهم والدنانير . فلما انصرف كردك عنه وقف أهل البلد على ما عمله نافع من ذلك فوثبوا به وأخرجوه من البلد وأدخلوا أصحاب الهجريين القرامطة وسلموا البلد إليهم فهم يقيمون فيه ^(٢٧٤) نهارهم ويروحون إلى معسكرهم في آخر النهار وكتبوا إلى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليرد عليهم الأمر بما يعمدون به .

وورد الخبر بأن تغفور ملك الروم عاد إلى قسطنطينية وإن الدمستق وهو ابن الشمسقيق كتب إليه يستأذنه في قصد سيف الدولة إلى ميفارقين فكتب إليه بالتوقف إلى أن يلحق به بقسطنطينية فمضى إليه وكان سيف الدولة

والفداء على أن يخرج بدل أبي الفوارس محمد بن ناصر الدولة ومن معه من بني عمه جماعة من البطارقة وأن يفادي بغلمان سيف الدولة عدة من الروم وأن يبتاع ما يفضل من الأسرى ببلد الروم كل واحد دينارين ديناراً فأحضر سيف الدولة أمان ألفي راس وذلك مائة وستون ألف دينار فعانها الرسول وجاءت كتب الطرسوسيين إلى سيف الدولة ليأخذ منهم الأسارى فأنهم عجزوا عن أقواتهم للغلاء . ثم جاء من بلد الروم كتاب أبي فراس ابن حمدان من الأسر بتصحيح أمر الفداء وتقد شرائط ملك الروم وفيه خط ملك الروم بالأحمر وخطوط بطارقه على أن يأخذوا عندهم ستة من بني حمدان وبأخذه سيف الدولة عنده ستة من البطارقة

ووردت الأخبار أن ملك الروم أرسل إلى أهل طرسوس يأذنهم على أن يخرجوا سور المدينة وأن يبنوا بيعة كانت لهم تخربت فلم يجيبوا فسار حتى نزل عليهم وحاصرهم وبذلوا له ثلاثمائة ألف دينار وإطلاق ما عندهم من الأسارى فإني الآن أخرجو بالآمان بما قدروا على حمله أو أن يكونوا في طاعته ويخربوا سورهم فامتنعوا وأخذت الروم ثغر المصبصة فقتلوا كل الرجال فلم يقات منهم إلا سبعة نفر فما شاء الله كان

قلد رشيقا النسيجي وهو من وجوه أهل طرسوس فلما حصل سيف الدولة
 بديار بكر وسلم رشيق هذا طرسوس في جملة من سلمها الى ملك الروم خرج
 الى انطاكية . فالتصق به انسان صغير القدر يعرف بابن الالهوازي كان يتضمن
 الارجاء بانطاكية وكان قد اجتمع عنده مال فأنغوى رشيقا وسلم اليه ما اجتمع
 عنده من المال وأطعمه في أن سيف الدولة لا يعود الى الشام وخرج معه الى
 حلب . وجرت بينه وبين قرغويه حروب كثيرة وصعد قرغويه الى قلعة حلب
 فتحصن فيها قاتل سيف الدولة خادما له أسود ويعرف ببشارة ليكون مع
 قرغويه في القلعة فنزل هذا الخادم في بعض الأيام وانضم اليه قطعة من
 الاعراب كانوا قد وافوه وجماعة من الجند والغلمان فلما^(٢٧٥) أحس بهم رشيق
 انهزم وسقط عن دابته فنزل اليه رجل من الاعراب من بني معاوية عرفه
 فحز رأسه وصار به الى قرغويه وبشارة وانهزم أصحاب رشيق وتركوا كل
 ما لهم في ظاهر حلب وهرب ابن الالهوازي الى انطاكية وكان أخوه
 مقيما بها . فنصب رجلا من الديلم اسمه دزبر وسماه الامير واعتضد برجل
 علوي أفضى ووعدته الملوى ان تم له الامر ان يجعله الرئيس والمدير وتسمى
 بالاستاذ فظلم الناس بانطاكية وجمع الاموال وقصده قرغويه الى انطاكية
 وجرت بينهما وقعة فكانت على الالهوازي أكثر الليل وقطعة من النهار
 ثم صارت له على قرغويه لان أهل البلدعاونوه

وقد كان سيف الدولة كتب الى قرغويه الا يخرج الى انطاكية
 فانهزم قرغويه وعاد الى حلب وانصرف سيف الدولة من الفداء ودخل
 حلب وأقام بها ليلة وخرج من غد فواقع دزبر وأسر دزبر وابن الالهوازي
 في ضيعة في طريق بالس يعرف بتسعين فانهزم أصحاب دزبر وأسر دزبر

ومضى ابن الاهوازي فطرح نفسه في بيوت بني كلاب فوجه اليهم سيف الدولة يطالبهم به ووهب لهم ثلاثين الف درهم فسلموه اليه^(٢٧٦) وقتل دزبر واعتقل ابن الاهوازي مدة . ثم خرج ملك الروم الى الشام واشتغل سيف الدولة به وأمر باحضار ابن الاهوازي^(٢٧٧) فقتل بحضرته .

وفي هذه السنة أنفذ أبو تغلب ابن ناصر الدولة الى الامير معز الدولة شيئا كثيرا من المال والثياب التي كانت أخذت بالموصل وقت القبض على بكتوزون فاما المال فانه قبله وأما الثياب فانه ردها عليهم وقال : لعل فيها شيئا استحسنتموها وقد وهبتها لكم . وكانت لها قيمة عظيمة ولكنه ترفع عن ارتجاعها

﴿ ودخات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بأن بني سليم قطعوا الطريق على قافلة المغرب ومصر والشام الحاجة الى مكة في سنة ٣٥٤ وكانت قافلة عظيمة وكانت فيها من الحاج والتجار والمنتقلين من الشام الى العراق هربا من الروم ومن الامتعة التي لهم نحو عشرين الف حمل منها دق مصر الف وخمسمائة حمل ومن أمتعة العرب اثني عشر الف حمل وكان في الاعدال الامتعة من العين والورق ما يكثر مقداره جدا . وكان فيها لرجل يسرف بالخواتيم قاضي طرسوس مائة وعشرون الف دينار عينا وان بني سليم أخذوا الجمال مع الامتعة فبقى الناس رجالة^(٢٧٧) منقطا بهم كما أصاب الناس في الهير سنة القرمطى^(٢٧٨) فمن الناس من عاد الى مصر ومنهم وهم الاكثر تلف .

(١) وفي تاريخ الاسلام هو محمد بن احمد بن الاهوازي (٢) وفي الاصل : رجالهم

(٣) قد ذكر فيما تقدم ١ : ١٢٠

وورد الخبر بأن أبا عبد الله العلوي ابن الداعي لبس الصوف وأظهر النسك والصوم وتقلد المصحف وواقع ابن وشمكير فهزمه وأسر جماعة من أصحابه وقواده وعمل على المسير إلى طبرستان وكتب إلى العراق كتابا يدعوهم فيه إلى الجهاد

وفيه لقب الحبشي بن معز الدواة بسند الدواة وكتب به كتاب عن الخليفة

﴿ ذكر ما جرى في عمان ﴾

كنا حكيما من أمر عمان ماجرى في أمرها إلى وقت دخول القرامطة إليها باختيار أهلها وكان مع القرامطة كاتب يعرف بعلي بن أحمد وكان هو الذي ينظر في أمر البلد والجيش . وكان قاضي البلد رجلا له عشيرة وعز منيع فرأى مع وجود البلد بعد نفى نافع من البلد أن ينصبوا في الإمارة رجلا يعرف بابن طغان وكان من صغار القواد بعمان وأدناهم مرتبة فيخاف من القواد الذين فوقه في المرتبة والحل أن يغلبوه على أمره فقبض على ثمانين قائدا منهم وقتل بعضهم وغرق بعضهم . وقدم إلى البلد ابنا أخت لرجل ممن غرق وسألا عن حاله فعرفا أنه غرق فامسكا وأقاما مدة فلما^(٣٧٨) كان يوم من أيام السلام دخلا في جملة المسلمين على ابن طغان فلما تقوض المجلس فتكابه وقتلاه . فاجمع رأى الناس على عمدة الأمر لعبد الوهاب بن أحمد بن مروان قرابة القاضي فوجهوا يلتمسونه فاستتر فألزموا القاضي احتضاره والزامه تقلد إمارة البلد ففعل القاضي ذلك وراسله فظهر وتلاذد الأمر وبويع له واستكتب له علي بن أحمد الكاتب الذي كان وافي مع الهجريين ووافق علي بن أحمد الجيش على أن يطلق لهم رزقين صلة فأخرجت الأموال وأبدأ علي بن أحمد ينق في الناس

رزقتين فلما انتهى الى الزنج وهم ستة آلاف رجل لهم بأس وقوة وقال^(١) لهم : ان الامير عبد الوهاب أمرني أن أطلق لكم أنتم رزقة واحدة فقط . واضطربوا من هذا فقال لهم : امضوا اليه وخاطبوه . فمضوا فلما بعدوا منه قليلا استردهم الى مجلسه وقال لهم : انكم اذا مضيتم لم يوصلكم اليه ولم يزدكم على رزقه واحدة فهل لكم أن تبايعوني وأطلق لكم رزقتين وتسكون الامارة لي ؟ فقالوا : نعم . فاطلق لهم رزقتين فاضطرب البيضان من ذلك ووقع بينهم وبين الزنج مناوشة فقتل من البيضان جماعة فسكنوا وصارت كلمتهم وكلمة الزنج واحدة وبايعوا على بن أحمد^(٢) ثم راسلوا عبد الوهاب بن احمد ابن مروان : بانا قد عقدنا الامر لغيرك فاخرج عن البلد . فخرج وحصل الامر لعل بن احمد .

وفيهما خرج الامير معز الدولة الى واسط لمخاربة عمران بن شاهين وأنفذ جيشا الى عمان وكان خروجه من بغداد يوم الثلاثاء الحادي عشر من رجب ورحل الى واسط وهو محموم فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من رجب وافى نافع الاسود مولى يوسف بن وجيه مستأمنا اليه فقبله . ونظر معز الدولة فيما يحتاج اليه من أمر عمان مما سذكروه وانحدر من واسط الى الابله ونزل في شاطئها في شاطئ عمان في دار البريديين وأخذ في الاستعداد لانفاذ جيش الى عمان وبني الشذات والمراكب قبل ذلك وطالب الديلم بالخروج الى عمان فاستجابوا الاقوما وهم بضعة عشر رجلا فانهم امتنعوا فامر بطردهم فانقضاء الديلم والاتراك الى ما أراد وندب أبا الفرج محمد بن العباس للخروج مع الجيش الى عمان لرياستهم وتدير الحرب

وولاية البلد اذا فتحه

فاما كان يوم الخميس للنصف من شوال نفذ الجيش في المراكب والشذات وهي مائة قطعة ومعهم المعروف بابي عبد الله جبّ ونافع الاسود فلما صاروا بسيراف^(٢٨٠) انضم اليه جيش عضد الدولة في مراكب وشذات وكان أعدهم هناك نجدة لعمه فلما وصل أبو الفرج الى عمان مع الجيش دخلها وماسكها وقتل بها مقتلة عظيمة وأحرق مراكب أهل عمان وهي تسعة وسبعون مركبا . فاما عمران بن شاهين فانه أنفذ معز الدولة اليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسد الانهار عن البطائح وأصعد معز الدولة الى واسط ومنها الى بغداد وخلف بواسط عسكره وغلمانه والخابج الكبير على ان يعود الى واسط بعد عشرين يوما فيستتم ما شرع فيه من أمر عمران فلما وصل الي بغداد مات فدفعت الضرورة الى مصالحة عمران كما سنشرحه من أخباره في سنة ٣٥٦ وفي هذه السنة انهزم ابراهيم السلار من بين يدي أبي القاسم ابن ميشكى بأذربيجان وورد حضرة ركن الدولة بدابته وسوطه ولم يفلت معه أحد فأكرم ركن الدولة بالوصلة التي كان عقدها المرزبان وكان ركن الدولة قد رزق من أخت ابراهيم ابنه أبا العباس وبالغ ركن الدولة في اعظام ابراهيم وأجزل له العطاء وحمل اليه من كل صنف يكون عند الملوك وفي خزائهم . وكنت حاضرا بالرى فركبت^(٢٨١) للنظر الى الهدايا المحمولة الى ابراهيم فوقفت مع جماعة النظارة قريبا من دار الامارة وابتدأت الهدايا تحمل من نخوت الثياب والرزم والاسقاط من جميع أصناف الثياب فكانت مع مائة رجل يحملونها على رؤوسهم ثم ابتدأت هدايا الطيب [وكانت هلى

صواني فضة وآلاتها من الادراج وغيرها وكانت على أيدي ثلاثين رجلا ثم ابتدأت بدر الاموال [فكانت على صدور الرجال مع صرار الذهب أما كياس الدراهم فكانت مع خمسين رجلا وأما صرر الدنانير فكانت من حرير أحمر مع عشرين رجلا ليفرق بينهم وكانت كياس الورق بيضاء ثم ابتدأت خزائن الفرش على البغال فلم أحصها وتبعها جنائب الدواب بمراكب ذهب وفضة وجلال ثم تبعها الجمال مزينة موقرة بالآلات الفرش الثقيل والخيم والخركاها والشرع والسرادقات فكانت كثيرة حسنة لم أر مثلاً هدية في وقت واحد يسمح بها

﴿ ذكر السبب في هزيمة ابراهيم من آذربيجان على تلك الصورة ﴾

﴿ القبيحة ووروده الى حضرة ركن الدولة ﴾

لما انهزم ابراهيم من بين يدي اسماعيل بن وهسوذان وأبي القاسم ابن ميشكى الى أرمينية ابتداء في أهبة أخرى واستعداد آخر فبالغ واجتهد وكاتب ملوك أطرافه من الارمن وغيرهم وجمع الاكراد واستصاح ناحية جستان بن شرمزن ورغب الناس^(٢٨٢) في الولايات والاقطاعات وبذل خطه لهم بها. وانفق ان توفي اسماعيل بن وهسوذان فسار ابراهيم الى أردبيل وملكها وانصرف ابن ميشكى مع جماعة الى طاعة وهسوذان فزحف ابراهيم الى الطرم منازعاً عمه وطالبا بثأر اخويه جستان وناصر فاحجم وهسوذان عن اقامته والذبات له وشجمه أبو القاسم ابن ميشكى فابى عليه ورأى أن يسير الى بلاد الديلم فسار معه أبو القاسم بن ميشكى ودخل ابراهيم الى أعماله فخط أبوابه ودوخ دياره وبحث عن أمواله وبالغ في الاضرار به مدة ثم عاد الى آذربيجان. وجمع وهسوذان وابن

ميشكى الرجال من سائر بلدان الديلم فاحتفلا واحتشدا ورجعا الى الطرم وسار أبو القاسم ابن ميشكى الى آذربيجان وقصد قواه وهسودان بالمال والرجال فنزل اليهم ابراهيم وجرت بينهما حروب كانت على ابراهيم فانهزم على تلك الحال وتبعه الطلب من قبل عمه وهسودان فتقطع الناس عنه حتى بلغ الري الى حضرة ركن الدولة على حاله لا ائذابه .

وفي هذه السنة تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة أبا فراس الحارث بن سميد بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضى أبي حصين^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الاسر الى ميافارقين أخذه أخت الملك لتفادي به أخاها فجاء ستة آلاف فنفس سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة الى حصن الهاخ فلما شاهد بعضهم ببعض سرح المسلمون أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة فالتقى في وسط الطريق وتماثقا ثم صار كل واحد الى أصحابه وترجلوا له وقبلوا الارض ثم احتفل سيف الدولة لابن أخيه وحمل له الخيل والمماليك والعدد التامة فن ذلك مائة مملوك بمناظرتهم وسيوفهم وخيولهم . وطال مقام سيف الدولة بميافارقين فاتفق في سنة وثلاثة أشهر بفا وعشرين الف الف درهم ومائتين وستين الف دينار وتم الفداء في رجب فخلص من الاسر من ابن أمير الى راجل ثلاثة آلاف ومائتان وسبعون نفسا وتقدر أضرارهم أعوام . وأرسل أبا القاسم الحسين بن علي المغربي لتقدير ذلك ومعه هدية بمشرة آلاف دينار منها ثلاثمائة مثقال مسك واتفق سيف الدولة على الفداء ثلاثمائة الف دينار

وقال ايضا : وفيها سار طاغية الروم بجيوشه الى بلد الشام فمات وافسد واقام به نحو خمسين يوما فبعث سيف الدولة يستنجد أخاه ناصر الدولة يقول : ان تغفور قد عسكر بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربي أن يكتب بشيء . فقال : لا اجيب سيف الدولة الا من انطاكية ليذهب من الشام فانه لنا ويمضي الى بلده ويهادن عنه . وان اهل انطاكية راسلوا نفور وبذلوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالا وانه التمس منهم يد يحيى بن زكريا عليهما السلام والكروسي وان يدخل بيعة انطاكية ليصلى فيها ويسير الى بيت المقدس

وفيهما لقب الخليفة أبا منصور بويه بن دكن الدولة بمؤيد الدولة
وكتب^(٢٨٣) بذلك الى الامصار

وكان الذي جر خروجه واحتفه احراق بيعة القدس في هذا العام وكان البترك كتب الى
كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة فكاتب متولى القدس
بالشد على يده فجاءه من الناس ما لم يطق دفعه فقتلوا البترك وحرقوا البيعة وأخذوا زيتنها
فراسل كافور طاغية الروم بان يرد البيعة الى أفضل ما كانت فقال : بل انا ابنها بالسيف
واما ناصر الدولة فكاتب الى اخيه : ان احب سيرة اليه سار وان احب حفظه ديار بكر
سار اليها . وبث سراياه واصعد سيف الدولة والناس الى قلعة حلب وشحنها وانجفل الناس
وعظم الخطب واخليت نصيبين . ثم نزل عظيم الروم بجيوشه على منبج وأحرق الرض
وخرج اليه أهله فاقهرهم ولم يوذهم ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخرا
الى قنسرين ورجاله والاعراب قد ضيقوا الخناق على الروم فلا يتركون لهم علوفة تخرج
الا أوقعوا بها . وأخذت الروم أربع ضياع بما حوت فراسل سيف الدولة ملك
الروم وبذل له مالا يعطيه اياه في ثلاثة أقساط فقال : لا أحبيبه الا أن يعطيني نصف الشام
فان طرقي الى ناحيه الموصل على الشام . فقال سيف الدولة : لا أعطيه ولا حجرا واحدا .
ثم جالت الروم بأعمال حلب وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيرز وانسكت العربان في
الروم غير مرة وكسبوا ما لا يوصف ونزل عظيم الروم على انطاكية محاصرها ثمانية أيام ليلا
ونهارا وبذل الامان لاهلها فابوا فقال : انهم كاتبتموني ووعدتموني بالطاعة . فاجابوا : انما
كاتبنا الملك حيث كان سيف الدولة بارمبية بعيدا عنا وظننا أنه لا حاجة له في البلد وكان
السيف بين أظهرنا فلما عاد سيف الدولة لم يوبه على ضبط أدياننا وبلدنا شيئا . فاجزم
الحرب من جوانبها فخر به أشد حرب وكان عسكره معوزا من العلوفة ثم بعث نائب
انطاكية محمد بن موسى الى قرغويه متولى نيابة حلب بفواصل الامور وبيات الناس على
القتال « وانا ايلي ونهاري في الحرب لا أستقر ساعة وان الامين قد ترحل عنا ونزل الجسر »
وفيهما أرقع تقي السيفي بسرية الروم قاصطموها ثم خرج الطاغية من الدروب وذهب
ثم جاء الخبر بأن نائب انطاكية محمد بن موسى الصلحي أخذ الاموال التي في خزائن
انطاكية معدة وخرج بها كأنه متوجه الى سيف الدولة فدخل بلد الروم مرتدا فقبل
انه كان عزم على تسليم انطاكية للهالك فلم يتمكنه لاجتماع أهل البلد على ضبطه فخشي أن
يتم خبره الى سيف الدولة فهرب بالاموال

وفيهما ورد جيش من خراسان عظيم

﴿ ذكر خبر الغزاة الواردين من خراسان وما دبروه بالري ﴾

(على الديلم وما انعكس عليهم من الامر بعد استعلائهم)

ورد الخبر على ركن الدولة بالري بخروج قوم من خراسان يحزرون عشرين الفا ويظهرون انهم غزاة واستراب بهم صاحب الحد وهو اسفوزن بن ابراهيم وذلك انهم عاثوا لما دخلوا الحد وخاطبهم وراسل رؤساءهم فلم يجد عندهم نكيرا ولم ير سيرتهم سيرة الغزاة ولم يكن لهم رئيس واحد بل كان لاهل كل بلد من بلادهم رئيس منهم فلما ورد كتاب اسفوزن بصورتهم أشار الاستاذ الرئيس حقا على ركن الدولة الا يأذن لهم في دخولهم مجتمعين وان يرسلهم في أن تصير منهم عدة في نحو الف رجل الى الري فاذا خرجت هذه العدة منها ورد مثلها حتى يتابعوا على ذلك فلا تكون منهم معرفة ولا يحدثوا أنفسهم بسوء أدب فامتنع ركن الدولة من قبول رأيه « ولا يتحدث الملوك اني احترزت من اقيف خراسان وخشيت نائرتهم » فقال له وزيره أعني الاستاذ الرئيس حقا : فان لم تفعل هذا فكاتب عساكرك فانهم متفرقون عنك بالجبل واصبيان وغيرها حتى تتوافي اليك فان معك بالري ^(٢٨٤) عدة يسيرة وانت غير مستظهر بالرجال ولا آمن أن يكون لهؤلاء القوم مواطاة مع صاحب خراسان وعددهم كثير وهم مستعدون بعلة الغزو ونحن على غير أهبة ولا استعداد . فابى عليه في هذا الرأي ولم يحفل بالقوم وكاتب صاحب الحد بان يأذن لهم ويفرج عن وجوههم ولا يُصير لاشربمبدأ .

فسار القوم باجمعهم ومعهم فيل عظيم من بين الفيلة حتى نزلوا بالري

واجتمع رؤسائهم الى مجلس الاستاذ الرئيس يخاطبونه في مسئلة الامير ركن
الدولة أن يطلق لهم مالا يستعينون به علي أمرهم فوعدهم بذلك وظن ان
القليل يسعهم على رسم الفزاة فاذا هم يطعمون في شيء كثير وقالوا : نحتاج الى
مال خراج هذه البلدان كلها التي في أيديكم فانكم انما جيتتموها لبيت مال
المسلمين لنائبه ان نائبهم ولا نائبة اعظم من طمع الروم والارمن فينا واستيلائهم
على ثغورنا وضعف المسلمين عن مقاومتهم . وسألوا مع ذلك أن يخرج معهم
جيش ينضمون اليهم وأخذوا في هذا النحو من الكلام وتبسطوا في الاقتراح
ورفع الاصوات وكان معهم فقهاء خراسان وشيوخها مثل المعروف بالقفال^(١)
وغیره . فتبين الاستاذ الرئيس^(٢) خبث سرائرهم وتيقن ما كان ظنه بهم من
الشر وطلب الفتنة ولكنه كان يداريهم ويرفق بهم . فلما لم يجدوا سبيلا من
طريق القول اليه والشغب به عدلوا الى مشافهة الديلم فكانوا يكفرونهم
ويامنونهم وكان ذلك في شهر رمضان وكانوا يخرجون ليلا ومعهم آلاتهم من
السيوف والحراب والقسي والسهام ويزعمون أنهم يأمرسون بالمعروف فيسلبون
العامة مناديلهم وعماطهم واذا تمكنوا من تفتيشه وأخذ جميع ما معه لم يقصروا
فيه والناس مع ذلك يدارونهم . فاتفق ان وقعت بينهم وبين بعض اصحاب
ابراهيم بن بابي خصومة لم يحتملها منهم فتأدى الى القتال فقتل ذلك الرجل
الديلمي واجتمع رفقائه للقتال فاجتمع من الفزاة نحو الف رجل على باب

(١) هو محمد بن علي بن اسمعيل الامام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي توفي
سنة ٣٦٥ وقيل انه ولد سنة ١٩١ وهو الذي أجاب عن الخليفة المطيع لله للقصيدة
التي وردت من تقفور عظيم الروم على المسلمين ساءتهم وشقت عليهم لما كان فيها من
التزيب وضروب الوعيد والتهديد ونسخة القصيدة تين موجودة في كتابخانه

ابراهيم بن بابي فخرج اليهم محامياً على اصحابه وقاومهم مدة الى أن راسله ركن الدولة بالكف ورأسلمهم بمثل ذلك فابوا فتسرع الديلم ومن كان قريباً لنصرة الديلم فاشتبكت الحرب وحجز بينهم الليل ورجع الخراسانية الى معسكرهم يضربون بطبولهم الليل كله ويتواعدون للقتال . فلما أصبحوا باكروا الحرب ودخلوا المدينة من ناحية اجران وفيها دار الاستاذ^(٢٨٦) الرئيس (وبرز للقائهم وبين يديه حاجبه روين وكان شهماً شجاعاً فحمل عليهم في غلمان دار الاستاذ الرئيس) فحاربهم وكسرهم حتى رجعوا الى الدرب الذي دخلوا منه ثم كثروا عليه ولم يول عنهم حتى طعن به بعضهم بحربة دخات في كم درعه وافضت الى ساعده فخرقته وكثر الناس عليه وحامى عليه الاتراك الذين معه حتى رد الى منزله وقد نزفه الدم وضعف وانكسر الاستاذ الرئيس ومضي كل من معه وثبت بنفسه على عادته . فتعاق به السالار وكان حاضراً معه وقال له : ايها الاستاذ ارجع الى الامير ولا تفجعه بنفسك فانه لم يبق حواليك أحد . وأخذ بلجامه ورده وسمعه يقول : عصّ بها بي وانت بريء من عارها . فرجعا الى دار الامارة واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه وكانت موفرة جامعة الى أن أتى الليل وانصرفوا وكان اليّ خزانة كتبه فسلمت من بين خزائنه ولم يتعرض لها . فلما انصرف الى منزله ليلاً لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزاً واحداً يشرب فيه ماء فأنفذ اليه ابن حمزة العلوي فرشاً وآلة . واشتغل قلبه بدفائره ولم يكن شيء اعزّ عليه منها وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقرية وزيادة فلما رايتي سألتني عنها فقلت : هي بحالها لم تمسها يد . فسرّني عنه وقال : اشهد^(٢٨٧) أنك ميمون النقية اما سائر الخزانين فيوجد منها عوض وهذه

الخزاة هي التي لا عوض منها . ورايته قد اسفر وجهه وقال : باكر بها في
غد الى الموضع انقلاني . ففعلت وسلمت باجمعها من بين جميع ماله
 واجتمع الخراسانية من غد ذلك اليوم وكانوا قد كسروا ركن الدولة
 في آخر نهار امسه وقويت نفوسهم وكانوا قصدوا باب روين الحاجب لينتهبوا
 داره وكان طريقا فيها غير مستقل فامر غلمانه بطرح الحطب المعد للشتاء خلف
 الباب واشعاله بالنار ففعل ذلك فلم يصلوا الى الدار من نحو الباب وراموا أن
 يتسوروا سورها فرماهم الغلمان بالسهم فتراجموا عنها . وعملوا على مباكرتها
 من الغد فلما أصبحوا راساهم ركن الدولة وداراهم وعرض على أن ينقلعوا
 من مملكتهم فلم تكن فيهم حيلة وكان الامر قد ابرم معهم بخراسان وكانوا
 ينتظرون مددا يلحقهم . وأشار على ركن الدولة نصحاءؤه بالمسير الى اصبهان
 مع أولاده وحرمه ويترك هؤلاء والرى حتي يجتمع اليه عساكره ويقصدهم
 بعديد وعباد فابى عليهم وخاطر بنفسه ودولته فانه كان في خمسمائة من قواده
 وخواصه ونحو ثلاثمائة من الغلمان وباقي ^(٢٨٨) عساكره كما ذكرنا متفرقون
 في ولاياتهم فلما كان من غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء للنصف من شهر
 رمضان تفرق الخراسانية ^(١) على أبواب المدينة وهجموا من كل وجه
 فامتألت منهم الشوارع والمحال ونادوا في البلد بما يسكن الناس والرعية
 وقصدوا دار الامارة وفيها الامير وأولاده وخزائنه . وكان الاستاذ الرئيس
 أمر بتحميل ما أمكن والمبادرة بالحرم وصغار الاولاد الى طريق اصبهان
 لينتظروا ما يكون من أمر الحرب وهم على ظهور الدواب مستعدين للتوجه
 الى حيث شاءوا فاعتصم الميدان الذي في الدار بالبغال التي عليها صناديق

الخزائن والعماريات فلم يكن للامير ركن الدولة مخلص من بينها وكان قد ركب في غلمان داره والاستاذ الرئيس معه وجماعة من قواده وحاشيته فلم يجدوا طريقا الى الخروج لتزاحم من ذكرت فوضع بينهم الدبابيس وكسرت عدة من الصناديق والبغال حتى أفرج للفرسان على ضغط شديد وزحمة منكرة فخلصوا الى الطريق وكنت مع القوم . وكان الخراسانية قد دنوا من الباب ومعهم السلايم وعندما ان ركن الدولة يتحصن في داره فخرج ركن الدولة من نحو الميدان وخرج حجابيه من الابواب الأخر وصدمو القوم^(٢٨٩) وصدقهم الديلم في المضايق حتى ردوهم الى الصحراء من الناحية المعروفة بالشجرة بعد أن أشرفنا على ذهاب النفس وزوال الدولة فلما حصلوا في السعة صافوا رجالهم للحرب

﴿ ذكر مكيدة لركن الدولة في الوقت نفذت له ﴾

كان ديلم ركن الدولة ضعفت نفوسهم لما رأوا كثرة الرجال من أعدائهم وقلة عددهم وأقبلوا يقولون : أتينا من ورائنا . فاشفق ركن الدولة إشفاقا شديدا وقال لأصحابه : طيخوا نفساً فإن الذين وراءنا هم أصحابنا . وبشرهم بورود علي بن كاهن وتقدم الى الركابية والمجرين أن يبادروا الى نحو طريق علي بن كاهن الذي يقبل منه وأمرهم أن يركضوا هناك ويشيروا النسيبة ما استطاعوا ففعل القوم ذلك وارتفع الهيج وكبر الناس وقالوا : هذا علي بن كاهن . ونشط الناس ركن الدولة وقال لهم : احملوا حملة قبل وروده . فحمل الديلم بنشاط واستبشار بورود المدد فكانت اياها وركب الخراسانية بعضهم بعضا فدرس ركن الدولة الى بعض رؤساء الخراسانية بالانحياز اليه فأمنه وبذل له ففعل وتحطم ذلك المسكر وقتلوا كل مقتلة وطلبوا الامان فامنهم

على أن يتخلى لهم الطريق فأجابهم الى ذلك . وكان قد حصل منهم عدد^(٢١٠) كثير بالبلد يذبجون كل من وجدوه على زى الديلم فاذا ذبحوه كبروا كما يفعل في بلد الكفر بالكفر فيبينما هم كذلك اذ انكفأ اليهم الديلم ظافرين فهموا بهم وقتلوا بعضهم حتى نادى فيهم ركن الدولة بالامان وأمر الديلم بالكف فلما كان بالليل تحملوا وانصرفوا على سمت قزوين هائمين على وجوههم لا يلاوى بعضهم على بعض

ثم وردت بعدهم خيل أخرى نحو الف رجل بالعدة والسلاح ولم ياحقوا أصحابهم الا مغلولين هاربين فراسلهم ركن الدولة بان يتوقفوا ولا يرحلوا وأشفق أن يكون لهم بقزوين أو في بعض الممالك عبث واجتماع آخر فلم يفعلوا وتعجلوا بالرحيل في اثر أصحابهم فاسرع في طلبهم وركض خلفهم حتى أدركهم فصافوا الحرب فقتل منهم عددا كثيرا ورد الباقين الى الري بعد أن طلبوا الامان . ثم أذن لهم في الخروج واطلاق أسرارهم وأفر لهم بنفقات فخرجوا . وقد ذهبت حشمتهم وزالت هيبتهم عن صدور الناس ولو أنهم خرجوا بالماء الذي كان لهم لبلغوا من الروم كل مبلغ ولا كثرت غزاة المسلمين معهم والله أمر هو باله

فسمعت الاستاذ الرئيس رحمه الله بعد ذلك يقول : لم أر قوما أشد من هؤلاء وما فرق جمعهم الا كثرة رؤسائهم^(٢١١) وتحاسدهم وقد كانت لهم فرص لو انتهزوا بعضها لتم لهم أمرهم . منها يومهم الذي دخلوا فيه الري فانهم اجتازوا باجمعهم وفي مواكبهم على باب الامير وهو غار وليس بيا به كبير أحد فلو هجموا عليه ما حال بينهم وبينه أحد . ومنها ليلة دخلوا البلد لو أقاموا وقصدوا دار الامارة ما تحرك في وجوههم أحد وكانت ليلة مقمرة

وهي ليلة النصف وهي كنهار غدها اشراقا واضاءة ولكن القوم عملوا على دخول البلد يوم عيد النطر والناس مشغولون (بالصلاة) بمصلاهم غارون وأتظروا أيضا المدد الذي وعدوا به وكانت الاخبار والرسل تأتيهم بقرهم منهم فعملوا على ذلك . وأثبت المقادير الا صنع الله لركن الدولة وذلك بحسن نيته ودعاه رعيته له وانظر الله تعالى للناس^(١)

وكان لآبراهيم السالار في هذه الايام مواقف حسنة وآثار جميلة وأصاب بطنه حربة لم تصل الى أحشائه لكثرة شحمه لانه كان سميئا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم الغزاة الخراسانية مياقارقن قتلهم أبوالمعالى ابن سيف الدولة وبالغ في إكرامهم بالطعمة والعلوفات ورئيسهم أبوبكر محمد بن عيسى . وقال أيضا في ترجمة سنة ٣٥٦ ان فيها دخلت الخراسانية فغزوا بلد ابن مسلمة وخرجوا بالسلامة والغنائم . وفيها رجع غزاة خراسانية الى بلادهم ودخل سيف الدولة حلب ومعه قوم من الخراسانية ومعهم فيل فمات الفيل بعد أيام فاتهموا أن النصارى سمته . وغزت الخراسانية مع أولئ الجراحى من انطاكية الى ناحية المصيصة فالتقاهم ثلاثة الاف فارس من الروم فنصر الله وقتلوا الفار من الروم وأسروا خلقا وردا بالغنائم الى انطاكية ثم عادوا غزوانا . ودخل الثغر محمد بن عيسى رئيس الخراسانية ومعه ابن شاكر الطرسوسى فظفروا وغنموا وردوا بالغنائم وتأخر في الساقة محمد بن عيسى ابن شاكر في نحو ثمانمائة فارس فدهمهم جموع الروم فقال ابن عيسى : ما استحل أن أوليهم الدبر بعد أن قربوا . وسار ابن شاكر يكشفهم فاذاهم فيما يقال في ثلاثين الفا فرجع وقال : لا طاقة لك هؤلاء . فلم يقبل والنفاهم وقتلوا أشد قتال وأنكروا في الروم نكابة عظيمة واستشهد عامة المسلمين وبقى محمد بن عيسى في مائة وخمسين فارسا فقال له ابن شاكر : لاتلق بيدك الى التهلكة . فقال له فقيهه معه : إن وليت الدبر لحقوك وقتلوك وأنت فار . فقال حتى قتل أكثر أصحابه ثم أسر محمد بن عيسى وابن شاكر . ثم ورد الخبر بأن ابن عيسى اشترى نفسه بمائة الف درهم ومائة وعشرين علجا كانوا بانطاكية وبرطل فصوص فيروزج وأنه بعد ذلك غزا العدو وظفر رحه الله تعالى وغفر له .

بطينا ولكنها صارت فتقا فكان يشدها بمصائب ورفائد الى أن توفي بعد ذلك بسنين .

وفي هذه السنة اخرج ركن الدولة الاستاذ الرئيس مع ابراهيم السلار مدداله في نخب الرجال من الديلم والعرب^(٢٩٢) واصناف العسكر حتى فتح بلاد آذربيجان وأصلح الاستاذ الرئيس له قلوب أصحاب الاطراف وطوائف الاكراد وقاد جستان بن شرمزن الى طاعته فلما فرغ من جميع ذلك ووطأ له النواحي ومكنه منها خرج عائداً الى حضرة ركن الدولة (بالرى) ﴿ ذكر تدبير جيد ورأى صواب رآه الاستاذ الرئيس ابن العميد ﴾ (ولم يقبل وعاقبة ذلك)

لما صار الاستاذ الرئيس حقا الى آذربيجان رأى زكاء أرضها وكثرة ريعها وسعة مياهها واحتمالها للعمارة وحسب ما يرجى من ارتفاعها فوجده مالا عظيما مثل ارتفاع ممالك ركن الدولة أو قريبا منه ونظر الى ما تحصل لا ابراهيم السلار منه فوجده شيئا نزرأ قليلا جدا وذلك لسوء تدبير ابراهيم واهماله الامور واشتغاله باللعب والنساء والسكر الدائم وطمع ضروب الداملين فيه ولا سيما الاكراد الذين قد استأكلوا تلك النواحي . ثم قد عرف بالتزبد وقلة الوفاء فليس يوثق بيمينه ولا عهوده فعلم الاستاذ الرئيس أنه اذا فارق الناحية عادت الصورة مع ابراهيم الى ما كانت ولم يلبث ان يطمع فيه ويخرج من المدينة ثم من الناحية كلها أو يقتل فيضيع سمي^(٢٩٣) ركن الدولة وسعيه . فكتب الى ركن الدولة بصورة الناحية وصورة ابراهيم فيها وعرفه بمقدار ما يصل اليه منها وأشار عليه أن يدبر الناحية لنفسه ليرفع له (منها خمسون الف الف درهم ويعوض ابراهيم مما يحصل له وكان مقدار ما

يرتفع له) من هذه الجملة بعد ما يخرج في أقطاعات الديلم والا كراد وبعد ما يستولى عليه قوم متمززون لا يتمكن من استيفاء الحقوق عليهم وبعد ما يضيع بالاهمال وترك العمارة أقل من النفي الف درهم فرأى أن يعوض ابراهيم من ارتفاع الرى أو اصبهان أو همذان هذا المقدار ويجلس آمنا فارغ البال ويشغل بما يوتره من صحبة المغنين والمساخر ويتسلم الاستاذ الرئيس اذريجان فيرفع منها لركن الدولة ما ذكرت مبلغه وكان يرجو أكثر منه ولكنه استظهر عليه . فابى عليه ركن الدولة وفكر في شيء يفكر فيه مثله من أصحاب الهمم الكبار وقال : يتحدث الناس انى افتتحت البلاد لرجل لجأ الى ثم طمعت فيه ! وأمر الاستاذ الرئيس بالانصراف اليه مع عسكره وتسليم البلاد الى ابراهيم

فاذكر يوما كنت جالسا فيه بين يدي الاستاذ الرئيس وهو يتحدثني بالشدة التى قاساها هو وعسكره في سفرته وقلة جدواها وثمرتها وانها لو أتمرت نعمة باقية عند ابراهيم لكان محتملا لها وراغبا فيما ينشر^(٢٩٤) من الاحدوثة الجميلة عنه بعدها ثم قال : ولكنى سأضرب لك مثالا لما نحن فيه وتأمله الآن لتذكره فيما بعد . اما شهدت من يغزل الابريس ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلقة بالصنارات على شبيه الصوألجة من الزجاج . قلت : بلى . قال : اما تعلم أن الصانع انما يتعب حتى ينصب هذه الالة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك أن يتبع أذئاب تلك المغازل ويتماها بالقتل ؟ فنحن قد أحكمنا الالة والمغازل دائرة والابريس ممدود والقتل مستمر به فاذا فارقنا الموضع ابتدأت القوة التى فى الدوران تضعف وليس لها من يعدها بحركة فينتدى فى الاسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ثم تبتدىء فى

الانتكاث وتقلب راجعة بمكس ما كانت تدور ثم لا تجد أيضاً من يتعاهدها
فيتساقط أولاً أولاً حتى لا يبقى منها شيء . فكان هذا المثل كان وحياً فانه
ما أخطأ شيئاً من صورة ابراهيم بعد خروجه وانتهى أمره بعد ذلك الظم
الذي نظم له الى أن طمع في ملكه حتى انسلخ منه شيئاً بعد شيء الى أن أسر
وحبس في بعض تلك القلاع كما سنحكيه فيما بعد ان شاء الله ^(٢٠)

﴿ ودخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما قصد معز الدولة عمران بن شاهين صاحب البطائح وكان قد
صمم على مناجزته وأبى أن يقبل منه صاحبا ومالا أو يرضى منه الا بحضور
بساطه . فاتفق ان اعتل من ذرب لحقه وأحس بالضعف فعاد الى واسط
وخلف على عسكره سبكتكين الحاجب وظن انه يتماثل فيماود واشتدت به
العلة وكان لا يثبت في معدته طعام وأحس بالموت ورجع الى بغداد . وعهد
الى ابنه بختيار عز الدولة وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكاملين والفقهاء
وسألمهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فافتوه بصحتها ولقنوه ما يجب ان
يقول ويفعل ^(١) وتصدق باكثر ماله وأعتق ممالিকে ورد شيئاً كثيراً من
المظالم ^(٢) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ^(٣) وكانت له أخبار

(١) قال صاحب التكملة : وأحضر أبا عبد الله البصري وتاب على يده وكان مع
أبي عبد الله صاحبه أبو القاسم الواسطي فكأما اذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار
وصليا في مسجد على بابها فمألهما عن السبب في خروجهما فقال أبو عبد الله : الصلاة
في الدار المنصوبة عنها لا تصح . وسأله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن الصحابة
رضوان الله عنهم فذكر أبو عبد الله سابقهم وان علياً زوج عمر ابنته أم كلثوم رضي الله
عنهم فاستعظم ذلك وقال : ما سمعت هذا قط . (٢) وفي الاصل : الممالك

(٣) قال صاحب التكملة : ومولد معز الدولة سنة ٣٠٣

وأحوال منها انفاذه جيش الماء والديلم الى عمان حتى دُحِت له ولم يكن فيها ما يستفاد منه تجربة فطوينها

وكان اتفق عند موته اتفاق حسن لعز الدولة فرأينا اثباته ليكون معدودا في جملة أمثالها من الاتفاقات العجيبة

﴿ ذكر اتفاق حسن ^(٢٩٩) ﴾

لما مات معز الدولة أُلح المطر ببغداد ثلاثة أيام بلياليها الحاحا شديدا منع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من اطلاع رؤسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردد النقباء الى رؤسائهم فارضى كل احد بما سكن اليه وانجالت السماء عن سكون الجند ورضاء الكافة . فكتب عز الدولة سبكتكين وسائر العسكر بمصالحة عمران بن شاهين والانصراف عنه الى بغداد ففعل ونفّس خناق عمران . ووصل صاحب الموصل واستقرت الامور بيده

وفيهما وردت الاخبار باقبال جيش قوى من خراسان مع ابن سمجور ليجتمع مع وشمكير

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما اعتل أبو علي [محمد] بن الياس وفلج بكرمان وخالفه أولاده وقصده عضد الدولة رحل الى خراسان ولقي صاحب خراسان وبرى بعض البرء وصار نديما له يماشره ويؤانسـه فسوّل له قصد ممالك الديلم وأطمعه فيها وزعم ان أصحاب جيوشه ليس يناصحونه ويقبلون الهدايا والرشي . فوافق ذلك ما كان يشكوه اليه وشمكير حالا بعد حال فاتصلت المكاتبة بين وشمكير [وبين] صاحب خراسان وكذلك الحسن بن

انفيرزان الى ان وقعت المعاضدة والموافقة على^(٢٩٧) ان يدبر جميع الجيوش وشمكير . وأتخذ صاحب خراسان الى وشمكير والى الحسن بن الفيرزان هدايا كثيرة من دواب وغللمان وآلات وسرّب اليهما امداد الجيوش مع صاحب جيشه محمد بن ابراهيم بن سمجور وعلى ان يكون الرئيس على الجميع وشمكير . فورد من ذلك على ركن الدولة ما لم يكن في الحساب وعلم ان الامر قد بلغ الغاية وليس الا الفیصل فكاتب عضد الدولة يستمد الرجال والمعونة وكاتب عز الدولة بمثل ذلك . فاما عضد الدولة فامدّ بخيل عليها أبو جعفر ابن روزمان وشخص بنفسه الى اصطخر ليسير الى خراسان وسير أحمد حجابيه في جيش المقدّمة الى طريثيث وأظهر في عسكره ان جيش خراسان قد ساروا باجمعهم مع ليف البلدان وغزاتهم الى الري وخراسان خالية وليس دون ملكها شيء واتصل ذلك بالقوم فاحجموا قليلا . واتفق سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته فانتقض ذلك الامر كله .

﴿ ذكر هذا الاتفاق العجيب ﴾

اتفق ان استعرض وشمكير خيله وما قيد اليه من جهة صاحب خراسان فكان في جملتها فرس أدهم حسن الصورة فاعجبه وأمر باسراجه وعزم على ركوبه والتصيّد في ذلك اليوم . فدخل اليه منجمه فهداه عن الركوب فخالفه فلما أصبح عارضه خنزير قد أفلت من أصحابه وقد رُمي بحربة^(٢٩٨) فثبتت فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو كالغافل فضربه وفرسه فشبّ الفرس وسقط وشمكير على دماغه فخرج من أنفه وأذنيه دم وحمل ميتاً وذلك يوم السبت في أول يوم المحرم سنة ٣٥٧ .

وقد كان بختيار عز الدولة اجتمع في اخراج سبكتكين مع جيش
كثيف على الرسم فامتنع سبكتكين عليه فإوحشه بذلك واضطرب بختيار
لأنه لم يجد من يطيعه في الخروج الى ان اتدب الفتيكين وقد كان يتلو
سبكتكين في المرتبة وأحب أن يظهر في تلك الحالة فضلاً وحسن طاعة
للمنافسة التي كانت بينه وبين سبكتكين فضم اليه جيشاً وورد الري وقد
استغنى عنه فماد

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لمملكته ولنفسه حتى فسد جنده ﴾
﴿ وطعموا فيه ثم طمع أعداؤه أيضاً فيه ﴾
(وأفضى أمره الى الهلاك)

كان أبوه معز الدولة حين أيقن بالتلف وصاه بطاعة ركن الدولة
واستشارته في كل ما يعرض له من مهم وكذلك بطاعته لابن عمه عضد
الدولة لأنه أسن منه وأقوم بالسياسة . ووصاه باقرار كاتبه أبي الفضل
العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس فانهما أ كفي من غيرهما
وأعرف بوجوه الخدمة . ووصاه بمداواة الديلم وإزاحة عنهم عند أوقات
استحقاقهم ثلاثاً يخرقوا هيئته بالشغب وطلب الفتن . ووصاه بالاحسان
الى الأتراك فانهم جرة عسكره واذا ^(٢٩٩) رابة من الديلم ريب أمكنه ان
يقومهم به . ووصاه بعد الاحسان الى الأتراك بكبار الخاشية وصغارهم
وان يجريهم على عادتهم ورسومهم . فخالت هذه الوصايا كلها واشتغل باللهو
واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء وأوحش كاتبه وضرب بينهما
حتى استوحشا جميعاً منه وطمع في اقطاعات كبار حاشيته وفي سبكتكين
خاصة وهو صاحب جيشه وكان معز الدولة وصاه ألا يقطع أمراً دونه

وكان ذا ارب وسياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة يهابه الجميع
ويطيعونه واحجب عن عسكره بما ذكرته من الشغل باللعب والسكر
الدائم . وابتدأ بمناوأة عضد الدولة وذلك انه منع صاحبه المقيم ببغداد من
شري الدواب وآلات خدمته التي كان يستدعيها وجرت عادته بالتمكن منها
وترك استشارة عمه ركن الدولة في كل ما عرض له . فكان من عاقبة ذلك
ان سبكتكين صاحب جيشه لما أحس بطمعه فيه وفي نعمته انقبض عنه
فصار لا يركب اليه ولا يثق به واقتصصر على التراسل على أيدي المتوسطين
وكان لسبكتكين أصحاب أخبار في العسكر وفي دار بختيار خاصة وله عيون
وجواسيس من خاصة حاشيته وبطائنه فكان لا يخفى عليه شيء من حركاته
(٢٠٠) فضلا عن تدابير . فاما كتاباه أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو
الفرج محمد بن العباس فانهما لما عرفا فصدده في افساد نية بعضهما لبعض
(فقد كان بينهما قبل ذلك منافسة في المرتبة وتحاسد في النعمة) أخذوا
جميعا أهبة التحرز منه وأخذ هو في الحيلة عليهما حتى أزال باحدهما نعمة
الآخر . ثم قبض عليه باصاغر الحاشية وأدانى الحشم ومكّن منهما الاوغاد
والسفلة فاضطربت أحوال المملكة واضطر الى الاستعانة بمن رفعه من
السُّقَّاط ومن لا يكمل للنظر في قرية ولا يصاح للتوسط بين نفسيين فضلا
عن العسكر المضطرب فاحتلت أصول أمره وفروعها

وأما كبار الديلم ووجوههم فانه نفاهم عن مملكته طمعا في اقتطاعاتهم
وأموالهم وأموال المتصالحين بهم فقبضت أصاغرهم واستلنوا جانبهم وتحالفوا
عليه وطالبوه بزيادة في رسومهم واضطر الى النزول على حكمهم ثم عجز عن
ارضائهم . وأما الاتراك فانه نظر الى ما تم للديلم من التحكّم فعملوا مثل

علمهم من الاشتطاط والتسحب والمواجهة بالمخاطبة الغليظة واضطر الى
التدبير عليهم والراحة منهم . وابتدأ بسبكتكين وكان متحرزاً متيقظاً
فما تم له عليه شيء من تدبيراته فتحزب الاتراك وصاروا يداً واحدة .
وتحركت الاحقاد والحفاظ^(٣٠١) التي كانت في نفوس الديلم على معز الدولة
فبرزوا الى الصحراء مع الاسلحة والجن وساموه ان يثبت من أسقطه
معز الدولة وان يعطيهم أرزاقهم ويعجل لهم رزقه منسوبة الى البيعة غير
محسوبة . فجمع بختيار الاتراك الى داره مع أساحتهم ليعتصم بهم وترك الديلم
في الصحراء ثلاثة أيام فغاضبهم ذلك وازدادوا تباعداً في الاشتطاط عليه
وفي الاشتداد بالمطالبة الى ان نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقه
غير محتسب به

وخير أصحاب الاقطاعات بين الإقامة في أيديهم والتمسك بنواحهم
وبين تعويضهم منها وأثبت من الديلم الساقطين كل من كان صريحاً في
الديلم أو صريحاً في الجبل دون من اختلط بهم ممن ليس منهم . فلما تم لهم
ودخلوا البلد اجتمع الاتراك أيضاً على الشغب فخرجوا الى الصحراء
واستدعوا الاصاغر من غلمان الحजर في دار بختيار حتى برزوا معهم وتحالفوا
وتعاهاوا ان تكون كلمتهم متفقة وان ينصر كبيرهم صغيرهم وقويهم
ضعيفهم وقد كانت اجتمعت لهم أموال مسببة من تلك الزيادات المضافة الى
الاصول التي زادها معز الدولة فطالبوا بتوفيتهم ذلك كله وان يسلك فيهم
سبيل أبيه في الاستعجاب والتقويد والتنقيب والزيادة^(٣٠٢) في المنازل
والمراتب . ثم اتفق الديلم والاتراك على الأيعارض كل فريق منهم صاحبه
في طلب الحظ لنفسه وتعاهدوا على ذلك فقادته الضرورة الى ان ضمن لهم

جميع ما التمسوه وازاحه العلل فيه ولم يتسع لذلك ولا لبعضه فاضطر الى
مناظرة وزرائه على الاحتيال لهذا السال والنظر في جمعه من أين كان
وكيف كان

وكان أبو الفضل العباس أشد جسارة واقداما من أبي الفرج فضمن
ذلك لهم واستعان بكاتب الفارسية شيرزاد بن سرخاب وكان متكنا من
مختيار قريبا منه يسمع كلامه ويتدبر برأيه وضمن له مرفقا على ذلك ومالا
بمحمله اليه في كل سنة فسعى له شيرزاد في الوزارة ووعد بها وقيل له « اذا
ظهرت كفايتك فيما ضمنته من ارضاء الجند وغيره كانت الوزارة مقصورة
عليك » فاخذ في مصادرة الخاشية وألزمهم أموالا علم انهم يفون بها ولا
يُجحف بهم وافتتح الخراج واجتهد حتى وفى الديلم ما ضمن لهم ووفرة
الاتراك في النواحي لتنجز تسبيباتهم فتم لهم أيضا ما التمسوه وذلك لجمام
الامر وانه كان مبدأ فوجد أموال الخاشية جامة والنواحي في بقايا العمارة
فمضى أمره في هذه السنة .

واتصل خبره بابي الفرج محمد بن العباس وهو يومئذ بعمان وكان
خرج اليها في حياة^(٣٠٣) معز الدولة وكانت له بها وقائع بين العمانيين حتى
استوسقوا له فلما عرف وفاة معز الدولة وطمع أبي الفضل في الوزارة وسعى
شيرزاد له فيها لم يلبث ان سأم الناحية الى رجل من أهل عمان يعرف بابن
نهبان وأظهر ان الامر ورد عليه بالافراج عن البلد وتسليمه الى صاحب
عضد الدولة وأقبل مسرعا الى العراق فلما قرب منها استقبله أصحاب أخيه
أبي محمد على بن العباس الخازن وكتبه يشيرون عليه بالمبادرة وترك
التأخر عن الحضرة قبل ان يتم لابي الفضل العباس بن الحسين تقلد الوزارة

فورد و صار الناس حزينين و طلب كل واحد منهما عثرات صاحبه و خطب
الوزارة لنفسه . ثم تمكن أبو الفضل بمعاونة شيرزاد الى ان تمت له الوزارة
(ذكر رأى صواب لبني حمدان رآه ناصر الدولة فخولف)

لما سمع أولاد ناصر الدولة باضطراب بختيار و سوء سياسته و شغله
عن تدبير الملك باللعب و السكر الدائم و شغب جنده و انخراق هيئته هموا
بإخراج الاموال و الانحدار الى بغداد و مقارعة بختيار عن سرير الملك فقال
لهم أبوهم ناصر الدولة : لا تعجلوا فان معز الدولة قد خلف لابنه خيرة من
المال يسيرة و سيفرّقها على جنده هؤلاء و سيجذب أيضا كتابه و عماله
أيضا من نواحيه و من مصادرات أسبابه ما أمكنهم و لستم بمستظهرين غايه
ولا ^(٣٠٤) متمكنين من دولته الا بعد ان تنفى حيله و تخلّو يده فاذا كان
ذلك الوقت فاندروا اليه و كآروه بالمال و افسدوا عليه قلوب الرجال
فانكم تملكونه لا محالة . و كان رأى ما قال فان معز الدولة كان أتلّف
ماله على البناء الذي أحدثه و على الاتراك الذين اصطنعهم و كان مقدار ما
خلفه أربعمائة ألف دينار فاخرجها بختيار شيئا بعد شيء عند الضرورات
و عند اجتداد المطالبات . و كان كتابه يستقرضون منه لهذه المهمات على ان
يردّوا العوض عنه ثم لا يتمكنون من الوفاء حتى استفرقت النفقات و النوائب
جميع ذلك بعد مديدة يسيرة .

و اختلفت كلمة بني حمدان فشغلوا عن مشورة أبيهم و كان مبدأ الشر
ينهم ان أبا تغلب قبض على أبيه ناصر الدولة لما رآه قد كبر و لم يبق فيه بقية
غير سوء الخلق و التقدير على أولاده و على حاشيته فلما قبض عليه أضعده الى
قلعته و وكل به من يخدمه و يزيج عاتيه في حاجاته . فامتنع بعض اخرته

وانتشر النظام الذي كان يجمعهم فشن عليهم حفظ ما في أيديهم عن طلب ما ليس لهم . واحتاج أبو تغلب الى مداراة السلطان وتجديد عقد الضمان والتماس الخلع والعهد والعقد ليحتج بذلك على الجند ويستظهر به على اخوته^(٣٠٥) المخالفين والموافقين فانفذ كاتبه أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون حتي أخذ له من السلطان ذلك وبذل لبختيار الف الف ومائتي ألف درهم في كل سنة على الرسم وانصرف الى صاحبه بقضاء حاجاته قرير العين بما تم على يده غير مفكر في شيء مما كان يهم به .

وفي هذه السنة تلاحق مشايخ الملوك بالموت وتتابوا وكان مدخل القران التاسع فملك معز الدولة أحمد بن بويه وقبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وهلك سيف الدولة^(١) وهلك نقفور ملك الروم وهلك كافور صاحب مصر^(٢) وهلك وشمكير بن زيار وهلك الحسن بن الفيرزان وهلك

(١) زاد صاحب التكملة : وحكى ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون اجتاز وهو راكب فرسه ويده رمح و بين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها فتيان فدخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه . ثم استدعى عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا في الرقعة « الف دينار » على بعض الصيارف فتعجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فاعطاهم الصيرفي الدنانير في الحال واوقت فسألوه عن الرجل فقال : ذلك سيف الدولة بن حمدان . (٢) وزاد فيه أيضا : قال أبو جعفر مسلم بن طاهر العلوي : ما رأيت أكرم من كافور كنت أسأله يوما وهو في موكب خفيف مؤيد متنزها وبين يديه غلمان وعدة جنائب يراكب ذهب ومراكب فضة وخافه بغال الموكب والفرس كما تكون الملوك فسقطت مقرعته من يده ولم ترها وكاينته فنزلت من دابتي وأخذتها من الارض ودفعتها اليه فقال : يا أبا جعفر أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغني الى ان تفعل هذا . ثم ودعني فلما سرت انتهت

أبو علي محمد بن الياس وجماعة أمثالهم وبقي ركن الدولة من بينهم وغير إلى أن استوفى أجله^(١).

﴿ ودخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ﴾

ذكر ما دبر كل واحد من الكاتبيين في خطبة الوزارة
وسمي كل واحد منهما على صاحبه

قد ذكرنا ما كان من أبي الفضل العباس بن الحسين من تمشيته للأمور في السنة التي مد يده فيها إلى الحاشية وما وجدته في النواحي وما تأول به على العمال حتى أرضى الجند . فاستطال على بختيار وانطلق لسانه وزعم أنه قد أظهر الكفاية التي وعده بها وذكر أن دخل المملكة يعجز عن خرجها وأنه إن قلد الوزارة جبر هذا العجز وقام بالامر كما قام به^(٢٠٦) في تلك السنة وضمن لشيرزاد إذا تم له الوزارة مالا . وشخص إلى الكوفة لتقرير أمور المقطعين بسقى الفرات فاجتهد له شيرزاد في الوزارة حتى أنعم له وبلغ أبا الفرج ذلك فشر عن ساقه في فسخ نية بختيار وزعم أن الذي ذكره أبو الفضل^(٢) من عجز الدخل عن الخرج لاحقيقة له وأن الأموال التي استخرجها ومشى بها الأمور إنما كانت من مصادرات الناس ومن بقايا في النواحي وأنه لم

فاذا خافي البغال كلها والجنة تب فقلت : ما هذا ؛ فقالوا : أمر الاستاذ أن يحمل هذا اليك فادخلته دارى وكانت قيمته زيادة على خمسة عشر ألف دينار (١) قال صاحب النسك : وفي شعبان هذه السنة خلع على القاضي أبي محمد ابن معروف ، وولى القضاء بالجانب الغربي وخالع على ابن سييار وقلد القضاء بالجانب الشرقي . وقل أيضا في ترجمة سنة ٣٥٩ : وفي شهر ربيع الاول صرف القاضي أبو بكر ابن سييار عن القضاء في حريم دار الخلافة وتولاه أبو محمد ابن معروف . وفي رجب سنة ٣٦٠ قلد ابن معروف قضاء القضاة . وكان وفاة ابن سييار سنة ٣٦٨ (٢) في الأصل أبا الفرج

يؤثر أثرا ولافتح فتحا ولا أستحق من المراتب ما لا يستحق مثله واتصل ذلك بأبي الفضل فوافى من السكوفة ركضا وجرت بينهما مناظرات استقرت على أن يعمل كل واحد منهما عملا لاصول الارتفاعات وما ينضاف اليها وعملا لاصول النفقات الراتبية وما ينضاف اليها من الحوادث لتعرف الصورة فيما اختلفا فيه ولازما الديوان مع كتابهما حتى ارتفعت هذه الاعمال . فلما أبو الفرج محمد بن العباس فانه أورد في عمله اصول العقود على غيرها وأبوابا ينكسر بعضها ثم خفف النفقات الحادثة وحذف الاستظهار لها حتى لم يظهر العجز وقام الدخل بالخرج . وأما أبو الفضل فانه وضع من الاصول ما نسبته الى المنكسر وما ينظر به للضمنا واعتد بالزاجي دون التاوي^(٣٠٧) واستظهر في تقدير النفقات الحادثة وزاد في مبالغه حتى أوجب في عمله عجزا في الدخل عن الخرج . ثم حكى في عمله انه يقيم وجوها لهذا العجز وانه ان بقيت منه بقية نقلها في كل سنة الى التي تليها على الرسم الجارى في ذلك . وتقابلا على حسابهما وتناظرا على الخلاف بينهما ووقف الكلام بين المتوسطين وفيهم شيرزاد على ابطال الوزارة والتراخي بالاشتراك في الكتابة . ثم جد شيرزاد سرا في أوقات خلواته ببختيار في السعي لأبي الفضل وبذل عنه لبختيار مالا على سبيل الهدية وأعلمه أن فيه اقدا ما وبسالة يحتاج اليهما في الوقت وانه ذو مال ويسار يزيد على مال أبي الفرج اضـ ما فـ وانه ذو حيلة وتناول وبطش وأبو الفرج صاحب تقشف وتوقف وتعمد وأن الامر بمثله لا يمشى فلم يزل بهذا واشباهه حتى أمضى ببختيار العزيمة

وقلد أبا الفضل الوزارة وخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلين بالذهب وحمله على فرس بمركب ذهب وأقطعه اقطعا بخمسين الف دينار على رسم

الوزراء وضم اليه عددا كثيرا من الديلم على رسوم الوزراء . فصار اليه أبو الفرج مسلما وأظهر الامتناع من العمل وكرهه^(٣٠٨) أبو الفضل ذلك لانه أحب أن يجري على رسمه في تقلد الديوان ليشغله عن تتبعه والطعن عليه وأيضا ليراه بعين من يمدو ويروح اليه وينحط عن رتبة المساواة التي كان فيها الى رتبة الانباع . وكره أبو الفرج جميع ذلك فخطب فيه وأعلم أنه (ان) لم يصبر على هذه الحال والقناعة بها انقطعت الملائق بينه وبين صاحبه بختيار ونصب للديوان غيره ثم يكون مطرحا يعرض النسبة وربما تأدى الامر الى أكثر من ذلك من تسلط أعوانه عليه وانبساط أيديهم فيه وفي أعزته فاستجاب الى عمل الديوان واستوفى بتقليده اياه وخلص عليه الدراعة على رسم الكتابة . وكان مما وفره أبو الفضل في وزارته أقطاعات استرجعها من قوم مثل أبي الفتح أخى عمران بن شاهين ومثل أبي عبد الله الايسر المعروف بالجلب ثم تجرد للاهواز ومحاسبة أذرويه وكتابه

واتفق في وزارته ان أظهر الحبشى بن معز الدولة عصيان أخيه وطمع في البصرة والتفرد بها

(ذكر السبب في عصيان الحبشى وتمكن أبي الفضل منه)

(وحصول أمواله وذخائره وأسبابه له)

لما توفي معز الدولة احتوي على الحبشى ابنه بالبصرة جماعة من حاشيته وجند البلد وأطعموه في البصرة وأقاموا في نفسه أن المال الذي يرتفع من البصرة ينصرف معظمه الى الجيش^(٣٠٩) المقيمين بها وبأقيه مصروف الى نفقاته وليس يبقى بعد ذلك الا ما لا يستكثر أن يجعل حظه من ميراث أبيه وينفى عنه . ثم أوهموه مع ذلك ان أخاه بختيارا لا يمكن من الوصول

اليه مع حصاتها لوم بذلك فابتدأ يستبد بالاموال والامور ويستولى على
العمال ويتعيفهم . وكان مغيظا على عامل البصرة الحسين بن الحسن المكنى أبا
طاهر فعمل على القبض عليه والتشفي منه وازالة الحشمة فيه ونفى الخبر الى
العامل فهرب الى الحضرة . وكتب الحبشي في أثره الى بختيار يذمه ويظن
عليه وينسبه الى الخرق والجهل وانه لم يخف شيئا أنكره ولكن قصد التشنيع
وذكر في الكتاب أنه قد تقدم بحفظ الاعمال والاموال الى أن يعود فيجري
على رسمه في التدبير لها . ثم سأل في هذا الكتاب أن تسلم اليه المدينة ويخلي
بينه وبين تديره وأن يوافق على ارتفاعه ويحتسب له نفقاته التي تخصه
وبإموال الجند المقيمين بحضرته وان بقيت بقية سبب عليه ليزيح العلة فيها
فاجابه بختيار بالتصديق لقوله ووعد أنه يعمل بمحبته . ثم زاد تبسط الحبشي
حتى كان يشرق الامر ويظهر الخلاف وكتب اليه بختيار بالتأنيس والاستمالة
والعاطبة اللطيفة^(٣١٠) وأعلمه أن وزيره العباس بن الحسين شاخص الى الاهواز
وانه سيراسله منها ويبلغ محابه في الامور التي التمسها . وندب وزيره العباس
للشخص وأمره بالحيلة عليه حتى ينتزع البصرة من يده اما مكرآ وخديعة
واما حرباً ومكاشفة فاستخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت النصراني بالحضرة
وانحدر وأخذ معه أبا الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان وأبا سهل
ديزويه العارض وجرد معه عسكرياً وأزاح علقته في السلاح والجن والآلات
سراً . فلما وصل الى واسط أقام بها شهراً ونظر في أمورها ومصالح أعمالها
ومظالم أهلها وأظهر أنه راحل الى الاهواز وكتب الى ليلى بن موسى
فياذه وكان بالاهواز يأمره بالاستعداد لقصد البصرة والمسير الى بيان وقدم
حديدياته وسفنه على أن فيها أثقاله وكانت مملوءة بالسلاح وأمر أصحابه

المنحدرين فيها بأن يتجاوزوا الابلّة ولا يدخلوها ويقصدوا بيان ويظهروا أنهم يحملون ما معهم الى الاهواز على طريق حصن مهدي وحدر الطيارات والزبازب تفاريق . وكتب الى أحمد بن محمد المعروف بالطويل بأن يصير الى بيان وكان يتقلد حصن مهدي وأن يحفظ هذه الآلات واطلعه على التدبير . وكتب الى الحبشي بن معز الدواة ^(٣١١) من واسط بأنه يفعل كل ما يوتره ويهواه ويتعهد عليه بأن مصيره عاجلا الى الاهواز ليستدعي كاتبه اليها ويوافقه على ارتفاع البصرة ويسلمها اليه وأوماً في آخر الكتاب الى التماس صالح ^(١) منه على ذلك ويقول في جملة تعريضاته « أنه قد التزم عن الوزارة غرماً ثقيلاً » ويسئله معونة بما يحمله اليه فسكن الحبشي الى قوله ووعدده وحمل اليه عاجلاً مائتي الف درهم ولم يشك أنه قد اشترى بها منه البصرة فلما وصلت اليه ألقدها الى بختیار . ورحل كأنه يريد الاهواز الى الخويزة ونهر العباس ثم عدل عنها الى نهر البصرة وكان للحبشي رسل قد ألقدهم باطيار ليكتبوه بخبره فأرسلت الاطيار اليه بخبره فثار الحبشي وهاج ولم يملك نفسه وأظهر المنابذة والخلاف . واستوحش من كان بالبصرة مقيماً من الغلمان الاتراك في تسبيباتهم فهربوا الى بيان فصادفوا بها عسكرياً قويا مع ليلى بن موسى فياذه وأحمد الطويل فانضموا اليهما وكانت قد حصلت الزبازب عندهم والملاحون والجن والالآت والسلاح . وأخرج الحبشي عسكريه الى الابلّة ورآب غلمانه وأثبت من عشائر العرب قوماً رتبهم على أفواه الانهار وقلد حاجبائه تركيا يقال له بكتيجور ^(٣١٢) رياسة عسكري الماء وجعل اسفهلار الديلم في عسكري الظهر صعلوك بن با طاهر ^(٢) أحد وجوه قواد

(١) يعني مرفق كذا في التكملة وفي النسخة التي في اكفرد (٢) كذا في الاصل

البصريين . فلما ورد الوزير أبو الفضل عسكر أبي جعفر وجه الى ليلى بن موسى فياذه والى أحمد الطويل ومن معهما يأمرهم ان يشحنوا تلك الزبازب والطيارات بالرجال والسلاح ويصعد اليه على تعبية من جانب دجلة الشرقى المعروف بالفرات ولا يعبروا في طريقهم الى الابله ولا يقتلوا أصحاب الحبشى ولا يهيجوهم الى أن يصلوا اليه فيضيف اليهم من معه من الخواص والعلماء وقد كانوا مستقلين بنفوسهم ومن حصل عندهم من الاتراك الذين هربوا اليهم من البصرة وأقام ليلته ينتظرهم وتمذرت الميرة عليه وانقطعت المادة عن عسكره وتخير في أمره حتى لو تأخر الفتح يوماً لما أمكنه المقام ولاحتاج الى الرحيل فتكون هزيمة عليه . فلما كان الغد أصعد ليلى بن موسى والجماعة على أهبة وتعبية وعملوا على امتثال الامر وترك التعرض لمن في طريقهم من أصحاب الحبشى فلما جازوا الابله خرج أولئك نحوهم وبدأوهم بالحرب فعدل حينئذ ليلى بن موسى ومن معهم اليهم وواقعوهم وغرقوا عدة من زبازبهم واستأمنت عدة أخرى وهرب بكتيجور صاحب الحبشى ناجياً^(٣١٣) بحشاشته واشتملوا على بقية عسكر الماء . ثم طعموا في الظاهر فتقدموا الى الديلم هناك وقاتلوهم ساعة ثم تهيأ لطائفة انصعدوا الى شاطئ الابله وصاروا في ظهورهم فاضطربوا وانهمزموا وقتل منهم نفر وانهمزم قوم واستأمن آخرون وملك الابله .

وانفذ ليلى غلاماً له في بعض الزبازب الى الوزير أبي الفضل مبشراً بالفتح فالتمس السفن والزبازب وعبر الى قرية فوق الابله وعسكر بها وكتب الى الحبشى يشير عليه بالخروج الى الاهواز فاتمس منه الامان والتوثقة فأمنه على النفس والولد والحرم وتوقف عن ذكر المال والحال فتنبه الحبشى

على ذلك وترددت فيه الرسل فلم يسكن ولم يخرج . فبعي الوزير أبو الفضل
عسكره وزبازبه وزحف الى البصرة وملك منها الموضع المعروف بالسيالجة^(١)
ولم يزل ينفذ اليه رسولا بعد رسول من شجيمان الاتراك والديلم ويأمرهم
أن يقيموا عنده ويتوكلوا به ولا ينصرفوا بالجواب الى ان أحاط به منهم
بضعة عشر رجلا بالسلاح ثم أنفذ أباسهل ديزويه العارض في طائفة وافرة
من المسكر فدخلوا اليه وأخرجوه اخراجا بين الجميل والقييح وحمل معه
أهله وولده وما خف من ماله وجواهر كانت له فلم يوصله الوزير^(٢) اليه
وامر بأن يسلم الى أحمد الطويل ليصير به الى حصن مهدي ففعل ذلك وأقام
هناك معتقلا أياما ثم حمل الى الاهواز وبقي مدة أخرى ثم الي راهرز
واعقل بها اعتقلا جيلا ثم أزيل النوكيل عنه وحمل الى عمه ركن الدولة
بحديث يطول ولا فائدة في ذكره ثم حصل عند عضد الدولة فأقطعه أقطاعا
يسعه ومن معه وأمره أن يحصل بسابور وهي كورة من كور فارس نزهة
كثيرة العيون والاشجار والصيد فأقام بها الى أن توفي في آخر سنة ٣٦٩

وملك الوزير أبو الفضل البصرة عنوة وأنفذ اليه بمختيار خلعا جليلا
فلبسها وركب فيها ونصبت له القباب فانبسط يده وتوى سلطانه وصادر
أصحاب الحبشى وكتابه وحاشيته ومعالیه وارتجع منه ما كان حمله معه من المال
والجواهر واستخرج من الاموال شيئا كثيرا وظفر بخزائنه كلها فكان في
جملتها خزانة كتبه وفيها خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء والمشرس^(٣) وغير

(١) في نسخة ١ كسفر « بالسباحية » (٢) كذا في الاصل وغند ابن الاثير .
وفي القاموس الممرس قال صاحب تاج العروس يقال مصحف مشرز ومسرر المشرز
المشدود بمضه الى بعض المضموم طرفاه فان لم يضم طرفاه فهو ممرس بسنين

المجلد ووجد له من خزائن الاسلحة والفرش والثياب الفاخرة والآلات شيئا يستكثر لمثله حمل ذلك كله الى بخنيار وقلد بخنيار ابنه المرزبان البصرة وسنه ثمان سنين^(٣١٥) واستكتب له ابا الفناهم المفضل بن ابي محمد المهلبى وهو خال ولد الوزير ابي الفضل .

وفي هذه السنة ظهرت دعوة بين الخاص والعام يدعى فيها الى محمد بن عبدالله القائم من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه الرجل الذى ورد بذكره الخبر وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد أعداء المسلمين ويجدد ما عفا من رسوم الدين فتطلمت اليه نقوس العامة وجعل دعائه يأخذون البيعة على الرجل بعد الرجل فمن كان من اهل السنة قيل له انه عباسى ومن كان من اهل التشيع قيل له انه علوى وكتبت عنه رسالة على عدة نسخ وطرحت فى المساجد والمحافل يدعو فيها الى مثل ما حكيناها عنه فحصلت نسخة منها عند الوزير ابي الفضل فى أول وزارته فتقدم باذكاء العيون على الطائفة الخائضة فى هذا الباب والقبض على من يوجد منها ثم انحدر قبل ان يظفر بأحد منهم وتقدم الى خليفته ابي العلاء صاعد بن ثابت بالجد فى طلبهم . فلما نظر فى ذلك وجد جماعة من وجوه الكتاب وأماثل الناس قد دخلوا فى هذا الامر وبايعوا الدعاة اليه وكذلك وجدوا خلقا كثيرا من الديلم والأتراك والعرب^(٣١٦) قد بايعوه وكان فيهم سبكتكين المعجمى أحد اكابر القواد قواد معز الدولة ممن قاد الجيوش وتقلد الاعمال وكان شجاعا مطاعا جوادا نازلا عند الأتراك بمنزلة من لا يخالف فى الرضاء والسخط وكان يتشيع وقيل له ان الرجل علوى وانه يقلدك أسرة الامراء فاستجاب واستفحل أمر القوم

﴿ ذكر السبب في اضمحلال أمره حتى ظفربه وبأسبابه ﴾
(ودعائه وجميع من دخل معه في بيعته)

كان هذا الرجل محمد بن المستكفي طراً الى مصر فتقبله كافور الاخشيدي الخادم واحسن اليه واجري عليه رزقا سنيا فكتاب جماعة من أصحابه بالدعاء اليه جري أمره كما حكيناه ^(١) فلما كثر المستجيبون له وهم لا يعرفونه وتقوا بإمكان سبكتكين المعجمي كاتبوه بالحضور وكتب اليه سبكتكين : اني أقوم لك بالامر . فورد هيت وهو لا يشك ان الامر مستقر له ومستتب على ارادته . وخرج سبكتكين المعجمي وكان يتقلد حماية طريق الفرات الى الانبار وأظهر للسلطان انه ينظر في مصالح عمله فتلقاه وترجل له وأكرمه ثم أدخله البلد مستترا وانفذ اليه فرشا فاخرا وثيابا نفيسة وطعاما كثيرا وشرابا . وعمل على ايقاع حريق وفتنة في ليلة النيروز المعتضدي لتشغل الناس بذلك ويهجم على بخنيار ويوقع ^(٢) به وواطأه على ذلك خاق من الجند فظهر له قبل النيروز انه عباسي وايس بعلوي فتغيرت نيته وتصوره بصورة المحتمل وواجه بعض أولئك الدعاة بذلك وأعلمه انه كذاب مموه ويتماقل عن نصرته وأظهر الندم . وخاف محمد بن المستكفي أن يقبض عليه وأحس أصحابه ودعائه بذلك فاستوحشوا وتفرقوا فبعضهم هرب الى ناحية السواد وبعضهم أمعن في الهرب وعرف السلطان خبرهم فكتاب العمال بالتيقظ

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فلاذ به جماعة وأطعموه في الامر فقالوا : ان رسول الله صلعم قال « المهدي من بعدى يواطى اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي » وان أنت قدمت بغداد بإيمك الدين . ومن بإيموه أبوا العالم اسمعيل بن محمد المعروف بزنجي وترتب له وزيراً .

في طلبهم واذكاء العيون عليهم فظفر ببعضهم فامر بتقريره بالسوط فاقر على جماعة أخذوا ولم يزل التبع يقع حتى حصل محمد بن المستكفي وأخوه فواصله بخيار اليه واستشرحه الامر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه . فالتمس المطيع لله من بخيار أن يسلمه اليه مع أخيه فأبي عليه ودافع عنه وقال : قد آمنته . فبذل المطيع لله لهما الامان على النفس فلما حصل الجميع في يده تقدم بجذع أنف محمد بن المستكفي وقطع أنف أخيه وجسهما مدة ثم هربا وخفي خبرهما ووقع الاستتصاء على كل من دخل في بيته فصودروا وأذبوا ضروب التأديب ^(١) ولم يقع الاقدام على سبكتكين المعجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وإنما خوطب سبكتكين خطابا خفيفا فجنع في الجواب الى الانكار وأغضى عنه وعن الجند ^(٣١٨)

وفي هذه السنة صفت كرمان لعضد الدولة وملكها وفتح قلعة بردسير وهي خزاة أبي علي ابن الياس التي جمع فيها ذخائره على مر السنين من الاموال والجواهر والامثلة الفاخرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو علي ابن الياس لما عاود كرمان بعد ابراهيم بن كاسك جرى مجرى بعض المتصليكين وآمن ناحية عماد الدولة على بن بويه لما ذكرناه فيما تقدم فشارك اللصوص وصعاليك القفص والبلوص فحصل عنده على طول السنين

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : ثم جدع أنفه وقطع شفته العليا وشحمة أذنيه وسجن بدار الخلافة وكان معه أخوه علي وانهما هربا من الدار في يوم عيد واختاطا بالناس ومضيا الى ما وراء النهر وروى بهراة شيئا عن المتنبي من شعره وله شعر وادب ومات بخراسان خاملا بعد .

من جهتهم مال عظيم في القلعة التي وصفناها . ولما مات علي بن بويه عماد الدولة وترعرع عضد الدولة فناخسره كان في نفسه من هذه القلعة مالا يظهره فلما استوحش اليسع بن محمد بن الياس من أبيه صار الى عضد الدولة وأقام عنده حتى أصاح له نية أبيه وعاد اليه فوعده بولاية العهد ورياسة العسكر . ولما كان في هذه السنة وقع القفص على قافلة عظيمة وغنموا أموالا عظيمة للتجار فخرج اليهم محمد بن الياس يطالب نصيبه من غنيمتهم فأصابه في الطريق علة الفالج ورُدَّ الى منزله واستمرت به العلة فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة اليسع وسليمان والياس فخطبهم بما ظن انه يجمع كلمتهم واعتذر^(٣١٩) الى اليسع من النبوة التي سبقت منه حتى فارقه ثم جمع اليه تدير عسكره وولاية عهده ومن بعده الياس فاما سليمان فانه أشار عليه بان يرجع الى بلده وهو الصغد وأظهر له تذكرة فيها ثبت دفائنه وودائمه هناك وأراد بذلك إبعاده عن اليسع لعداوة كانت بينهما فأظهرت الجماعة قبول أمره والانتفاء الى رأيه . وشخص سليمان نحو الصغد بما قسمه له فلما صار بظاهر المدينة عدل عن ذلك سمت وقصد القفص وطلب منهم ذلك القسم الذي كان أبوه شخص لتسلمها فتم له الوصول اليه وأخذ منهم مالا جليلا واستضم الى نفسه جماعة منهم ليقوى بهم ثم عاد الى السيرجان وكان يتولاهما من جهة أبيه . فلما بلغ أباه ما صنع غضب من مخالفته إياه واغتاظ منه فامر اليسع بطلبه وقواه بالرجال وقد كان العسكر مطيعين له وأمره أن يضطره الى الخروج الى الصغد أو معاودة حضرته ليقبض عليه ووصاه ان يخرج نحو الصغد أن يخلى له الطريق ولا يتبعه . فخرج اليسع الى السيرجان وتمحص سليمان منه واقتلا أياما ثم استظهر اليسع تحمل سليمان جميع ما كان حصل له وخرج من باب من أبواب المدينة قاعدا

(٣٢٠) خراسان فتركه اليسع امتثالا لامر أبيه وعاقب جماعة من أهلها الذين كانوا عاونوا سليمان عليه ثم صفح عنهم

﴿ ذكر اضطراب أمر اليسع مع أبيه حتى استبدل به وما آل ﴾
(اليه امره حتى أخرج أباه الى خراسان مكرها)

كان في جملة محمد بن الياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدي ويلقب بسؤويه شديد الغلبة عليه والتمكن منه وبينه وبين اليسع وحشة متأكدة. تخافه على نفسه فاجتمع مع اسرائيل المتطبيب وكان أيضا مكينا عنده ومهندس. وكان معه يقال له المارزبان على إفساد نية أبي علي ابن الياس على ابنه اليسع وشككوه فيه وحركوا ما كان في نفسه قديما منه وأشاروا عليه بان ينقض ما عقده له من تدبير جيشه ويجعله لحاجب من حجابيه يقال له ترمش ليكون الامر غير خارج عن يده مادام حيا وليكن غلامه صاحب جيشه فيتصرف معهم على رأيه فقبل منهم هذا الرأي وكتب الى اليسع بان ينكفي اليه واستدعاه الى القلعة وكان لا يصعدھا الا وحده دون كل أحد على رسم القلاع . فلما حصل عنده وليس فيها الا هو وهؤلاء الثلاثة ونفر من ثقات أصحابه وجماعة حرمه وجواريه قبض عليه وقيده وفوض أمر الجيش الى ترمش الحاحب فلم يجتمعوا عليه ولا رضوا به . فمشت والدته (٣٢١) اليسع الى والدته الياس وقالت لها : ان صاحبنا كان عقد لولدنا عقدا هو الصواب لكنه قد اختل عقله وعزب رأيه بهذه العلة وغلب عليه هؤلاء الثلاثة وتم لهم على ابني ماسيتم مثله على ابنك وحينئذ تخرج هذه المملكة عن آل الياس وتنقل اليهم والي من نصبوه (يعني ترمش الحاحب) والصواب أن تساعديني على

تخليص ولدى ليكون الامر جاريا مجراه الاول . فساعدتها وقبلت رأيها .
 وكان ابن الياس ربما أغمى عليه في علته فاتنمت المرأتان على أن جمعنا
 الجوارى، وكان عددهن كثيراً وقصدن عبد الله بن مهدي بسوية ليوقعن به
 فاتفق له أن أفلت وهرب واستقذن اليسع وعالجن قيده فلم يكمن لكسره
 وخشين فوت الامر فاتخذت له أمه حبلاً متينة من ثياب ديباج حتى تدلي
 من القلعة الى الارض لانها لم تتمكن من اخراجه من باب القلعة فلما حصل
 في الارض رآه بعض الجند فكسر قيده وأعطاه دابته فركب وتوسط العسكر
 فاستبشروا به وعادوا الى طاعته وخدمته . وهرب ترمش الحاجب وجمع
 اليسع الجيش ليسير بهم الى تحت القلعة ويحاصرها ويتغلب عليها وكان الشيخ
 في جميع ذلك ^(٣٢٢) مغمى عليه لا يعقل شيئاً مما جرى فلما أفاق من غمرته
 وعرف الصورة راسل اليسع واطلع عليه وسأله أن يكف عنه ويؤمنه على
 نفسه وحرمة ومن معه حتى يسلم اليه القلعة مع جميع أعمال كرمان ويرحل
 الى خراسان ويكون عوناً له هناك متى احتاج اليه . فأجاب ابنه الى ذلك ومكده
 من جميع ما أراد فاحتمل مائة وقر من المال والثياب والجوهر وفاخر المتاع
 واستصحب ثلاثمائة غلام من غلمانه وما احتاج اليه من الآلات والكرراع
 وشعث القلعة وأحرق بقية ما كان فيه من الآلات والكسوة ورحل فلم
 يؤاخذة اليسع بما فعل بل احتمله ووفي له بالامان الذي بذله له وتركه حتى تقذ
 الى مقصده . وتسلم اليسع القلعة وظفر بأولئك النفر الثلاثة وسامهم الى كاتبه
 ومدير أمره أبي نصر محمد بن اسمعيل البمي وأمره بمطالبتهم فاستخرج
 منهم مالا عظيماً . وتلف اسرايل الطيب ثم وجهه للمعروف يسويه كتاباً
 كتبه الى خراسان فيه الاغراء به والذم له وكان قد دفعا عنه فأعاده الى العقوبة

حتى هلك فيها

وابتداً فناخسره عضد الدولة في تخيب رجال ابن الياس فاستأمن اليه أكثر الديلم والاتراك وكان حينئذ أبو علي ابن الياس بخراسان يطعم صاحبها في مملكة^(٣٢٣) الديلم فكان من عاقبته ما شرحناه من موت وشمكير وغير ذلك . وتفرغ عضد الدولة لقصد كرمان ودس الي كل من له رأى أو نجدة من خبيته وأصلح قلبه له ثم توجه اليها فافتتحها ودخلها في شهر رمضان سنة ٣٥٧ واستولى على جميع أعمالها وملاك قلعة بردسير وهي عظيمة فيها عدة قلاع متصلة بعضها ببعض وانهمزم اليهم الي خراسان وصادف وصول اليهم الي خراسان موت والده فاحتوى صاحب خراسان على ماسلم معه من بقية ماله وكراعه . ولما تمّ عضد الدولة فتح كرمان واتصل خبره بصاحب سجستان كاتبه وترددت بينهما الرسل حتى صالحه وخطب له وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر المعروف بابن بانويه . وأتخذ الي عضد الدولة من الحضرة ببغداد عهد الخليفة وخلفه من الطوق والسوارين والعقيد على أعمال كرمان كلها فقلد عضد الدولة هذه الاعمال أكبر أولاده أبا الفوارس شيرزيل واستخاف له عليها كوركير بن جستار وكان وجه قواد عسكره وانصرف الي شيراز^(١)

(١) وزاد في ترجمة هذه السنة صاحب تاريخ الاسلام : وفي ذي القعدة أقبل عظيم الروم تغفور بجيوش الي الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية فلم يلتفتوا اليه فهددهم وقال : ارحل وأخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل . ورحل في اليوم الثالث ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف ومائتي نسمة ثم نزل على معرة النعمان فأحرق جامعها وكان الناس قد هربوا في كل وجه الي الحصون والبراري والجيال المنيعه ثم سار الي كفر طاب وشيزر ثم الي حماة وحصن فخرج من يتي بها

﴿ ودخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ^(٣٢٤) ﴾

وفيهما استأمن حمدان بن ناصر الدولة الى بختيار ودخل الى مدينة السلام

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ناصر الدولة قلد حمدان ابنه الرحبة وسوغه ارتفاعها وكان أبو

فأمنهم ودخلها فصرى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا وأحرق الجامع ثم سار الى عرقه فافتتحها ثم سار الى طرابلس فاخذ ريفها وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع فأرضاه أهل انطاكية بـمال عظيم . وقال أيضا : ووصل ملك الروم لعنه الله الى حص ومملها بالامان وخافهم صاحب حلب أبو المعالي ابن سيف الدولة فتأخر عن حلب الى بالس وأقام بها الامير قرعويه ثم ذهب أبو المعالي الى ميفارقين لما تفرق عنه جنده وصاروا الى ابن عمه صاحب الموصل أبي تغلب فبالغ في اكرامهم ثم رد أبو المعالي الى حلب فلم يمكن من دخولها واستضعفوه وتشاغل بحب جارية فرد الى سروج فلم يفتحوها له ثم الى حران فلم يفتحوها له أيضا واستنصر بابن عمه أبي تغلب فكتب اليه يمرض عليه المقام بنصيبين ثم صار الى ميفارقين في ثمانمائة فارس . فقل ما يده ووافى الروم الى ناحية ميفارقين وارزن يبيثون ويقتلون وأقاموا ببلد الاسلام خمسة عشر يوما ورجعوا بما لا يحصى .

وكان الحج في هذا العام ضعيفا الى الغاية لما لحقهم من العطش والقتل مات من حجاج خراسان فوق الخمسة آلاف وقيل بل ثلاثة آلاف بالعطش فلما حصلوا بمكة خرج عليهم الطالبيون والبيكرون فوضعوا في الحجاج سيف وأخذوا الركب بما حوى ولم ينج من مصر ولا الشام أحد . وكان حجاج المغرب خائفا فرجع معهم خلق من النجار فأخذوا فيقال انه أخذ لتجار فيها متاع بنحو مائتي الف دينار قالنا لله وانا اليه راجعون .

وفي آخر العام جاءت الفرامطة من البرية وتوئبوا على دمشق فملكوها وساروا الى الرملة فالتقاهم الحسن بن عبيد الله الاخشيدى فهزمهم ثم قاتلوا أهل الرملة أشد قتال واستباحها بعد يومين ثم ان أهلها دافعوا عن نفوسهم بمائة الف وعشرين الف دينار وسبوا من أعمال الرملة عشرة آلاف نسمة وعزموا على قصد مصر ليملكوها فجاء العبيديون فأخذوها وقامت دولة الرض في الاقاليم المغرب ومصر والعراق وغير ذلك

تغلب وأخوه أبو البركات وأختهما المسماة جميلة بني زوجته فاطمة بنت أحمد الكردي وكانت مائكة أمر أبيهم فاستولي أبو تغلب على مالها وأموال ناصر الدولة وقلاعه وكانت هي مدبرة جميع ذلك وتطابقت الجماعة على الشيخ وغلبوه على جميع ذلك ولم يكن له بهم طاقة لتناهيه في الكبر والضعف فابتدأ يدبر القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان ليستظهر به ويعتمده فيما هم به فظفروا بكتابه هذا ولم ينفذوه وزاد ما بينهم شروقا وانفراجا حتى خافوه ودخل معهم في الخوف كاتبه وأكابر غلمانة الذين تابعوا أبا تغلب فاجتمعوا وقبضوا عليه ليلا وحملوه الى القلعة . وانصل ذلك بحمدان فامتعض لآبيه وكان عدوا مبينا لآخوته هؤلاء وهو أشجع أولاد ناصر الدولة وأفرسهم وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فملكها ثم سار من الرقة الى نصيبين . واستنفر على أبي تغلب من أطاعه ^(٢٢٥) من أهله وآخوته وجندهم وطالبتهم بالافراج عن أبيه وردّه الى منزله وأمره فتوجه اليه أبو تغلب فانهزم حمدان من بين يديه قبل اللقاء وتحصن بالرقة ومنها في الرافقة ونازله أبو تغلب عليها طويلا ثم اصطالحا على ذحل وعاد كل واحد منهما الى موضعه

وعاش ناصر الدولة شهورا ومات في سنة ٥٨ واستعمل أبو تغلب وعماله كل قبيح مع حمدان في ضياعه وأملاكه وطردها وكلاؤه ^(١) وانخرقت

(١) زاد صاحب التكملة : وكتب اليه حمدان يخاف بطلاق ابنة سعيد بن حمدان وبكل يمين انه ان أحوجه اليه استعان عليه بالديلم فان اتصفى والا استعان بالقرامطة فان بلغ غرضا والا استعان بملك الروم فكان جواب ذلك من أبي تغلب ان قبض ضياعه وطرده وكلاؤه وأنفذ أخاه الخ

الحشمة بينهما فانفذ اليه أخاه أبا البركات في جيش كثيف فلما قرب منه استأمن اليه معظم أصحاب حمدان فخرج عن البلد منهزماً واحتمل حرمه وعياله وغلماؤه ومن تبعه وورد هيت مستأمناً الى بختيار وكتب اليه يستأذنه في الدخول فاجابه بالاذن والقبول وخرج فقتلناه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة جيشه وأنزله في دار حسناء^(١) وفرشها فرشاً فاخراً وحمل اليه هدايا من مال وافر وثياب فاخرة وطيب وفرش وبغال ودواب بمراكب ذهب وفضة وتكفل بالتوسط بينه وبين أخيه أبي تغلب وأنفذ اليه أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين برسالة في الصلح فتم بينهما وحلف لكل واحد صاحبه وشخص حمدان الى الرحبة^(٢) وحمل اليه بختيار هدية مثل الاولى وزيادة مع جمال وآلات السفر فرحل وشيعه بختيار مع جيشه^(٣) ثم عاد

(١) وفي التكملة : وأنزله في دار ابن رزق الكاتب النصراني وحمل اليه مائة وخمسين الف درهم وثلاثمائة ثوب أصنافاً من ديباج وعتابي ودبقي .

(٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : وفيها مات ناصر الدولة وقتل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وكان قد طعم في تملك الشام وجاء اليه خلق من غلمان سيف الدولة وأطعموه فصادر أهل حمص وغيرهم وقتل قاضهم أبا عمار وأخذ من داره ستمائة الف درهم . فلما أحس بان أبا المعالي ابن سيف الدولة يقصده صار فزل على بني كلاب وخلع عليهم واعطاهم الاموال ونفذ حرمه معهم الى البرية ثم سار أبو المعالي وقرغوبه الحاجب الى سلمية فاستأمن الى أبي المعالي جماعة من بني عقيل وتأخر أبو فراس وقال : قد أخليت لهم البلد . ثم سار الي قرغوبه وأحاط به فقاتل أشد قتال وما زال يقاتل وهم يتبعونه الي ناحية جبل سمير فتقنطربه فرسه بعد العصر فقتلوه وله شعر رائق .

ومات الخادم كافور صاحب مصر ورد أمرها الى الملك أبي الفوارس أحمد بن علي ابن طنج الإخشيدى فوقع الخلاف بين الكافورية وبينه وتخاصروا ونظم البلاه نقتل بينهم خلق ثم هزمت الاخشيدية الكافورية وطردهم عن مصر فصاروا الي الرملة وفيهم ابن

مستأمننا دفعة ثانية على ما سذكروه

وفي هذه السنة ورد الخبر بدخول جوهر صاحب أبي تميم العلوي صاحب المغرب مصر فاشتعل عليها وتقطع جيش كافور وجماعة الاخشيدية وتمزقوا

﴿ وفيها نفي شيرزاد بن سرخاب كاتب الفارسية عن مدينة السلام ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان شيرزاد مستوليا على بختيار كما حكيناه وأسرف في التجبر وحلف بختيار على ان لا ينفذ عزمه ولا يقرر أمرا الا بعد مشاورته ورضاه وتحقق بالجنديّة وادعى الشجاعة وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقربا اليه وكثر تعلقه بالاموال والتلاجي^(١) وشره الي اكتساب الارباح من غير وجوها ولم ينقبض عن شيء هم به ولم يمكن أحد ان يعتصم منه . ومنع بختيار من عطاياه التي كان يذلها للديلم والأتراك وقوى عزيمته على الثبات والتماسك

محمد بن رائق وأبو منجل وفلك وفاتك الهندي فقدموا على صاحب الرملة الحسن بن عبيد الله بن طنج فلم يقبل عليهم وقال : لا أحارب ابن عمي . ثم ضاق قفائهم فتوجهوا الي دمشق ومنولهم فانك الاخشيدى فتم بينهم قتال وبلاء . وقال في ترجمة هذه السنة : وفيها ولي امرأة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طنج الاخشيدى فاقام شهرا ورحل في شعبان واستتاب بها شمون الكافورى ثم سار الي الرملة فالتقى الميدين في ذى الحجة بالرملة فلهمزم جيشه وأخذ أسيرا وحمل الي المغرب الي المعز . وأما ابن سيف الدولة فان جند حلب عصوه فجاء من ميفارقين ونازل حلب وبقي القتال عليها مدة . واستولي على انطاكية الرعيلى رجل شاطر فجاءت الروم فنزلوا على انطاكية وأخذوها في ليلة وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان فنجوا الي الشام وكان أخذها في ذى الحجة وأسر أهلها وقتل جماعة من أكابرها

(١) التلجئة هي أن يلجئ الضعيف ضيعته الى قوي ليحامي عليها قاله صاحب

مفاتيح العلوم

وخاض معه في إيقاع حيلة على سبكتكين الحاجب وقيل انه واطأ بعض
الديلم على الفتك به اذا حضر الدار ليتسع بامواله ونعمته . وعزم على تقلد
الجيش والتسمية ^(٣٢٧) بالاسفهلار فبلغ ذلك سبكتكين وامتنع ان يلقي
بختيار او يدخل داره الا في الاحايين البعيدة على تحرز واستظهار . وثقل
أمر شيرزاد على الجند لان بختيار كان عودهم الا يردم عن شيء يلمسونه
من واجب ومحال وقليل وكثير فمنعه شيرزاد من ذلك وناصبه الكتاب
أيضا العداوة للخوف من شره واتقباض أيديهم عن يلجى اليه وكثر الدعاء
عليه من أفناء الناس . واجتمع الاتراك على عداوته وصاروا ينسبون كل حال
يكرهونها وينكرونها اليه وأخذ الوزير أبو الفضل يتحرز منه لما فسد بينه
وبينه ويستميل الاتراك ويوسع عليهم فمضى بعضهم الى بعض وتوافقوا على
الفتك به ثم رأوا ان يستأذنوا سبكتكين الحاجب فقصده جماعة لذلك . ونفى
الخبر الى بختيار فتقدم اليه بالمصير الى سبكتكين واستصلاحه وطرح النفس
عليه ومسئلته كفف القوم وضم اليه الوزير أبا الفضل ليعاونه وبينهما اذ ذاك
منافقة لم ينهك سترها فقصدا سبكتكين ووجدا طائفة كثيرة من الاتراك
عنده يستأمرونه في قتل شيرزاد فلم يأذن لهم ولكن أمرهم بتخوينه حتى
يهرب والا يقاروه بالحضرة فامسكوا عن قتله ^(٣٢٨) بعد ان هموا به .
وكان يجري أمره مجرى صالح بن وصيف بسر من رأى أيام المهدي بالله ^(١)
فلما وصل شيرزاد وأبو الفضل الوزير اليه وخاطباه وتضرعا اليه
صدقهما عن الصورة واعلمهما انه لولا خطره على الاتراك لقتل شيرزاد ولما
تركوه ان يصل اليه وأشار عليه بالرجيل من ساعته الى حيث شاء . فخرج

وهو يائس من صلاح حاله وخائف على مهجته فصادف الاثرak مجتمعين في دار سبكتكين يوجون في أمره ويتوعدونه ويفلظون له ويشتمونه فاسرع الخروج الى حضرة بختيار وعرفه ماجرى ثم التفت الى الوزير فاسمعه غليظ ما يكره وقال له : هذا من عملك وتديرك . خلف له بالطلاق على براءته مما ظنه به فأجابه بيمين الطلاق انه كاذب في جحوده .

ثم خلا بختيار بشيرزاد خذره شيرزاد من الوزير أبي الفضل وعقد معه عقداً وعهد اليه عهداً في صرفه عن الوزارة والقبض عليه واستصفاء نعمته وزم أسبابه ووافقه على ان يحرس عليه بعد خروجه داره وأهله وولده وضياعه وان يوقع عليه اسم ابنه سلار بن بختيار لتتجسم عنها اطماع الديلم والجند الى ان يستصلح نيات الاثرak ونيات سائر العسكر^(٣٢٩) ثم يعود الى حاله ويجري على رسمه في الخدمة وانحدر في الوقت الى الاهواز ثم صار منها الى ارجان وبها يومئذ الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد . وكان حاجبه روين قريبا لشيرزاد وكان قد توفي فتمتع به جدا ووجد به وجدا شديدا فلما وصل اليه شيرزاد رأي فيه شها منه ونخيل فيه شمائله فعطف عليه وتحفى له وأكرمه وحمل اليه مالا وكسوة وكتب له الى ركن الدولة كتباً مؤكدة ووعدته بتوسط أمره وأشار عليه ان يخرج الى حضرة ركن الدولة بكتبه ويقم ببابه الى ان يرد بنفسه فيتوسط أمره فاتفق ان خرج الى الري وتوفي بها .

وكان من سوء ملكة بختيار وقلة وفائه انه ثانی يوم خروجه قبض اقطاعه وضياعه وأهلا كد وجواريه ودوره ونسك كاتبه وأسبابه واستنار أمواله وودائمه ونقل ابنه سلار الى داره وسلم اليه اقطاعه لا على الاصل

الذي قرره معه شيرزاد بل على ان يصير له ذلك خاصة يتوفر عليه . وحكى أيضا ان نفي شيرزاد كان في سنة ٣٥٩ ثم انه بعد شهرين من نفي شيرزاد قبض على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وكتبه وأسباه واستصفى اموالهم وقلد الوزارة^(٣٣٠) ابا الفرج محمد بن العباس وقلد الدواوين أبا قرّة الحسين بن محمد القنّاني .

﴿ ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في القبض عليه ﴾

كان أبو الفضل الوزير استخدم أبا قرّة وهو رجل من دير قنّى حسن الذكاء قد نشأ بين كتاب واسط وعمّالها وتخرج معهم واختص بأحمد ابن على القنّاني فتمهر ولم يزل يتدرّج في التصرف حتى تقلد واسط رئاسة من قبل السلطان فاقتنى أموالا جليلة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد الجرأة على السلطان يقدم على أمواله اقدا ما لا يقدم عليها غيره هذا مع اهتداء الى وجوه الخيل عليه ومعرفة بوجوه الارتفاق والارفاق فانه كان يرفق الوزراء والعمال باليسير ويتوصل به الى الارتفاق الكثير . فاضطر أبو الفضل في وزارته لبختيار عند الحاجة والاضافة الى معاملته وكان يشتري منه فلات القضم بالثمن الزائد ويحتسب له بالمال غلات ضمانه يسعرها في وقت البيدر فربما قام عليه الكر بثلاثة اكرار هذا الى أمثال ذلك في معاملات الخطة وغيرها وعظمت نعمته وتمكن من رعيته بواسط فانبطت يده عليهم^(٣٣١) فتأول عليهم وقوى باموالهم . وكان الواحد منهم اذا نظّم منه لم ينصف وردّ اليه أمره فيسطط المكروه عليه فصارت رعيته تشكره على طريق الخوف منه .

ولما غاب أبو الفضل الوزير الى الموصل أيام معز الدولة . ~~ممكنه~~
واستخلفه ببغداد ووصل بينه وبين شیرزاد كاتب الفارسية ليعزه ويمنع منه
مراغمة أبي الفرج محمد بن العباس . فكان أبو قرّة يُهدى الى شیرزاد
ويلاطئه ويكثر وجوه المرافق والمباراة له لئمنع من الاستيفاء عليه وتأكدت
الحال بينهما حتى انقطع اليه ولم يتمكن أحد من الرجلين منه أعنى أبا الفرج
وأبا الفضل وكانا يومئذ كاتبين لا يتسمى أحد منهما بالوزارة طول أيام معز
الدولة . وكان أبو قرّة يرفع حسابه على ما يريد ولا يتمكن أحد من
الكتاب ان يستوفيها عليه فيقرر باكثر ارتفاع ضمانه سوى الأرباح التي
ذكرناها وسوى ما يستغله من أملاكه وسوى ما يستخرجه من المصادرات
والمصانع . وكان شیرزاد يطالب الوزير أبا الفضل بما كان وافقه عليه اذا
تم له الوزارة وكان أبو الفضل يعتد عليه بما يصل اليه من جهة أبي قرّة
وقال له : هذا الرجل عاملي وانما ضممته اليك لينوب عني ^(٣٣٢) عند غيبي
عن مدينة السلام وقد حصل لك من جهته ما ينبغي ان احتسب به عليك
وتعتده لي . ويستجيبه شیرزاد بأنه لا يحتسب له الا بما يصل اليه من صاب
ماله وخاص اقطاعه وارتفاعاته ولم يزل ذلك يتردد بينهما حتى استوحش كل
واحد من صاحبه واستوحش أبو قرّة أيضا واختص زيادة اختصاص
بشیرزاد . فطمع في المنازل العالية لما يرجع اليه من الكفاية في نفسه ثم
للحال المتأثرة واليسار العظيم واضطر الوزير الى مغالطته عن نفسه وايناسه
والاستعانة به على شیرزاد وهو كان سبب اتصاله به . فلما تم على شیرزاد ماتم
من النفي عم الوزير بالقبض عليه ثم أمهله ودبر أمره على ان تدرك غلاته
وخشى في الحال ان مد يده اليه ان تنقطع مادة ما كان يقيم من قضم

الكراع ووافق بختيار على انه يستخرج منه عند حضور الوقت مائتي ألف دينار.

وكان بختيار لا يضبط لسانه ولا يكتم شيئاً من اسرار نفسه ولو فيما جرى عليه ذهاب النفس والملك فالخرج حديثه وسره فبلغ أبا قرّة ما جرى وكان يخشى عداوة أبي الفرج فصار يخشى عداوة الوزير ولم يكن له وزير^(١) غير شيرزاد^(٢) وكان قد نفى فاضطرب واحتال حتى توصل الى سبكتكين الحاجب وبذل له على يد أبي بكر الاصبهاني صاحبه وثقته ذلك المال الذي كان يرتفق به شيرزاد بن سرخاب فنصره سبكتكين نصرة زادت على نصرة شيرزاد فصار في ظل أحصن من الظل الاول وتعذر على الوزير ان يملأ عينه منه فضلاً (عن) أن يمدّ يده اليه . حينئذ اجتمعت على أبي الفضل الوزير أمور منها الاضاقه وانقباض يده عن استيفاء الحقوق ومنها مطالبة بختيار له بالقرض^(٣) التي كان اقترضها ولم يتسع لردّها عليه ومنها عداوة سبكتكين له وخوفه من حيله ومكايده ومنها حسده له على ظاهر حاله وما جمع من الغلمان والحجاب والبروءة الظاهرة ومنها استمالته وجوه الاتراك ومكائرتة اياه في الاحسان اليهم ومنها عداوة بختكين آذرويه وكتبه سهل ابن بشر اياه لقصده اياهما بالاهواز واستقصائه عليهما ومصادرتة اياهما ومنها عداوة صاحب الديوان أبي الفرج وأخيه على بن العباس على قديم الايام ومنها انقلاب أبي قرّة عليه للاسباب التي ذكرناها نخلا من كل صديق

(١) يعني ملجأ ومن آيات اليتيمة (٤ : ٣٣٢)

شر السباع العوادي دونه وزر والناس شرهم ما دونه وزر

(٢) لعله القروض

ومعين واصطلحت هذه الطائفة عليه . ثم اضطر ^(٣٣٤) أبو الفرج محمد بن العباس الى مصادقة أبي قرّة ليتعاقد على أبي الفضل لا لمودة حقيقية فاتفقا على ان يخاطبا سبكتكين الحاجب في مراسلة بختيار وموافقته على القبض على أبي الفضل وضمه أبو الفرج محمد بن العباس تسعة آلاف الف درهم يستخرجها منه ومن خلقائه وكتّابه وجميع المتصلين به على ان يتقلد الوزارة ويتقلد أبو قرّة الديوان ففعل ذلك وقبض على أبي الفضل كما سبق القول فيه . فلم يلبث محمد بن العباس أبو الفرج في وزارته الا يسيرا حتى اضطربت أموره ولم يف بما ضمنه لبختيار وتمكن أبو قرّة من السعي عليه وردّ أبي الفضل الى وزارته وضمن لبختيار تصحيح سبعة آلاف الف من جهته بضمان سبكتكين عنه

﴿ شرح الحال في ذلك وسبب تمكن أبي الفضل بعد نكده ﴾

(حتي أعيد الى الوزارة ومكن من أبي الفرج)

لما خلع على أبي الفرج الخلة التي تخلع على الوزراء ومكن من أبي الفضل وسلم اليه مع جميع أسبابه والمتصلين به اتسع بما راج له من جهاتهم وحبس أبا الفضل في داره وضيق عليه وبحث عن أمواله وأموال أهله وحرمه بغاية ما أمكنه فلما وقف عليه الامير طالبه بالمال وناظره فاستقر ما بينهما على ان التزم ثلاثة آلاف الف درهم يحتسب منها ^(٣٣٥) بما صح من خاص أمواله وأثمان غلاته وآلاته وكراعه ويوفي ما يبقی واشترط أن يوسع عليه ويسهل الاذن لمن يدخل اليه ليستغفهم ويقرض منهم . فأحجم أبو الفرج محمد ابن العباس عن التنفيس عنه خوفا من تقاذيلته عليه وأعادته الى الحبس والتضييق وانفسخ ما قرره معه وعطف على أسبابه فثني المصادرات عليهم

وعسفهم وأرهمهم وجازفهم ومات في حبسه صهر لابي الفضل العباس بن الحسين يقال له ابراهيم بن محمد الدهكى فاتهم به وانه قتله بالعذاب والمطالبة . وخلق على أبي قرة لتقليد الديوان بعد ان أرفق بختيار بمال على ذلك وأقرت واسط في يده فصار ضامنا لها خاصة مستوفيا على غيره من الضمماء وتلقب بالرئيس لان أبا الفرج كان أيام تقلده الديوان متلقبا بهذا اللقب فانكر أبو الفرج ذلك على أبي قرة وأمر الناس أن يخاطبوه بالوزير الرئيس تحسينا لهذا اللقب عن أبي قرة

(ذكر فساد الحال بين الوزير وبين أبي قرة وما تم له من)
(عزله وتولية أبي الفضل)

وابتدا أبو قرة يطالب بجميع مراتب أبي الفرج التي كانت له قبل الوزارة وزعم انها من ^(٣٣٧) حقوق صاحب الديوان ويجب أن يستوفيهما فاضطربت الحال بينه وبين الوزير أبي الفرج ولم يزل يتزايد حتى ترامت الى نهاية الفساد وضمن أبو قرة عن هذا اللقب مالا ثانيا حتى أمضى له وخرج الامر بان يخاطب به . وكان ممن الدولة اطلق لابي الفرج وأبي الفضل عند اخراجه اياهما الى جهتي عمان والبطيحة للحرب عليهما أن يضربا على أوابهما بالديابادب في أسفارهما عند حضور أوقات الصلوات فصار ذلك رسما لهما استمررا عليه ولم يقطعاه عند انصرافهما من وجهه الحرب فلما تقلد أبو قرة الديوان أجراه مجرى حقوق العمل التي تستوفى واحب أن يضرب على بابيه بالديابادب فسأل بختيار ذلك فأجابه اليه ومنعه أبو الفرج الوزير منه وأنكر ثم بذل فيه أبو قرة مالا نخرج أمر بختيار بان يطلق له ذلك . ثم خرج الوزير أبو الفرج وأبو قرة في التنافس الى أبعد غاية وفي العداوة الى أقصى نهاية وكان

صاحبهما لاهيا عنهما واتصلت المنازعة بينهما في أمثال هذه الاشياء ولم تحفظ
مرتبة الوزارة وفضلها على غيرها حتى لم تتميز من سواها
فتقدم الوزير أبو الفرج الى كتابه بعمل لابي قرة ومؤامرة تشتمل
على ما يجب عليه في مردود حساباته التي عملها في سني ضمانه واثارة جميع
ما غبن فيه السلطان ومرافقه القديمة^(٣٣٧) والحديثة فعملت هذه المؤامرة
واشتملت على ستة آلاف الف درهم ونسبت هذه الاموال الى جهاتها
وعرضت على بختيار وأطمع في وجوبها وأن حاله تفي بها فامر بمطالبة
واعتمص بسبكتكين الحاجب فحامي عليه واغتناظ بختيار من تعززه عليه ووجد
خصومه الطريق الى اغرائه به وأقاموا في نفسه أنه سيجمل سبكتكين على
خلع طاعته وازالته عن مملكته فانفذ بختيار اليه نقيبا ووكلا به في دار
سبكتكين ثم أنفذ ثانيا يستدعيه وضعف سبكتكين عن مقاومة صاحبه
بختيار ومنابدته وكان شاع عنه انه انما يحامي على أبي قرة لرفق يأخذه
منه فترك الاغراق في نصرته وسلمه الي بختيار على موجدة في نفسه وحمة
في قلبه ووعد أبا قرة انه سيتكلم فيه ويستتقذه . فلما صار عند بختيار سلمه الي
الوزير أبي الفرج وأمره باستخراج المال فضعف الوزير عن منابذة سبكتكين
فيه ولم يقدم على عسفه ولم يسكن الى اطلاقه فحصل معتقلا اعتقالا جميلا
ووقفت الامور التي كان ينظر فيها من اقامة القضييم للسكراع ومهمات
التسييات عليه . وندم سبكتكين على تقليد أبي الفرج الوزارة ومساعدته
على نكبة أبي الفضل وتذكر ما كان يعامله به من المجاملة والنفاق ورأي
انه على علاته كان أصلح له من أبي الفرج وضعف قلب أبي الفرج^(٣٣٨)
بفساد رأيه .

وكان أخوه أبو محمد على بن العباس الخازن مستوليا على بختيار مالكا لقياده لا يفارق مجلسه عند الانس والمنادمة فاشفق أن يجري عليه من سبكتكين ما جرى على شيرزاد منه فاتفقا على إرضاء سبكتكين باطلاق أبي قررة وتقرير أمره على مال قليل لا يؤثر في حاله وان يصير الى واسط على رسمه الاول ويعتزل الديوان فلما أفرج عنه أقام القضييم ونفذ الامور المتعلقة به وانحدر الى واسط بعد أن واطأ سبكتكين على السعي لابي الفضل في الوزارة وانقاده من محبسه والقبض على أبي الفرج وأبي محمد على بن العباس وأسبابهم ما وقد كان الوزير أبو الفرج عطل ديوان أبي قررة ونقل الاعمال عنه واستبد بمكاتبة العمال وكان له كاتب اهوازي يعرف بابن السكر قد اتسمت حاله فشرع في تقلد هذا الديوان وبذل لبختيار مالا يصححه له في كل سنة من حقوق المحاسبات وأعلمه أن هذا الديوان زمام له على الوزراء وأن الوزير الآن مستبد بالجميع وفي ذلك ضياع الدخل والخرج وفساد الاصل والفرع . وانصل الخبر بأبي الفرج فملظ عليه وعظم في نفسه وراسل بختيار بأنه لا يصبر^(٣٣٩) على أن يتقلد كاتبه هذا الديوان على مرانمته فاجابه بأنه لا بد من صاحب ديوان يكون معه « فاختر أنت من تحب » فهان عليه رد أبي قررة الى نفسه وكان أخف على قلبه وأيسر محملا من نظر ابن السكر فيه فكتب بالاصعاد فورد وجددت له الخلع وقلد الديوان . وكانت المراسلات بينه وبين أبي الفضل متصلة وذلك ان أبا الفضل كان واسع الصدر فافضل على الموكلين به من غلمان الوزير أبي الفرج ووسع عليهم وأكثرت في برهم والاحسان اليهم فلم يمنعوه من مكاتبة من يريد مكاتبته وواصلوا اليه كتب من كاتبه فاحتال ضروب الخيل وتم له أكثر ما حاوله فلما ورد أبو قررة

بغداد تمكن من اتمام أمره والسعى له .

واشتدت الاضاقة بابي الفرج ووقفت عليه أموره ومطالبه لان واسط انفلتت عليه بابي قره والبصرة والاهواز انفلتتا عليه بالآراك الذين استبدوا باموالهما في تسبيباتهم ولم ينهض بما ضمنه عن أبي الفضل لانه اقتصر على أخذ ظاقره وخاف أن يطلقه ليضطرب فيحتال عليه ويسعى في الوزارة (وهو لا يعلم انه قد سمى وفرغ) واجتمعت عليه مطالبات كثيرة وصارت حاله في الخراف بختياره وعداوة سبكتكين الحاجب له ^(٣٤١) ولاخيه وتعصب الجند عليهما كحال أبي الفضل لما قبض عليه

﴿ ذكر ما احتال به في هذه الحال وما عرض له ﴾

﴿ من سوء الاتفاق ﴾

لما أحس باضطراب أمره خاف أن يعاجله بختيار بالقبض عليه فأحال على أموال وقف عليه بالاهواز وانه يريد الشخص اليا فمنه بختيار من الخروج الابد اقامة الوجوه للنفقات التي بحضرته لثلاث توجه عليه المطالبات بعد خروجه ويقع اخلال بالاقامات فاحتاج أن يستخلف أخاه بحضرته حتي ضمن له ذلك . ووافقه على وجوه ظن انها راجية وأضاف اليه ابن اخته المعروف بابي القاسم علي بن الحسين المشرف على أنه ناظر في الدواوين والحسابات وشخص الي واسط . وشخص أبو قره على أثره بعد أن قرر أمر أبي الفضل وفرغ منه ولكن تلاق طمع بختيار بالمواعيد التي وعده بها أبو الفرج والضمانات التي ضمنها أخوه فلما حصل بواسط ضايقه أبو قره في الامور وعارضه في التدبير وكان مستوليا على البلد بالضمان ثم على سائر الاعمال بحق النظر في الديوان ثم بالعناية التي كانت له من سبكتكين فخفف

الوزير أبو الفرج المقام بواسط وبرز عنها يريد الاهواز . فحدث عند تديره وعمله^(٣٤١) على المسير ان توفي رجل كان متغلبا على أسافل واسط وهي أعمال نهر الصلة ونهر الفضل وكان يعرف هذا الرجل باحمد بن خاقان وهو جار محمد بن عمران بن شاهين واستولى على هذه النواحي وكان يقطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن الاستيفاء عليه وله حال قوية ونعمة عظيمة فقد ر محمد بن العباس الوزير ان يصل الي أمواله فانتقل الى هذا الوجه وسبقه ابن له يقال له خاقان فاحتمل غلات أبيه وأمواله ودخل الى مضائق البطيحة . ووجد أبو قره فرصته فاخذ في مراسلته وتقويته وتشجيعه واعلمه انه معه وعونه ثم عمل اعمالا أوجب بها لنفسه بحق الضمان الذي له في واسط . على هذا المتوفي شيئا كثيرا من الغلة والمال ثم قال للوزير أبي الفرج محمد بن العباس انه لا حق له في شيء مما يصل اليه من أموال هذا المتوفي الا بعد ان يستوفي منه هذه البقايا أو يحتسب بها له من مال ضمانه . فسار الوزير أبو الفرج الى بلاد لم يجد فيها شيئا ولو وجده لنازعه فيه أبو قره وحصل منازل خاقان بحيث لا يمكنه الدخول اليه ولم يصادف في تلك الاعمال انسانا يكلمه ولا حبة من غلة ولا آرا من مال فجنى الى مراسلة خاقان والتماس مصالحه فامتنع عليه ونازله أياما كثيرة حتى مل^(٣٤٢) وساءت حاله وحال من معه وانقطعت عنهم المواد فاضطر الى الرحيل ورضى بمال يسير لم يتمكن من استيفائه وحصل من هذا اليسير شيء يسير ووقعت المنازعة فيه بينه وبين أبي قره حتى اتفقا على اقتسامه وبادر بالخروج الى الاهواز .

وكتب أبو قره بختيار بعلمه انه ليس له وجه درهم واحد وانه خرج « مستروحا الى البعد عنك لتدفع عنه ان كبة التي خافها من جهتك » وكتب

الى تختكين آزاد رويه يحذره منه فكتب تختكين الى بختيار بانه لم يبق عليه شيء وان تسبيبات الاتراك وانزالهم تستغرق الواجب وزيادة كثيرة وان محمد بن العباس الوزير انما يصير الى أعماله ليتأول عليه بالمحالات ويعمل له المؤامرات ويمد يده الى أموال السنة المقبلة . ووافق ذلك ان أخاه أبا محمد على بن العباس الخازن صحح البعض من تلك الوجوه التي أقيمت بالحضرة ووقف عليه الباقي لضعف يده وللكثرة الاراجيف باخيه وبه وبان بختيار قد تمت الموافقة بينه وبين أبي الفضل على اعادته الى الوزارة وأخذ خطه في أبي الفرج وأبي محمد أخيه وأسبابهما بسبعة آلاف ألف درهم وانه يطلق الاستحقاقات ويدبر النفقات . فكتب بختيار الى تختكين بالقبض على أبي الفرج ومن معه في يوم وصولهم ^(٣٤٣) الى الاهواز وكتب الى أبي قرة بمثل ذلك وبالاحتياط عليهم حتى لا يفوت أحد منهم وقبض بختيار على أبي محمد الخازن أخيه وكان جالسا معه يشرب على رسم كان له في منادمته وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وكان في دار أبي الفرج وخلع عليه للوزارة ^(١)

(١) قال صاحب التكملة . فلما أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي فولده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة بغداد وناب عن المهلبى وصاهره على بنته زينة وكان ذلك سبب تقدمه ثم فسد ما بينهما . وكان واسع المروءة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهى التى كانت بستانا لقيب النقباء الكامل وانتقلت الى الفضلوى وانفق عليها أبو الفضل زائدا على مائة ألف دينار ثم احترقت فامر معز الدولة بيسطها بستانا . وعمل دعوة لمعز الدولة وجعل فى وسط السباط قصرًا من السكر فيها مخاضيت واغانى يغنون ويرقصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة بالقلوس الغلاظ وطرح الورد فيها حتى ملأها وغطا دجلة . ولم تنزل بغداد قيان حتى احضرها وذلك فى سنة ٣٥٤ فلما كان فى سنة ٥٥ قال له معز الدولة : يا أبا الفضل تلك الدعوة فريدة

وفي هذه السنة خرج الاستاذ الرئيس أبو الفصل ابن العميد الى الجبل في خيل عظيمة لتدبير أمرها وتقرير أمر حسنويه بن الحسين الكردي

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾^(١)

كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوى واستفحل أمره لما وقع من الشغل عنه بالفتوح الكبار ولانه كان اذا وقع حرب بين الخراسانية وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمة يستحق بها الاحسان الا أنه مع ما أقطع وأغضى عنه من الاعمال التي يتسط فيها والاضافات التي يستولي عليها ربما تعرض لاطراف الجبل وطالب أصحاب الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها فيضطر الناس الى اجابته ولا يناقشه السلطان فكان يزيد أمره على الايام وتتشاغل الولاة عنه الى أن وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحة تلاحا فيها الى ان قصده ابن مسافر بالحرب^(٢) فهزموه حسنويه وكان يظن ابن مسافر انه لا يكشفه ولا يبلغ الحرب بينهما الى ما بلغت اليه فلم تقف الحرب حيث ظن وانتهى

بلا اخت . فقال : بل هي في كل سنة . وعمل دعوة اتفق فيها الف الف درهم وذهب فيها جوارى وغلما نا وأراكا وضياعات واستمد بعد عمها عند الشوائين الف الف درهم وحمل الى ابي الفضل اصحابه ما امكنهم من الهدايا

واما ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس فوالده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة في ذي الحجة سنة ٢٣٨ وابوه من اصحاب النعم الوافرة بفارس صادرة عماد الدولة على ستمائة الف دينار وقال : اني كسبت معه خمسين الف درهم . وجاء مع معز الدولة الى بغداد وولاه الزمام على المهلب وتوفي سنة ٣٤٢ وتكفل المهلبى بأمر ابنه حتى رد اليه الديوان

(١) روي هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه ارشاد الارباب (٥ : ٣٦٨) بن

ابي على مسكويه

الامر بينهما الى ان اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بمد الهزيمة الى موضع شبيه بالحصار ونزل الاكراد حوالهم ومنعهم من الميرة وتفرقوا بازاءهم . ثم زاد الامر وبلغ الى أن أمر حسنويه الاكراد ان يحمل كل فارس منهم على رأس رمح ما أطاق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك فلما اجتمع حول معسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفا وحيت الشمس عليهم مع حر النهار فاخذ بكظمهم واشرفوا على التلف فصاحوا وطلبوا الامان ففرق بهم وأمسك عما هم به . وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل هذا كله له وتقدم الى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد وهو الاستاذ الرئيس بقصده واستئصال شاقته وأمره بالاستقصاء والمبالغة . فانتخب الاستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدة وزينة وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد ووقف حتي اجتاز به المعسكر قائد بعد قائد وكوكبة بعد كوكبة ورضى العدة والقوة^(٣٤٥) فودع حينئذ الوزير ابن العميد وعاد الى الري .

وسار الوزير ومعه ابنه أبو الفتح وكان شابا قد خلف أباه بمحضرة ركن الدولة وعرف تدير المملكة وسياسة الجند فهو بذكائه وحدة ذهنه وسرعة حركته قد نفق نفاقا شديدا على ركن الدولة وهو مع ذلك لقلة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الامور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه ويجب ان يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخلع عليهم خلعا كثيرة ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول المره بالمراكب الثقيل ويريد بجميع ذلك ان يسلموا له الرئاسة حتي لا يأنف

أحد من تقبيل الأرض بين يديه والمشي قدماه اذا ركب وكان جميع ذلك مما لا يؤثره الاستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه ان ذلك لو كان مما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق اليه .

ولقد سمعته في كثير من خيلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع وانه ما ملكهم أحد قط الا بترك الزينة وبذل مالا ييطرهم ولا يخرجهم الى التجاسد ولا يتكبر عليهم ولا يكون الا في مرتبة أوسطهم حالا وان من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقته لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمته ^(٣٤٦) والسعي على ازالتها وترقب أوقات الغرة في آمن ما يكون الا انسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت . وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى يظن انه قد ملا قلبه رعبا وانه سيكف عن السيرة التي شرع فيها فما هو الا ان يفارق مجلسه ذاك حتى يعاود سيرته تلك فاشفق الاستاذ الرئيس في سيرته هذه ان يتركه بحضرة صاحبه فيالج في هذه الاخلاق ويفتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي الى ما لا يتلافاه فسيره معه واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا على محمد بن أحمد المعروف بابن البيع وكان فاضلا أديبا ركيذا حسن الصورة مقبول الجملة حسن الخبر خلقا وأديبا .

فلما كان في بعض الطريق وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لا فراط علة القرس وغيرها عليه التفت حوله فلم ير في موكبها احدا وسأل عن الخبر فلم يجد حاجبا يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيري فسألني عن الخبر فقلت له : ان الجماعة باسره مالت مع أبي الفتح الى الصيد فامسك حتى نزل في معسكره ثم سأل عن جرت العادة باستدعائه للطعام

وكان يحضره كل يوم عشرة من القواد على مائتته التي تخصه وعدة من القواد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسعى فيها نقباءهم فلما كان في ذلك اليوم^(٣٤٧) لم يحضره أحد واستقصي في السؤال ف قيل « ان أبا الفتح أضافهم في الصحراء » فاشتط من ذلك وساء ان يجرى مثل هذا ولا يستأذن فيه . وقد كان أنكر خاؤم موكبه وهو في وجه حرب ولم يأمن ان يستمر هذا التشتت من المعسكر فتم عليه حيلة فدعا كبر حجابيه ووصاه بان يحجب عنه ابنه أبا الفتح وان يوصى النقباء بمنع الديلم من مسائره ومخالطته وظن ان هذا المبالغ من الانكار سينفض منه وينهى المعسكر من اتباعه على هواه فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثر . وعاد الفتى الى عادته وابعه المعسكر ومالوا معه الى اللعب والصيد والاكل والشرب وكان لا يخليهم من الخلع والالطاف فشق ذلك على الاستاذ الرئيس جدا ولم يحب ان يخرق هيئة نفسه باظهار ما في قلبه ولا ان يبالغ في الانكار وهو في مثل ذلك الوجه فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه فدارى أمره وتجرع غيظه وأداه ذلك الى زيادة في مرضه حتى هلك بهمدان وهو يقول في مجلس خلواته : ما يهلك آل العميد ولا يمحوا آثارهم من الارض الا هذا الصبي (يعني ابنه) ويقول في مرضه : ما قتلتني الا جرع الغيظ التي تجرعتها منه .

ومما حصلته عنه في وجهه هذا وقد سأله عن عاقبة أمر حسويه معه وهل الى استئصاله سبيل فقال : اما بهذه^(٣٤٨) السرعة وفي هذا الزمان فلا ولكننا سنعود عنه ونحن كما كنا وزيادة شيء . ويعود حسويه وهو كما كان ونقصان شيء . ثم يدبر أمره على الايام . فلما حصل بهمدان اشتدت علته فتوفي بهار حمله الله وانتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه وكان المعسكر كما

ذكرت ماثلا اليه فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومناهم وبذل لهم طعامه ومناذمته وأكثر من الخلع عليهم وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه على الطاعة وأوماً الى مصالحته على مال يحمله يقوم بما اتفق على ذلك العسكر وتتوفر بمد ذلك بقيته على خزانة السلطان ويضمن اصلاح حاله اذا فعل [ذلك] مع ركن الدولة . وكان يشق على سهلان بن مسافر لما في نفسه من حسنويه ولانه يحب الانتقام منه ويكره ان ينصرف مثل ذلك العسكر عنه ولم يؤثر في أمره اثر ايسمع به وليه وعدوه الا ان أبا الفتح كان يرى ان مقاربة حسنويه والعود الى صاحبه يبابه لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وان يلحق مكانه من الوزارة قبل ان يطمع فيه [غيره] أولى وأشبه بالصواب (وقد كان أبو علي محمد بن أحمد خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل ذلك ما عرفه بالكفاية والساد) فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه الى ان تقرر أمره على خمسين^(٣٤٩) الف دينار ينكسر بعضها وجبي كورة الجبل وجمع من الدواب والبغال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة الف دينار ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى نفسه وشد مئنته وأحمد جميع ما كان دبره وأمر بالعود الى الحضرة بالرى

وكانت وفاة الاستاذ الرئيس بهمذان في صفر ليلة الخميس السادس منه سنة ستين وثلثمائة ففقد به الفضل اجمع وعدمت المحاسن التي ما اجتمعت لغيره في الاسلام^(١)

(١) قال صاحب التكملة : قال ابن الصابي : قيل ان تما نقق به ابن العميد على ركن الدولة ان ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالرى واختار له موطناً وكانت فيه شجرة ذات اسندارة عظيمة وعروق نازلة متشعبة فقدر لعلها واخراج عروقها جملة كثيرة ولم

﴿ ذكر جملة من فضائل أبي الفضل ابن العميد وسيرته ﴾

كان هذا الرجل قد أدى من الفضائل والمحسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدو وسلم الحسود ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت له وصار كالشمس التي لا تخفى على أحد وكالبحر الذي يتحدث عنه بلا حرج ولم أر أحدا قط زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره . فمن ذلك أنه كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب وتوسعا في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني أبو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال : كنت أروى أبي أبا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لأن الأستاذ الرئيس كان ^(٣٥٠) يستنشه إذا رآه وكان لا يخلو إذا انشده من رد عليه في تصحيف أو لحن مما يذهب علينا فكان ذلك يشق عليّ وأحب أن تصح له قصيدة لا يعرفها الأستاذ الرئيس أو لا يرد عليه فيها شيئا فأعاني ذلك حتى وقع الى ديوان الكميّ وهو مكثّر جدا فاخترت له ثلاث

يقع في نفسه أنها تنأصل استئصالا قاطما فقال ابن العميد : أنا أكره الامير هذه السكينة وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء وفي أقرب امد وأقل عدد . فاستبعد ذلك ركن الدولة وقال من طريق الأزراء : أقل . فاستدعاجالا واوتادا وسلك هذا المسلك المعروف في جر الثقل فلما رتب ما رتبته ونصب ما نصبه أقام نورا قليلا حتى مدوا ومنع أن ينف أحد على جربان كثيرة من الشجرة بحسب ما قرره من وشوج اصولها ووشوج عروقها . ووقف ركن الدولة في موكبه ينظر في راعهم الأرض وأنتاحها وانقلاب قطعة كبيرة منها وسقوط الشجرة منسلة بجميع عروقها فوجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ونظر الى أبي الفضل بعين الجلالة . وهذا امر لا ينظم عند من يعرف الحيلة فيه والطريق المقصود اليه .

قصائد غريبة ظننت أنها ما وقعت الى الأستاذ الرئيس وحفظته اياها وتوخيت الحضور معه فلما وقع بصره عليه قال : هات أبا القاسم أنشدني شيئاً مما حفظه بعدى . فابتدأ ينشده فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له : قف فقد تركت من هذه القصيدة عدة أبيات . ثم أنشده أياها ففجئت خجلة لم أخجل مثلها . ثم استزاد فأنشده القصيدة الاخرى فأسقط فيها كما أسقط في الاولى واستدركه عليه أيضا . قال : فعلمت ان الرجل بحر لا ينزف ولا يؤتى ما عنده . فهذا ما حدثني به هذا الرجل وكان أدبياً كاتباً

وأما ما شاهدته منذ مدة صحبتي اياه وكانت سبع سنين لازمته فيها ليلاً ونهاراً انه ما أنشد شعراً قط لم يحفظ ديوان صاحبه ولا غرب عليه بشعر قديم ولا محدث ممن يستحق ان يحفظ شعره ولقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين أعجب من تعاطيه حفظ مثلها حتى سأله يوماً وقلت : أيها الأستاذ كيف تفرغ^(٣٥) زمانك لحفظ شعر هذا الرجل . فقال : وكانك تظن أنى أتكلف حفظ مثل هذا انما ينحفظ الى اذا مر بسمعي مرة . وقد صدق رحمه الله فاني كنت أنشده لنفسى الايات التي تبلغ عدتها ثلاثين وأربعين فيعيدها بعد ذلك مسججاً وربما سألتني عنها ويستنشدني شيئاً منها فلا أقوم باعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسق حتى يذكرنيها ويعيدها . وحدثني غير مرة انه كان في حداته يخاطر رفقاءه والادباء الذين يعاشرهم على حفظ الف بيت في يوم واحد وكان رحمه الله أثقل وزناً وأكثر قدراً من أن يزيد فقلت له : كيف كان يتأتى لك ذلك . فقال . كانت لى شريطة وهى أن يقترح على من شعر لم أسمع به الف بيت في يوم واحد يكتب

واحفظ منه عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين أعيدها وأبرأ من عهدها . فقلت وما معنى البراءة عن عهدها . قال : لا أكاف اعادتها بعد ذلك . قال : فكنت أنشدها مرة أو مرتين وأسلمها ثم اشتغل بغيرها حتي أفرغ من الجميع في اليوم الواحد .

وأما كتابته فمعروفة من رسائله المدونة ومن كان مترسلا لم يحفظ عليه علو طبقة فيها وكذلك شعره الذي جسد فيه وهزل فانه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازل . فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار فكان منه في أرفع درجة ^(٣٠٢) وأعلى رتبة ثم اذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه فيها أحد . فأما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات منها خاصة فما جسر أحد في زمانه ان يدعيها بحضرته الا أن يكون مستفيدا أو قاصدا قصد التعلم دون المذاكرة . وقد رأيت بحضرته أبا الحسن العامري ^(١) رحمه الله وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه فيلوف تام وقد شرح كتب أرسطاطاليس وشاخ فيها فلما اطلع على علوم الاستاذ الرئيس وعرف اتساعه فيها وتوقد خاطره وحسن حفظه للمسطور برك بين يديه واستأنف القراءة عليه وكان يعد نفسه في منزلة من يصلح أن يتعلم منه فقرأ عليه عدة كتب مستغلة ففتحها عليه ودرسه اياها

وكان الاستاذ الرئيس رضى الله عنه قليل الكلام نزر الحديث الا اذا سئل ووجد من يفهم عنه فانه حينئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره

(١) هو محمد بن يوسف وفي ارشاد الاروب (١ : ٤١١) انه توفي سنة ٣٨١

فايراجع ايضا (٣ : ١٢٤)

مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتجسس فيها ولا يتلعم .
ثم رأيت بحضرته جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فسا
أحد منهم كان يمتنع من تعظيمه في ذلك الفن الذي قصده به وإطلاق القول
بأنه لم ير مثله ولا ظن أنه يخلق . وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارته ^(٣٥٣)
أخلاقه ونزاهة نفسه إذا دخل اليه أديب أو عالم متفرد بفن سكت له
وأصغى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسن من لا يعرف منه الا
قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى إذا طاوله وأتت الشهور والسنون على
محاضراته وانفق له أن يسأله عن شيء أو يجري بحضرته نبذ منه فرغاب اليه
في اتعابه تدفق حينئذ بحره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه
بارع في ذلك الفن والمعنى وما أكثر من خجل عنده من المعجبين بأنفسهم
ولكن بعد أن يمد لهم في الميدان ويرخي من أعنتهم ويمسك عنهم مدة حتى
ينفذ ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه . فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب
المروفة ثم كان يختص بفرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل
التي يحتاج فيها الى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجرا الثقيل
ومعرفة مراكز الاثقال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى
الفعل وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في
الحروب مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجيبية وسهام تنفذ أمداً بعيداً وتؤثر آثاراً
عظيمة ومراي تحرق على مساندة بعيدة جداً ولطف كلف لم يسمع بمثله
ومعرفة بدقائق علم ^(٣٥٤) التصاوير وتعاط له بديع ولقد رأيت يتناول من
مجلسه الذي يخلو فيه بثقائه وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها فيعبث بها
ساعة ثم يدحرجها وعليه صورة وجه قد نخطها بظفره لو تعمدها لها غيره

بالالات المدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتى له مثلاً
فاذا حضر المارك وباشر الحروب فانما هو أسد في الشجاعة لا يصطلي
بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع سبات جأش
وحضور رأى وعلم بمواضع القرص وبصر بسياسة العساكر والجيوش
ومعرفة بمكايد الحروب

فاما اضطلاع بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستغزار الاموال فقد
دلت عليه رسائله ولا سيما رسالته الى أبى محمد ابن هندو^(١) التي يخبر فيها
باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها وما يجب ان يتلافى به حتى
تعود الى أحسن أحوالها فان هذه رسالة يتعلم منها صناعة الوزراء وكيف
تتلافى الممالك بعد تناهي فسادها وما منعه من بسط العدل في ممالكه
وعمارة ما يدبره منها الا ان صاحبه ركن الدولة مع فضله على أقرانه من
الديلم كان على طريقة الجند المتغلبين بتغنم ما يتعجل له ولا يري النظر في
هواقب أمره وعواقب أمور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق
مداراتهم ما لا يمكن أحداً^(٢٥٥) تلافيه وردم عنه وكان مضطراً الى فعل ذلك
لانه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمثل
جميع أمره وانما يرأس عليهم بساحة كثيرة كانت فيه ومساخرة في أشياء
لا يحتملها أمير عن أمور وهذه سيرة اذا عودها الجند لم يمكن ان يقطعوا
ضرباً بل تزداد على الايام وتتمادى حتى ينتهى الى ما انتهى اليه جند عصرنا
من تسجيهم على الملوك واقتراحاتهم ما لا يفي به دخل المملكة وخروجهم في
سوء الادب الى ما يخرج اليه السباع التي تضراً ولا تقبل الادب

(١) هو على بن الحسين وكنيته أبو الفرج وترجمته في ارشاد الارب ٥ : ١٦٨

ثم كان الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله مع هذه السيرة قد دارى جنده ورعيته وصاحبه مداراة لو ادعى له فيها المعجزة لاشتبه على قوم وذلك انه لما استوزر لركن الدولة كان تقدمه قوم عجزة وباشروا مع عجزم أموراً مضطربة وجندا متحكمين والدنيا في أيديهم يملكونها كيف شاؤوا لا يمنهم أحد منها وإنما أميرهم يسمى بالأمرة ما دام يستجيب لهم إلى اقتراحاتهم ومتى خالفهم استبدلوا به . وكان ركن الدولة وقبله عماد الدولة يوسعان عليهم في الاقطاعات ويبدلان لهم من الرغائب ما لا يبق لهم معها حجة ولا موضع طلبه وهم مع ذلك يتحكمون ويسيطون أيديهم ويطمعون فيما لا مطمع فيه وكان قصارى الوزير والمدير ان يقيم^(٣٥٦) كل يوم وجها لنفقة الأمير يومه ذلك من مصادرة العامة أو قرض من الخاصة أو حيلة على من يهتم بيسار كائنا من كان وربما تعذر عليهم قضيم الكراع يوما ويومين فاما نفقات الحشم وجراياتهم وما يقيم ارماتهم فكانت تتمحل وربما امتنع عليهم اقامتها أياما ومع ذلك فان هؤلاء المديرين كانوا لا يتمكنون من الفكر في وجوه الحيل لكثرة من يزدحم عليهم من الجند أغنى الديلم والأتراك وخاصة من يطالبهم بالمحالات فيهربون منهم ويتواعدون من الليل إلى مواضع غامضة يجتمعون فيها وربما خرجوا إلى الصحراء ويجمعون على ظهور دوابهم وينتولون أرجلهم على أعناقها بقدر ما يدبرون الرأي في وجه الحيلة واقامة وظيفة ذلك اليوم فاذا تم لهم ذلك فهو عيدهم ونشاطهم وغاية كفايتهم في صناعتهم . فلما تولى الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله وزارة الأمير ركن الدولة استقام الأمر حتى رأيناه يركب إلى ديوانه من دار السلطان ولا يلقاه غير خاص كتابه ثم يلقي صاحبه فلا يدور بينهما إلا عوارض المهم الذي لا يخلوا من مثله

ملك ووزير وضبط أعماله ونظم أموره ورتب أسباب خدمته حتى كان أكثر نهاره مشغولاً بالعلم وأهله . وبسط عدله وأقام هيئته في صدور الجند والرعية حتى كان يكتفيه رفع الطرف إلى أحدهم على طريق الإنكار^(٣٥٧) فترعد الفرائص وتضطرب الاعضاء وتستترخي المفاصل وقد شاهدت من ذلك مواقف كثيرة لو شرحتها لاطلت هذا الفصل اطالة تخرج عن غرض الكتاب . ولولا أن صاحبه كان لا يستجيب إلى عمارة نواحيه كما حكيت في أول هذا الجزء خوفاً من إخراج درهم واحد من الخزانة ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت ويرى أن دولته مقرونة بدولة الأكراد فلذلك لا يمنهم من العيث ولا يطلق يد حماة الأطراف في قصدهم ويرضى أن يقال له « قطعت القافلة وسيقت المواشي » فيقول « لأن هؤلاء أيضاً [يعني الأكراد] يحتاجون إلى القوت » ولقد قيل مرة أن الأكراد وقعوا على بغال له خرجت للعلوفة فساقوها وذلك بالقرب من البلد وبحيث يلحقون أن طلبوا فقال في الجواب : كم كانت البغال . فقيل : ستة . فقال : وكم كانت عدة الأكراد . فقيل : سبعة . فقال : سبعة بينهم الخلاف كان يجب أن تكون البغال سبعة بمدد . فإذا كان هذا رأيه في الإنكار على أهل العيث وذلك رأيه في توفير العمارات واستغزار الأموال فما حيلة وزيره ومدبره . فتأمل هذه الصورة وانظر إلى سيرة ملك قد عود وزراءه هذه العادات ورضى منهم بما تقدمت حكايتهم من تمشية^(٣٥٨) أمره يوماً بيوم

نم آت الحال إلى النظام الذي ذكرته واطردت الأمور أطرافها المشهور الذي دبره الأستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله أي كفاية كانت له وأي سياسة مشت بين يديه ولكنه رحمه الله لما حصل بفارس علم عض

الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك التي هي صناعة الصناعات واقنه ذلك تلقينا فصادف منه متعلما لقما وتلميذا فهما حتى سُمع من عضد الدولة مرارا كثيرة ان أبا الفضل ابن العميد كان أستاذا وكان لا يذكره في حياته الا بالاستاذ الرئيس وربما قال الاستاذ ولم يقل معه الرئيس ولا يحفظ عليه انه ذكره قط بعد موته الا بالاستاذ وكان يمتد له بجميع ما يتم من تدابير وسياسته ويرى ان جميع ذلك مستفاد منه وماخوذ عن رأيه وعلمه . ولعلنا نذكر منه طرفا اذا انتهينا الى سيرة عضد الدولة وما تم له من حيازة الممالك وحفظ الاطراف وقمع الاعداء والحرص على العمارة مع الشدة على المريب واطفاء نائرة الاكراد والاعراب واعادة الملك الى رسومه القديمة ان أخر الله في الاجل . ولعل من يطالع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن اننا أعرناه شهادة أو ادعينا له أكثر من قدر علمه ^(٣٥٩) ومبالغ فضله لا والذي أنطقنا بالحق وأخذ علينا الا نقول الا به .

﴿ودخلت سنة ستين وثلاثمائة﴾

وفي هذه السنة رأى بختيار ورثي له ان يعقد بين رؤساء الاتراك ورؤساء الديلم مصاهرات لتزول العداوات التي نشأت بينهم فابتدىء بعقد مصاهرة بين المرزبان بن عز الدولة وبين بختكين المعروف بأذرويه مولى معز الدولة وثنى بمصاهرة بين سالار بن عز الدولة وبين بك تجور مولى معز الدولة وفعل مثل ذلك بجماعة وأصلح بين الديلم والاتراك واستحلف كل فريق منهم ما لصاحبه خلفوا جميعا على موالاة عز الدولة بختيار بن معز الدولة وسبكتكين الحاجب وحلف بختيار لسبكتكين الحاجب

وسبكتكين لبختيار بعد وحشة كانت بينهما فزال الظاهر ولم يزل الباطن .
ثم غلبت علة الفالج على المطيع لله ^(١) فثقل لسانه وجانبه الايمن وذلك في
يوم السبت ليلة خلت من صفر سنة ٣٦٠ ثم تمائل وتماسك وعاش على هذه
الحال الى الوقت الذي سلم فيه الامر الى أمير المؤمنين الطائع لله

وفي هذه السنة ورد حاجب ^(٢) لابي تغلب ابن حمدان وهو
عدة الدولة فعقد مصاهرة بين أبي تغلب باحدى بناته وبين عز الدولة بختيار
على صداق مائة الف دينار وجدد على أبي تغلب عقد ^(٣) أعماله لاربع
سنين حساب كل سنة ستة آلاف الف درهم ومائتا الف درهم وأنفذت
اليه الخلع

وفي هذه السنة كانت وزارة أبي الفضل العباس بن الحسين الثانية
لعز الدولة والقبض على أبي الفرج محمد بن العباس

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

قد كنا ذكرنا فيما تقدم ان عز الدولة كتب الى آذرويه بالقبض على أبي

(١) وفي الاصل : على سبكتكين . وهو غلط واضح قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي
أول صفر لحق المطيع لله سكتة آل الامر فيها الى استرخاء جانبه الايمن وثقل لسانه

(٢) قال صاحب التكملة : وفي شهر ربيع الاول وصل أبو الحسن على بن عمرو
ابن ميمون وقد ثبتت مكانته عند القاضي أبي محمد ابن معروف من أبي تغلب وتزوج له
بنت عز الدولة وسنها ثلاث سنين على صداق مائة الف دينار وكفى الخليفة أبا تغلب
وجدد له ضمان الموصل وسائر أعماله بدينار ربيعة ومضر في كل سنة بالف الف ومائتي
الف درهم ووصل ابن عمرو الي المطيع لله مع أبي عمر محمد بن فسانجس الخازن حتى
سلم اليه الخلع لصاحبه والسيف . والراجح ان الخازن المذكور هو أبو محمد علي كما
تقدم ذكره .

الفرج ومن معه في يوم وصولهم الى الاهواز وانه كتب أيضاً الى أبي قرّة
بمثل ذلك وانه قبض على أبي محمد الخازن أخى أبي الفرج في مجلسه وكان
يحضره للمنادمة وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وخلع عليه
للوزارة وذلك يوم الثلاثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٠ . فلما تمكن
من الوزارة لم تكن له همة الا استصلاح سبكتكين وعول عليه وعلى كاتبه
أبي عمرو ابن آدمي وصاحبه أبي بكر محمد بن عبد الله الاصمعياني وتقرب اليه
في مظاهرة أبي قرّة ومساعدته . وقد أخاه الحسن بن محمد القناني خزّانة
عز الدولة مضافاً الى ما كان يتولاه من خلافة أخيه أبي قرّة على الدواوين
وقد أبى أحمد ابن حفص ديوانا كانت تجري فيه نواحٍ اختصاصاً بختيار
لنفسه وبما ديوان الخاص وكتب الى أبي قرّة يستدعيه من الاهواز الى
الحضرة وأمر بانفاذ أبي الفرج محمد بن العباس^(٣٦١) الى البصرة موكلًا به .
فورد أبو قرّة بغداد ومعه أسباب أبي الفرج المقبوض عليهم فبلغ الوزير
أبو الفضل في اكرامه كل مبلغ وعظمه وتجددت بينهما مهادنة ومحالفة بامر
عز الدولة وسبكتكين اياها واتفقت كلمة الجماعة

ثم نظر الوزير أبو الفضل في أمره وزيادة خرجته على دخله وقلبه ظهراً
لبطن فلم يروجها غير اطماع عز الدولة في أوال عمران فخرضه عليه وقرب
طلبه أمره واتفق ورود أبي قرّة وقد تمت العزيمة . فشخص بختيار متقدماً
وسار في الجانب الغربي على الظهر والوزير أبو الفضل وأبو قرّة انحدرا
في الماء واجتمعت الجماعة بواسط وذلك في شوال سنة ٣٦٠

وفي هذه السنة ارتفع امر ابن بقية مع عز الدولة وعلا شأنه حتى بلغ

الوزارة كما سنحكبه باذن الله

﴿ ذكر ارتفاع ابن بنية ﴾

كان هذا الرجل من القرية المعروفة بأوانا وكان أبوه مزارعا وجدته بنية واليه كان ينتسب ونشأ في أيام الفتنة وغلبه أهل الرستاق على طريق دجلة العليا ودخل في غمارهم وأنسب الى بعض عيارهم وكان جرى رسمه بتقليد المآصير . واتفق له ان اتصل بصاحب مطبخ معز الدولة المعروف بممله وكان ضامنا لتسكريت^(٣٦٢) وما يجري معها من المآصير العليا وأبواب المال فلما خدم ممله توجه معه وخف على قلبه فتدرج من حال الى حال حتى استعمله على هذه الاعمال كلها وفوضها اليه وكان فيه سماحة نفس وخفة مع اقدام وتهور استفادهما من الحال التي نشأ عليها . واتفق على ممله اتفاق سيء من عال اتصلت به واعراض من معز الدولة عنه فشرع أبو طاهر ابن بنية في ضمان أعماله وعنى به جماعة من الكتاب لاجل ما كان يبذله لهم فعمدت الاسمال عليه الا انه لم ينفق على معز الدولة ولا وثق به على مطبخه فقلده غيره^(١) ووفى بمال ضمانه وأقبلت حاله تنزايد وصدره يتسع للبذل حتى غلب على الوزير أبي الفضل وقرب منه وتعلق منه بعناية . وتوفى معز الدولة فاتفق على عز الدولة مختار وبذل له مرفقا يوصله اليه مما ينظر فيه فقبل

(١) قال فيه صاحب النكمة : وكان يخدم في مطبخ معز الدولة حتى خدم أباه بالنضل الشيرازي وكان واسع النفس وكانت وظيفته في كل يوم الف رطل تلجا وفي كل شهر أربعة آلاف مناشع وكان يفعل كما تفعل وزراء الخلفاء من الجلوس في الدسوت الكاملة ويضع وراء مجلسه أساطين الشمع وبين يديه عدة أنوار فيها الموكيات والثلاثيات وفي كل مجلس من الدار تورقية ثلاثية وان كان المكان خاليا وفي أيدي الفراشين الموكيات بين يدي من يدخل ويخرج وفي الشتاء يترك بين يديه كوانين الفحم فيها حجر النضا ويترك عليه أقطاع الشمع فكان يشتعل أحسن اشتعال

بختيار منه ذلك وردت اليه الوكالة وقد المطبخ فبلغ بالمرفق الذي بذله لبختيار
عشرة الاف درهم في كل شهر واشترط أن ينصره على الكتاب وأصحاب
الدواوين ومنعهم من الاستقصاء عليه ويشد على يده في استيفاء أموال
تسبباته من الوكالة فوفى له وكان يحمل اليه هذا المرفق الذي ذكرته مشاهرة
ثم أنس به في خلواته ومجالس لهوه وانبط اليه بأنواع من المزاح^(٣٦٣) كان
يستعملها في مجالسه مع ندمائه فلطف وقومه ودخل معه كل مدخل . ثم صار
يهايه بالخيل والبغال والجوارح والالطاف والجواري والعميد ودخل
في جلالة العز فعرض جاهه عنده حتى صار يتوسط يده وبين كل رافع
ظلامه وطالب حاجة فلما أفضت هذه الوزارة الثانية التي نحن في ذكرها
الى أبي الفضل كان ابن بقة قد استولى غاية الاستيلاء وصار في مثل منزلة
شيرزاد اختصاصا ومنزلة وغلبة على أمره واحتاج الوزير أبو الفضل اليه
ليحفظ غيبه وانحدرت الجماعة الى واسط لحرب عمران

واستدعى الوزير أبو الفضل أبا الفرج محمد بن العباس الى واسط
وكان معتقلا بالبصرة وأخذ خطه بمال عظيم لا ينهض به وألقاه الى بغداد
ليصححه هناك وكذلك فعل بأخيه أبي محمد فجري عليهما ببغداد أمر قبيح
يجري مجرى القشقي من غير ضرب ولا مكروه في الجسم بل بضروب من
الاستخفاف والاهانة والاسماع فتم لهذا الحرب واستترا عند بعض أسباب
سبكتكين . فمادت الوحشة بين أبي الفضل وبين سبكتكين واتهم بأنه يسفر
له في العمود الى الوزارة وأجأته الحال الى مطالبة عز الدولة بختيار باليمين
العموس على ألا يستوزره أبدا ولا يستعين به في شيء من الاعمال ان لم
يظهر بعد شهر من تاريخ اليمين^(٣٦٤) فخاف له عز الدولة بمحضرة القواد

والقضاة والشهود ووجوه الخاشية وكان في اليمين كل ما يكون في ايمان
اليمة ولقنه بنفسه حرفا حرفا وبقي الامر كذلك وأبو الفرج مستتر الى
أن عاد عز الدولة الى بغداد بعد سنتين وأخذله ولاخيه امان فظهرا بعناية
سبكتكين . وضمف أمر الوزير أبي الفضل وضعفت منته وتأدى أمره الى
النكبة التي هلك فيها ووفى بختيار باليمين وقد أبا طاهر ابن بقیة الوزارة
فكف عن أبي الفرج لانه علم انه لا يستوزر ولا يشرع في شيء من فساد
حاله ونفى أخاه أبا محمد الى واسط وأجرى عليه رزقا . ثم ان أبا محمد أصدع
الى بغداد بغير أمره وذلك لارجاف ارجف عنده بالقبض على ابن بقیة
فاغتاظ لذلك وقبض عليه وتقاء الى البطيحة فحصل عند عمران مدة ثم أصدع
سرا واستتر ببغداد في عرض الفتن التي كانت تجري ثم تمكن ابن بقیة منه
ومن أخيه وطالبهما ثم تقاه ونفى أبا الفرج الى سر من راي واعتقله بها

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر أبي قرة بعد حصوله بواسط ﴾
(وقوة أمره وعناية سبكتكين وأصحابه به)

لما أنس أهل واسط بقرب عز الدولة منهم وطال مقامه بينهم تظلموا
اليه سرا ولقيه نفر منهم فاعلموه انه قد أخرج بلادهم وأفقرهم وظلمهم
وغشهم وصادرهم وملك^(٣٦٥) عليهم ضياعهم وانه استحل منهم ما حرمه
الله وصححوا عنده سعة حاله وكثرة ماله وجلالة ضياعه فاستعظم بختيار
ذلك وغازطه فعلمه وتمكنه من النعم الكثيرة حتى أزالها واستبد بها فصرفه
عن واسط وتقدم الى ابن بقیة أن ينظر فيها على سبيل الامانة . فاتهم أبو قرة
الوزير أبا الفضل بانه عن رأيه ومساعدته ولم يكن كما ظن فكذب الى

سبكتكين الحاجب يعرفه ماجرى ويخرضه على أبي الفضل ويعلمه أنه قد
 حدث في يمينه وعموده التي بينهما وعاد إلى أسوأ فعله واعتقاده . ثم عطف
 أبو قرّة على أبي طاهر ابن بقیة فخاض به بكل ما كره وتوعده وهدده
 بالنكبة وطالبه بالحسابات لما يجرى على يده دخلاً وخرجاً فاستطال عليه
 ابن بقیة وانتصف منه ونصره بختيار فانخزل أبو قرّة . واتصل بسهل بن بشر
 النهراني كاتب بختكين آذرويه وهو بالاهواز ماجرى على أبي قرّة
 وضعف أمره وكانت بينهما عداوة قديمة فكتب إلى بختيار يضمنه بمال عظيم
 وساعده ابن بقیة فقبض على أبي قرّة وأسباه واستبيح ماله وقبضت ضياعه
 وغلاته فسارع إلى التزام مصادرة ثقيلة عن نفسه وأسباه وبذل بعد ذلك
 أموالاً عظيمة يثيرها من محاسبات الضمائم واستمال ابن بقیة وعاهده على
 أن يكون كل ^(٣٦٦) واحد منهما ناصراً لصاحبه . ثم إن بختيار مال إلى
 ما بذله أبو قرّة فأمر بأن يخلع عليه ولم يكره الوزير أبو الفضل ذلك لتزول
 النهمة التي سبقت إلى سبكتكين في أمره

﴿ ذكر السبب في انتقاض أمر أبي قرّة بعد تماسكه ﴾

(وبعد اشرافه على الخلاص من النكبة)

كانت الخلع أحضرت ليأسرها فكره المنجمون له الوقت واثاروا عليه
 بالنوقف ليخار له يوم فورد للوقت غلام سهل بن بشر على البريد برسالة
 منه ومن بختكين آذرويه صاحبه يستلان نسائم لبني قرّة إليه بزيادة بذلها
 وضمه بها وصادف ذلك خوف الناس من عوده بعد سعايتهم به وأنه عدو
 لهم يستأصمهم فسموا إلى ابن بقیة به حتي أشار على عز الدولة بتسليمه إلى

سهل بن بشر وعرفه انه انما ضمن تلك الاموال حيلة في الخلاص والعود الى التعزز عليه بسبكتكين فسلمه الى رسل سهل بن بشر وحمل من ليلته الى الاهواز وصودر هناك وتشفى منه وتلف في انواع المكاره التي جرت عليه ^(١) وقلد ديوانه أبو احمد ابن حفص ^(٢) ثم أفضت الوزارة الى ابن بقية فضعفت يده وقل نظره لاستيلاء ابن بقية على المملكة فلم يبق من هذا الديوان الا الاسم

وفي هذه السنة قتل حمدان أخاه أبا البركات

﴿ ذكر السبب في ذلك والاتفاق الحادث ﴾

﴿ عن قصد وغير قصد ^(٣٧٧) ﴾

كنا ذكرنا ورود حمدان ورجوعه الى الرحبة وتمام الصالح بينه وبين أخيه أبي تغلب ولم يلبث الامر بينهما ان عاد الى فساد فاتفق أبو تغلب أخاه المكني بابي البركات اليه حتى دفعه عن الرحبة فسلط طريق البرية يريد دمشق وملك أبو البركات الرحبة خلف بها طائفة من جيشه مع غلام من غلمانه وعامل من عماله ورحل منصرفا

وانتهى حمدان الى بعض طريق البرية ولحقه وأصحابه عطش ولم يمكنه الاتمام فرجع مخاطرا بنفسه ووصل الى باب الرحبة ليلا والقوم الذين فيها غافلون نيام ونهبا لنفر من غلمانه ان دخلوا البلد من ثلمة في السور غامضة كانوا

(١) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة قبض على أبي قرة بالجمادة وحمل الى جنديسابور فمات تحت المطالبة وكان قد نزل القبة التي على قبر الوزير القائم بن عبيد الله وهي قبة مشهورة بالشؤم ونصبها على مجلس في داره وكان القائم قد تقوي في عملها فدفن تحتها حين تمت (٢) هو محمد . كذا في التكملة

يبتدون اليها وفتحوا له باب الرحبة فدخلها واستروا السور وضرب
بالبوق فبادر القوم الى الباب منقطعين متفرقين وليس يعلمون بحصول حمدان
من داخله فكان يوقع بهم أولا أولا وأسر عاملي الخراج والمعونة ووجد
في أيديهم غلات قد وردت في السفن فغنمها وغنم سوادهم وآلاتهم وسلاحهم
وكراعهم وصادرهم وأصعد على الفرات في الجانب الشامي الى قريسيا .
وانصل خبره بابي البركات وهو سائر الى الموصل فمظف عليه وحازاه من
الجانب الجزري وتخطبوا وتراسلا فلم يتم بينهما صلح ولا اتفاق ولم يمكن أبا
البركات^(٣٦٨) المقام لضيق الميرة على عسكره فرجع يريد الخابور . فانفق أن
صار الى حمدان مائتا فارس من بني نيمر مستأمنة وكانت عدته ثلثمائة غلام
فصار في خمسمائة فارس فتبعته نفسه العبور في أثر أخيه والتصملك على عسكر
وكان فيه جرأة وافدام نخاطر وعبر في جريدة خيل وسار حتى أذركه
بمنزل يقال له ماكسين وهو راحل مجتاز فزل منه على فرسخين وبكر في
الغلس فزحف اليه فصادفه قد سبق بسواده وبعض جيشه وهو ماض على
غير استعداد لانه لم يقع في ظنه أن حمدان يقدم عليه مع التفاوت بين عدتيهما .
فلما قيل له انه قد وافى عطف اليه في طائفة من الرجال ليتلاحق به الباقون
فبث حمدان أوائلك العرب في الاغارة على سواده ومنع العسكر ان ينتظم
شمله وحقق على أبي البركات في الحملة مع غلمائه فوجده متسرعا في أول
الناس فاجتمعا متصادمين وعرف كل واحد منهما صاحبه فتضاربا بالسيوف
ولم تكن على أبي البركات جنة فضر به حمدان على رأسه فسقط الى الارض
وأخذه أسيرا وبه رمق . واستباح سواده واستأمن اليه جماعة من أصحابه
وأسر جماعة وقتل بعض الاسارى واستبقى البعض وانكفأ الى قريسيا

ليعالج أخاه من ضربته وظن أنه ينجر فلف بـد ثلاث^(١) فأنقذه في
تأبوت الى الموصل واستحكمت العداوة بينه وبين أخيه أبي تغلب^(٢)

واختلف باقي الاخوة وتحاذلوا وتنافسوا وكانوا متفرقين في أعمالهم
فبلغ أبا تغلب أن محمداً من بينهم المكنى أبا الفوارس وكان يتولى نصيبين قد
كتب حمدان وعمل على اللحاق به والاجتماع معه عليه فاحتال عليه واستدعاه
وأطعمه في الاحسان والزيادة فاعتز محمد وصار اليه فقبض عليه واعتقله في
قلعة أرد مشت وضيق عليه هناك وثقله بالحديد حتى أطلقه عضد الدولة لما
ملك تلك الديار^(٣) وكنت مندوباً لنقل ما في تلك القلعة من الذخائر مأموناً
على ما فيها فجري ما سأذكره اذا انتهيت اليه .

واستوحش باقي أخوة أبي تغلب لما جرى على أخيه محمد وأقبل أبو
تغلب يستميلهم فخدعهم واحداً واحداً فصاروا اليه بعد أحوال تتقلب بهم
سوى أبي طاهر ابراهيم فإنه لم يسكن اليه ورحل الى بغداد مستأماً الى
عز الدولة بختيار على طريق دجلة . وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وأنفذ منها أخاه
أبا القاسم هبة الله سرية في جيش كثيف الى الرحبة تقديراً أن يكبس أخاه
ويأخذه اسيراً فما أحس به حتى أطل عليه فخرج هارباً واتبعه ابنه وطائفة

(١) قل صاحب التكملة : واعتذر حمدان بأنه دفع عن نفسه بقتله فقال أبو تغلب :
والله لالحقته به ولو ذهب ملكي . ولما عرف هبة الله بن ناصر الدولة ما جرى على
أبي الفوارس ثار به المرار وأنكر فسل أبي تغلب . وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى
أخيه أبي تغلب وهو صاحب المدينة يقول : ان ابنه قد وفق الامير في افعاله ونحن
وان كنا أخوة فنحن عبيد ولو أمرني بالقبض عليه لعمات . وقال أبو تغلب : هذا كتاب
من يريد أن يسلم

(٢) وقصة اطلاقه من القلعة موجودة في الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦

من غلمانة ولحقه هبة الله فابق عليه حتى نجا . ثم وقعت ^(٣٧٠) عليه سرية
للقرامطة كانت سائرة الى الشام لقتال صاحب المغرب فارادوا الايقاع به
فتعرف اليهم وكان متعلقا بينهم بذيهم فكفوا له وبذلوا له من نفوسهم ما
أحبه فسألهم أن يسبر معه نفر منهم الى طريق عانة فقبلوا وعدل الى مدينة
السلام فاستقر الاخوان بها في ذي الحجة سنة ٣٦٠ وكتب بخنيار اليهما
بالانحدار اليه الى واسط فأنحدرا ووصلا اليه في صفر سنة ٣٦١ وتلقاهما
واكرمه ^(١) وأمر بحمل انزال كثيرة اليهما وردتهما الى بغداد بعد أن حمل
الى كل واحد عند رحيلهما هدايا كثيرة من الثياب والورق والطيب والدواب
والبنغال والمراكب . وسندكر ما انتهت اليه أحوالهما بعد ذلك ان شاء الله

﴿ ذكر تدبير دبره الوزير أبو الفضل على سبكتكين ﴾

(لما استوحش منه فأنعكس عليه)

قد قلنا ان أبا الفضل أتهم سبكتكين بأنه ستر أبا الفرج وأبا محمد وحامي
عليهما وأنه يريد ان يسعي لأبي الفرج في الوزارة وكان سبكتكين أتهم أبا
الفضل بأنه دبر علي أبي قره حتى قتل بعد ذلك بالمذاب الطويل فشرع أبو
الفضل في استصلاح سبكتكين بكل وجه وحيلة فلم يجد الى ذلك سبيلا فصبر
حينئذ على عداوته وأخذ في التدبير عليه . فكان من ذلك ان اشار على بختيار
بان يستدعي آذرويه من الاهواز ويزيد في حاله ومجمله ويقمه كالغند
لسبكتكين لينجذب الارك ^(٣٧١) الى هذا ويفهم عن ذلك فقبل بختيار بما
أشار به عليه . وورد بختيار واسطاً فعظم أتم تعظيم وفخم أمره أشد تفخيم

(١) زاد صاحب التكملة . وأزل حمدان دار أبي قره وأزل أبا طاهر ابراهيم
في دار أبي العباس ابن عروة

وعقدت عليه واسط مضافة الى الاهواز فلم يتم ما قدر من انقضاء الاتراك
عن سبكتكين وذلك أنهم تنبهوا على المقصد وعلموا أنه إنما دبر على تفريق
شملهم وايقاع التنافر بينهم وكانوا قد تحالفوا على المعاضدة والا يتفرقوا.
واشفق بختكين آذرويه من أن يعتزلهم وينفرد عنهم فصار واحداً منهم
فانعكس تدبير الوزير أبي الفضل واضطر الى العود الى بابه والنزول تحت
حكمه وطالب سلمه بعسد معاتبات ومراسلات . ولما عاد بختيار الى بغداد
زاد في منزلة سبكتكين وأمر بان يخاطب بالاسفهلار وتموهت الوحشة
واندرجت على غير وثيقة . ولما عزم بختيار والوزير على الاصعاد عن واسط
قدما أباطاهر ابن بقية الى سبكتكين ليصالح ما نشعت بينه وبين الوزير
أبي الفضل ويستعيد له جميل رأيه فجرى الامر أيضا في ذلك على تفاق
ووحشة في السر واندميل الجرح على فساد الى أن تم على الوزير الصرف
والنكبة واتصل بقتله وابادته

وفي هذه السنة هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصر
وكل من اتصل به وعفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الارض
أفخ ضربة (٣٧٢)

﴿ ذكر السبب في اجتياح الزمان له ولهم ﴾

كان هذا الرجل فيه شهامة وكفاية وتهور مع ذلك ومخاطرة ولما
حصل بختيار بواسط أكثر الناس من حديثه وما وصل اليه من الاموال حتى
اتسعت فيه الظنون . وكان الوزير أبو الفضل يعلم ان ذلك باطل وليس
يجب أن يفسد نظام أمور البصرة بصرفه والطمع في يسير ماله وكانت
البصرة معتدلة الحال مستقيمة الامور . فأغرى بختيار بالمصير الى البصرة

وأقيم في نفسه أنه يصل منها الى مال كثير ولم يكن وراءها فساد اليها ولم يجدها ما كان مولعا به من المتصيدات ولا تمكنت البزاة والجوارح من الصيد لكثرة نخلها وشجرها ولا طقه هذا العامل بالهدايا والتحف ووافقه على صرفق يرفقه به ومشاهرة يقيمها له وتجاوز ذلك الى أن ضمن له ائارة مال من البصرة على طريق التأويلات على التجار والمعاملين وأراد بذلك الدفع عن نفسه . ووافى الوزير أبو الفضل البصرة بعد أن رتب عساكره على طفوف البطيحة لان المد وافي وكثر فلم يمكن طالب عمران بن شاهين واحتيج الى الانتظار الى وقت النقصان فامر به بختيار بالخلم على أبي طاهر الدامل وتقبل ما بذله له . ولم يستطع البصرة لعدم الصيد الذي ذكرته فعاد الى واسط ووصى الوزير بتقوية يد العامل والزيادة في بسطه^(٣٧٣) والرفع منه فاضطر الوزير الى امثال مارسه له وهو لا يختاره ولا يستصوبه . فبسط أبو طاهر العامل يده في القبض على التجار والعوام وتناول عليهم بالحال واستخرج منهم أموالا كثيرة وظن أنه قد تمسك من بختيار بمهد يثق به وأنه من يعتمد على قوله وذمامه وحدث نفسه بمنزلة أبي قرة وان يرتقى منها الى منزلة الوزارة فساء رأي الوزير أبي الفضل فيه وأخذ في التدبير عليه والسمي على دمه فكتب الى بختيار يعرفه انه قد أخرب البصرة وأفسد نيات أهلها وأنهم عرب لا يحملون ما يحمله غيرهم وبزعم ان أموالهم الآن قد حصت والصواب يقتضي ارضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به . وصادرتة على مال ينضاف الى مصادرتهم ثم دس الى عز الدولة من يغريه به ويمظم عليه جناياته ويطمعه في ماله الى أن أمر بالقبض عليه فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمنصايين به حتى زوجته وعياله وأقاربه وأسبانه كلهم وعقد

البصرة على علي بن الحسين المعروف بأبي القاسم المشرف وسلمه اليه لعداوة كان يعرفه بينهما وأخذ خطه بأن يستخرج منه ومن أسبابه مالا عظيما وأصعد عن البصرة لاستتمام منازلة عمران بن شاهين . وكان هذا العامل (أعني أباطاهر) من أهل الشر فكثير خصماؤه^(٣٧٤) وطلاب الطوائف عنده فمسمه على بن الحسين وسلمه الى مستخرج كان قد وتره فمالته منه مكاره عظيمة خاف معها ان يسلم فيكون بواره على يده فأتى على نفسه ثم ألحق به أخاه وأقاربه وزوجته فاتفق الجماعة بأسرها وعنف آثارها . ثم عطف على بن الحسين على معاملته ومخاطبته وقوم تأول عليهم فصادروهم لصحة المال الذي ضمنه فما صح له من جميع الجهات الا البعض وانكسر الباقي وانمحت آثار أبي طاهر من الارض فلم يبق له بقية

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لامر عمران منذ انمحر من ﴾
 ﴿ بغداد الى أن خرج عائدا اليها وماتم لعمران ﴾
 (من الطمع فيه والاستظهار عليه)

كان بختيار لما خرج عن بغداد لمحاربة عمران أظهر أنه يريد الخروج الى التصيد بناحية النعمانية مغالطة لعمران وظن أنه يرهبته عن التحرز منه والاستعداد له . وقد تفعل الملوك مثل هذا ولكن مع اتنام العزائم والصبر على مطاولة العدو بالمكايد التي تشبه هذا الابتداء لا بان يكون مبدأ التدبير صوابا يشبه الآراء الوثيقة ثم يتبعه باللمب والاشتغال عنه بالعبث وبترك الاستظهار واهمال الجند حتى تحرق الهبة وتزول الحشمة ويظهر للعدو عصيان الجند وقلة النظر في الحرب والتعويل على الجد دون الجدد حتى يطمع

على الحيرة والتبلد ومكان^(٣٧٥) العورة والضرورة الداعية الى مقاربته في طلب الصلح منه والجنوح الي السلم بعد النزاع الى الحرب فان بختيار عمل في المبدء ذلك العمل الواحد ثم اتبعه بجميع ما ذكرته وذلك انه استطاب التصيد الذي أظهره مكيدة لعدوه وأقام بالثمانية شهرا مع عساكره التي علم معها عمران ان قصده بهم اياه^(١) لا غيره . ثم أمر وزيره أبا الفضل ان ينحدر الى الجامدة وطفوف البطيحة وبني أمره معه على ان يسد أفواه الانهار ومجارى المياه الى البطيحة ويعمل بها الى غيره وان يبنى مسناة عظيمة يمكن سلوك الديلم عليها مشياً الى معقله وهذا ضد ما بنى عليه أمره في الابتداء ولا يشبه الحيلة التي تؤدي الى ارهاق العدو ومنعه من الفكر فان الهجوم والسكس والبيات يتم بالمعاجلة والركض الى الغاية دون التمهل والاخذ والتدابير البعيدة والاعمال الطويلة

فلما طالت المدة في عمل هذه السدود وجرت في اضعافها وقائع لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاج السكور فاحتيج الى الامساك عنها والانصراف عن اتمامها الى حفظ ما عمل منها بالرجال حتى لا يفسدها العدو لاسيما وعمران متدرب بذلك قد اعتاد في جميع حروبه ان يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله فاذا أحس بالمد ومجيء السيول^(٣٧٦) احتال في تخريب ما يبنى له من السكور وانما يكفيه ابتاع ثلثة يسيرة في احد واحى السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته في الهدم والتخريب فربما أفسد في ساعة من الليل أو النهار تمب سنة أو نحوها . وذلك ان هذه السدود تكون من قصب وتراب يُقام في وجوه المياه الجارية عند ضعف

جريانها ونغاية نقصانها فاذا وردت المياه القوية ومنعت من حدودها كفى منها اليسير من المعونة حتى تنبعث ويدفع بعضها بعضا وربما كان سبب انبثاق الماء نقب فأرة ثم يوسعه الماء وينتهي فيه الى حيث لاحيلة في سده ولما عمل بخيار ووزيره ما ذكرته من السدود وأتى المد كان قصاراها حفظ ما عمل بالرجال حتى لا يتم لعمران حيلة في هدمه فعدل عمران عن هدم سكوره الى الانتقال الى معقل آخر من معقل البطيحة ونقل غلاته وزواريقه وجميع أمتعته الى هناك فلما انحسر الماء وجاءت أيام الجفاف من السنة الثانية وجد مكان عمران خاليا منه ولم تكن له آلة يطلبه بها فطلب غلاته فلم يجد فيها شيئا فانصرف خائبا . وضجر العسكر من المقام على الشقاء ولم يصبروا على أذية البق وحر الهواء وانقطاع المواد التي انفوها فشغبوا عليه وتناولوا الوزير بالسهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والأتراك على النعصب واتفاق الكامة وأبوا ان يقيموا أكثر مما أقاموا فاضطر بختيار الى طاب مصالحته على مال ياتمه منه (وقد كان هابه في أول الامر فبذل له خمسة آلاف الف درهم) فلما طاب هذا المال بعد اضطراب الجند وطول المقام وانقطاع الحيلة امتنع عليه منها وبذل الف الف درهم بوساطة سهل بن بشر كاتب بختيارين آذرويه وكانت بينه وبين عمران صداقة فنجم عليه هذا المبلغ ثم تماسك عمران وامتنع من التوثقة بما وافق عليه واقتصر منه على اليمين أيضا فاضطر الوسائط الى ان يقولوا لبختيار انه قد حلف وما حلف . وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائبين عاههم الزلة

وحدث للعسكر زيادة على المعهود من سوء الخدمة وقلة الطاعة والاستطالة حتى وثبوا على سهل بن بشر مرة لاجل مال كان حمله معه

فاحسوا به وطمعوا فيه ونهبوه واجتهد بختيار في ارتجاع شيء منه فذا أمكنه ذلك . ثم وثبوا أيضا على محمد بن أحمد الجرجرائي (وكان ينظر في أمورهم ويخلف الوزير عليهم) لاشياء كانوا تقوموها عليه وأبوا ان يكون متوليا عليهم فارضاهم الوزير بصرفه عنهم ووجد السبيل الى مصادرتة فاستخرج منه عشرة آلاف دينار كانت سبب حقه حتى صار في جملة من سعى به ودبر في هلاكه ^(٣٧٨)

وقد كان قبل هذه السنة ندب عضد الدولة كوركير بن جستان لمحاربة سليمان بن محمد بن الياس وكان سليمان هذا بخراسان وأطمع صاحبها في كرمان والقفص والبلوص في طاعته فضم اليه صاحب خراسان جيشا وجاء الى كرمان فاستنوى هاتين الطائفتين وغيرهم من الامم المفارقة لطاعة السلطان الاكبر فصارت هذه الطوائف يدا واحدة في شق العصا . فلقية كوركير بين جيرفت وبتم وجرت بينهما حرب أجات عن قتل سليمان ^(١) وبكر والحسين ابني اليعسم أخيه وعدد كثير من قواد خراسان والرجال المضمومين اليه وحملت رؤسهم الى شيراز وأنفذها عضد الدولة الى حضرة أبيه ركن الدولة

واجتمعت المنوجانية وسائر القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده وغيرهم من الرؤساء على كلمة واحدة في الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضم عضد الدولة الى كوركير عابد بن علي فسارا الى جيرفت فيمن معهما من العساكر فوقعت الواقعة يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من صفر سنة ٣٦٠ وأجلت عن هزيمتهم وقتل خمسة آلاف رجل من

(١) قتله زربازا ودفن بدارزين . كذا في تاريخ هلال الصابي فيما بعد .

أشدائهم ووجوههم وقتل ابنان لابني سعيد البلوصي وحصل المعروف بابني
الفوارس المنوجاني في الاسر وابن أخيه^(٣٧٩) أبو الليث وجماعة يجرون مجراهم
ثم صمد عابد بن علي أقص آثارهم والتولج الى مكانهم ليبيد غضرائهم
فتابع الايقاع بهم والاثخان فيهم وانتهى الى هرموز فلكها واستولى
على بلاد النيز ومكران وحصل في يده بعد من هلك في الحروب الفا أسير
من رجالهم ونسائهم وذرائعهم فلاذوا بطب الامان وبذلوا تسليم المعاقل
والجبال على ان يدخلوا في السلم وينزعوا شمار الحرب ويقتنعوا بالاقوات
التي تحمل وتطيب ويتحلوا بسماء المسلمين وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
ويصوموا شهر رمضان ويتمسكوا بسائر شروط الايمان فعدوا على أنفسهم
بذلك عقدا وثيقا . ثم عدل عابد بن علي الى طوائف آخر من الامم المخالفة
في حال تصاقبهم يعرفون بالخرمية والجاشكية يخيفون السبل في البر
والبحر وكانوا ضاموا سليمان بن محمد بن الياس فاوقع بهم وقتل كثيرا
منهم وحصل في يده رئيسهم أبو علي بن كلاب فضرب عنقه وقبض على
خلق منهم فاخذهم الى شيراز فنوطأت تلك الاعمال وصاحت مدة
من الزمان

ثم لم يلبث البلوص وكانوا أشد هذه الطوائف باسا وأوعدهم جانبا
وأشدهم كفرا ان اشتاقوا الى عاداتهم من اخافة السبل وسفك الدماء
الحرام ونقض^(٣٨٠) ما كانوا تمسكوا به من تلك اليهود فلما فعلوا ذلك
اعتقد عضد الدولة الاحيلة في صلاحهم ويثس منهم فرأى الا يبقى عليهم
وعزم على السير بنفسه الى كرمان فسار في ذي القعدة سنة ٣٦٠ فلما انتهى
الى السيرجان وجد البلوص قد تبسطوا في الاعمال وسعوا فيها بالفساد

ونصبوا للرئاسة عليهم على بن محمد البارزي ولقي الناس منهم عتسا شديدا في جميع طرقات كرمان وسجستان وخراسان فجرد عابد بن علي في مسكر كشياف . من الديلم والجيل والاتراك والاعراب والاكراذ والزط والرجال السيفية وآتفه اليهم فلما أحسوا باطلاله عليهم أوغلوا في الهرب وملكوا طرقات ضيقة شاقة ظنوا ان المسكر لا يمكنه سلوكها ولا اتباعهم فيها ثم ان عابدا أنفذ أخاه في سرية قوية خلفهم وسار هو في باقي الجيش من طريق آخر الى بلادهم التي يأوونها الى جبال البارز ففتحها ^(١) عنوة واستنزل عنها محمد بن علي البارزي وظفر بصهره أبي دارم وقد كانوا أنفذوا طلائع لهم وعيوننا ليأتيهم بالاخبار فنذر بهم وقبض على جماعتهم فلم يرجع اليهم مخبر منهم فكانوا ساكنين غارين الى ان أطل الجيش في الموضع الذي ظنوا انهم آمنون فيه فلم يجدوا مهربا ولا معذلا عن المجاهدة فقتلوا سحابة ^(٣٨١) يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ منذ طلوع الشمس الى غروبها ثم انجالت الواقعة عن قتل الرجال المقاتلة الا القليل وعن الاحاطة بجرمهم وذراريهم وأملاكهم ونجافى الوقت رئيسهم المعروف بابن أبي الرجال البلوصى مع جماعة من الوجوه ثم ظفر بهم من بعد فقتلوا جميعا ودخل نفر يسير ممن بقي تحت الامان وتشبثوا بالعهد والذمام فنقلوا عن تلك الجبال وأسكن عضد الدولة مكانهم الاكرة المزارعين والمستورين من أجناس الرعية حتى طبقوا تلك المواضع بالممارات وطهرت تلك الجبال من ممرّة أوائلك المفسدين

ثم عاد عابد بن علي الى الامة المعروفة بالجاشكية ومن يجرى مجراها

من الدعار وكانوا وراء جبال القفص مما يلي التيز ومكران والسواحل الى حدود عمان ولهم معرفة شديدة وفساد كثير وجنايات عظيمة على الناس وأنفذ عابد أخاه في عسكر قوى من الديلم والأتراك والعرب وغيرهم وحمل معه الزاد على الجمازات في البر وعلى الشذاآت والمراب في البحر من سيراف الى مكلي هرموز وسواحل كرمان فقطع عدّة مضائق حتى وصل اليهم وهم غافلون لا يظنون ان أحدا يصل اليهم فوقع بهم وقتل وأسر واصطلم ولم يبق من طبقات^(٣٨٢) الدعار في تلك النواحي أحدا .

وفي هذه السفرة تذكر عضد الدولة لـكوركير قبض عليه وردّه

الى سيراف واعتقله اعتقالا جميلا فيه بقية للصالح

﴿ ودخلت سنة احدى وستين وثلاثمائة ﴾

وفيها تمكن الاستاذ الجليل أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد رحمهما الله من الوزارة^(١) بعد أبيه وفوض اليه ركن الدولة تدبير ممالكه ومكنه من أعنة الخيل فصار وزيرا وصاحب جيش على رسم والده إلا أن والده باشر هذه الأمور في كمال من أدواته وتتمام من آلاته على ما شرحناه فيما تقدم وكان لو فور عقله يدارى أمره مع صاحبه ومع عسكره ثم يسوس رعيته والممالك التي يراعيها ويدبر الجميع تدبيرا ملائما لوقته موافقا لزمانه فلا يظهر من الزينة وأبهة الوزارة إلا بمقدار ما يقيم به مرتبته ولا يجاوز ذلك الى ما يحسد عليه وينافس ثم يتواضع تواضعا لا يخرج به الى غضاضة تلحقه في جاهه أو تحطه عن المنزلة العالية التي يرقى اليها وكانت سلامته طول مدته على أصناف الناس وطبقاتهم وقيام هيئته وتتمام سياسته متصلة تزيد على الايام ثناء وثباتا .

فاما ابنه أبو الفتح فكان فيه مع رجاحته وفضله وأدب الكتابة وتيقظه وفراسته^(٣٨٣) نزع الحداثة وسكر الشباب وجرأة القدرة فتطلعت نفسه الى اظهار الزينة الكثيرة واستخدام الديلم والاتراك والاحتشار في المواكب التي يركب فيها واتخاذ الدعوات لصاحبه وسائر عسكره التي يلتزم فيها الخلع والحملان على الدواب والمراكب والامراف في الصلات والنفقات تشبها بوزراء عز الدواة بختيار الذين لا خبرة لهم بعواقب الامور ولا نظر لهم في مصالح الملك وانما همة أحدهم في تناول شهواته والوصول الى لذاته وبثارة غيظ حسادهم باظهار الزينة التي فوق طاقته . وليس يعلم ان أول من ينكر ذلك في نفسه وان لم يبيده له صاحبه فهو يحسده على مساواته له وعلى تمكنه مما يتمكن هو منه ثم مزاحمته له في الاستظهار والجمع وتبذير الاموال التي يرى انه أحق بها منه ثم خوفه من ميل الجند اليه واجماعهم على جوده وسخائه واعتدادهم بما يصل اليهم له دون صاحبهم وولى نعمهم . فكان أبو الفتح ابن العميد يسرف في ركوب هذه الاهواء ويجب أن يبلغ غاية ما يقدر عليه منها فجلب عليه ذلك ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب السيوف والاقلام فكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملاسة أمور الجند وأحب الراحة والدعة فقوض اليه الامور ورآه شابا^(٣٨٤) قد استقبل الدنيا استقبالا فهو يحب التعب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله ويستلذ فيه الانتصاب الامر والنهي ومخاطبة الجند والركوب الى الصيد ومشى خواص الديلم وكبار الجند بين يديه ثم مشاركتهم ومؤانستهم والاحسان اليهم بالخلع والحملان . فاول من أنكر عليه هذا الفعل عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة وكتبهم ثم سائر مشايخ الدولة ورأوه يركب في موكب عظيم

وينبغي الدار والديوان فاذا خرج تبعه الجميع وخت دار الامارة حتى لا يوجد فيها الا المستخدمون من الاتباع والخاصية فقط . ثم ترقى أمره في قيادة الجيش والتحقق بها الى أن ندب للخروج الى العراق في جيش كثيف من الرى والاجماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذى وقع بينه وبين الأتراك المستعصين عليه كما سنشرحه فيما بعد باذن الله . فأقام هناك ونظم أمور بختيار ونلقب بذي الكفایتين من جهة الطائع لله وأخذ الخلع وواطأ بختيار على أمور خالف فيها عضد الدولة وأوحشه وتأدي أمره الى الهلاك . وانما ذكرنا ها هنا جملة من سوء تديره لنفسه ونحن نشرحها مفصلة في الامور التى حدثت في سنة ٣٦٥ ليعتبرها المعتبرون ^(٣٨٥) ويجرى مجرى تجارب الامم التى يتكرر مثاها فيتجرز منها . فلما الآن فانا نشرع في الامور التى حدثت في هذا الزمان الذى نحن في ذكره ونستقصى أخبار بختيار وما عمله في عوده من البصرة الى واسط ليتصل حديثه ولا ينقطع بدخول حديث غيره فيه

﴿ ذكر السبب في تجارب العامة على السلطان والفقن ﴾

(الناثرة بهم حتى خربت بغداد)

وذاك ان الكتب وردت عليه بأن الروم غزوا نصيبين فملكوها وأحرقوها وقتلوا الرجال وسبوا الذرارى ثم ورد خلق من ديار ريعة وديار بكر مدينة السلام واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والاسواق وحكوا افتتاح الطريق للروم وانه لا مانع لهم من تورد ديارهم وهي متصلة بالعراق فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد صاروا الى دار المطيع لله وحاولوا الهجوم عليها وقلعوا البعض من شبائيكها فاغلقت الابواب دونهم بعد ان كانوا

يصلون اليه ويأتون عليه فاسمعوه ما كره ونسبوه الى العجز عما أوجب الله على الأئمة وتجاوزوا ذلك الى ما يقيح ذكره . وكان يختار في هذا الوقت بالكوفة مظهرا لزيارة المشهد وغرضه التصيد فخرج اليه وجوه أهل بغداد^(١) منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين^(٢) وانصرافه عن تدبيرهم الى مجاهدة عمران وهو من أهل القبلة وامهاله الروم وهم أعداء الملة ثم تشاغله بالصيد والاهو عن جميع مهمات المملكة ووعدهم بالعود الى واسط ومصالحة عمران والانكفاء الى الثغور فسكرتوا وانصرفوا إلى قلا عا د كاتب أبا تغلب وهو صاحب الموصل يعلمه فيه أنه عامل على الغزو ويلزمه أن يعد له من الزاد والملوفا ما يسمه وجنده في الطريق وأنفذ في ذلك بعض خواصه فتضى ابن حمدان حقه ورده بالانعام والمسارة الى ما سأل وهو يعلم انه لا يفي بوعده ولا وعيد وانه يقول ولا يفعل .

ثم أنفذ محمد بن بقية رسالته الي سبكتكين الحاجب وهو ببغداد يستصاحبه لوزيره العباس بن الحسين ويستنهضه للغزو معه ويأمره بان يستنفر من يرغب في الجهاد فتقبل سبكتكين ذلك تقبل المنافق ثم ركب ببغداد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفيهم الامام أبو بكر الرازي الفقيه وأبو الحسن علي بن عبيد النحوي وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه . وعلى بن عيسى هو الراسي المتوفى سنة ٤٢٠ عن نيف وتسعين سنة وترجمته في ارشاد الاربيب ٥ : ٢٨٣ وأبو بكر الرازي هو أحمد بن علي تلميذ أبي الحسن الكرخي واليه رئاسة الخفية أريد لقضاء القضاة فامتنع توفي سنة ٣٧٠ وأبو القاسم الداركي هو عبدالعزير بن عبد الله بن محمد الفقيه الامام انتهى اليه معرفة مذهب الشافعي وله وجوه في المذهب منها أنه قال : لا يجوز السلم في الدقيق . وربما كان يجتهد في المسئلة والفتوي فيقال له في ذلك فيقول : ويحكم فلان عن فلان عن رسول الله صلعم بكذا وكذا والاخذ بالحديث أولى من الاخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة ! توفي سنة ٣٧٥ كذا في تاريخ الاسلام

في الجيش واستنفر المسلمين فنار من العامة عدد كثير باصناف السلاح والسيوف والرماح والانسى حتى استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لتريتهم وضمهم الى رئيس يقوم بهم الى جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالاعظما وضروا على المحارمات بينهم وأظهروا ضروب المصيبة وأثاروا الفتن وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الاموال والمهجوم^(٣٨٧) على الحرم والفروج وتهاقم الامر بينهم وبلغ كل المبلغ في الشر وعجز السلطان عن اصلاحهم واطفاء ما أثاره من نائرتهم حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد وسند كر شرح هذه الاحوال عند دخول سنة ستة بعون الله

وصالح بختيار عمران كما حكينا أمره فيما تقدم وطمع في مال الصلح واستضعفه ورجع بختيار الى بغداد وهي خراب بكثرة الفتن واستطالة العامة وحدوث الحروب فيها واغارة بعضها على بعض وكثرة رؤسائهم الناجين فيهم حتى حصل في كل محلة عدة رؤساء من العيارين بحامون على محلتهم ويجبونهم الاموال ويحاربون من يليهم فهم لذلك متحاذون يغزو بعضهم بعضا نهارا وليلا ويحرق بعضهم دور بعض ويغير كل قوم على اخوانهم وجيرانهم . فاما الاتراك فتسحبون مقترحون ما لا تمكن منه متجاوزون حدود العامة في سفك الدماء والطمع في الاموال والفروج حتى قتلوا صاحب شرطة كان لبختيار يقال خمار نشي . حثير^(١) كان حقه على بعض اصاغر الاتراك فقتلهم

(١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان قتلت العامة والاتراك خمار صاحب المعونة برأس الجسر من الجانب الشرقي وأحرقوا جسده لانه كان قد قتل رجلا من العوام وولى مكانه الحبشي . فقتل أحد العيارين في سوق النحاسين فنارت العامة وقاتلته وأخذ أبو الفضل الشيرازي حاجبه صافي لمعاونة صاحب الشرطة وكان صافي ينفذ أهل الكرخ فاحترق النحاسين الى السماكين فذهب من الاموال ما عظم قدره وأحرق الرجال والنساء في

راكبا في موكبه فحملوا عليه وألجأوه الى الهرب والدخول الى دار بختكين المعروف بجمدويه وكان رئيسا معظما في الاتراك فهجموا عليه وأخرجوه وقتلوه قتلة الكلاب خفقا بالسيوف واللتوت^(٣٨٨) ثم سلموا جثته الى العامة ففصلوه آرابا حتى أخذ كبده بعض السفهاء وقلبه آخر وكل جريحة منه وجد في يد سفيه ثم أحرقوا باقي جثته بالنار وفتحوا السجون وأطلقوا أهل الدعارة منها وقاموا أبوابها ونقضوا حيطانها وعجز بختيار عن تدبير أمرهم وخاف معرة الاتراك فاستدعى الديلم الى داره فحضره بالسلاح وتكلموا في أمر المقتول أعنى خمار وأنكروا تبسط الاتراك وتحركت الاحقاد بينهم وعمل الديلم على قصد دار سبكتكين الحاجب ومنازل الاتراك وأحسوا بهم فحجزوا واستعدوا وتعصبت العامة معهم فسكن بختيار تلك الثورة وأغضى عن قتل صاحبه خمار ثم عول على الحاجب سبكتكين في تسكين العامة لان هيئته كانت في نفوسهم أكبر وقلد سبكتكين الشرطة ببغداد حاجبا له فسكنت الفتنة مدة أيامه الا أنه تعصب للطائفة المنتسبة الى السنة على الشيعة فثار أهل التشيع وعادت الحروب والنفن كاعظم ما كانت . فكانت الاموال تنهب والقتل بين العامة يستمر في كل يوم حتى صار لا ينكر ولا يمكن حسمه وظهر نقصان الهيبة وعجز السلطان .

الدور والحمامات وأحصى ما احترق فكان سبعة عشر الفا وثلثمائة دكان وثلثمائة وعشرين داراً أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربون الف دينار واحترق ثلاثة وثلثون مسجدا . وكلم أبو أحمد الموسوي لابي الفضل الشيرازي بكلام كرهه فصرفه عن النقابة وولى أبا محمد الحسن بن أحمد الناصر الملوي . وركب أبو الفضل الى دار ابن حفص التي على باب البركة وأحضر النجار وطيب قلوبهم فقال له شيخ منهم : أيها الوزير أريتنا قدرتك ونحن نؤمل من الله تعالى أن يرينا قدرته فيك . فامسك أبو الفضل ولم يحيه وركب الى داره

وعطف بخيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين بمطالبة
الاموال واطعاء الرجال وأرضاء طبقات^(٣٨٩) الجند وكان لا ينظر في دخل
ولا خرج وانما يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعينه ولا ينصره
ولا يمنع أحدا من جنده شيئا يلتمسه ولا يقبض يده ولا لسانه عن كل ما
يفسد حاله وشانه ويحب أن تقضى أوقاته في الصيد والأكل والشرب والسماع
واللهو واللعب بالبرد وتمريش السكلاب والديكة والقباج فإذا وقفت أموره
قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتيات
والانحلال الى أسوأ ما كان . فلما بلغ الامر بوزيره أبي الفضل هذا المبلغ
ولم تبق له حيلة في درهم يأخذه من وجهه عدل الى طلب الاموال من
الوجوه المذمومة التي تقبح الاحدونة بها وتحرم ولا تحمل في شيء من
الاديان .

فبعث بخيار على مطالبة المطيع لله بمال يوهمه أنه من وراء نزوة ومال
وانه يحتاج الى اخراجه في طريق الغزو وان ذلك واجب على الامام
(ذكر الرسائل والجوابات التي دارت بين المطيع وبين)
(بخيار وما آل اليه امر أبي الفضل من الهلاك)

أجابه المطيع لله بان : الغزو يلزمي اذا كانت الدنيا في يدي والى تدبير
الاموال والرجال وأما الان وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفاي
وهي في أيديكم وأيادي أصحاب الاطراف فما يلزمي غزو ولا حج ولا شيء
مما تنظر الأئمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به^(٣٩٠) على
منابركم تسكنون به رعاياكم فان أحببتم أن اعتزلت عن هذا المقدار
أيضا وتركتم الامر كله . وترددت المخاطبات في ذلك والمراسلات حتي

خرجت الى طرف من أطراف الوعيد واضطر الى التزام أربعمائة ألف درهم باع بها ثيابه وبعض أنقاض داره . وشاع الخبر ببغداد بين الخاص والعام وعند من ورد من حاج خراسان وغيرهم من الواردين عن الاقطار ان الخليفة صودر وكثرت الشناعات^(١)

وعول أبو الفضل الوزير فيما يحتاج اليه من مال الجند والاقامات التي تلزمه للاتباع والحاشية على مصادرات الرعية والتجار والتأويل عليهم بالحال وابتدأ بأهل الذمة ثم ترقى الى أهل الملة فأخذ أموال الشهود ووجوه البلد من أهل السترو بث السعاة والنمازين وسامع العمال وأجرى عليهم الارزاق وكثر الدعاء عليه في المساجد الجامعة وفي الكنائس والبيع وفي الخافل والمجالس وزادت العامة على ما ذكرت من حالها في الاغارة والاقدام على النهب والحرق وأسرفت في ذلك حتى بطلت الاسواق وانقطعت المعاش وتمذر على أكثر الناس الوصول الى ماء دجلة حتى شربوا ماء الابار وحصلوا في شبه الحصار . ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذر عليه حتي أركب اليهم طائفة من الجيش فواقعهم^(٣٩١) وكسروهم ونقصت الهبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم .

وكان في حجاب رجل يعرف بصافي ذميم الاخلاق ذنى النفس يتمصب لاهل السنة فضرب محلة الكرخ وهى مجمع الشيعة ومعظم التجار

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : فشدوا على المطيع لله حتي باع قماشه وحمل أربعمائة ألف درهم فانفقها ابن بويه في اغراضه وأهمل الغزو وشاع في الالسنه أن الخليفة صودر كما شاع قبله ان القاهر بالله كدى يوم جمعة فانظر الى تقلبات الدهر

بالنار فمظم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضرّة على الرعيّة فيما دبره
سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها . وكان بين أبي أحمد الموسوي (وهو الحسين
ابن موسى ويتولى نقابة الطالبين) وبين أبي الفضل الوزير مناظرة فيما جرى
على الشيعة فظهر امتعاضا وخرج في المناظرة الى المهاترة فصرفه الوزير عن
النقابة بابي محمد بن الناصر^(١) وهو الحسن بن احمد العلوي وحصل أبو احمد
الموسوي من أعداء أبي الفضل المكاشفين له المثرين عليه وحصل أبو الفضل
فريدا لا ناصر له اما سبكتكين فيطالب عنده ثار أبي قرة وفي نفسه عليه ما كان
منه في استدعاء بختكين آذاذرويه من الالهواز الى واسط ليقيم مقامه . ويجمله
ضدّاه وشيء آخر كان عظيما عنده قبيحا وهو أن سبكتكين كان يختص غلاما
تركيا من غلمانه فغضب عليه وأمر ببيعته في السوق فنصب الوزير أبو الفضل
من اشتراه له بضعف قيمته وتحظاه ونزل عنه منزلة من كان في نفسه منه عشق
ثم موله وأعطاه^(٢) شيئا كثيرا حتى صار أجلا وأيسر من غلمان سبكتكين
فلحققت سبكتكين من ذلك غيرة شديدة وفسد عليه غلمانه الذين في داره بما
وصل اليه هذا الزلام . فهذه اسباب عداوة سبكتكين وقد حكينا عداوة
الجرجرائي له وعداوة أبي احمد الموسوي النقيب له ثم عداوة محمد بن بقية له
وكان ابن بقية قد ملك قيادة بختيار وكان سبب عداوته له ان أبانصر المعروف
بأبن الصراج (واسمه ابراهيم بن يوسف وهو من الاشرار المعروفين بالسعاية)
قد جمع بالملكسب الخيـث مالا عظيما وأعقد ضياعا جائلة فشعثها أبو الفضل
تشعثا يسيرا أخرجه به الى عداوته والسعي على دمه وكان يجتمع مع المعروف
بمحمد بن احمد الجرجرائي كاتب شرمزن (الذي قدمنا خبره وسبب عداوته

(١) يعني الناصر لدين الله أبو الحسن احمد بن الهادي الى الحق يحيى قد تقدم ذكره ص ٢٠٩

لابن الفضل) ويدخلان محمد بن بقية ومرضاه للمكاسب الجليلة والقوائد العظيمة ولم يزالا به حتى غيرا رأيه في الوزير أبي الفضل وأوهما انه ساع عليه وانه لن يبعد أن يضمه من بختيار بمال عظيم ثم تجاوزا ذلك الى أن أشارا عليه بتقليد الوزارة وان يسبته الى القبض عليه والراحة منه

﴿ ذكر السبب في تقلد ابن بقية الوزارة ﴾

لم يكن ابن بقية يستقل ولا يكمل لحمل دواة بين يدي وزير ولا يطمع في شيء من هذه المراتب^(٣١٣) ولكنه تقدم عند بختيار وقت خلافته لصاحب المذبح في توفير وفره وخدمة في جملة ما تمسخر وكان مستخرجا عسوفاً شديد القسوة جاهلاً وفيه مع ذلك سماحة وسعة صدر وهو في هذه السيرة متشبه بأهل الشطارة والفنالك والدعار وليس يسلك طريقة أهل الكرم والرياسة ولما أشار عليه هذان بالدخول في الوزارة والقبض على أبي الفضل قبل أن يسبته الى ذلك دهش وعلم أنه يعجز عما أشارا به عليه

﴿ ذكر كلام سيد لابن بقية في تلك الحال ﴾

انه أجابهما بان قال : لا صناعة لي ولا توجه فيما تدعوانني اليه ولى عند صاحبي منزلة كبيرة تحتاج الوزراء الى معها وأخاف أن أدخل فيما ليس من عملي وأنهم جن وبقدرح في منزلتي واحط عنها من غير أن أتنفع بالوزارة . فشجماه وجسراه وضمن له محمد بن أحمد الجرجرائي أن يخفه ويكفيه العمل كانه ثم صار اليه بكتكين الحاجب وذكراه بأفعال الوزير أبي الفضل وحمله على الشروع في صرف أبي الفضل ونكبه فقال لهما : اني لم أزل معتقدا لذلك وانما كان توقفي عنه طلباً لمن يقوم مقامه ويسد مسده اذ كان

محمد بن العباس^(١) قريب العهد بالصرف ولم يكن مرضياً في وزارته ولا^(٣١٤) ناهضاً بها وقد حفظت على الأمير بختيار إيمان البيعة بأن لا يقلده وزارته . فخطابه في تقليد ابن بقية وضمانه أن ينهض ويغنى ويكفي وانهما يعضدانه ويشدان منه في التدبير والنظر في الامور فاستروح سبكتكين الى ذلك وجمع به التشفي من أبي الفضل وفساد أمر بختيار وتجشم احتمال النضاضة في توفية محمد بن بقية حقوق الوزارة بعد ان لم يكن ممن يجوز أن يعده من أصاغر خدمه ولا يطمع في دخول داره وانما تجرع ذلك وطابت به نفسه لعظيم ما كان في قلبه من أبي الفضل فراسل بختيار في ذلك وقد كان بختيار ساء رأيه في أبي الفضل جداً فاستجاب اليه .

وقد كان أبو سهل ديزويه العارض مرموقاً بمال عظيم ولم يتمكن منه لمصاهرة كانت بينه وبين شیرزاد بن سرخاب فلما نفى شیرزاد احتجج اليه في تسكين الجند مديدة فندفعت تكبته ثم أن أبا الفضل هم في هذا الوقت بالقبض عليه فاحب ابن بقية أن يتولى أبو الفضل القبض عليه ثم يتسلمه هو ويستخرج أمواله . فجرى الأمر على ذلك فقبض أبو الفضل على أبي سهل ديزويه في يوم الخميس وقبض ابن بقيه على أبي الفضل يوم الاحد فكان بينهما ثلاثة أيام واستتم القبض على جميع^(٣١٥) كتابهما ومن يتصل بهما من أسبابهما وكان ذلك في سنة ٣٦٢

وفي سنة ٣٦١ وقع الصلح بين عضد الدولة وبين أبي صالح منصور بن نوح صاحب خراسان ووقعت المصاهرة فتزوج منصور بن نوح بابنة عضد الدولة ونفذ في ذلك عابد بن علي مع عشرة أنفس مختارين من

الاشراف والقضاة والشيوخ المذكورين وتكلف صاحب خراسان مؤونة
عظيمة للرسل والشيوخ وحمل هدايا كثيرة لم تحمل مثلها قط الى
عضد الدولة وكتب بينهما كتاب اتفاق بين الجهتين وكتب فيه شهود
العراق الحاضرون وشهود خراسان خطوطهم

وفي سنة ٣٦٢ خلع المطيع لله على أبي اسحق ابراهيم بن معز الدولة
وكناه ولقبه عمدة الدولة^(١)

وفي هذه السنة جرت وقعة بين الدمستق وبين هبة الله بن ناصر الدولة
بناحية ميافارقين^(٢) وكانت عدة الدمستق عظيمة كشيعة لكنه اتفق ان
لقيه في مضيق لا تجول فيه العساكر وكان الدمستق في أول عسكره على غير
أهبة تامة فأنزله الروم وأخذ الدمستق أسيرا وتمكن المسلمون منهم وأعز
الله دينه وكثر القتل والأسر حتى أنفذ الى بغداد الرأس والأيدي وكانت
كثيرة فشهرت وكانت^(٣) هذه الوقعة في آخر يوم شهر رمضان سنة
٣٦٢ وحبس أبو تغلب الدمستق الى ان جرح به جراح عظيم فبط وتأدت
الحال به الى الموت بعد ان كان أحسن ضيافته واجتهد في علاجه وقدّر ان يبلغ

(١) زاد صاحب التكملة : خلع عليه من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم
بحجبة المطيع لله على رسم أخيه عز الدولة في أيام أبيه (٢) وقال أيضا : ثم وصل
الخبر بان الدمستق قصد آمد فخرج اليه واليه هزارد مولى أبي الهيثم ابن حمدان
وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة وساعدهم أهل الثغور قصرهم الله تعالى وكثر القتل
والأسر لأصحاب الدمستق وأخذ مأسورا وذلك في ثاني شوال . وكان أكبر السبب في
خذلان الله تعالى الروم ان هبة الله تعالى متقدمهم في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يأنهب
وكانت الحال في أمره كما وصفنا . وكتب أبو تغلب كتابا الى المطيع لله يخبره بالحال
وكتب الصابي الجواب عنه وهو المذكور في رسالته ومات الدمستق من جراح به

به من ملك الروم ما يريد

وفي هذه السنة خلع ثاني يوم قبضه على أبي الفضل وهو يوم الاثنين السابع من ذي الحجة سنة ٣٦٢ على محمد بن بقرية وكان الى هذا اليوم يقدم الطعام اليه ويحمل الغضائر بيده ويتشج بمناديل الغمر ويذوق الالوان عند تقديمه اياها على رسم من يخدم في المطبخ خدمته فلما وزر عاد يريد الخدمة في ذلك فتهاه بختيار . وتعجب الناس من وزارته فانه كان دنيا لا يقع عينه الا على من كان فوقه ولا يرى نفسه الا دون كل أحد فازدادت دولة بختيار به سقوطا واخلاقا وتضاحك صغار الناس به قريبا وبعدا . واستخلف حين وزر محمد بن أحمد الجرجاني وناط الامور به وبالمعروف بابي نصر السراج واستقصى على أبي الفضل في المطالبة بالمال حتى تقرر أمره على مائة الف دينار فلما صح أكثرها سلم الى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الكوفي على ان يخرج به ^(٣٩٧) الى الكوفة ويحبسه عنده فتسلمه وعاش عنده مديدة وتوف لم يشك أحد انه مات مسموما ^(١)

وقبل ذلك توفيت زينة بنت أبي محمد المهدي رحمه الله وقد كان أخوها أبو الغنائم تقدمها وأكثر أهلها وانقرضت الجماعة ثم تتبعهم جميع من اشترك في دم

(١) ذكر صاحب التكملة انه سقى ذراريه في سكنجيين فتفرحت مئاته ومات من ذلك فال أبو حيان : قيل له في وزارته الثانية : كنت قد وعدت من نفسك ان أعاد الله يدك الى البسطة ورد حالك الى السرور والغبطة انك نجعل في المعاملات وتنسى المقلبة وتلقى وليك وعادوك بالاحسان الى هذا والكف عن هذا . فكان جوابه ما دل على هذوه لانه قال : أما سمعتم قول الله تعالى : ولو ردوا امادوا لما نهوا عنه . فما لبث بعد هذا الكلام الا قليلا حتى اورد ولم يصدر ولم ينمش بعد ان عثر . وفي تاريخ الاسلاء : وله تسع وخمسون سنة

أبى الفضل قتلا من غير أن طال بهم الأعمار وسندكر ذلك في موضعه إن شاء الله ﴿ ذكر ما دبر به ابن بقیة أمره حتى تماسك مديدة ﴾

انه جد في مطالبة أبى الفضل وأسبابه من خلفائه وحجابه وغلمانه وكل من انتسب اليه والى ديزويه العارض حتى استصفي أهوالهم واتسع بما وصل اليه مديدة ومشت الامور بين يديه فتبجح بذلك وادعي حسن الاثر وتوصل الى ان كناه المطيع ولقبه الناصح نخاع عليه الخلع السلطانية بامر بختيار واذنه . وكثر ذمه لابی الفضل والطمع عليه وادعى العدل والانصاف فلم تمض الا أيام حتى ارتكب من الظلم والغشم واثارة الفتن ما صارت أيام أبى الفضل بالقياس الى أيامه جارية مجرى أيام العمرين وكل ذلك لسوء نظر بختيار وإهماله الامور واقباله على الشهوات واستثقاله مباشرة^(٢٩٨) التدبير حتى سقطت الهيبة وانبسطت العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الاهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان لا يمدم في كل يوم عدة قتلى لا يعرف قاتلوهم وان عرفوا لم يتمكن منهم فانقطعت مواد الاموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر في كل قرية رئيس منها مستول عليها وتباغوا بينهم وحصل السلطان صفر اليد والرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهارجون

﴿ ذكر تدبير دبره الترك وأكابر الحاشية والجند حتى سكن أمرهم مديدة ﴾

(نم عادت الحال كالسوأ ما كانت)

شرع ابن بقیة في اصلاح ما بين بختيار وسبكتكين وتوسطه الوجوه والاكابر فترددت المراسلات ووجوه^(١) الكتاب والقواد وأخذ لكل واحد

منهما على صاحبه عيين مؤكدة على التصافي والتآلف فلما تم الاتفاق بينهما ركب سبكتكين الى بختيار مع جماعة من الاتراك فلقيه وسلم عليه وانصرف. ولم يمد اليه ولا اجتمعا الا في الموكب وعلى سبيلهما الاولى في التحرز ونشأت بينهما ظنون سيئة وبلاغات منكرة ووجد الاعداء والمتسوقون^(١) طريقا سهلا في الشر فسالكوه فعادا الى التافر^(٣٩٩)

﴿ ذكر سبب قوى في عودهما الى الحال الاولى من العداوة ﴾
اجتاز ديلمى من سقط الجنود سكران في فنا دار سبكتكين الحاجب فيما يلي دجلة وهو نائم فرمى الديلمى أحد صوالة الروشن بزوبن كان معه فاقبته فيه على سبيل العبث فظن سبكتكين انه مدسوس عليه ليرميه فتقدم باخذه فاخذ وسئل واستقصى عليه فلم يكن لذلك الظن أصل فامر بانقاذه الى بختيار وتعريفه ما كان منه فلما حصل بحضرته أمر بقتله فقتل وتحرك الديلم وانكروه واستشنعوا فعله وشغبوا وحملوا السلاح ولزموا ووضع الشغب ثلاثة أيام ثم استعطفوا فرجعوا الى منازلهم والقلوب نافرة
﴿ ودخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ﴾

وفيهما خرج بختيار الى الموصل طمعا في تناول بعض مافي تلك الاعمال والاتساع به وحرصا على التصيد في طريقه

(شرح هذه الاسباب وذكرها على التفصيل)

قد كان أبو الفضل قبل صرفه عن الوزارة الاخيرة اطعم بختيار في الموصل وقدر أن خروجه اليها يشغله عن نفسه وقصده ويدفعه عن نكبته وليتغلل بما يتناوله من تلك الاعمال غلة ومالا يستعين بها في القضم والاقوات

(١) يعنى السعاة قال أبو العلاء المعرى في الازوميات (٢١: ١) * ولا تقبلوا من كاذب متسوق *

فلما تقلد محمد بن بقية الوزارة سلك هذه السبل في بعثه على الخروج وحرص ابن بقية على الموصل^(١)

﴿ ذكر سبب ذلك ﴾

وردت كتب أبي تغلب على ابن بقية مع علي بن عمرو كاتب أبي تغلب ووزيره بمخاطبة دون ما كانت تكتب به الوزراء قبل ذلك لانهطاط منزله في نفوس الناس وأبت نفس أبي تغلب أن يوفيه جميع ذلك الحق فاعتناظ ابن بقية من ذلك وذكر علي بن عمرو وصاحبه أبا تغلب بالقبيح وتوعدهما بالمسير فتلافاه بالمكاتبة المستوفاة فلم ينصرف ابن بقية عن عزيمته . وأحب بختيار الخروج الى الموصل الامور التي ذكرناها وقد كان أبو المظفر حمدان وأبو طاهر ابراهيم ابنا ناصر الدولة حصلا ببغداد وطمع أبو تغلب في استصلاح أخيه ابراهيم ولم يطمع في حمدان لو كيد العداوة بينهما فكاتب ابراهيم وأرغبه ليقطعه عن مضامة حمدان وصادف ذلك تقصيرا من بختيار . ونظر ابراهيم فاذا أحوال اخوته الذين أقاموا مع أبي تغلب مستقيمة منتظمة وكاتبه « باني سائر اليك » واستدعى منه نفرا من الفرسان والاعراب ليصحبوه فانفذهم الى قرب بغداد على سمت البرية فهرب اليهم وأخذ معه أخاد المسمى ذا القرنين^(٢) وكان رهينة في يد معز الدولة ثم في يد بختيار وهرب من محبسه ليلا وخرج مع أخيه فلما كان الصبح عرف بختيار الخبر فلم يكن له فيه حيلة وجعل ذلك سببا ظاهرا للخروج الى الموصل والباطن ما تقدم^(٣) ذكره . وكان حمدان ابن ناصر الدولة من أشد الناس بعثاله على الشخصوص الي تلك البلاد وطمعا

(١) هو أبو المطاع وجيه الدولة ولى دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر سنة

٤٠١ : كذا في تاريخ ابن الفلاني ص ٦٩

في التشفي من أبي تغلب فاستعان به بختيار بعموس الايمان بعد هرب ابراهيم على الثبات معه والنصيحة له وتمت العزيمة فخرج بختيار وسبكتكين الحاجب ومحمد بن بقية الوزير وذلك في شهر ربيع الاول من سنة ثلث
﴿ ذكر الحال في هذه الخرجة وما آل اليه الامر ﴾

وقم التدبير علي أن يخرج سبكتكين في الجانب الشرقي على المقدمة ويتلوه بختيار سائرا على أثره ويذهبما مرحلة واحدة فاذا صاروا بازاء تكريت عبر بختيار وسار في الجانب الغربي واستمر سبكتكين سائرا في الشرق ففعلا ذلك وسبق بختيار الى الموصل وقد رحل عنها أبو تغلب الى سنجار بعسكره كله وأخلاها من كل ميرة وكل كاتب ومنصرف ثم توجه من سنجار الى مدينة السلام وهو من الجانب الغربي . وتأخر سبكتكين بالحديثة وأظهر التشاغل بعبور السفن فاتصل خبر أبي تغلب وخروجه الى بغداد ببختيار فكتب الى سبكتكين يرسم له العبور الى الجانب الغربي والمسير في أثر أبي تغلب وانفذ اليه شطر عسكره وحمدان بن ناصر الدولة وجمهور العسكر وانفذ محمد ابن بقية في الطيارات والزبابز راجعا الى بغداد بعد أن استخاف^(٤٠٢) بحضرته محمد بن احمد الجرجرائي . فسبق أبو تغلب وانتهى الى قرية تعرف بالفارسية علي نهر الدجيل بينها وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ فعسكر بها وعامل من اجتاز به من أهل السواد بالجميل ولم يأخذ منهم شيئا الا بالثمن الوافر وأظهر العدل والانصاف . وصارت طلائمه ترد الى بغداد وخرج اليه جماعة من عوام الناس وأوباشهم مستقبليين له مظهرين السرور بمقدمه وبرز أبو اسحق ابن معز الدولة وكان يخلف أخاه بختيار الى باب الشامية وانقل المطيع لله والدة بختيار وجماعة الحرم والاولاد الى القصر الذي بناه معز الدولة بباب

الشماسية على طريق التحصن وعقد أبو اسحق جسرا في هذا الموضع على
دجلة وعبر بطائفة من الجيش الذي كان معه واطهر أنه يريد الحرب والمدافعة
من غير عزيمة صحيحة وإنما اراد التماسك الى أن يصل سبكتكين الحاجب .
فتمجل وصول محمد بن بقية سابقا في آلات الماء فشد من أبي اسحق واقتن
الجانب الغربي وعاد العوام الى حمل السلاح والحرب وطلب الطوائل واستتر
التجار وتعطت الاسواق وعبر أهل النباهة من الغربي الى الشرقي ونزل
سبكتكين باوانا بازاء عكبرا . فعزل أبو تغلب من موضعه راجعا اليه فنزل
في قرية بينهما نحو نصف فرسخ^(١٠٣) وتضاف العسكريةان ووقع الطراد بين
سرعان الخيل وطوائف من الاعراب ثم تكافأ وجنعا الى الصالح

﴿ ذكر مكيدة جرت في هذه الحرب واجتماع من ﴾
﴿ سبكتكين وأبي تغلب على مختيار وحيلة بينهما ﴾
(لم يتمها سبكتكين وضيع فرصته فيها)

كانت الموافقة في السر تجري بين أبي تغلب وسبكتكين على المودعة
واظهار الخلاف الى أن يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة ووالدة مختيار
وحُرْمه ومحمد بن بقية واظهار العصيان عند ذلك ثم يعود الى بغداد ويعود
أبو تغلب الى الموصل قاصدا بمختيار وهو في عدد قليل فيتمكن منه ويقلب
دوائمه سريريا . ففكر سبكتكين في سوء السمعة ولم يقدم على حرم مولاه
وعلى الخليفة وخاف عاقبة ذلك . وبادر محمد بن بقية من بغداد الى سبكتكين
فاجتمع معه وحضرهما رسل أبي تغلب وتقرر الصالح على المبلغ الاول وزيادة
الف كراً من الخنطة في كل سنة وعلى أن يطلق أبو تغلب لمختيار ثلاثة آلاف

كر حنطة عوضا عن مؤونة سفره : وانكفا أبو تغلب الى الموصل قاصدا
بختيار وهو في خوف من عسكره فايقن الناس ان أبا تغلب لم يقدم على القرب
من سبكتكين الا على ثقة من أنه لا يحاربه وان ذاك الطراد الذي وقع بين
أوائل المسكرين انما كان تمويها

ودخل سبكتكين وجميع^(١١١) المسكر بغداد وأسلم بختيار وقامت
القيامة على محمد بن بقية من ذلك وطالب سبكتكين بمعاودة المسير واللاحاق
بصاحبه بختيار فتناقل عن ذلك واحتج بان الرجال لا يستجيبون للمود ثم فكر
في العواقب فانكفا على مضض ورحل وقد ظهر للناس ما كان هم به الا أنه
ما فعل ولو هم وفعل لكانت فرصة عجيبة وكان لا يمتنع عليه شيء من التدبير
الذي ذكرناه . ثم جد سبكتكين وابن بقية وسائر الجند في المسير مصعدين
وقد كان بختيار حين عرف خبر رجوع ابي تغلب اليه جمع اليه أطرافه ورد
قواده من النواحي التي كان فرقم فيها وخاف خوفا شديدا وعبي مصافه في
الموضع المعروف بالدير الاعلى من ظاهر الموصل وقرب أبو تغلب ونزل
أسفل الحصبا على حالة الالهبة والتعبية ولم يبق بينهما في المسافة الا طول
قصبة الموصل فقط وأحجم كل واحد عن صاحبه وعن المناجزة الا أن أبا
تغلب كان الاظهر لسكرة عدده وتعصب أهل الموصل له وخاض الناس
بينهما في حقن الدماء وتتميم الصلح الذي تقدم ذكره فاشتط أبو تغلب في
الحكم والتمس النقصان والخطيئة وطالب بتسليم زوجته بنت بختيار اليه وان
يلقب لقباسلطانا فأجابه بختيار الى ذلك كله تفاديا من اللقاء . وجرى كلام
في معنى حمدان وان يفرج عن ضياعه وأملا^(١١٢) به غلاتها وعن القلعة
المفردة له المسماة وهي قلعة ماردين . وكانت هذه القلعة مسماة لحمدان

ومفردة له منذ أيام أبيه وقد رتب أخاه من أمه مع ثقات له فيها فاحتال أبو تغلب على هذا الأخ حتى رغب في مال يتعجله وخان أخاه وسلمها . فامتنع أبو تغلب من ذلك كله ولم يدخل في شرائط الصلح شيئا منه وكان غائبا عن هذا الأمر وحاصلا ينفذ مع سبكتكين الحاجب . فضعف بختيار عن الاستيفاء وكان غرضه المقاتلة وإن يفرج له أبو تغلب فخرج إلى موضع يقال له قرن الآئل على خمسة فراسخ من معسكره في عرض الموصل بعد أن حلف كل واحد منهما لصاحبه يميناً أخذها عليهما أبو أحمد الموسوي وجماعة من السفراء والنحدر بختيار إلى الحديثة وأهل الموصل يتبعونه باليمن والدعاء عليه ويتبعون أصحابه ويتوثبون عليهم وذلك أن محمد بن أحمد الجرجرائي خليفة ابن بقية ظلمهم وعسفهم فكان انصراف بختيار عن هزيمة ظاهرة . فلما تحرك من موضعه والنحدر دخل أبو تغلب الموصل وظفر بجماعة كانوا مالوا إلى بختيار من أصحابه وأهل الموصل فسلم عيونهم . ووجد رجلا عقيليا يعرف بابن العجاج كان استأمن من عسكره إلى بختيار ولم يخرج عن البلد تعويلا على ما جرى من الصلح فضرب رقبة .

ولما وصل سبكتكين ومحمد بن بقية وحمدان والجيش واجتمعوا مع بختيار اضطرب حمدان من خروجه عن الصلح وأنف محمد بن بقية من الحال التي انصرف عليها بختيار وانفقوا على أن يجعلوا ضرب رقبة هذا العقيلي وسلم العمال^(٤٠٦) ووثوب أهل الموصل على حاشية بختيار واتباعه عذرا في الرجوع وحجة على أبي تغلب في الفسخ فعظفت الجماعة بجميع العسكر إلى الموصل . فهرب أبو تغلب عنها إلى ناحية يقال لها تل اعفر ورد كاتبه المعروف بابي الحسن على بن عمرو بن ميمون برسائله إلى بختيار يعاتبه

فيها على النقض وينسبه الى الغدر فقبض محمد بن بقية عليه واعتقله وامتهنه واحتجج عليه بما ذكرنا فوجد ان يكون ما جرى من القتل والسمل بامر أبي تغلب وأحال فيه على بعض علمائه ثم تقرر الامر بعد خطوب جرت على اتمام الصلح وقومت الغلة وردت الى اوراق ووضع عنه ما استخرجه بختيار من الموصل وأعمالها ونجم الباقي على تعجيل وتأجيل وشرط الافراج عن ضياع حمدان خاصة دون قلعة ماردين ودون ما أخذ منها ومن ارتفاع الضياع وان يسلم القوم الذين قتلوا انعقيلي وسملوا العمال لينفذ فيهم بختيار حكمه فانفذهم أبو تغلب اليه على ثقة بانه لا يسيء اليهم اعلمهم جميعا انهم مأمورون (فعفا عنهم بختيار) وعلى ان يلقب أبو تغلب ويؤلف اليه زوجته وجددت الايمان والعهود على الفريقين وانصرف بختيار وتشاغل في طريقه بالتصيد وكان وروده مدينة السلام لمشر خلون من رجب من هذه السنة وورد كاتب أبي تغلب فأنجز له بختيار المواعيد وسأل المطيع لله في تلقيه فلقب عُدَّة الدولة وأُنْفَذَ اليه^(١٠٧) خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته ووقع البدار به ليصح المال

وفي هذه السنة هلك محمد بن أحمد الجرجرائي وتلف في المصادرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يبقى على أحد يتهمة أو يسبق الى قلبه منه شيء بل يعاجله قبل التأمل ويقتله من غير تثبت وكان أهلاك قوما من أهل الكفاية والكتابة بالظن والتهمة وانهم سيصالحون لمكانه . ولما أفضت اليه الوزارة وكان المتولى للبصرة على بن الحسين الشيرازي المعروف بابي القاسم المشرف وكان يعاديه ويعتقد انه ذو كفاية فاراد القبض عليه واستصفاء ماله واتلافه

فتدافع ذلك الى ان عاد من الموصل فعمل على ان ينفذ محمد بن أحمد الجرجرائي في ذلك طلباً لا بعباده عن الحضرة ولان حاله كانت تمهدت عند بختيار لتقدمه على ابن بقية في الكتابة ولانه عقد بينه وبين قهرمانة بختيار التي يقال لها تحفة فكانت تحامى عليه وتمصّب له وكان مع ذلك يتكلم بالفارسية وابن بقية لا يعرف منها شيئاً فتناول بهذه الاشياء على ابن بقية واستهان ببعض ما كان يأمره به ثم بلغه انه مهد لنفسه حالاً عند بختيار أيام تهرّده بخدمة بالموصل . فلما اجتمعت عليه هذه الاشياء أراد ابعاده عن الحضرة واخرجه في القبض على علي بن الحسين والنظر فيما كان ينظر فيه فلما خاطبه في ذلك تهرّ منه وأحس بتغيّر نيّته له واجتهد^(٤٠٨) في ان يعفيه فلم يفعل فانحدر وقد نبا كل واحد منهما عن صاحبه . ولوصبر على ان يكون عامل البصرة لمّا اخرج به ابن بقية الى ماخرج ولكنه لما رآه يأبى الا التثبت بالحضرة والنمسك بما كان ناظراً فيه دون ما سواه اتهمه وازداد شكاً فيه . وكان ابن بقية قدّم كتابه الى صاحب له ينوب عنه بالبصرة يقال له عبد العزيز بن محمد السكراعي وهو من الاوغاد الاصاغر الذين ارتفعوا بارتقاعه وأمره يعرّفه نيّته في علي بن الحسين ويأمره بالقبض عليه فانحدر الجرجرائي على ان يصادره وينصب مكانه ضامناً له أو عاملاً غيره ويعود فلما استقر بالبصرة وافق على ابن الحسين على مال التزمه وأضافه الى أصل ضمان البصرة وجدد ايقاع المهد عليه وردّه الى عمله من غير استئذان لمحمد بن بقية وكتب اليه بان الصواب أوجب ذلك عنده وانه مصعد الى الحضرة فاغتاض من فعله ورآه بصورة من يستهين به ويؤثر المقام بالحضرة فكتب الى عبد العزيز بن محمد السكراعي بالقبض عليه وعلى علي بن الحسين فعمل ذلك فلما

على بن الحسين فانه قرر أمره على بعض المقاربة ورده الى العمل بعد خطوب جرت فيه وأما الجرجرائي فانه أخذ خطه بمال ثقیل فصح له بالبصرة شيء يسير واشترط لنفسه ان يحمل الى بغداد ليصح المال اذ كان وطنه بها وفيها نعمته وانما كان غرضه^(١) بالقمه مائة التي كانت تغزه فسابقه محمد بن بقیة اليها فاشتراه بخمسين الف درهم منها فاسلمته وخذت بينه وبينه وكتب بحمله وتقدم الى عامله بواسط وهر محمد بن أحمد المكنى أبا غالب الصريفي بنان يتسلمه حتى يصل اليه ويتولى من أمره ما الله مسأله عنه . فتسلمه أبو غالب ومكث في يده أياما وأظهر انه اعتل ومات وحساب الجماعة على الله الحكم العدل

وفي هذه السنة بدأت فتنة الاتراك بالاهواز ثم عمت جميع العراق

﴿ ذكر السبب في هذه الفتنة كيف نشأت ﴾

قد كانت الاضافة في المال والتسحب من الرجال زاد على بختيار حتى نبت به الديار وتمذر عليه الاستقرار فكان وزرائه وكتابه يخالون له فلا يجدون طريقا لمصلحة ولا يتجه لهم وجه الصواب وكلما أملوا أملا خابوا أو قصدوا عدواً نكبوا ونكصوا الان الابنية كانت توضع على أصول غير مستقرة وقواعد غير قوية فلا يبعد ان يتقوض فيمتاص عليهم المذاهب . فاعتقد بختيار ومحمد بن بقیة عند منصرفهم من الموصل بالخيبة ان يخرجوا الى الاهواز فيستقصيا على بختكين آذرويه ويصرفاه عن البلاء ويعملوا له أعمالا ويطلباه بمال وعمرأ عليه النكبة ثم يفرقا الاتراك عن سبكتكين ويخفقا عدد من يبقى منهم ببغداد^(٢) ويحتالوا عليه من البلاء ليستريحوا منه

وَيُحْصِي أَمْوَالَهُ واقطاعه ونعمته ويتسما بذلك . فأتى درا الى الاهواز في شعبان سنة ٦٣ فلما صاروا بواسط أنفذ اليهما بختكين ثلاثمائة الف درهم ثم نزلوا الاهواز فحمل اليهما ما يحمل الى الاصحاب وخدمهما وبذل من نفسه الطاعة في المحاسبة والموافقة . فلم تمض على ذلك أيام حتى ثارت فتنة بين الاتراك والديلم في سبب صغير قد كان يجوز ان يستدرك قبل ان يستفحل ويستصعب فاغتنماه وجعلاه ذريعة الى اتسام ما كانا هما به وأجرياها على تخليط وفساد من غير تحرز ولا احتياط

﴿ ذكر الخطأ الفاحش والتخليط الذي استعمل ﴾

﴿ في التدبير حتى انعكس وعاد وبالا ﴾

ان بختيار خاف ببغداد والدته واخوته وأولاده وخزائنه وأكثر سلاحه وقطعة من خيله في قبضه سبكتكين عدوه الذي هو في طريق التدبير عليه ومكاشفته بالمداوة ثم أخذ يتطاب عورة الاتراك الذين معه وينتهز الفرصة الضعيفة فيهم ليفسدهم على نفسه وينبه سبكتكين على تدبيره عليه . فكان مبدأ هذا الفساد ان غلاما من الاتراك نزل بسوق الاهواز دارا تجاور بعض الديلم وكان على بابها لين مشرّج فاراد ان يني به معافا لدوابه واحتاج ذلك الديلمي أيضا الى شيء منه فوجه غلامه ليأخذه فمنعه غلام التركي فلم يمتنع وخرجا ^(١١) الى التنازع والتهار فخرج التركي من داره لينصر صاحبه ونع صاحب الديلمي وخرج أيضا الديلمي لنصرة غلامه فأربى على التركي واستطال عليه فركب في الوقت واستنهض الاتراك فثاروا بالديلم وتبادر الديلم وحملوا السلاح واجتمعوا على باب بختيار وبالباب ساحة واسعة قد ضرب فيها وجهه من وجوه الاتراك مضاربه

وذلك لعزة المنازل فأحاطوا به وهو سكران وسمع الصياح فنهض وركب وعمل على أن يلحق برفقائه فعارضه أحد الديلم وشمته فثنى عنانه اليه وهو بغير جبة فرماه الديلمى فقتله فاستحكمت حينئذ الفتنة وطالبت الاتراك بشار صاحبهم هذا وروى الديلم بنشاب كثير حتى قتلوا رجلا وجرحوا عدة وبرزوا بأسرهم عن البلد الى الصحراء وتبعهم غلمانهم وأتباعهم وقعد عنهم القواد والاكابر في منازلهم على طريق النوقف عن الفتنة والتمسك بالطاعة . واجتهد بختيار في تسكين النائرة فلم يمكنه ذلك بعد انتهائها فاستدعى قواد الديلم وشاورهم وقد كانوا يعرفون اعتقاده في سبكتكين الحاجب والاتراك فقالوا : هذا أمر قد انتشر وفي نفسك منه ما فيها والصواب أن تقبض على رؤساء الاتراك المقيمين وتستولى على هذه البلاد التي كانت في يد بختكين وتنهض الى بغداد لتتقم عنها^(١٢) سبكتكين وتستريح منه ومن الاتراك . وكانت عادة بختيار أن يسمع من كل مخاطب ويتحدث مع كل كاذب فتسرع الى قبول ما رآه ووجهه الى بختكين آذرويه وسهل بن بشر كاتبه وسباشى الخوارزمى وبكنيجور وكان حما لسبكتكين الحاجب فأحضرهم من منازلهم وقبض عليهم وقيدهم وأدخل يده في اقطاعات سبكتكين بالاهواز وصرف أسبابه عنها وكتب الى البصرة بانتهاء في الاتراك والايقاع بهم فنودى فيهم ونهبت منازلهم وهربوا عنها .

﴿ ذكر حيلة احتالها بختيار فلم تتم له ﴾

كان بين بختيار وبين والدته اتفاق على أن تظهر عند بدمه عن بغداد الى الاهواز وخفة الاتراك المقيمين بحضرة سبكتكين ان بختيار قد توفي ليصير سبكتكين اليها معزيا ومشاركا في المهينة ووافق أخاه أيضا على مثل

ذلك فاذا حضر أوقما به وقبضا عليه فكتب اليهما ساعة قبض على رؤساء
الأتراك على الاطيار بالعمل على ذلك الاتفاق . فاشاعا ورود نعيه وظنا أن
سبكتكين لا يتأخر عنهما وكان أرزن وأرجح من أن يصير اليهما ولو صار
اليهما لما حضر الا على نهاية الاستظهار فان غلبت داره الممالك أربعائة
سوى أتباعهم وسوى الديلم برسمه وسوى حجابهم ومن في جملتهم .^(٤١٣)

وكان هذا الرأي من بختيار بعيدا من الصواب خليقا بالانتقاض فاقصر
سبكتكين على مراسلتهم بالمسئلة عن الخبر ومن أين صح وتوقف عن
الركوب الى أن وردت رسل أصحابه وكتبهم بشرح ما جرى على حقيقته
فجمع حينئذ الأتراك المقيمين ببغداد وأعلمهم ما عومل به رفقاؤهم وان
الستر قد انخرق وانهم قد أحلت وأبيحت فدعوه الى
أن يتأمر عليهم ليطيعوه فتوقف عن ذلك وراسل أبو اسحاق ابن معز الدولة
يعلمه ان الحال بينه وبين بختيار أخيه منفرجة انفراجا لا الشام له وان
أكثر الجيش نافر عنه وانه ليس يستحسن أن يعدل عن طاعة مواليه
وان عقوه وباينوه وانه يعقد الامر له ويجمع الأتراك على متابته وينقل
الديلم عن بختيار اليه ويتكفل له بالامر حتى يستقر عليه

﴿ ذكر انتقاض هذا التدبير بعد استمراره حتى ثارت الفتنة العظمى ﴾
لما قبل أبو اسحاق ابن معز الدولة هذا الرأي ودخل تحته علم أن
بختيار اما أن يصير جالسا في بيته مزاح الملل فيما يحتاج اليه أو يصير الى
حضرة عمه ركن الدولة فذهب الى والدته وقص عليها القصة فمنعته
من هذه الحال واشفقت من أن يؤول^(١) الى هلاك احد ولديها . وصار اليها

من كان مقيما بمدينة السلام من الديلم فاطمعوها في الاستقلال بمحاربة
سبكتكين^(١١٣) ومن معه من الاتراك فجمعهم الى دارها بالسلاح واصبح
سبكتكين وقد نقض عليه ابراهيم ذلك الاتفاق . فركب في يوم الجمعة اثمان
خاؤون من ذى القعدة من سنة ثلث مع جميع الاتراك قاصدا الحرب وناصبا
لها فبقى يومين يحاربهم تباعا فلما كان في الثالث احرق جوانب الدار بعد أن
حاصرها ونفذ زاد من كان فيها واستسلم ابراهيم ووالدته وكذلك أبوطاهر
ومن كان معه وسألوه أن يفرج لهم عن الطريق لينحدروا الى واسط ولا
يفضح حرم مولاه واولاده فاستجيا وتذمم فاجتمعوا جميعا في حديدى
وانحدروا وتفرق الديلم هاريين في مرقعات الى بختيار وأقامت منهم شرذمة
في طاعة سبكتكين

وكان المطيع لله أعد لنفسه حديديا استنظر به عند حدوث الفتنة فانحدر
مع المنحدرين فانفذ سبكتكين عدة من الزبازب حتى ردهه الى داره ووكل
به فيها توكيلا جيلا . واستولى على ما كان لبختيار بمدينة السلام من السلاح
والدواب والآلات والمنازل فزل الاتراك في دور الديلم وتبعوا حرمهم
وودائعهم وسائر اسبابهم . وثارت العامة من أهل السنة ناصرة لسبكتكين
فقود من رؤسائهم القواد وعرف العرفاء ونقب النقباء وخلع عليهم وحملهم
على الدواب^(١١٤) واستصحبهم وبسطهم وصار له منهم جند

﴿ ذكر خلع المطيع وتسليم الامر الى ولده ﴾

كان المطيع لله بعقب علة من الفالج يسترها وقد ثقل لسانه وتهدرت
الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعا الى تسليم الامر الى ولده الطائع

لله ففعل وعهد اليه فبريء من الخلافة وخلعها واشهد على نفسه سنة ٦٣ يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة^(١)

﴿ ذكر اسباب الفتن الهاشجة بين العامة ﴾

(حتى أدت الى بوار بغداد)

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استضاءوا الشيعة وناصبوهم الحرب وتحزب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربي واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبيحت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الاول في وزارة أبي الفضل فاقتصر التجار وغلبهم العيارون على أموالهم وبضائعهم وحرّمهم ومنازلهم واحتاجوا أن يتخفروا منهم وأى فريق كانت الخفارة له قصد الفريق الآخر . وانتثر النظام وانخزل السلطان وصارت العصبية بين هذين الصنفين في أمر الدين والدنيا بعد أن كانت في أمر الدين خاصة وذلك أن الشيعة ناروا بشمار بختيار والديلم وأهل السنة ناروا بشمار سبكتكين والأتراك^(١٦)

﴿ شرح الخال فيما تأدى اليه أمر بختيار بالاهواز ﴾

(وما دبر به أمره)

أدخل يده في انطاغات جماعة الأتراك وظفر بذخيرة كانت لبختكين آذاذرويه بجند يسابور واجتمع الأتراك المشغبون بسواد الاهواز ثم صار بعضهم الى سبكتكين وآلاف بختيار بعضهم

(١) وفي تاريخ الاسلام . فقال أبو منصور بن عبد العزيز العكبري : كان المطيع

لله بعد أن خلع بسمي الشيخ الفاضل

﴿ ذكر السبب في ضرورة بختيار الى استصلاح ﴾
(الأتراك بعد استفسادهم)

استوحش غلمان دار بختيار منه واضطربوا عليه وقصده الأتراك الذين هربوا من البصرة وعاتبوه على ما ارتكب منهم من غير ذنب وقال له الديلم : انه لا بد لنا في الحرب من فرسان وأتراك . فاضطرب بختيار في الرأي وترجع فيه ثم قرره على ان أطلق بختيار آزا ذرويه وجعله في موضع سبكتكين وسماه حاجب الحجاب وقدّر ان الأتراك يأنسون به ويمدلون عن سبكتكين اليه وكتب الى البصرة بايقاع النداء بانهم آمنون والآي عرض لهم وان يُرد ما أخذ منهم وأطلق سباحتى الخوارزمى وأقر بكتيجور على جملة^(١) الاعتقال لمصاهرتة سبكتكين . وبلغه خبر والدته واخوته وعياله في انحدارهم الى واسط فسار اليها .

وكتب الى الحضرتين بفارس والري يشكو ما نزل به ويسئّل ان يكشف عنه وتابع المكاتبات وزاد في تأكيدها بحسب تزايد الفتنة وكتب الى أبى تغلب ابن حمدان فسأله ان يجاده بنفسه وعسكره وعمل على ان يمتصم بعمران بن شاهين فانفذ اليه خلما وفرسا بمركب ذهب وتوقيعا باسقاط مابقى عليه من مال الصالح الذى كان صالحه عليه^(٢) وخطب اليه احدى بناته وسأله ان ينفذ اليه عسكرا فى الماء يستعين به على حرب الأتراك وترسل اليه فى ذلك حاجب له يعرف بابراهيم بن اسمعيل فلما أدّى اليه الرسالة قال له : يا هذا قد جئتنا فى أمور غير متوجّهة عندنا ولا لاثقة باحوالنا .

(١) لعله حالة

﴿ جواب عمران بن شاهين عن رسالته واتباعه ﴾

﴿ اياه بكلام وافق قدرا جفري كما قال وقدّر ﴾

أما هذا الدين المتروك فالتعمد علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل لا يحسن لكننا نقبل ذلك . وأما الوصلة فانا رجل لا أداخل أحدا من خلق الله الا ان يكون الذكر من عندي والاثني من عنده وقد خطب الى الطالبين مع انهم موال فما أجبت أحدا منهم الى ذلك لان نفسي لا تسمح له وهؤلاء أولاد أخى هم أكفاء بناتى ما واصلت أحدا منهم ولكن ان شاء ان تصاهر على السبيل الاخرى فعلت . واما الخلعة والفرس فليست ممن يلبس اباسكم ولا أركب الخيل لان دوابى هذه السفن لكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده . وأما عسكري وانفاذه فليس تسكن رجالى الى مخالطكم لكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع . ثم قال للرسول : قل له : ينبغي ان تتوفر وترزق ولا تستعمل هذه الخلعة والنزق فقد قصدتني محاربا الى فرجعت عنى منهزما وقصدت الاهواز فرجعت منهزما على هذه الحال والصورة من الفتنة^(١٨) وأنا أعلم ان أمرك سيتأذى الى ان تبيئني وتلوذ بى وتحصل عندي وساذرك هذا وتعلم حينئذ انى أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك قبلك . فتعجب الناس من موافقة كلام عمران هذا المقدور الكائن فان الحال يختيار آلت الى المصير اليه والحصول عنده مستجيра به ويستدما على ما سذكروه ان شاء الله

﴿ جواب ركن الدولة عن رسالته اليه ﴾

فاما ركن الدولة فانه أجاب بجواب صدر عن نية صحيحة وشفقة عليه وهو ان قال : ان الفتن الذى انتفى عليه عظيم يحتاج الى رجال ومال

وسلاح وتدير وهيبة وطاعة وأنه قد شاخ وثقلت عليه الحركة وأنه بازاء
اشغال عائقة وأمور قاطعة ولكنه قد عول في هذه الحال على ابنه عضد الدولة
اذ كانت تلك الادوات التي عدها مجتمعة له وحاصلة عنده وأنه سائر من
فارس اليه مع جيش كثيف ويخرج الى نصرته من عنده الوزير أبو الفتح
ابن أبي الفضل ابن العميد . واما بني ركن الدولة هذه الرسالة على ما كان
يكتبه به ابنه عضد الدولة فانه كان يعرف أخبار العراق يوما يوما ويطمع ان
يملكها لما يرى من سوء تدبير بختيار لها ولاضطراب الامور ^(١) هناك
بسوء تأني الوزراء وسقوط الهيبة وانتشار الخيل وفساد الرعية وكان مع
ذلك فاسد الرأي في بختيار مضطعنا أشياء كان تقدم ^(٢) بينهما من مناقشة
جرت في وقت ومنافسة في مرتبة ومنع مما كان يلتمسه عضد الدولة منه
خاصة من دفاتر عزيزة كان يرضى بها بختيار وجوار صوانع محسنات كان
لا يسمح بها ومن خيل عراب كان يمنع من شرائها له ويجب ان يستبد بها
من البادية وكانت هذه الاشياء مجتمعة في نفس عضد الدولة فهو يجب ان
تستحكم الفتن ويستشري البلاء حتى يزول أمر بختيار ثم يقصد بنفسه
وخيله وأمواله ويدبر أمر تلك الممالك لنفسه ويضمها الى ممالكه . فراسل
أباه ركن الدولة : بانك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك وعندى
منه كيت وكيت في القلاع والخزائن . وعظم عليه ما جمعه ولعمري لقد
كانت عظيمة وكانت له مع ذلك هبة في أصحابه وتدابير مصيبة ولكنه
أحب ان يبذلها في خاصة نفسه لا في معاونة ابن عمه الذي يتصوره
بصورة التجاف وتضييع الامور واهمالها وتقويض الوزارة وتدابير المملكة

الى من لا يُرجع منه الى روية صادقة ولا تدبير صائب ولا صناعة قوية ولا ذكر بين الناس جميل وهو^(٢٠) مع ذلك يظهر له المنافسة ويمنعه من مطالبه وبفض من اقدار أصحابه الواردين عليه في مهماته . وكان يكتب أباه ركن الدولة بمثل ذلك الظاهر الجميل الذي يجمع الشفقة عليه والمحاماة عنه وتقديته بنفسه ورجاله في نصرة ابن أخيه الذي هو ابن عمه وباطن رأيه ان ذلك الامر سيضطرب اضطرابا لا تبقى معه بقية الاستصلاحه لنفسه دون غيره (جواب عضد الدولة عن رسالته اليه)

قد كان حبس أباه ركن الدولة عن الحركة بنفسه وأطمعه في النيابة عنه وكفايته هذا الشغل فاجاب بختيار يشير عليه بان يقف حيث انتهى والا يزيد الامر فسادا ولا يبرح من واسط حتى يلحقه ويدبر نواحيه وأقبل يماطله بالمسير وزحف اليه الأتراك ومن انحاز اليهم من سائر أنواع الجند فحوصر وبلغ منه كل جهد . ولعمري لقد صبر لهم وطاولهم ولكن مصابة من تحتشمه عدوه ويبقى عليه وذلك أنه لما اشتد به الحصار وكان نازلا بين التخييل لا مجال لخيل الأتراك فيه وأصحابه ديلم ورجاله يستندون الى الخيل ويراوغون فيه ولا يخلو في خلال ذلك من مواقف يصل اليه فيها التركي المداخل المصالح فاذا علم انه قد تمكن منه عدوه يذكره بالله وبالنعمة^(٢١) وانه صنيعته وصنيعة أبيه ويخاطبه بما يرق له القلب وتستحي منه العين فينصرف عنه التركي بعد التمكن منه ويجب أن يجري قتله على يد غيره . فلم نزل هذه حالة من الصبر على الجوع والعري ونفاد السلاح والخوف من اقدام من لا يقبله ولا تحتشمه عليه ويكتب عمه وابن عمه . وعضد الدولة يتوقف ويعده بالمسير مدافعة الماطل المنتظر به الهلاك وركن الدولة يضحج من ذلك ويبعث ابنه

ويستبطئه الى ان لم يجد عضد الدواة من المسير بدا فصار من فارس وسار
أبو الفتح ابن العميد من الري وكانت عدة أبي الفتح الوزير التي استصحبها
يسيرة بالاضافة الى ما استظهر به عضد الدولة كثرة وقوة ومددا وذلك
انه بالغ جدا ولم تبق بقية في الاحتشاد ولم تكن صورته في ذلك صورة من
ينصر ابن عمه على طريق المعاونة والانجاد ثم الانصراف بل صورة من
يجاهد ويدافع ويقيم بمد الظفر . ولم تخف على الناس هذه الحال منه لكثرة
ما استصحبه من آلات خيم المقيم التي يريد ان يستقر بها ويتمكن في كل
بلد بالآلات المعدة لها من الفرش الكثير والزينة التامة التي لا يستعملها
المنوجه الى معاونة المنصرف بعد الفراغ من نصرة من توجه لنصرته .

فاما جواب أبي تغلب ابن حمدان عن رسالته ^(١٢٢) فانه أجاب بالمسارعة
والانعام وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الى تكريت في جمع
من جيشه فاقام بها مدة طويلة انتظاراً بما يكون من انحدار الاتراك عن بغداد
الى محاربة بختيار فيردها . ولما تمادى الامر وانحدر بعد ذلك سبكتكين كما
سنحكيه سار أبو تغلب يجمع جيشه الى مدينة السلام ليوجب على بختيار
الحجة فيما بذل له خطه من ابطال ما تقرر بالموصل وعمل ببغداد ما سنصفه
ان شاء الله

﴿ ذكر الرسائل التي ترددت بين سبكتكين وبختيار ﴾

ثم أن سبكتكين راسل بختيار : بانك قد جنيت على نفسك جناية
عظيمة بما ارتكبته ودبرته وان كل ما عمله وتصرف فيه خطأ وغلط وان
الامر الآن قد خرج عن اليد فافرج لي عن واسط حتى تكون هي وبغداد
في يدي بازاء أموال الاتراك التي قد حصلت على وتكون البصرة والاهواز

ونواحيها في يدك بازاء أموال الديلم واجعل أمري وأمرك واحداً ولا تدخن
بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فليست من رجالها وأنا ناصح لك مشفق
عليك حافظ وصية مولاي فيك التي ما حفظت مثلها في^(١). فعرض بخيار هذه
الرسالة على الديلم فانكروها وأكبروها واستخفوا بقائلها والتحمل^(٢) لها
وردوه بالخيلة والمذبذبة فخد سبكتكين واستعد للحرب وقدم كتاباً من الخليفة
إلى بختيار ينذره فيه وأجيب عنه بما ليس هذا موضعه ووصل جواب هذا
الكتاب الى الطائع لله والى سبكتكين وقد انحدرنا عن بغداد وانتهينا الى
دير العاقول ومع وصوله توفي المطيع لله وكان انحدر مع ابنه الطائع لله
وحدث بسبكتكين علة الموت فمكث فيها بدير العاقول أربعة أيام وتوفي فحمل
الى مدينة السلام.

وتماسك الاتراك وثبتوا واجتمعوا على الفتكين مولي معز الدولة وكان
يتلو سبكتكين عند معز الدولة وله رياسة في الاتراك وحشمة قديمة^(١) ولقاء
في الحروب للاعداء فمقدوا له الرياسة عليهم وعمل على اتمام العزيمة في اللقاء
وكان عبر بختيار الى جانب واسط الغربي وأخلى الشرقي وجمع السفن
والزواريق اليه ولم يترك من آلات الماء شيئاً في الجانب الشرقي ونقل التناء
وطبقات الناس اليه وضرب مصافه في منازل واسط وعمل على المناجزة
الاتراك ولقائهم بالديلم اما المناجزة ان ثبتوا له واما مصابرة الي أن يأتيه
الغوث من الري وشيراز وكان استبشر بما اتفق على الاتراك من موت
زعيمهم وقدر انهم يضطربون وينتشر أمرهم ثم عرف انتظام أمرهم فتوقف^(٢)
عن الاصعاد . واجتمع الاتراك وزحفوا وعقدوا جسراً بسفن كانت معهم

من بغداد وكانت معهم أيضا زبازب كثيرة وجيش للماء وعلي مقدمتهم حمدان ابن ناصر الدولة فاستأمن حمدان الى بختيار بكل من معه وعبر من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فأكرمه بختيار ووصله

﴿ ذكر السبب في تسيرهم حمدان مقدمة والسبب ﴾

﴿ فى استئمانه الى بختيار ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة ببغداد عند حدوث هذه الفتنة فدعاه سبكتكين الى طاعته فاجابه وأخذ عليه العهود والمواثيق بالنصيحة والمواالة وانما سكن اليه للمداوة التى بينه وبين أبى تغلب ولان أبى تغلب حافظ على مودة بختيار وواصله ونصره وظاهره فانفذه سبكتكين على مقدمته . فلما توفي سبكتكين كتب اليه الفتكين يعرفه وفاته وانتصابه فى موضعه ويستدعيه اليه ليستأنفا ايقاع التدبير ويتفقا على المسير . فاعتقد حمدان حين وقف على هذا الكتاب أن أمر الاتراك قد اختل نظامه بوفاة سبكتكين وعزم على المصير الى بختيار وكان عرف أيضا مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة فانفذ كتاب الفتكين الوارد عليه الى بختيار وأعلمه انه سيعود الى الفتكين ثم ينعادر اليه واشترط شروطا واقترح اقتراحات . فورد ذلك على بختيار وقد عبر الى الجانب الغربى ولما اجتمع حمدان مع الفتكين رده^(٢٢٥) على مقدمته كما كان فى أيام سبكتكين . فوافى بمن معه من غلمان وأسبابه وعبر مستأمنًا الى بختيار فتلقاه وأكرمه وحمل اليه مالا كثيرا وثيابا فاخرة وعدة وافرة من الخيل والمراكب والبغال والجمال . وضعفت نفوس الاتراك فتوقفوا يوما ثم زحفوا بأسرهم ونزلوا على دون الفرسخ من واسط وعبروا

على جسرهم وتقدموا الى مصاف بجختيار فكانوا يواقعونه بنواب وواصل ذلك نحو خمسين يوما . وتجاسر العوام من الجانبين على استعمال المشاة الفاحشة والمساباة المذعة واتفق على حمدان انه حمل على الاتراك في بعض هذه الايام فرموه ووقع بعض سهامهم في صماخ فرسه فرمى به ونهض ليركب غيره وعليه الحديد فلم يتمكن من ذلك وعرفه الاتراك فاكبوا عليه بالدبابيس حتي انخنوه وكاد يلف ثم اخذوه أسيرا لافضل فيه فعولج وبرأ الا انه لحقه عرج ظاهر من وركه الايمن وبقي على ذلك بقية عمره ثم من عليه الفتكين وأطلقه وأخذ منه رهينة وأعادته الى حاله فشهد معه الحرب يوم دياي الي ان انهزم الاتراك وانحاز الى عضد الدولة

ولم تزل الحرب بين الديلم والاتراك متصلة بواسطة والاستظهار للاتراك^(١٢٦) وأشرف الديلم على الانكسار والهرب دفعات وقتل من الديلم خلق كثير لنقصان جنهم واستظهار الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد على بجختيار الحصار وأحرق به وصار في مثل كفة الحابل وأحاط به الاتراك من كل وجه وكانت صورته كما ذكرت فيما تقدم . واتصلت كتبه الى أبي تغلب يسأله الانحذار والى عضد الدولة يسأله اللحاق ويُلّمه ان مملكته قد خرجت من يده وانه أحق بها ممن غلب عليها حتى انه كتب اليه في بعض كتبه البيت الذي كتب به عثمان الي أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه :^(١)

فان كنت مأكولا فكن خيرا كل والا فادركني ولما أمزق
نأما أبو تغلب فسار بجميع عسكره بعد ان كان قدّم أخاه الحسين كما

كتبنا خبره فيما تقدم وصار الى مدينة السلام فالفها مفتنة بالعارين^(١)
فقمعهم وقتل جماعة منهم وحمل من بغداد الى الموصل أشياء كثيرة ظفر بها
من آلات فاخرة وأنقاض جليلة وذخائر وودائع
وأما عضد الدولة فإنه سار بعد ما ذكرته من التوقف والابطاء واجتمع
مع أبي الفتح ابن العميد بالاهواز

﴿ ذكر السبب في رجوع الفتيكين الى بغداد ﴾

﴿ وهرب أبي تغلب عنها الى الموصل ﴾

لما سمع الفتيكين بخبر عضد الدولة وحصوله بالاهواز نخب قلبه

(١) وفي تاريخ الاسلام انه في المحرم أوقع العيارون حريقا بالحشايين مبدأه من
باب الشمير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثير واستفحل أمر العيارين ببغداد
حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور وأخذوا الحفارة من الاسواق
والدروب . قال صاحب التكملة : وذكر أبو حيان في كتاب الامتاع والموااسنة قال :
حصل ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء ان يصل الى السكرخ وكان فيهم قائد يعرف
بالاسود الرند لانه كان يابى قطرة الرند ويستطعم من حضر وهو غريان لا يتواري
فلما فشا الهرج رأى هذا الاسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف فطلب الاسود سيفاً
ونهب وأغار وظهر منه شيطان في مسك انسان وصبح وجهه وعذب لفظه وحسن
جسمه وأطاعه رجال فصار جانبه لا يرام وحريمه لا يضام وظهر من حسن خاقه مع شره
واعنته وسفكه الدم وهتكه الحرم وركوبه القواحش وتمرده على ربه القاهر ومالهكه
القادر انه اشترى جارية بالف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فزمته فقال :
ماتكرهين مني . فقالت : أكرهك كما أنت . فقال : مانحبين . قالت : ان تبغني . قال :
أو أقبل معك خيرا من ذلك . وحملاها الى مسجد ابن رغبان فاعتقها بين يدي القاضي
ووهب لها الف دينار . فعجب الناس من نفسه وحمته وسماحته وصبره على خلافها
وترك مكافاتها على كراهتها . ثم صار في جانب أبي أحمد الموسوي خماه وسيره الى
الشام فهلاك بها .

ورأى ان يحصل ببغداد ويجعلها^(٤٢٧) وراء ظهره وتكون حربه على دياي . قال صاحب هذا الكتاب : كنت في جملة السائرين من الرى في صحبة أبي الفتح ابن العميد وما كان اشفاقنا ولا حذرنا كله الا من سبق الاتراك ايانا الى أسفل واسط الى الموضع المعروف ببازيين وان يجعلوا النهر وراءهم مع المدينة والميرة وان يتركونا حتى نقطع اليهم مفازة بنج وبنج ونلقاهم على اعياء وكلال وليس وراءنا عمارة ولا نجد ما نزل عليه فان طاولونا أياما كان الهلاك وان ناجزونا حين ورودنا كانوا جامئين مستريحين ونحن على حال تعب وضعف وكنا من كثرة العدد على ما وصفت فيما تقدم . فلم يوفق الاتراك لذلك وانصرفوا الى بغداد ورأوا من الصواب لهم ان يملكوا بغداد ويجعلوها وراء ظهورهم وتكون حربهم على دياي فكانت الخيرة لنا فيه ودخلنا واسطاً بغير مانع . وقد كان بختيار واخواه ومحمد بن بقیة تلقوا عضد الدولة لما انصرف الاتراك عنهم وترجلوا له وأعظموه كما يستحق وسار عضد الدولة في الجانب الشرقى وتقدم الى بختيار ان يسير بازائه من الغربي ممتدين الى بغداد

فاما الفتكين فانه لما توسط في مسيره الى بغداد أنفذ سرية في أربعائة غلام من الاتراك لكبس أبي تغلب فارهقوه وشغب مع ذلك جنده عليه فهرب^(٤٢٨) الى الموصل هرباً قبيحاً وتقطع عسكره . وحصل الفتكين ببغداد في حصار شديد قد أحقت به الخيول من كل وجه وذلك ان بختيار كاتب ضبة بن محمد الاسدي وهو رجل من أهل عين التمر كثير العشائر وقد جرت عادته بالتبسط بان يشن الغارات على أطراف بغداد ويمنع من جلب الميرة اليها ففعل ووجد الطريق الى بغيته فذهب السواد وقطع السبل . ثم أنفذ

في الجانب الشرقى ابن أخ لمحمد بن بقية وزيره يعرف بابى الحمراء وهو لقب غلب عليه مع طائفة من بنى شيخان ليتطرف بغداد ويحاصرها من ذلك الوجه وكانت خيول عضد الدولة والري وبختيار متوجهين اليه سائرين لحروبه وكان أبو تغلب من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ اليه سراياه ورجاله فاشتد الحصار به وعزّت الميرة وانحسرت موادّها ونارت الرعية فهبت الموجود في المدينة وامتنع الناس بالفتنة ان يتسوقوا أو يتعيشوا وأعيت الفتكين الحيلة في التماس ما يحتاج اليه وصار يتتبّع المواطن التي يظن فيها قوتاً أو بذراً أو عدة يتناول ذلك حتى انتهى به الامر الى ان ركب بنفسه الى منزل بعض الاشراف فكبسه وأخذ مافيه

وسار عضد الدولة كما حكينا في الجانب الشرقى وبختيار بازائه في الغربى فلما صار بدير^(١٢٩) العاقول عبىّ عسكريه تعبئة اللقاء وجعل موكب خاصته في القلب وفي ميمنته أبا الفتح ابن العميد وجيش الري وفي ميسرته أبا اسحق ابراهيم بن معز الدولة ومحمد بن بقية وطائفة من عسكري بختيار ونزل المدائن على هذه الحالة من الترتيب . وورد خبر الفتكين بأنه برز الى دىالى ونزل عليه مستعداً للحرب وعقد عليه جسوراً ليعبر عليها واعتقد ان يلتقى العساكر في فضاء بين دىالى والمدائن وظن انه يتمكن بالجولان فيه مما يريد وذلك في^(١) سنة أربع وستين وثلاثمائة ١٠٠٠

(١) زاد صاحب التكملة . طوبأ أبو محمد ابن معروف ان يستحل يسيم دار ولد أبى الحسن محمد بن أبى عمرو الشربانى حاجب الخليفة وكان أبوه قد مات والبائع لها وكيل نصبه المطيع لله فامتنع وأغلق بابه واستعفى من القضاء (وفي تاريخ الاسلام انه عزل بحكومة ابغى فيها وجهه الله) فقد مكّنه القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شيخان الهاشمي بعد ان امتنع وأجاب على أن لا يقبل رزقا ولا خالعة ولا شفاعة وان يدفع

وعبر الفتكين تلك الجسور ولم يقيم في الظن انه يعبر دياالى ولا انه يترك التحصن به والقتال من ورائه فسار عضد الدولة على تعبئة وهيئة حتى انتهى الى قرية هناك وتراءت مواكب التمكنين وقد عبأها كراديس واعترض نهر صغير في هذه القرية فوقع التشاغل به الى ان عبرته العساكر وصاروا مع تلك الكراديس في أرض واحدة

﴿ ذكر عجلة وقعت وحرص ظهر من جيش ﴾

﴿ بختيار الذين كانوا في ميسرة عضد الدولة ﴾

(فكانوا يكسرون العسكر)

تقدم الجيش البختيارى المرتب في الميسرة مع أبى اسحق وابن بقية زحفا بغير أمر وفارق المصاف وخرج عن النظام حرصا على اظهار فضل وغناه وتشوقا الى اللقاء فراسلهم عضد^(٤٣٠) الدولة ونهاهم فلم ينتهوا على ما اعتادوه من الاستبداد حتى لججوا واستجروهم الاتراك حتى صاروا بانبعد من العسكر فعطف الاتراك عليهم وقتلوا خلقا منهم وتابعوا الحملات عليهم وأكثروا النكابة فيهم حينئذ عرفوا الخطأ الذى ركبهه وأنفذ عضد الدولة طائفة من الرجال اليهم فلم يغنوا عنهم وحصلوا في مثل حالهم فلما رأى ذلك زحف على نظامه وهيأته حتى اتصلوا بهم بعد ان أشرفوا على الهلاك فلما

الى كانه من بيت مال السلطان ثلثمائة درهم (فى كل شهر) ولحاجبه مائة وخمسون درهما وللقاضي فى القروض على بابه مائة درهم ولخازن ديوانه وأعوانه ستمائة درهم وان يصل اليهم ذلك من الخزانة فأجيب وركب معه ابن بقية والوجوه وتسلم عهده بمحضرة المطيع لله فتولى انشاءه أبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى صاحب ديوان الرسائل يومئذ وقرىء عهده فى جامع المدينة . وفى سنة ٦٤٠ أعيد ابن معروف الى قضاء القضاة وصرف ابن أم شيان

قرب من جرة القوم ومجتمعهم حمل عليهم فلم يثبتوا واستأمن بعضهم وحكم
السيف في الباقي فقتل خلق منهم وأجأتهم الهزيمة الى تلك الجسور التي
عقدوها على دياي فازدحموا عليها وأرهقهم الامر فهلك منهم ومن العيارين
الذين وازروهم بالقتل والفرق خلق كثير وركب عسكر عضد الدولة
أكتافهم وعبروا تلك الجسور على آثارهم فاستباحوا عسكرهم وسوادهم
وألقوا النار في خيمهم وخركاهاهم وأدركهم الليل فبات هؤلاء وهرب
أولئك لا يلوي أحدهم على صاحبه .

وأنفذ عضد الدولة في ساعة الفتح بشيرا الى بختيار وذلك يوم السبت
لاربعة عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٦٤ وأقام على ظاهر^(٤٣١)
المدينة الى ان عرف خبر الاتراك ثم دخل المدينة في أحسن زى وعدة
وطواه متجاوزا الى باب الشماسية وبختيار يسير بازائه ويعسكر بحياه وأقام
بموضعه الى ان بعد الاتراك وورد عليه خبرهم من تكريت وانهم وصلوا
اليها على حال قبيحة من التقطع والتمزق واختلاف الكلمة فحينئذ انثنى الى
النزول في داره . واشتغل قلبه بالطائع لله وحصوله مع الاتراك وتصرفه على
ما يحبون والتنقل معهم فبث اليه رساله وقد كان راسله قبل ذلك ولم يزل معه
بالتلطف والرفق حتى رده الى دار الخلافة وموطن الاثمة .

﴿ ذكر ما جرى بين بختيار وبين جيشه وما كان ﴾

﴿ من اعتزله اياهم وما كان من انكار ركن ﴾

﴿ الدولة لذلك وما تم من الحيلة عليه من ﴾

﴿ انتفاضه وعوده الى منزلته وحاته ﴾

لما تم هذا الفتح اعضد الدولة لم يشك أحد ممن دنا وبعده في انه

يستولي على هذه المملكة ويضيفها الى مملكته لضعف بختيار عنها واشتغاله بضروب اللهو واللعب وتجاسر الديلم والأتراك عليه فقكر في حديث الناس وعلم ان أباه ركن الدولة لا يصبر على ذلك ولا يحتمله له . فاتخذ دعوة دعا اليها بختيار واخوته ومحمد بن بقية وسائر عسكر بغداد وخلع عليهم ضروب الخلع على مقدار مراتبهم وجعل ذلك كالوداع وأظهر^(٣٢) الرحيل الى فارس وأمر بأعداد الميرة في المنازل . ووافق في السر رؤساء الجند ان يشوروا بختيار ويشغبوا عليه ويطالبوه بان يطلق أموالهم ويغير أحوالهم ويحسن مجازاتهم عن صبرهم عليه وثباتهم معه وبذلهم الانفس في محاربة الأتراك دونه ففعلوا ذلك وبانغوا في الشغب والاقتراحات وبختيار صفر اليد لا يملك ذخيرة ولا تصل يده مع خراب النواحي واتصال الفتن الى درهم واحد . فراسله عضد الدولة سرا ووافقه على مقابلتهم بالتشدد والغلظة والصدق عن الحال وانه لا يعدم بما لا يقدر عليه وان يفصح لهم بالاستعفاء عن الرياسة وانه قد بريء اليهم منها ووعدده أن يتوسط حينئذ بينهم ويقرره على ما يحب . فلم يجد بختيار عدولا عن ذلك ولا عرف وجه حيلة سوي ما أشار به عليه فبادر اليه واستغفاه من رياسته وأغلق أبوابه وصرف كتابه وأسبابه وراسله في الظاهر بمقاربة القوم وتديبرهم فاجابه : باني لست أميرا عليهم ولا معاملة بيني وبينهم فلينظروا لانفسهم وليعقدوا لمن شاءوا . واتصلت هذه الرسائل ثلاثة أيام والشغب يزيد الى أن اعلنوا بالقيح وكادوا يزحفون اليه ويأتون عليه فاستعاذ بعضد الدولة وطلب منه ما كان وعده به^(٣٣) من التوسط فراسلهم عضد الدولة بما سكن منهم وأمرهم بالتفرق ووعددهم بالنظر في أمرهم . ثم استدعى بختيار الى داره وقد كان خائفا مرعوبا واستدعى أخويه

على طريق الاشفاق عليهم والحذر من أن ينصبوا أحدهما علماً للفتنة فيفتحوا به باباً الى الفرقة وراسلها بمختيار أيضاً بمثل ذلك حتى حضر جميعاً . ثم جمع الرجال وجماعة الجند وأعلمهم أن استيفاء بمختيار من النظر واعتزاله اياهم وافق محبة منه للنظر في أمورهم وضمهم الى نفسه وأنه يخطبهم بعسكره ويشملهم باحسانه وأنه المتولى للامر وان بمختيار انما كان خليفة له ولركن الدولة وأنه الآن قد استعفى فاعفى وبرى فأبرى فسكنوا وتفرقوا ووثقوا بوفائه وأنه من وراء ذلك . وأمر باستظهار على بمختيار وأخويه ووكل بهم ثقاته وذلك يوم الجمعة لاربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٤ وجمع بينهم وبين الوالدة

فاما الخليفة الطائع لله فانه كان نافراً من بمختيار للحروب التي جرت بينه وبينه ولان انتصابه في الخلافة جرى على يد غيره في غير أيامه وسكن الى عضد الدولة وذلماؤه . فلما اتصل به ما اختاره بمختيار لنفسه من الخلم سكنت نفسه وهو حينئذ مع الاتراك وعند المفتكين بتكريت^(١٣٤) فجرت بينه وبينهم مناظرات في الرجوع الى بغداد فسأله الامتداد معهم الى الشام فلم يمكن ذلك لان القوم منهزمون وعلى حال اضطراب فوعدهم من نفسه اذا ثبتت أقدامهم وكان له قوة وفيهم منعة أن يحتمل لهم ويعود اليهم أو يدبر لهم في الاجتماع معهم فاتفقوا على ذلك . وانكفاً الطائم لله الى داره ورحل الاتراك الى الشام^(١٣٥)

وتقدم عضد الدولة بعمارة دار الخلافة وتطريتها وتجديد فرشها وآلاتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والنظم في ذلك مالا جليلاً وأخرج الجيش اليه

متلقين واستقبله بنفسه يوم الخميس لثمان خلون من رجب سنة ٦٤ وكان أول اجتماعهما وانحدر معه في حديديّ كان أنفذه اليه ودخلا بغداد . وكان طرح لعضد الدولة بين يديه كرسىّ وقد كان قبّل عضد الدولة الارض له وجلس على الكرسىّ وأطافت بهما الزبازب والطيارات في الماء وسار الجيش على شاطئ دجلة ودخل الخليفة داره واستقر على سريريه . وأنفذ عضد الدولة الى خزائنه مالا كثيرا وثيابا وفرشا جليلا من جميع الاصناف وعدة من الخيل والمراكب والرقيق والآلات وقرّر يده في ضياع الخدمة المرسومة بالخلفاء وقد كانت متشذبة قد تحيفها أسباب^(٣٥) معز الدولة ثم أسباب بختيار فمنهم من تغاب على حدودها ومنهم من استقطع الخليفة بعضها ومنهم من ضمن منها ما لم ينصفه من نفسه فيه ولم يسهل اخراج يده عنه فردّ عضد الدولة ذلك كله الى حقه . فامر الطائع لله بإنشاء الكتب عنه الى النواحي باستقامة أحوال السلطان وتعفى آثار الفتنة وتآلف الشمل وكتبت وقرئت في الممالك كلها

﴿ خبر عصيان المرزبان ابن بختيار بالبصرة ﴾

﴿ وعصيان ابن بقية بواسط ﴾

أما المرزبان فان عضد الدولة سام بختيار ان يكتبه بالاصعاد وكان متوليا البصرة ليرضى بما رضى به أبوه من خلوة الذرع من تدبير الجند والرعية فكتاب وانفذ كتابه على يد ثقة من ثنائه يعرف بعلى بن محمد الجوهرى وكان صحبه من شيراز ووصاه بموافقة محمد بن دربند وكان اسفهلار جيش البصرة وهو قريب للحسين بن ابراهيم وهو متقدم في جيش عضد الدولة . ولم تقع في نفس أحد أن المرزبان يتمتع ويحدث نفسه بالعصيان لصباه وصغر سنه ولأن

جيشه من الديلم وهذا المدبر للجيش الذي ذكرناه يهوى هوى عضد الدولة ويرى رأيه . فلقى على بن محمد الجوهري في طريقه صاحب دواة لعز الدولة بختيار يقال له عيسى بن الفضل الطبري قد كان اصعد عن البصرة فمرّفه الصورة واستعمل في اخراج هذا الحديث اليه غير الحزم والصواب (٤٣٦) فثنى وجهه عائداً اليه الي البصرة وسبق الي المرزبان بالخبر فاشعره الوحشة واعلمه أن أتاه مكرهة ولقنه العصيان . فلما ورد الجوهري على أثره البصرة بدأ بمحمد بن دربند وأوصل ما كان معه من الكتب اليه فصار به وبها الي المرزبان وعندهما انه غافل فوجده مستعداً للخلاف وقبض عليهما جميعاً وأظهر الخلاف وكاتب ركن الدولة بالبكاء والنوح وأعلمه ما جري على أيه بختيار وعمومته وان جميع ما يكاتب من جهة عضد الدولة ووزيره أبي الفتح ابن العميد عن بختيار انما هو تمويه وان الحيلة استمرت وتمت لهما على القبض على أيه وانه امتنع ثقة بتداركه اياه ومعه وأنفذ قاصدين عدة بكتب متوالية

وكان لمحمد بن بقية خليفة بالاهواز من جنسه في الانسلاخ من صناعة الكتابة [ومن كل فضيلة] يقال له محمد بن عبدان الاهوازي فلما بلغه ماجرى احتوى على ما قدر عليه من المال وأثبت عدة من الرجال وصار الي البصرة داخلا في سوار أهل العصبية فغلب على المرزبان وشحذ بصيرته في العصيان ودخل في وزارته ووعد الكفاية . وأما محمد بن بقية فقد ذكرنا حاله في البعد من كل فضيلة وكان يتموه أمره في أيام بختيار فاما في دولة عضد الدولة فما كان أبعد من أن يكون عريفاً من عرفاء الرجاله ببابه فضلاً عن ان يختلط بوزرائه وكتابه ولكن أظهر مساعدة كثيرة (٤٣٧) لعضد

الدولة فيما كان يدبره وخدمة فيما كان يراه وانما فعل ذلك حذرا على نفسه وخوفا ان يرد الي مرتبته وعلمًا بان بختيار ان عادت يده في التدبير قبض عليه وطمع فيه وعامله بما عامل به وزراءه الكفاة عند حاجته الى المال وكره عضد الدولة ان يخلطه بوزرائه الكفاة مثل نصر بن هرون وكان معه في هذه الوقعة وهو شيخ الكتاب قد سُلِّم له صناعة الحساب خاصة فينسبه الناس الى قلة المعرفة بالرجال ونقصان الرعاية لاهل السابقة والتقدم في الكفاية وكره أيضا ان يصرفه صرفا قاطعا فيكون قد خيَّب ظنه وأكذب تأمليه فاستوزره لابنه أبي الحسين ابن عضد الدولة وعرض عليه ما يشاء ان يتقلده من الاعمال فاختر واسطا وتكرت وعكبرا واوانا وقاطع على هذه الاعمال ووفر على ما كان العمال يدخلون فيه زيادة عظيمة فأمر عضد الدولة ان يعقد عليه جميع ذلك . واقتراح ابن بنية اقرار اللقب والتكنية السلطانية ولباس القباء عليه فأجيب الي ذلك وخلع عليه خلعا نفيسة وحمل على دواب بمراكب ذهب وأقطع خمسمائة ألف درهم ورسم له حضور مجالس المؤانسة والمنادمة ولم ينقصه من جميع عاداته الا اسم الوزارة لانه بالحقيقة لم يكن يتولاها على رسوم الوزراء فيخاطب بها فظهر سرورا عظيما وشكرا كثيرا ودعاء متصلا وكل ذلك على ذحل^(٤٣٨) وغل قد أضمره وانحدر الي واسط .

وقد كان عمران صاحب البطائح مستوحشا فاحب ان يتماق مع تجدد ملك عضد الدولة بدمام فانفذ كاتبه ياتمس عهدا ومنشورا وعقدا وتقريرا فأجيب الي ذلك . والتمس أبو تغلب ابن حمدان صاحب الموصل مثل ذلك وضمن حمل المال الذي كان يحمله قديما الى بختيار فاجابه عضد الدولة الى

ماسأل وأعفاه من حمل المال لمكتابة قديمة كانت بينهما ومودة سالفة . وعقدت أعمال الاهواز على سهل بن بشر النصراني وخلع عليه ف شخص اليها وكان محبوبا في يد بختيار وقد جازفه وصادره . وقرت أعمال السواد على العمال ودبر الامور كلها أبو منصور نصر بن هرون .

ولم يبق في نفس عضد الدولة شيء يتعلق به نفسه الا انتزاع البصرة من يد المرزبان فلما حصل ابن بقية بواسط خلع الطاعة وأظهر الخلاف وقبض على من ضم اليه من القواد وأظهر انه امتعض لصاحبه بختيار وكان هو المشير بجميع ما جرى متابعة لرأي عضد الدولة . ثم كاتب عمران بن شاهين يستدعي منه المعاودة ويحذره تدابير عضد الدولة وانه ليس ممن يصبر له على محاورته بتلك الحال فاجابه عمران الى ما سأل . وكاتب المرزبان ابن بختيار يلتمس منه ان يمهده بالرجال والمال والسلاح فلم يجد عنده ما يحب لتهمة بالانحراف عنه وعن أبيه ^(٣٩) وعلم انه يريد ان يقيم سوقا لنفسه واحجم ابن بقية عن المصير اليه لتقلد الاهوازي وزارته فبني أمره على انه متى وقع الطلب له هرب الى عمران وقصد أعمال نهر الفضل فيتغلب عليها وكتب الى سهل بن بشر ما أغواه حتي استجاب له وسلمك سبيل ارادته . وقد كان عضد الدولة عزم على انقاذ عسكر الماء لفتح البصرة فلما عصي ابن بقية جعل همه كله واسطا فانفذ اليه عسكرا قويا فخرج اليه في آلات الماء فيمن أمد بهم عمران من رجاله

ووردت كتب ركن الدولة على المرزبان بان يماسك بالبصرة وشجه على مقاومة عضد الدولة ووعده بالمصير الى بغداد بنفسه لازعاجه وتمكين بختيار وكذلك فعل في مكتبة ابن بقية وأبي تغلب ابن حمدان فاضطربت هذه

النواحي على عضد الدولة وضاق به الامر وتجاسر عليه الاعداء من كل وجه وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق في يده الا قصبة بغداد وتجاسرت العامة عليه وأشرف على صورة قبيجة . فرأى ان ينفذ أبا الفتح ابن العميد الي أبيه ركن الدولة متحملاً^(١١١) رسالة عنه يصدقها فيها عما جرى ويُعلمه فيه بعده عن ممالكه وتضييعه الاموال التي أنفقها وانه قد خاطر مع ذلك بنفسه وجنده كما خاطر هو بوزيره وأكثر جنده وانه قد هذب مملكة العراق واستعاد الخلافة الى ممالكه وان يختار ليس ممن تستقر بنظره دولة ولا تعتدل على يده مملكة وانه ان خرج عن العراق على تلك الصورة لم يبعد ان تضطرب الممالك كلها ثم لا يمكن تلافيتها ويسأله المدد والامساك عن نصرة من تفسد على يده مملكته وممالكها وما وقال لابي الفتح ابن العميد انظر فان تيقظ للامر ونجم فيه هذا القول وأشباهه فاقصر عليه وان رأيته : مقيماً على رأيه فزد في الرسالة وقل له : اني أقاطمك على أعمال العراق وأحمل اليك عنها ثلاثين الف الف درهم وانت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال ان عادت اليك وأنا أعجل لك من جعلها عشرة آلاف الف درهم وأبعت بخيار وأخوته اليك لتجعلهم بالخيار فان شاءوا أقاموا في أوساط ممالكك ومكنتهم من أي البلدان اختاروه وان شاءوا أن يصيروا الى فارس فيختاروا من أعمالها أي البلدان أحبوه الى ذلك ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم في أوساط ممالكنا . ولم تترك في هذه الديار التي استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته^(١١٢) فيها وان الخلافة تخرج عن يده وأيدنا وهو يضعف عن سياسة جنده ويعتمد في التدبير على الجبايات والمصادرات وتمكين من يرتفع له في الوقت على يده مالا يقع موقماً من حاجته ثم يضطر الى نكبته

واعتماد غيره على أن هذا الباب أيضا قد انسد ولم يبق فيه بقية مما عمله قديما وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استعفى من الامر . وان أحييت أن تحضر بنفسك العراق لتسلي التديير وتكون سائس الخلافة وبيت الملك ووليت الامر وترد بختيار الي الرئى فانصرف الى فارس كان ذلك وجهها من الرأى صحيحاً . وقال لابن العميد : وينبغي أن تتبسط في هذا المعنى فانك تجد فيه مقالا واسعا فان لان لك وعرف صواب قولك والآن فزد في الرسالة فصلا ثالثا تجبه به وهو : انك أيها الوالد السيد مقبول القول والرأى والحكم ولكن لاسبيل الى اطلاق القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم واظهار العداوة لهم فانهم لا يصلحون لى أبداً ولا تقي جيوبهم ولا تصح نيابتهم وسيقابلونى بغاية ما يقدرون عليه فيضطرب الجبل وتنتشر كلمة أهل هذا البيت أبداً . وان آيت أن تقبل أحدي الخصال التى عدتها لك وخيرتك فيها وحكمت بانصرافى على هذه الجملة فاني سأضرب أعناق هؤلاء^(١٢) الثلاثة الاخوة (يعني بختيار وأخويه) وأقبض على من اتهمه من حزبه وأخرج وأترك العراق شاغرة ليديرها من اتفقت له

فقال له أبو الفتح ابن العميد : هذه رسائل صعبة لا يمكننى أن اتلقى ركن الدولة بها وأنا صاحبه ومدير أمره فاني أعرف نصرته لمن ينصره من الغرباء وتصميمه عليه وبلوغه غاية جهده فيه فكيف ابني أخيه ! ولكن الصواب أن يتقدمنى اليه من يفرغ جميع ذلك فى أذنه من جهتك ثم اتلوه شافعاله ومتمما ومشيراً . فتقرر الامر على ذلك وتنفذ فيه من جهة عضد الدولة^(١١) ومن جهة أبى الفتح ابن العميد أبو العباس ابن بندار وكان الامير ركن

الدولة يأنس به قديماً فتوجهت الرسل وشخص ابن العميد على جازات عددها مائة يتلوها . فلما بلغ الرسولان الاولان الى ركن الدولة وشرعا في تأدية الرسالة وعرف الغرض الاخير منهما لم يمكنهما من اتمام الرسالة ووثب الى الحربة التي تلى مجلسه فتناولها وهزها وهرب الرسولان احضاراً من بين يديه .

فلما سكن غضبه استعادهما وقال : قولاً لفلان (يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه) خرجت الى نصرة ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيروزان وهو غريب مني مراراً كثيرة أخرج فيها كلها عن^(١٤٣) مالي واخطر بنفسي وأحارب وشمكير وصاحب خراسان حتى اذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها اليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فما فوته طلباً للذكر الجليل ومحافضة على الفتوة ؟ تريد ان تمنّ أنت على بدرهمين اتفقتهما على وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ممالكهم ! وخرج هؤلاء الرسل لا يملكون أرواحهم اشفاقاً مما رأوا منه ومما ظهر من غيظه وغضبه .

وبلغ ابن العميد الري وهو الوزير المقرب والامين المتمكن وعند نفسه أن صورته كما كانت فحجب عن دار الامارة ورُدَّ عنها أقبح ردّ وروسل : بانك خرجت من عندنا ناصراً لِبختيار ومدبراً عسكرياً وعسكر فناخسره حتى يستقيم أمر أولاد أخي ثم تأتي الآف في صورة قبح تتحمل رسالة فناخسره فيما يهواه حتى يكون مكان أخي وأولاده ويطمع مني في أن ارضى له في القبض عليهم وازالة نعمهم ويتهددني بالعصيان ! أما أنت فقد عرفت انك اخترته على وسوّلت لك نفسك ووزارة العراق ونزهة دجلة ! ارجع

اليه على حالك فوالله لا صلبن أمك وأهلك على باب دارك ولا يبدن عشيرتك
ومن يتصل بك عن وجه الارض ولا تركنك وذلك القاعل (يعنى ابنه)
تجهدان ثم لا أخرج اليكم الا بنفسى في ثلاثمائة جمارة لا يصحبنى الا من
عليها^(١١١) من الرجال ثم ابدتوا الى ان شئتم . وحلف ركن الدولة محدفة :
انى اذا بلغت بعض طريقى في قصدي اياكم لا يبقى معكم رجل واحد الا
تلقانى وحصل عندى وانه لا يتقرب بك وبعضد الدولة الا أخص أوليائكم
وأوثق عبيدكم فى انفسكم وانما أركك الآن وانت فى يدي لتعود الى
موضعك وتعيد رسالتى وكلامى وتنتظر صحة وعدى ووعدى . وأمر من
هذا الكلام ما هذا جملته وان كان اكثر من هذا وأشنع .

وكان ركن الدولة قبل هذه الحال وعند سماع حال أولاد أخيه من
القبض عليهم رمى بنفسه عن سريريه وأقبل يترغ ويذب ويمتنع من الاكل
والشرب أياما ومريض من ذلك مرضا لم يستقل منه باقى حياته وكان يقول :
انى أرى أخى معز الدولة متمثلا ازانى يعص على أنامله ويقول « يا أخى هكذا
ضمنت لى ان تخلفنى فى أهلى وولدى ! » وكان ركن الدولة يعز أخاه عزرا
شديدا فيراه بصورة الولد لانه رباه ومكنه مما تمكن منه .

وتوسط الناس بينه وبين أبى الفتح ابن العميد يشفعون له ويقولون
انه لم يرد فيما ظننته وانما احتال فى الخلاص من عضد الدولة بتحمل رسالته
وغرضه ان يجتمع معك لتدبير الامر بما تراه و [هو] يضمن ضمانا يدخل
فى تبعته انه يقرر الامر على رضائك بعد ان تسمع كلامه وتمضى له بما يعمل
به فى هواك . فأذن له^(١١٢) حينئذ وجرى بينهما خطاب طويل تقرر على
ان يعود ويفرج عن بختيار وأخوته ويقرر الملك فى أيديهم وينصرف كل

واحد من عسكر الري وعسكر فارس الى مركزه وموضعه على صورة جميلة وعلى أكثر مما يمكن ان يعمل من الحيلة في مثل هذه الحال فأذن له حينئذ ورجع الى عند عضد الدولة بخلاف ما خرج وخلا به وعرفه حقيقة الامر وانه ليس ممن يطمع في اصلاحه من جهة ركن الدولة فلما رأى عضد الدولة انخراق الامر عليه من كل وجه ونفذ ما صحبه من الاموال ولم يصل اليه شيء من ممالكه اضطر الى الخروج الى فارس والافراج عن بختيار وأخويه ففعل ذلك . وتوسط ابن العميد بينه وبين بختيار وخرج من دار عضد الدولة بعد ان خلع عليه وقبل بساطه وشرط عليه ان يخلفه في تلك الاعمال ويخطب له وخلع على أبي اسحق ابن معز الدولة على ان يلي أمر الجيش وذلك لما كان اعتقده الجند من ضعف بختيار وسوء تدبيره لهم وزوال هيئته مرة بعد أخرى عن قلوبهم فلما خرجوا من داره وأصعدوا الى منازلهم في طياره خلعوا الطاعة من غير انتظار ساعة . واجتمع الى بختيار جيشه وعوام البلد والعيارون وأثاروا الفتنة وارتفع عياطهم وصياحهم وقد كان عضد الدولة (حفظ) عليهم خزائهم وجميع ما وجد^(١١٣) لهم من الدواب والاثاث فما شذ منها شيء حتى تسلموها كهيئتها يوم فارقوها . وبرز عضد الدولة يوم الجمعة لخمس ليال خلون من شوال سنة ٣٦٤ عن مدينة السلام قاصداً أعماله بفارس ووافق ابن العميد على المسير في أثره والا يقيم ببغداد بعده أكثر من ثلاثة أيام .

﴿ ذكر ما جناه أبو الفتح ابن العميد على نفسه وميله ﴾

(الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره الى الهلاك)

لما خرج عضد الدولة الى فارس طابت بغداد لابي الفتح ابن العميد

وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهو له ولعبه ووجد خلوة ذرع من أشغاله وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناء محسنات وتمكن من اللذات . وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه ^(١) وانه خلاصه من مخالب السبع بعد أن اقترسه وان سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذي رد عليه روحه وملكه قبضه وعرض عليه وزارته وتمكينه من مملكته على رسمه والا يمارضه في شيء يدبره ويراه فلم يجبه الى ذلك وقال : لي والدة وأهل وولد ونعمة قد رببت منذ خمسين سنة وهي كلها في يد ركن الدولة ولا يستطيع مفارقتها ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفته ولا يتم أيضا لك ذلك مع ما عاملك به من الجميل ولكني ^(٢) أعاهدك اذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه أن أصير اليك مع قطعة عظيمة من عسكره فانهم لا يخالفوني وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أو غدا وليس يتأخر أمره . واستقر بينهما ذلك سرا لا يطلع عليه إلا محمد بن عمر العلوي فانه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لاحد حتى حدثني به محمد بن

(١) زاد صاحب ارشاد الارب ٥ : ٣٧٣ : لانه كان قد جرد الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن انشبت فيها المخالفة وتملكها وقبض على بختيار واستظهر عليه فخلصه واعاد ملكه عليه وصرف عضد الدولة عن بغداد فكان يراه بختيار بصورة من خلاصه من مخالب الاسد بعد الح

وقال صاحب التكملة : ورد ابن بقية بغداد في ذي القعدة وملا عين ابن العميد بالهدايا وقال في بعض الايام : لا بد أن أخلع عليه . فلما أكل وقعدا على الشرب أخذ ابن بقية بيده فرجبه ورداه في غاية الحسن والجلالة ووافي بها الى ابن العميد وقال : صرت يا استاذ جامدارك فانظر هل ترضيني لخدمتك . فطرح الفرجة عليه فاخذ الرداء منه ولبسه

عمر بعد هلاك أبي الفتح ابن العميد . واسكن الغلط القبيح من أبي الفتح
كان أنه أقام مدة طويلة ببغداد وطمع في أملاك اقتناها هناك واقتطاعات
حصنها وأصول أصلها على العود إليها . ثم التمس لقبا من السلطات وخلصا
وأحوالا لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض أولاد
التناء بشيراز يعرف بابي الحسين ابن أبي شجاع الارجاني من غير اختبار
له ولا خلطة قديمة تكشف له أمره فلما خرج كانت تلك الاسرار التي بينه
وبين بختيار والتراجم بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها ويهدي الى عضد
الدولة جميعها ويتقرب اليه بها . فلما عرف عضد الدولة حقيقة الامر ومخالفة
أبي الفتح ابن العميد له ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع الملقب السلطاني
الذي حصاه وهو ذو الكفائتين ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية في
هذه الخلع عرف مكاشفته اياه بالعداوة ^(٣١٨) وكنتم ذلك في نفسه الى أن
تمكن منه فأهلكه كما سنذكره في موضعه ان شاء الله

﴿ ذكر ما جري عليه أمر ابن بقية ﴾

كان محمد ابن بقية مستوحشا من بختيار لما يعرف من سوء معتقده
له فتوقف بواسط وترددت بينهما كتب ورسائل على يد أبي الحسن محمد
ابن عمر العلوي وأبي نصر ابن السراج فاستحلقا كل واحد منهما صاحبه
فاصعد حينئذ وامتتن على بختيار بانه انما استعصى على عضد الدولة بسببه ومن
أجله فقبل منه وزاد في اكرامه وتجددت بين ابن بقية وبين أبي الفتح ابن
العميد مودة ومعاودة .

وفي هذه السنة لقب أبو الحسن علي بن ركن الدولة نضر الدولة ولقب
المرزبان بن بختيار اعزاز الدولة ولقب عمران بن شاهين معين الدولة ولقب

محمد بن بقية نصير الدولة مضافاً الى لقبه الاول ولقب أبو الفتح ابن العميد
ذا الكنايتين وخلع على من حضر من هؤلاء من جهة أمير المؤمنين وأنفذت
الخلع الى من غاب .

وبني محمد بن بقية أمره على تمكين الوحشة وتوكيد العداوة بين بختيار
وبين ابن عمه عضد الدولة وأكثر من التسوق والتنفق والبذخ والتبجح
وأطلق لسانه اطلاقاً من لا يترك للصالح موضعاً ونارت الفتن بين العامة
وزالت السياسة التي أسسها عضد الدولة من قمع العيارين وظفر ابن بقية
بالمعروف بابن [أبي عقيل صاحب الشرطة الذي كان من قبل سبكتكين
(١)] وكان من أهل السنة وقد قتل طائفة من أهل الشيعة فامر بقتله فقتل
في وسط الكرخ بين العامة فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف
التجار على أنفسهم وأموالهم . وأخذ ابن بقية في خدمة الطائع لله ومناصحته
وعقد مصاهرة بينه وبين بختيار (٢)

وتجددت لبختيارية في الخروج الى الكوفة على أن الظاهر فيه زيارة
المشهد بالغري والباطن التصيد فشخص اليها وصحبه الحسين بن موسى النقيب
ومحمد بن عمر العلوي وأقام محمد بن بقية ببغداد وقد كان تنكر لمحمد بن عمر
وقبض عليه لينكبه فلم يطلق ذلك بختيار ولم يتركه في يده الا ساعة من النهار
حتى انزعجه منه فلما دخل الكوفة نزل على محمد بن عمر وفي ضيافته خدمه

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة بختيار انه تزوج الخليفة الطائع بابنته شاهناز
على مائة الف دينار وخطب وقت العقد القاضي أبو بكر بن قريمة وذلك سنة ٦٤ .
والقاضي هو محمد بن عبد الرحمن البغدادي ولاء القاضي أبو السائب قضاء السندية وغيرها
من اعمال بغداد وكان مختصاً بالوزير أبي محمد المهلب توفي سنة ٣٦٧

ولاطفه وجرت بينهما مؤانسات وخلوات واتصل ذلك بمحمد بن بقية وقيل له « قد سعى بك ووافق بختيار على نكبتك » فاستوحش ابن بقية واستعد للانحدار الى واسط على سبيل المقاطعة والمخالفة وساعده على ذلك بعض الجند فشرعت والدة بختيار في اصلاح الحال وكتب بختيار بالصورة فثني وجهه مبادراً الى بغداد وقدم أمامه كتبه ورسائله مع الحسين بن موسى الموسوي بالتلافي وانكار كل شيء بلغه عنه واخذ لكل واحد منهما على صاحبه يمينا على التصافي والتراضي فخرج حينئذ محمد بن بقية متلقياً له مائدا الى طاعته .

وانصل^(٤٥٠) بمحمد بن بقية وبختيار أن عضد الدولة يريد العود الى العراق فخرج ابن بتمية الى واسط لجمع المال واعداد زاد وعتماد واستعمل ضروباً من القيسح في الكلام والهجر ومنع شذائت كانت هناك من الاجتياز وواطأ عمران على منع أجازتها وغير ذلك من ضروب الجهل وذلك للعين المتاح له والشقاء المصوب عليه حتى تأدي أمره الى اقباح صورة في الهلاك بأنواع العذاب والمثلة كما سئذ كره في موضعه ان شاء الله . وتجددت بينه وبين بختيار وحشة أخرى بعد عوده الى بغداد واقتضت الحال القبض على سهل بن بشر النصراني ضامن الاهواز ونكبتة التي تأدت الى القتل

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يثق ببختيار على تصرف كل حال ولا يدع التحرز منه ونصب العيون عليه وأشد ما يكون نفوراً منه اذا حلف ووثق له فأنهمك في استمالة الجند ومتابعة الخلع عليهم والصلوات لهم ونصب الموائد وعمل

الذعوات وأمر أن يحمل المال الى خزائنه . ووافق بختيار على شيء يُقيمه له وصار كالحاجر عليه فمضى طالبه بزيادة على ذلك بعث الجند على مطالبته وأحالهم عليه . فضايق ذرع بختيار به وخاطب جماعة من حاشيته وشيوخ قواده في تدبير يوقعه عليه حتى يتمكن من نكبته ويستكتب سهل بن بشر وسهل يومئذ في عمله بالاهواز فاخرج اليه جماعة من كبار قواده فيهم الحسن بن أحمد بن بختيار والحسن بن فيلسار وتكيدار الجيلي^(١) وجماعة مثلهم وراساه على أيديهم باتقاع الحيلة عليه . فلما وصل اليه هؤلاء القواد برسائل بختيار وعلاماته تقرر الرأي على أن يفيل الجيش عنه الذين ببغداد ويظهر سهل ومن معه بالاهواز الشعب عليه وترك الرضاء به . وورد الخبر بذلك الى بغداد وقد ضعف بختيار عن امضاء تلك العزيمة وقد استصلح ابن بقية الجند وملك الامر فظهر حينئذ ما في نفسه وعاب بختيار ووبخه وذكره الايمان التي لا زال يحلفها ثم يعود ناقضا لها وتغاضب عليه وتثاقل عنه فرق بختيار في يده وأنكر أن يكون ما جرى اليه الاهوازيون بأمره وعلمه فقال : فاطلق يدي فيهم . فاجابه الى ذلك وأمضى حكمه عليهم فالزمه أن يقبض على سهل بن بشر ويسلمه اليه وأن ينفي القواد الذين أظهروا ما أظهروه ففعله وانفذ ابراهيم ابن اسماعيل الحاجب الى الاهواز وأمره أن يحتال على سهل بن بشر حتى يقبض عليه ويبادر به الى الحضرة فمضى مسرعا ووصل الى الاهواز واحتال حتى حضر سهل بن بشر في منزل أحد القواد فقبض عليه وعرفه فساد جميع الامر الذي كان خائضا فيه وحمله للوقت فسلمه الى ابن بقية . وقد كان الحسن بن فيلسار سبق الى مدينة السلام فتلافي محمد بن بقية واستصلح نيته وأما الحسن بن أحمد بن بختيار وتكيدار فإنه استدعاهما فلما

قرباً من بغداد طردا وبقيا عن ^(٤٥٢) العسكر فعاد الحسن الى بلده ولحق
تكنيدار بعض الدولة . وجد محمد بن بقیة في مظالبة سهل بن بشر بالاموال
وبسط عليه المكاره واستخرج منه كل ما أمكنه ثم قتله بالعذاب مع جماعة
من الناس سئذ كرم .

وفي أثر القبض على سهل بن بشر قلد بختيار أخاه أبا اسحق أعمال الاهواز
وأفندة اليها مع طائفة من الجيش وذلك بسفارة محمد بن بقیة لانه كان
استعان بابي اسحاق ووالدته على بختيار فاعاناه وبلغاه ما أحب فقضى حقهما
بهذا التقليد

وقبض ابن بقیة على صاحبه أبي نصر السراج وعذب به حتى قتله

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

هجمت على ابن بقیة علة من حرارة فقصده منها في اليوم الثاني فما
أمسى الا ذاهب العقل مسجي بخور خوار الثور ولا يسيع طعاماً ولا شرباً
ولا يسمع كلاماً ولا يخير جواباً وظهرت في فيه رغبة واختلج وجهه وعلا
نفسه ولحقه الفواق الشديد واجتمعت فيه أعراض الموت التي لا رجاء معها .
وقد كانت لابن نصر السراج نعمة فاتسعت في أيامه وعظمت بالدخول في
الامور المنكرة وضروب الشر والسعيات واعدائه كثيرون . وكان ابن
بقیة اصطنع رجلاً يقال له الحسن بن بشر الراعي وكان في الاصل نصرانياً
من رأس عين فصحب بني حمدان بالموصل فدخل في الاسلام شيء ظهر
منه وخاف فاسلم ثم خاف خوفاً ثانياً فهرب الى بغداد وانصل بمحمد بن بقیة
وحظي عنده فقرب ^(٤٥٣) منه ورفعته من حال الى حال حتى قلده واسطاً ثم
استدعاه الى بغداد فقلده خلافة . وتولدت بينه وبين أبي نصر السراج

منافسة ومضاغنة فلما وقع اليأس من محمد بن بقية استتر ابن الراعي وبادر أبو نصر ابن السراج الى بختيار فضمن له من جهة أسباب ابن بقية أموالاً عظيمة وكتب اسماء اقاربه وأصحابه وكتابه وسائر أسبابه فركب بختيار الى ابن بقية حتى شاهده في علته .

﴿ ذكر اتفاق ظريف في سلامة ابن بقية من علته ﴾

﴿ ثم من قبض بختيار عليه ﴾

ان بختيار أدركته رقة شديدة له مع اجتهاده كان في هلاكه وتبرمه به لاستبداده بالاموال والعساكر فأشار عليه ابن السراج بالقبض على الجماعة قبل ان يستروا فتوقف عن ذلك وألح عليه إلحاحاً شديداً فلم ينفعه ذلك وأحس عيال ابن بقية وأسبابه بما فعله ابن السراج فخذروا منه ثم تماسك محمد بن بقية في اليوم الرابع من علته بعد ان تردد اليه بختيار دفعيتين في كل يوم في مدة الحذر عليه وسكنت أطرافه ورجى رجاء ضعيفاً وتزايد ذلك الرجاء الى أن أفاق وهو ساكت ومضت أيام يسيرة فنهض وتراجع الى عادته . وظهر ابن الراعي صاحبه واجتمع أسبابه المتحققون به فصدقوه عن فعل ابن السراج وضمنه ابن الراعي منه بمائة الف دينار فقبض عليه فصاح من أمواله وودائعهم وأثمان غلاته والمأخوذ من^(١١١) أسبابه أكثر مما ضمنه ابن الراعي ثم بسط عليه المكاره وأصناف العذاب وحبس في صندوق ومنع الطعام حتى مات أقبح ميتة .

وفي هذه السنة اضطربت كرمان على عضد الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان في أعمال كرمان خلق من الرجالة الجرومية لهم بأس شديد وهم

متمسكون بالطاعة وأحد وجوههم رجل يقال له طاهر بن الصِّمة وكان واسع المال والمعاملة فدخل في ضمانات ضمنها وتمار ابتاعها فحصلت عليه أموال طمع فيها وشره الى كسرهما . وكان عضد الدولة قد سار الى العراق للايقاع بالأتراك وخرج وزيره أبو القاسم المظهر بن عبد الله الى عمان فلم يبق بفارس من المساكر الا شيء يسير فخلع طاهر بن الصِّمة الطاعة وجمع الى نفسه هؤلاء الرجالة بالاساحة التامة واستكثر من عددهم . واتفق ان كان في نواحي خراسان أمير وجيه من أمراء الأتراك السامانية يقال له يوزتمر عظيم المنظر جبار البنية معروف بالباس والشدة وقد استوحش من محمد بن ابراهيم بن سمجور صاحب جيش خراسان وقرر منه فكتبه طاهر ابن الصِّمة وأطمعه في أعمال كرمان فسار اليه وصار ايداً واحدة في الاستيلاء الا ان الامارة ليوزتمر . فبعد مدة شغب الرجال الجرومية فاتهم طاهر انه ^(٤٥٥) "بعضهم على الهيج ففسدت الحال بينهما وزاد الفساد حتى اقتتلا قتالا شديداً فظفر به يوزتمر وأخذه أسيراً وقتل خلقاً من رجاله . واتصل ذلك ببعض أولاد الياس وهو الحسين بن محمد بن الياس وهو في بعض أعمال خراسان وطمع في الاستيلاء على كرمان وجمع جمعاً وصار اليها وانضم هؤلاء الرجال الجرومية اليه وأمثالهم من كل ضرب من الدعار . وقد كان المظهر بلغ من إصلاح عمان ما أراد وفتح جبالها وأوقع بالشرارة وانكفأ راجعاً الى ارجان عاملاً على المسير الى حضرة عضد الدولة بالعراق فورد عليه الامر بالمسير الى كرمان ليتلافى تلك الحادثة فعاد الى شيراز وبرز عنها لتسع ليال بقين من رجب سنة ٦٤ وسار لطيفته مسير السرايا لا يلوي ولا ينثنى فأوقع بكل من وجد في طريقه من أهل التهمة وقتل وصلب وسمل العيون ومثل

بكلّ مشقة وبالغ في القسوة إقامة للهيبة وأسرع المسير حتى انقضّ على يوزنم فلم يعرف خبره الا مع وصوله فبرز اليه وواقعه فانهمزم الى البلدة وهو بهم وتحصّن في قلعة وسطها حصينة خاضره فيها مطهر الى ان أعطى بيده واستأمن وأحضر معه طاهر بن الصمة أسيراً قتله المطهر ثم أمر به فشهر ونودي عليه ثم ضرب عنقه وأعناق^(١) جماعة يجرون مجراه وأنفذ يوزنم الى بعض القلاع فاعتقله بها وكان آخر العهد به .

ثم خرج المطهر في طلب الحسين بن محمد^(٢) بن الياس وكان قد جمع عشرة آلاف رجل في أسلحة تامة مستعدين للقتال فلما أشرف عليهم استكثر عدّتهم وهاله أمرهم ولم يجد من الحرب بداً فناصرهم الحرب على باب جيرفت فحملوا عليه حملة ثبت لها ثم حملت ميمته فأثرت فيهم وألجأتهم الى سور المدينة واختل نظامهم فأكب المسكر عليهم بالنشاب ولم يجدوا مهرباً فقتلوا بأسرهم وهرب الحسين وطلب فجاء به أسيراً ولم يعرف خبره بعد ذلك وتطهرت كرماني منه .

﴿ ودخلت سنة خمس وستين وثمانمائة ﴾

قد ذكرنا مرض ركن الدولة وسبب ذلك وحكينا انصراف عضد الدولة من بغداد على الحال التي وصفناها واستيحاشه من أيه لما كان منه في مكاشفته ونصرة بني أخيه ورأى تجاسر الاعداء عليه واختلال هيئته في صدور أوليائه ولم يأمن ان يموت ركن الدولة على تلك الحال فينتشر ملكه ولا يجتمع له ما يحب . فراسل أبا الفتح ابن العميد وكان قطع مكاتبة أيه استيحاشاً منه وتنجياً عليه وسأله ان يتوسط بينه وبين أيه حتى يعود له كما

(١) وفي الاصل : على

كان وتلطف مع ذلك في أن يجتمعا ويمهدا اليه ويشهر ذلك في ممالكه وبين
 وجوه الديلم والجند . وكان أبو الفتح ابن العميد متمكناً من ركن
 الدولة ومن الجند أيضاً فكان يجب أن يتلافى قلب عضد الدولة لما كان
 منه اليه وهو مع ذلك لا يأمنه ويخشى بادرته ومكايده . فخطب ركن الدولة
 وأهل ما يخشى من اضطراب الحبل وفساد ما بين أهل بيته باستيحاء
 عضد الدولة وحذره من ترك هذه الصورة حتى تستمر وتتمكن من
 النيات والقلوب ولم يزل به حتى رق ولان وعرف صلاح حال أولاده
 وممالكه وممالك بني أخيه فيما دعاه اليه ثم أشار عليه بأن يأذن له في الورد
 عليه حتى يجتمع معه ويراه فقد كان فارقه صديقاً ويشاهده الجند بحضرته
 ويحول ما خامر قلبه وقلوب الناس من اعتراض الوحشة ويجعله ولي عهده
 إذ كان أكبر أولاده وأنجبهم وأوسمهم مملكة وأكثرهم مالا وعدة
 ورجالا . فأجابه ركن الدولة بأن هذا رأى صواب ولكن ليس في خزائنه
 ما يتسع لعضد الدولة ومن يرد معه من الخيل والقواد والعلماء وإن لم يلاطف
 الجماعة بأقامة الانزال واتخاذ الدعوات وافاضة الخلع والحمالات والهدايا على
 الجماعة انتضح وتهجن فقال له أبو الفتح : فتسير أنت اليه لتجدد النظر في
 تلك الممالك التي طال عهدك بها وتشاهد أولئك العسكر^(٤٥٨) الذين رتبهم
 قديماً وحديثاً فيها ويلتزم عضد الدولة لك والجندك وجميع حاشيتك
 ما أشفقت من التزامه لهم وتقيم السياسة التي لا بد لك من إقامتها بين
 أولادك وممالكك فقال له : هذا يقبح في الاحدوة وعند ملوك الاطراف
 وفيمن يأتي بعدنا من الامم ان يتحدث الناس ان فلاناً أوحش ابنه في أمر
 رأى يحاشه به وتأديبه فيه ثم قصده يرضاه . فكتب عضد الدولة

بجميع هذه الفصول فكتب : ان هاهنا خلة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الاشياء التي يشكرها وهو ان يقصد اصبيان فانها من أعماله وأنهم أنا من فارس فانقصده لخدمته وعبادته من مرضه ويازمي حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يازمه لي ولا لاحد من يصحني شيء ولا يتحدث بأنه قصدني أو زارني . فتقرر الرأي على ذلك وتشعر أبو الفتح ابن العميد له حتى تمت المزممة ونهض ركن الدولة مع ضيفه ومرضه وحضر اصبيان واستدعى الأمير نضر الدولة وهو ابنه على وكان مؤيد الدولة في ولايته مقبلاً باصبيان وهو ابنه بويه وحضر عضد الدولة وخرج ركن الدولة في تلقائه فلما قرب من البلد وقف على نشز من الارض حتى ترجل له عضد الدولة ابنه وقبل الارض مرات ثم تقدم اليه فقبل يده^(٤٥٩) ثم تتابع القواد والامراء وكبار الحاشية بتقيل الارض والخضوع له . فرأى لنفسه منظراً يسر مثله الاباء في أولادهم ثم سار حتى نزل ونزل كل واحد حيث رسم له ونزل عضد الدولة معه في دار الامارة في الابنية التي كان استحدثها مؤيد الدولة . ثم دعا أبو الفتح ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة وجميع أولاده ووجوه الامراء والقواد والحاشية وخاطبهم ركن الدولة بأن عضد الدولة ولي عهده وخليفته على ممالكه وان مؤيد الدولة ونضر الدولة خلفاؤه في الاعمال التي رتبهم فيها . ولزمت أبا الفتح مؤونة عظيمة وحمل الى كل واحد من ركن الدولة والامراء من أولاده وقواده وحاشيته ما يليق به وكان في جملة ما خلع على الخواص من الديلم ومن يجري مجراهم الف قباء والاف كساء .

وانصرف القوم وقد تقرر الرئاسة من بين أولاد ركن الدولة على

عضد الدولة واعترف له . مؤيد الدولة ونخر الدولة به وخدماه بالريحان على
الرسم المعروف لهم وخدمه بعدها كل أمير وقائد ممن حضروا كتب بذلك
عهد قرى وكتب فيه القوم خطوطهم

وكان بختيار سي الظن شديداً الخذرمما تقدم له ولجندته من مكاشفة عضد الدولة
فهو يحب ان يصلح أمره معه فتتابع كتبه الى ركن الدولة ويسأله ان يعصمه من
الحال التي خافها^(١١) وأتخذ اليه عيسى بن الفضل صاحب دواته ووافق
ذلك هذا الوقت الذي كنا في ذكره من اجتماع الجماعة باصبيان فتكلم
ركن الدولة في ذلك وأظهر عضد الدولة في الحال الاغضاء عنه وشرط
عليه ان يقطع عما يوحشه من بعد ولا يماود شيئاً مما ذمه منه فعلا وقولا
وكان بختيار سكن قليلا الى ذلك الا ان محمد بن بقية مقيم على خوفه
وحذره ويحمل بختيار على مكانبة سهلان بن مسافر وكان وجهه عسكر
نخر الدولة وحسنويه بن الحسين ايرزيكاني وكان مجاوراً لأعماله ومصاهراً
له ويحمله أيضاً على استماله فخر الدولة حتى يدخل في مناينة أخيه عضد
الدولة فترددت الرسل بينهم فأنكدت اليهود بينهم واستعدوا جميعاً
للمعاونة وانفقوا على التعاضد والتوازر ان نابت أحداً منهم نائبة . وحضر
كتاب لهم وجرت موافقة في أمور مشهورة ظهر منها تقليد كل واحد من
فخر الدولة وسهلان بن مسافر ما في أيديهما من الاعمال رئاسة من قبل
السلطان وكتب لهما العهد ولقب سهلان عصمة الدولة وكنى وأنفذت
الخلع الى الجهتين ووعد حسنويه بمثل ذلك اذا سار فلما وردت عليهم هذه
الخلع أحجموا عن لبسها وتوقفوا عن اظهار المناينة لعضد الدولة فكثرت

الخام مع الرسل مطر حلاً لا يلبس^(١) ولا يتلقب سهلان ولا يتسكنى وجرى الامر على غاية الاخلوقة والفضيحة .

وواصل بختيار وابن بقية عدة الدولة^(٢) أبا تغلب ابن حمدان ومعين الدولة عمران بن شاهين وقطعت الخطبة ببغداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة وزعم بختيار أن الرئاسة له بمدركن الدولة . وشرع ابن بقية في تلقيب ثان مضاف الى لقبه الاول وأن ينشأ كتاب عن الخليفة بالزيادة في المقاطعة والمكاشفة وأشيع ذلك على المنابر وأطلق للناس الكلام القبيح وعظم بختيار وانزل منزل ركن الدولة بالعراق والممالك المجاورة له وزعم أنه يأنس تلك المنزلة من عضد الدولة ومن دونه وتلاه ابن بقية في هذه المراتب ووجد من جهال الجند مساعدة له ورغبة في حطام يتناولونه منه وبأكلون عنده واسراراً للبراءة منه واسلامه . وكان يظن أنه ان بلغ ما يحب بالتدبير الذي دبره فقد فاز وان انعكس عليه كان بختيار المهالك وهو الناجي فيظن ظنا خطأ لأن من سلك مسلكه لم ينج ولم يخل من ورطة يقع فيها تكون سبب هلاكه^(٣)

ودخات سنة ست وستين وثمانمائة

وفي هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ورحل من فارس لجند محمد بن بقية وبختيار في مكتبة الجماعة المذكورة . وكان حسويه بن الحسين الكردي خاصة يفر بختيار من نفسه ويطمعه في أنه سائر اليه لمعاوته^(٤) بنفسه وأهل بيته ومن يطمعه من الاكراد وكان يحب أن يشتت الالفة ويفرق

(١) يريد مطرحة لا تلبس (٢) وقال صاحب تاريخ الاسرام : وفي رجب عمل مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس ابراهيم وعرف وحكم لان عز الدولة التمس ذلك ليُشاهد . وجلس حكمه كيف فيها هو

الكلمة لان نظام أمره كان في انتشار أمر هؤلاء الملوك
وكان بروز بختيار وابن بقية يوم الاثنين ليلة بقيت من جمادي الاولى
يريدان الزيارة والتصيد ثم الانقلاب الى واسط قاصدين الاهواز على نيسة
المحاربة فانتهما الى واسط في انسلاخ جمادي الآخرة ووقعت بينهما وبين
عمران بن شاهين مصاهرات وتزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين وتزوج
الحسن بن عمران بابنة بختيار

وفي هذا الوقت أهلك ابن الراعي بامر ابن بقية خلقا ممن كان يتهمهم
فيهم المعروف بابن عروة وهو ابن أخت أبي قرّة وكان من وجوه العمال
وفيهم علي بن محمد الزطّي وكان اليه شرطة بغداد ومنهم المعروف بابن العروقي
وكان أيضا اليه الشرطة بواسط وجماعة مجرون مجراهم وهم بقتل صاعد بن
ثابت وكان قبض عليه ونكبه ولكنه سالم من القتل

وراسل بختيار من واسط الطائع لله وراسله ابن بقية يستلانه الانحذار
اليهما والمسير معهما فامتنع من ذلك وترددت المكاتبات في ذلك الى أن
قرر عنده انه انما يستل تجشم العناء للصالح والالفة فينثذ انحذر الى واسط
وسارت الجماعة عنها الى الاهواز . والمكاتبات تتردد في خلال ذلك ^(١٣)
بين القوم وبين حسنويه بن الحسين وهو يمد بالمسير . فبينما هم كذلك اذ ورد
خبر عضد الدولة في نزوله ارجان في جميع عساكره فاضطربت القلوب
وكتب عن الخليفة كتاب في معنى الدعاء الى السلم والكف عن الحرب
وانفذ الكتاب مع خادم من خدم بختيار على أنه من خدم الخليفة ^(١٤) وكان

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فقال عضد الدولة للخادم . قل لمولانا أمير المؤمنين

« لا يمكنني الجواب الا اذا منلت بحضورك » ولم يجب على الكتاب .

الطمع في الصلح في هذا الوقت محالا . فاستقرّ الرأي بعد مناظرات بين
بختيار وأصحابه على أن تكون الوقعة بالاهواز والتحصن بالنهر المعروف
بسوراب والقتال من ورائه فبرزوا وضربوا مضاربهم على شاطئ سوراب
ونفذ أبو اسحق ابن معز الدولة في طائفة من الجيش الى عسكر مكرم
لضبطها وحفظت المعابر على الممرقان وجردت العساكر من الاعراب
والاكراد وغيرهم الى رامهرمز وذلك أن المقيم كان بها والضامن لها وهو
الحسن بن يوسف استأمن الى عضد الدولة . ولما رأى الطائع لله ان الحال
أفضت الى الحرب امتنع من المقام وبرز متوجها الى بغداد فاجتهد بختيار وابن
بقية الجهد كله في أن يقيم فابى ذلك وسار الى دجلة البصرة وأصمد فيها الى
مدينة السلام مجتازاً في أعمال البطيحة

ثم ورد خبر نزول عضد الدولة رامهرمز وهزيمة ذلك العسكر الذي
نقد اليها فزاد قلوب القوم ضعفا وانتقض^(١٠٠) عليهم رأيهم في لزوم شاطئ
نهر سوراب فرجعوا منهزمين الى أفنية سوق الاهواز وقطعوا قنطرة اربق
وكتب ابراهيم بن معز الدولة بالعود من عسكر مكرم فماد واجتمع جيشهم .
واتصل ببختيار أن سار بن باعبد الله سُرخ هو مع جماعة من وجوه قواده
وجاعة أخرى عاملون على أن يستأمنوا ويفضوا عسكره وأشير عليه بالقبض
عليهم وتقييدهم وحماتهم الى واسط فضعفت نفسه عن ذلك وخشى اضطراب
باقى عسكره وضعف عن المحاربة بالاهواز وعمل على أن يرجع الى واسط
موفوراً فيجعل الحرب فيها فمنعه ابن بقية وجميع القواد عليه والزموه المقام
وطالبه العسكر بالمال فظهرت خلته وفاوته وابتدأ ابن بقية بمصادرة أهل
البلد وكسر بختيار أواني الذهب والفضة من الحلى والمراكب وضربت عينا

وورقا فضعت آمال جنده . وعقد على دجيل جسراً ضيقاً ضعيفاً في أسفل
البلد وعلى طريق لا يصلح للمساكر عدّة للهرب

ووردت أخبار عضد الدولة باستظهار شديد ومال كثير وكراع وسلاح
وجمال موفرة بالازواد والآلات وعدة فيول مقاتلة وكان على ثقة من استئمان
جماعة من البختيارية اليه . منهم سلال سرخ الذي ذكرناه وذلك أن كتبه وصلاته
كانت متصلة اليهم . وقدم عضد الدولة اقامة أبا الوفاء طاهر بن محمد بن
ابراهيم وضم اليه جماعة فيهم المعروف ^(١) بالكاروى الالهوازي مع جيش
من رجاله القفص وغيرهم فوردوا الباسيان وجمعوا السفن وصاروا بها الى
الناحية المعروفة . . . ^(٢) فعقدوا جسراً وورد عضد الدولة فعبّر عليه وجميع
عساكره والاخبار ترد مع ذلك على بختيار وابن بقية فلا يكون فيهما فضل
للممانعة عن العبور ويثبتان ثبات التحيين وذلك أن من عجز عن رد بعض
المساكر عن العبور والزحف في المواضع التي يمكن فيها الممانعة كيف يثبت
لجميع المساكر في القضاء !

وتمسك عضد الدولة بالماء فنزل على شاطئ النهر لان الوقت كان
مدخل تموز فنزل من القوم على نحو الفرسخ وبكر يوم الاحد لاحدى
عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٦٦ على تعبئة ونظام وعدة واستظهار
واحتياط وصافه بختيار مصافة مضطربة وجمال الفرسان أمام الرجالة
(وهذا شيء ما فعله أحد قط ولا تجهله عوام الناس حتى لعاب الشطرنج)
فاستأمن سلال سرخ والحسن بن خرامذ ونيباك بن شيرك وهو من أشد

(١) يابض في الاصل وفي التكملة : كانت الحرب بناحية يقال لها قشان من

أعمال الباسيان .

الديلم وشجعانهم وعدد كثير من الخواص وكان ديس بن عفيف رئيس
بادية بني أسد في ميسرة بختيار فاستأمن وانهمز جيش بختيار وتبعهم الاعراب
والا كراد بالنهب والسلب والقتل والاسر^(١٦٦) واستأمن تحت السيف
خلق وانهمز القل يطلبون الجسر الذي وصفناه ففرق أكثرهم بالمضايقة
والمزاحمة . وأفلت بختيار وأخوه أبو اسحق ووزيره ابن بقية وعبروا دجيلا
واختلفت بهم المذاهب فلم يعرف بعضهم خبر بعض حتى التقوا بمطارا وكان
بختيار التي سلاحه عن نفسه وتلم وفيه عدة طعنات بالزوينات فاما أخوه
وابن بقية وجماعة من كبار قواده فأنهم وردوا الحويزة نصف الليل في نحو
خمسمائة رجل وباتوا فلحق بهم تمام الالف على صورة قبيحة من الاختلال
ولما أمسوا ساروا نحو نهر الأمير ومن هناك الى مطارا واجتمعوا مع
بختيار . وقد كان ابن بقية عبر بصاحبه ابن الراعي مع خزائنه وبختيار
وعدة كانت معه الى المأمونية التي بازاء سوق الاهواز وعول في حفظه على
بعض بني أسد فذهب جميعه .

فانفذ عمران بن شاهين ابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة زواريق
وآلات الى بختيار وحمل اليه والى ابن بقية مالا وثيابا وحمل المرزبان بن
بختيار الى أبيه من الابل وقد كان برز اليها مالا وثيابا وصارت الجماعة الى
الابل في الماء بعد أن تأثثوا وتزودوا الى واسط . وصادف بختيار وابن بقية
البصرة مفتتنة بالحروب بين ربيعة ومضر^(١) فان مضر كانت^(١٦٧) داخلة
في طاعة عضد الدولة بتدبيرات دبرها وأصول قدمها وأما ربيعة فاقامت على
طاعة بختيار ولا لرغبة فيها ولكن مضاعفة لخصومهم من مضر فاتصلت الفتن

(١) روى الطبرى (٢ : ٤٥٠) ان مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة

ودامت الثورة واحرقت المحال وانتهت البضائع^(١) ودخل ابن بقية الى البصرة لتسكين هذه الفتنة فزادها اشتعالا وفسادا وأحرق بعض خطط المضربين وانصرف والشر باق . واشفقت الجماعة من أن يسير عضد الدولة الى واسط فيحصل بها فيفتوهم الحرب ان أرادوه فاصعدوا في الماء واخترقوا البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين في عسكره وآلاته وقبل يد بختيار واطاول بختيار له وعطف به الى دار ابنه الاكبر وهو أبو محمد الحسن فانزله فيها للوصلة بينهما ولانها كانت أحسن دار بالبطيحة وأنزل محمد بن بقية عليه فاناموا عنده اضيافاً ثلاثة أيام فعجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران سبق اليه بالحكم كما حكيناه فيما تقدم . ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران معهم الى واسط .

وفي هذه الحال هرب المرزبان بن بختيار من البصرة الى واسط لاحقا بآبيه في الشذات والزبازب والسفن بكليته وحرمه وأسبابه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

ظهرت مضر على^(٤٦٨) ربيعة وضعت نفوس ربيعة بهزيمة بختيار وانخزل المرزبان وخاف أن يؤخذ فبادر الى واسط موفورا وحينئذ كتب وجوه البصريين الى عضد الدولة بانفاذ من يتسلم البصرة فانفذ أبا الوفاء طاهر بن محمد فدخلها

ولما حصل بختيار بواسط تنكر لابن بقية وذم مشورته وندم على

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وورد أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفة في ألف رجل منهم وأقام الدعوة بها وبسورا وبالجامعين والنيل لعضد الدولة

قبوله منه وقال : قد كنت عملت على الانصراف عن الاهواز قبل الحرب
بجيش كثيف وأمر مستقيم وعسكر وآلة وسلاح فإني تمكنت من المقام
بواسطة أو ببغداد ولحقني المعونات التي انتظرها من سائر الجهات والا كان
أقل ما في يدي ان أنصرف عن هذه البلاد بعسكر لم يثلم ولم ينكب فلم
يتعذر على ان أغلب على غيرها فإيت الا اخراجي من جميع نعمتي ومملكتي
وافساد ما بيني وبين أجل أهلي . فثبت ابن بقية وقال : قد ينال الملوك مثل
ما نالك وأعظم منه فيتماسكون وعلى أن أصلح أمورك وأبذل نفسي دونك
ومساعدة الجند على ذلك . وتراجع الى بختيار كثير من الديلم والأتراك
واستدعى كراغا كان له ببغداد واستجد سلاحا وخيما وخر كاهات وصار
اليه من كان بالبصرة وبغداد من الجند وأحوالهم جامعة فصار في عسكر
قوى . ووردت عليه كتب حسنويه بن الحسين الكردي بفره غروراثانيا
ويعتذر اليه في^(٤٦٩) التأخر عنه ويعده بان ينفذ اليه أولاده واحدا بعد آخر
ثم يصير اليه بنفسه في جميع رجاله . وعادت المسكاتبة بينه وبين فخر الدولة
على بن ركن الدولة وأبي تغلب ابن حمدان ورجع ابن بقية الى ذخيرة كانت
له بواسطة فتاات منها وجرى على عادته في استمالة الجند وبذل الخلام حتى
مالوا اليه وآثروه على بختيار

﴿ ذكر بلوى بلى بها بختيار في تلك الحال ﴾

﴿ حتى أسلم بقية ملكه ﴾

من عجائب ما اتفق على بختيار في تلك الحال انه كان أسر له في الوقعة
بالاهواز غلام تركي يعرف ببايتكين لم يكن من قبل يميل اليه ولا تظهر منه
محبة له فجئن عليه جنونا وأسلمي عن كل شيء خرج عن يده الا عنه وحدث

له من الحزن عليه ما لم يسمع بمثله فامتنع من الطعام والشراب والقرار والسكون وانقطع الى النحيب والشهيق والعيول واحتجب عن الناس اخلاذا الى البكاء وتضجر بالجيش وتبرّم بحضورهم وأطرح التدبير وزعم ان فجيئته بهذا الغلام فوق فجيئته بالمملكة والانسلاخ منها ومن النعمة . ثم اذا كان وصل اليه وزيره وكتابه وقواده وخواصه في المهم قطعهم عن ذلك بالشكوى بما حل به والبوح بما في نفسه ونقصت أوقاته ومجالسه بهذا^(٧٠) الخطب الجليل عنده دون ما سواه وامتنع من الجلوس في الدست ومن استعمال التمهيد بالمخاد وما أشبه ذلك فخف ميزانه عند الناس وسقط من عيونهم فلم يبال بذلك . وصار القواد يجتمعون الى ابن بقية ويقولون : دبر أنت أمورنا فانا مملك ومطيعوك . فاستهان به ابن بقية واستعجزه وجاهر بذلك بعد ان كان يستره وعدل الى الاخذ بالحزم لنفسه وأما بختيار فانه أسقط التجميل في أمر هذا الغلام عند كل أحد حتى كتب الى عضد الدولة والحرب قائمة بينهما وهو يطلب ملكه ونفسه يستله رد هذا الغلام عليه وكتب الى جماعة خواصه المطيفين به وبخدمته يسألهم معاوته فيما رغب فيه اليه فاستزاد بذلك فضيحة في المساكر والامصار وعاتبه الاقارب والاباعد . فما ازعوى بل تمادى وأنفذ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى رسولا اليه في هذا الباب وبذل له على يده في فدية الغلام جارين عوادتين محسنين كانتا عنده ولم يكن لهما نظير في الخدق والبراعة وقد كان أبو تطلب ابن حمدان بذل باحديهما مائة الف درهم فابى ان يبيعها . وقال له : ان وقف عليه الامر في هذا القداء فزد أبدا ولا تفكر في شيء مما بيني وبينه فقد رضيت^(٧١) ان آخذه وأمضي الى أقصى الارض وأسلم اليه ما في يدي .

فشخص وأدى الرسالة وقد وجد ذلك الغلام قد اختلط مع غيره من رفقاته
 المأسورين يوم الوقعة ولم ير له فضل ولا ميم من بينهم وأتقذوا الى شيرزاد
 هدية للامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة . فلما أدبت الرسالة وعرف الملك
 ما عند بختيار من الفجيعة به عجب كل العجب وأمر برد الغلام الى حضرته
 فردّ ثم أعاد أبا أحمد الموسوي بجواب الرسالة وضم اليه أبا سعد بهرام بن
 أردشير الكاتب رسولا وأعلمه انه يجب له الى ما سأل وأرشده مع ذلك
 الى بعثه على الطاعة وحمله رسائل أخر أمرهما أن يؤديها الى بختيار سرا
 عن ابن بقية وعلى غير مشهد منه ولا من أحد . فلما وردا امثلا الامر وطويا
 عنه ما حضرا فيه وأدياه الى بختيار وحده على انفراد به فاستوحش ابن
 بقية استيحاشا شديدا وآثم انه التمس القبض عليه وتسليمه اليه عوضا عن
 الغلام وان بختيار يفعل ذلك لشغفه به فهم بالقبض على الرسولين جميعا
 ومكاشفة بختيار وان يظهر المصبيان . وكان نازلا من واسط في الجانب
 الغربي ومعه المال والسلاح والثياب والآمال متعلقة به ^(٧٢) وبختيار في
 الجانب الشرقي خال من ذلك كله وانما كان ابن بقية يجري عليه قوته
 ويعوله كما يمال من لا أمر له وعمل على ان يرأسه باعتزال التدبير وان
 يصعد الى بغداد ويخلي بينه وبين الحرب فان فعل والا جاهره وطرده وكان
 ذلك ممكنا منه لو أمضاه فمعدل بختيار الى تلافيه والرفق به وأظهره على
 الرسالة المطوية عنه وسكنت نفسه وطيب قلبه وأراه انه راجع الى رأيه
 ومتدبر بتديره وغير خارج عن ارادته الى ان تم له القبض عليه
 ذكر السبب في قبض بختيار على ابن بقية

كان ابراهيم بن اسمعيل صاحب بختيار تمكن منه ووثق به صاحبه

وكان نقيبا خاملا فتقدم عنده الى ان استجيبه وذلك بعد رحيل عضد الدولة الى فارس . ولما اطلع على الحال التي عليها ابن بقية من التسكر أعلم بختيار انه على خطر من وثبة يثبها عليه اشفاقا على نفسه وانما اذا لفرصته مع تمكنه من الجند والمال قتال له بختيار : انى أخاف شغب الجند وان يستنفذوه من يدى ويطالبونى بالالاء وال . فتضمن له الا يجرى شىء من ذلك وان جرى كان عليه ان يسكنهم ويرضيهم بما يوجد من أموال ابن بقية وأسبابه وأطعمه في كثيرتها وفي ان تسفر الحال في القبض عليه فيما بينه وبين عضد الدولة ويصير ذاك طريقا الى انعطافه وصلاحيه رأيه وأشار عليه الا يستوزر وزيراً بمعه ^(٤٧٣) وان يقر الكتاب على أعمالهم ودواوينهم ويخرج أبا العلاء صاعد بن ثابت [النصراني] من محبسه فيرد اليه استخراج الاموال والاستيفاء على العمال من غير وزارة . فقبل بختيار مشورته واطلع بختكين آذرويه عليها فاستصوبها وكان في ضنك شديد حتى انه احتاج الى الثلج فالتمس من ابن بقية ثلجا فحمل اليه ثلاثين رطلا ووجد في خزانة شرابه يوم القبض عليه ستة آلاف رطل كان أعدها اسماط يتخذها للجند .

فلما كان وقت العصر من ذى الحجة سنة ٣٦٦ هجرية عبر ابن بقية في زبرجه الى بختيار فوجه في الوقت جماعة قبضوا على الحسن بن بشر [المعروف] بابن الراعي صاحبه فحين حصل في أيديهم أمر بالقبض على ابن بقية من غير ان يصل اليه وقبض على جميع ما وجد له من مال وكراع واستخلص أبا العلاء صاعد بن ثابت من محبسه وكان أمر ابن الراعي بقتله في الليلة المقبلة فكفاه الاجل والمقدار . ووجد في حبس ابن بقية صاحبه المعروف

بالكرامى وكان صادرة ولم يبق فيه بقية فاطلقه بختيار وسلم اليه ابن الراعى ليطالبه ثم أخذه من يده فاستوحش الكرامى وهرب الى البطيحة . فتحرك الجند بعد أيام يسيرة من القبض على ابن بنية وطالبوا بأموالهم وعرضوا بذكره والتأسف عليه فهم^(٤٧٤) بختيار بقتله فى الوقت فلما تفرق الجند عنه أنفذه فى الليل مقيداً الى بغداد موكلابيه وأخرج معه أبا العلاء صاعد بن نابت ليطالبه ولم يكن الاحتياط وقع على أقاربه لان بختيار عاجله كما حكيت ثم كتب على الاطيار الى مدينة السلام بتحصيلهم فسبق أحد الاطيار وحمله صاحب البرج الى أسباب ابن بنية على الرسم فى خدمة الناس لهم فوقفوا عليه وأنذر بعضهم بعضاً فهرب من هرب واستتر من استتر فالتجأ أخوه وابن أخيه المعروف بأبى الحمراء مع جماعة منهم الى بنى شيبان ثم الى بنى عقيل وأقاموا فى البادية

﴿ تمام خبر بختيار وما عمله بواسط الى ان صاعد الى بغداد ﴾
كان قبضه على ابن بنية قبل ردّه أبا أحمد النقيب وبهرام بن أردشير الرسولين الى عضد الدولة فشهدا ذلك عياناً ثم أنفذهما وأنفذ الجاريتين ليفتدى بهما غلامه بايتكين ووافق أبا أحمد العلوى على ان يبذل جميع ملكه ان دعت الى ذلك حاجة . جرت خطوب استقرت على ان تسلم الجاريتان ويسلم الغلام وتوارت البشائر بحصول الغلام بالبصرة فأظهر بختيار السرور العظيم بذلك وانه جرى عنده مجرى الظفر بجميع خيرات الدنيا والآخرة واستشعر ان نعمته قد عادت اليه وهم بالعود^(٤٧٥) الى بغداد على ما شرط عليه عضد الدولة . وجاء ابراهيم بن اسمعيل حاجبه وأشرف عليه فى اللوم والتقريع وأشار عليه ان يقيم بواسط للمقارعة والمدافعة وجاءه عبد الرزاق

ابن حسنويه ثم أخوه أبو النجم بدر بن حسنويه في نحو ألف فارس ووردت كتب حسنويه بأنه سائر على أثرهما فأظهر المقام بواسط على مباينة عضد الدولة . فاتصل ذلك به وأنه نقض الشرط فبادر برسله الى أبي أحمد النقيب [العلوى] يرسم له ان يتوقف بالبصرة مع الغلام الى أن يرحل بختيار عن واسط ويتمسك بالشرائط التي شرطت عليه فوردت كتب العلوي بذلك فاضطرب واجتهد وكاتب وراسل فلما لم ينفعه شيء من ذلك أمر بتقديم سواده وعمل على الاصعاد ليلا وأعلم عبد الرزاق وأبا النجم انه قد رأى ان تكون الحرب ببغداد لان أبا تغلب ابن حمدان صائر اليه لمعاونته وسألها الاصعاد معه ففعلا ذلك على استضعاف الرأى فيه وقد كانا اطلما على حديث هذا الغلام فكتبنا الى أبيهما حسنويه يصدقانه عن الصورة فلما حصل عبد الرزاق بجرجرايا رحل منصرفا وتوقف أبو النجم بدر على سبيل التذمم والحياء . وتلوّم بختيار في طريقه حتى لحقه أبو أحمد العلوى وبهرام بن أردشير^(٤٧٦) ومعهما بايتكين فسلماه اليه فتمم المسير الى بغداد

وقد كان ابن بقية والمعروف بابن الراعي أظهر التبلح في المطالبة بعد مكاره عظيمة لحقتهما والتمس ابن بقية كتب الامانات لاهله الهاريين فكتبت وحضروا . وتجدد لابن بقية طمع في أن يخطب الوزارة ويبدل لبختيار ثلاثمائة ألف دينار بصححهما من جهات كتابه وأسبابه وذويه ومن البقايا في النواحي وان يرد الى مرتبته ليقوم بأمر الحرب ويدبر العسكر فبلغ ذلك أصحاب بختيار والقواد الذين أشاروا بالقبض عليه فاضطربوا واجتمعوا الى بختيار وأعلموه انه انما يحتال بما يبذله للخلاص وان يتمكن من الانسلاخ ثم يثير الفتن التي لا تتلافى

وفي هذه السنة قبض على أبي الفتح ابن العميد بأري
﴿ ذكر السبب في ذلك ^(١) ﴾

﴿ ودخلت سنة سبع وستين وثلثمائة ^(١٧٧) ﴾
﴿ ذكر السبب في المثلة بابن بقية وابن الراعي ﴾
(وسمل عيونهما)

كان بهرام رسول عضد الدولة يخاطب بختيار في تسليم ابن بقية اليه
ليجعله الى عضد الدولة ويعوضه عنه سالا من خزائمه واتصل ذلك بهؤلاء
القوم أغنى القواد فحضرُوا عند بختيار وأقاموا في نفسه انه ان سلمه اليه
صحيحاً لم يؤمن ان يصطنعه ويبقى عليه فيكون قد حصل له بحضرته عدو من
قبله وكثر المشيرون بقتله والراحة منه فتقرر الرأي على سمله وتسليمه
مسمولاً . فسمل ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٣٩٧
وجد أبو اسحق ابن معز الدولة في إلحاق صاحبه المعروف بابن الراعي به
شيء كان في نفسه عليه ولم يكن له شافع لما كان ارتكبه من مكاره ^(١٧٨)
الناس فسمل أيضاً

وترجع الرأي بختيار بين الدخول في طاعة عضد الدولة وبين المقام
على معصيته ومحاربه وكان الرسولان مع جماعة من نصحاؤه يشيرون عليه
بطريق السلامة ويعرفونه عجزه عن مقاومته وقلة عدته من المال والرجال

(١) ياض في الاصل وأما نكبة أبي الفتح ابن العميد ليراجع ترجمته في ارشاد

وكان جماعة أخرى من قواده وخواصه فيهم الحسن بن فيلسار يشيرون عليه بالثبات والمقارعة ثم تقرر الامر واختار السلامة والطاعة من طريق الضرورة فدخل في الطاعة وحلف عليها وأعطى صفة يمينه بها ولبس خلع عضد الدولة وعبر الى الجانب الغربي على ان يسير الى الشام ويثبت على أعلامه وراياته اسم عضد الدولة ويقوم الخطبة له في أي بلد دخله ولما فعل ذلك انصرف عنه بدر بن حسنويه أيضاً منه ولحق بأبيه وبذل له عضد الدولة مالا جليلاً على ان يقيم في كنفه ويلقاه ثم يسير الى حيث يختار فلم يفعل ذلك ولم يسكن اليه فاشتراط عليه شروطاً كثيرة كان فيها الا ينادى أباً تغلب ولا يعرض له الا بقدر الاجتياز في أعماله فقط لمراسلة كانت بينه وبين عضد الدولة ولمقامه على العهد القديم وأطلق لبختيار مالا وقاد اليه جمالا ودواب معونة له على نهضته^(٤٧٩) ووقع النداء بمدينة السلام برجوعه الى طاعة عضد الدولة وانه سيلم غير محارب وخرج نحو الموصل .

فأول ما نقض من شروط عضد الدولة ان اعترض على أبي تغلب ابن

حمدان وعمل على لقائه ومحاربتة ودفعه عن الديار

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة خرج معه وسار بمسيره فلما صار الى عكبرا ذكره أمر نفسه ووعدته بأموال ابني ناصر الدولة وما جمعه في القلاع وما خلفه لهم ناصر الدولة وكان بالحقيقة كثيراً جداً وزعم انه لا يلبس مملكة هي أسهل شوكة من مملكة أبي تغلب وانه يتولى حربه ويشق بمصير خلق من رجاله اليه وكذلك من اخوته وأسبابه فعاهد حمدان على انه يمنعه من جميع ما يمنع نفسه ذباً وحماية وحاف له بأيمان البيعة وجرت

بينهما شروط التزماها ودخلا فيها . فلما صار بتكرير صار اليه علي بن عمرو كاتب أبي تغلب بهدايا يسيرة وانزال من قضيم وطعام وسار معه الى الحديثة وخلا به ودعاه الى القبض على حمدان وتسليمه الى أبي تغلب على ان يجتمع معه وينفق أمواله ويذل سلاحه وآلاته وذخائره وعسكره ورجاله ويعود معه الى بغداد ويستخلص له ملكه من يد عضد الدولة . فالتوى بختيار واضطرب وذكر انه لا يستجيز ذلك مع ما حصل لحمدان في عنقه^(٨٠) من اليمين الغموص ومع ما عليه من عهد عضد الدولة فلم يزل يعاوده ويستعين عليه بوالدته وأخيه أبي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسمعيل وبجماعة من استولى عليه من أسبابه . واستولى كاتب أبي تغلب هذا أعني أبا الحسن علي بن عمرو على بختيار وتسمي بالوزارة وجمع لنفسه كتابة بختيار مع كتابة أبي تغلب واستخلف عليه ابنه . واجتهد في أمر حمدان واسلامه وذلك ان أبا تغلب وأخته المسماة جميلة كانا طالبيين عنده بثار أخيهما أبي البركات .

وأقام بختيار على الامتناع الى ان صار أبو اسحق الى الموصل واجتمع مع أبي تغلب وتقرر الامر بينهما على القبض على حمدان من حيث لا يدخل بختيار في ذلك لئلا يحث في يمينه فرجع الى الحديثة . وعسف بختيار في المخاطبة وأعلمه انه متى لم يفعل ذلك قصده أبو تغلب وحاربه ولم يقاومه وانه ان ساعده صافاه وواخاه وأعادته الى بغداد وأنفق أمواله وذخائره واستدعى الرجال الى ذلك من كل وجه مع ما عنده من الاستقلال بعسكره ورجاله . فضعف بختيار في يده على رسمه في ضعف العزيمة ولين العريكة فقبض على حمدان وأسلم الى خصومه وحبس في قلعة وهرب ابنه المكنى

أبا السرايا الى عضد الدولة . وجمع أبو تغلب الرجال وفتح قلاعهم واجتهد
وبالغ واجتمع مع بختيار على ظهور الدواب فتحالفوا وتعاهدوا فلما فرغا من
الاستعداد انحدروا من الموصل وكانت عدّة أصناف^(٤٨١) الرجال معها
خمسة وعشرين ألف رجل . وبلغ عضد الدولة أخبار الجماعة ولم يكن ممن
تخفى عليه أمور أعدائه وأوليائه يوماً فبرز عن مدينة السلام في جيوشه
المنصورة وقدم مقدّمه مع أبي القاسم سعد بن محمد الخاجب الى تكريت .
وكان أولئك أنفذوا اليها جيشاً مع ابراهيم بن اسمعيل حاجب بختيار
فلوقع به أبو القاسم وقتل كثيراً من رجاله وكاد ابراهيم يؤخذ أسيراً الا
انه نجا الى تكريت واستتر عند بعض أهلها ثم هرب منها ولحق بأصحابه .
وفي هذا الوقت قتل ابن بقية واصل ببغداد

﴿ ذكر الحال في ذلك ﴾

كان حمل مسمولاً على ما ذكرناه الى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية
فتقدّم بأن يشهر في العسكر على حمل ثم طوب بالمال فلم يذعن بشيء منه
فطرح بحضرة العسكر بباب حرب الى الفيلة وأضربت عليه فقتلته شر قتلة
وصلب لوقته على شاطئ دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي وذلك في
يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة ٣٦٧ ثم نقل الى الجانب الغربي
فصلب بازاء ذلك الموضع من الشرقي وبقي فيه .

وعاد الحديث الى تمام خبر الوقعة بين بختيار ومن جمع
وبين عضد الدولة بقصر الحص^(٤٨٢)

اتصل بعضد الدولة ان القوم أجمعوا على ان يفرقوا بعد عبور النهر
المعروف بالاسحاقي يأخذوا في عدّة وجوه الى بغداد فسار بجميع عساكره

الى قصر الجص حتى نزل فوق الناية التي عزموا على ان يتفرقوا منها وذلك بعد ان استخلف وزيره أبا القاسم المطهر بن عبد الله في جيش كثيف ببغداد والنقى القوم غداة يوم الاربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوال واشتدّت الحرب وثبت القوم بعضهم لبعض وتصابر الفريقان من الديلم حمل عضد الدولة حملة صادقة فانهزموا وتبعهم الجند يقتلون ويأسرون وقد كان بختيار عمل على الهزيمة فتمعه أصحابه وخاف من الحصول في الاسر أو التسل فلما تحققت الهزيمة ظفر به بعض الاكراد من العسكر فأخذ سلبه وهو لا يعرفه ثم عرفه غلام تركي يقال له ارسلان كورموش فضربه بلسان وأراد ان يثني عليه فتعرّف اليه باسمه واستأسر له وقال : احماني الى حضرة ابن عمي وخذ جائزتك . ولحقه في الحال تركي آخر فحملاه الى القرب واستأذناه فتوقف وكان أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم حاضراً فأشار بالفرار منه فلم تطب نفس عضد الدولة به ولحقته دهشة وأراد استبقاءه فألح عليه أبو الوفاء وقال : ما تنتظر به ان يعود ثالثاً والى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاة في بعضها^(٤٨٣) افرغ منه ! وعلا صوته وأظهر من النصيحة في هذه الباب والمراجعة الشديدة ما لو قصر فيه لجاز . فرفع عضد الدولة [يده] الى عينه لمسحها من الدموع وقال : انتم أعلم . وكان هناك أبو القاسم سعد الحاجب حاضراً فبادر اليه مع صاحب له واحتز رأسه وكان قد جهده العطش حتى كاد يأتى عليه الموت لو ترك لحظة .

وقتل في هذه الواقعة خاق كثير من القواد والامراء ومن واساه بنفسه وفيهم ابراهيم بن اسمعيل صاحبه وحاجبه وأسر خلق كثير سوى من قتل . ولحقت أبا تغاب ضربة في منهزمه ولم يكن باشر الحرب بل

طلب تلمعة بالقرب فوقف عليها وكان دبر عسكره أن يقفوا كراديس فكلما حمل منها كردوس وأبلى وتعب عاد وحمل كردوس آخر وغره كثرة القوم وكان بختيار عبى خيله تعبىة الديلم ليلقى بنفسه ويياثر الحرب وتاحقه المعونة من كل وجه فجرى الامر على ما ذكرت .

ومن عجيب ما جرى قبل ذلك ان أحد الامراء من عسكر بختيار يعرف بالحسن بن فيلسار أشار عليه وهو ببغداد ألا يخرج عنها ولا يسلمها الا بحرب وابلاء كثير فأبى عليه بختيار فاعتزله وشخص الى جسر النهر وان مع طائفة كانوا يرون رأيه فلما اجتمعوا هناك عقدوا له الرئاسة على أنفسهم وحدث نفسه بالمسير الى جهة شعبانا^(٤٨٤) أو طرف من الاطراف فبلغ عضد الدولة خبره فلما بلغ الى القرب من بغداد جرّد خلفه خيلا فلحقوه ووقف للحرب فانجلت عنه أسيراً وبه ضربات فلبث يسيراً ومات وأسر كثير من أصحابه وانقضّ ذلك الجمع

فأما عضد الدولة فإنه لما فرغ من وقعة قصر الجص تمم المسير الى الموصل فأسكنها وسائر ما يتصل بها من الاعمال والديار وظن أبو تغلب انه يلبث فيها يسيراً ثم يضطر الى العود الى بغداد على سيرة من كان قبله . وذلك ان رسم الحمدانية اذا ضعفوا عن مقاومة من يقصدهم ان ينقلوا الغلات والميرة وسائر الاموال والذخائر الى فلاعهم وينقلون الكتاب والدواوين أيضاً اليها ويخرجون في أصحابهم الى حول الموصل متفرقين في أعمالها فاذا حصل بالموصل عدوهم المتغلب عليهم لم يجد بها شيئاً غير ما عند الرعية فيضطرون الى الملوقات والمير ويخرج من يخرج في طلبهم وينقضون عليهم من أمكنة غريبة وطرق لا يمر فيها الغرباء من العساكر فيأخذون

بغالهم وجمالهم ويقتلون ويأسرون من يمانعهم فإذا صبروا على ذلك أياماً يسيرة وجهدوا ولم يجدوا حيلة ولا مغيثاً من كاتب بلدى ولا غيره طلبوا الصالح وقاربوا للضرورة التي ذكرتها وانصرفوا عنه فيعودون الى ممالكهم . ولم يكن عضد الدولة ممن يسلك هذه السبيل بل احتاط ونقل من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه وحمل من رجال الموصل وكتائبها الموجودين^(١) ببغداد وبتكريت وسائر الاطراف من يرشد ويخدم وكذلك كتاب بغداد كان فيهم من أقام بالموصل وعرف وجوه الاعمال فصبر وأقام الى ان صار أبو تغلب الى الشام بعد نواب نأبته وقُتل هناك كما سنشرح أمره ان شاء الله .

وفي هذه السنة خرج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب بينه وبين أولئك الذين قدّمنا ذكرهم أعنى بختيار وأبا تغلب وكان بروز عضد الدولة الى معسكره بباب حرب من أعلى الجانب الغربي يوم الاثنين ليلتين خلتا من شوال سنة ٦٧ وبرز الطائع لله يوم الخميس لحس خلون منه فلما انهزم بختيار وأبو تغلب من الوقعة بمحضرة قصر الجص عاد الطائع لله الى منزله ببغداد^(٢) وسار عضد الدولة كما ذكرنا فيما قبل الى الموصل فنزل بظاهرها يوم الاربعاء العاشر من ذى القعدة ودخل الدار يوم الجمعة

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : نفل الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفاً وعقد له لواءين بيده أحدهما مفضض على رسم الامراء والاخر مذهب على رسم ولاية اليهود ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله ولقب تاج الملة وكتب له عهد بمحضرة فقرأ بمحضرة ولم تجر العادة بذلك إنما كان يدفع العهد الى الولة بمحضرة أمير المؤمنين فإذا أخذه قال أمير المؤمنين : هذا عهدي اليك فاعمل به .

الثاني عشر .

وترددت الرسل من أبي تغلب الى عضد الدولة في التماس الصلح وحمل مال فامتنع عضد الدولة وقال : انا اذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصالح عليها . وتشدد في ذلك حتى صرح لرسله بأن الموصل وديار ربيعة أحب اليه من العراق وانه ليس يبيعها أبدا . وكانت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لابي محمد ناصر الدولة وكان رسمه أن يضايق أصحاب المعاملات من التناء وأصحاب العقار من أهل البلد ويخاشنهم ويتأول عليهم حتى يلجئهم الى البيع ويشترى^(٤٨٦) أملاكهم بأوكس الاثمان وطالت حياته وامتدت أيامه حتى استولى على الناحية ملكا ومُلكا فلما صار جميع ذلك في قبض عضد الدولة لم يفرج عنها وطب أبو تغلب وأسريت اليه السرايا فلم يمكنه المطاوعة ولا ان يسير بسيرته التي حكيناها فيما تقدم فسار الى نصيبين وسير عضد الدولة خلفه أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار . وكان في جملة من انهزم معه الرزبان بن بختيار ووالدة بختيار وابناها أخوا بختيار ومن أفلت من وقعة قصر الجص فلما لحقهم أبو الوفاء نهضوا منهزمين الى ميافارقين ثم افترقوا فاما والدة بختيار وأخواه وابنه ومن نهض معهم من أسبابهم وبقية الدليم والأتراك المرسومين بهم فأنهم ساروا الى دمشق لاثنين بالفتكين المعزي وهو الذي حارب عضد الدولة بديالى وانهزم من بين يديه فلما بلغه مسير أولاد مولاه وحرمة وأسبابه اليه تلقاهم وقضى حقوقهم . وظن انه يتكثر بهم ويزيد في عدته بمكانهم ويتقوى بهم فجرى الامر بالضد وذاك انه لما انهزم من العراق الى دمشق وتغلب عليها تماسك فيها نحو أربع سنين ودفع جيش المغرب عنها وثبت لعساكر صاحب مصر

التي جهزها اليه واستولى استيلاء قويا وهاباُ العرب وطار اسمه هناك . فلما صار اليه هؤلاء المنزموون قصده عساكر مصر على الرسم متضاعفة على العدة التي تقدمت فصار اليها الى الرملة ومعه الجماعة للحرب^(٤٨٧) والمقارعة فحين توافقت الفرقتان استأمن الرزبان بن بختيار فظهرت المغاربة على الفتيكين وكثروه بمددهم فانزموه وقتل أبو طاهر ابن معز الدولة واستأمن أبو اسحاق بن معز الدولة في آخر الامر . ووقع الطاب على الفتيكين فاحقه المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وجاء به أسيرا : وكان صاحب مصر (قد) عرف منه ومن الاتراك الذين معه على طول الممارسة بأساُ وشدة فأبقى عليهم وعليه وأحسن اليه واليهم واتخذهم عدة وصاحبه ثم اشترى منه ولاده وصار كالعبد له وحصل أصحابه محصل الجند وأحسن اليهم^(١) وأما أبو تغلب فانه أقام بميفارقين ومعه أخته جميلة وكانت وحدها شريكة له في الامر والنهي وسائر اخواته الباقيات وحرمه وعياله معه فلما بلغه مسير أبي الوفاء اليه قدم الحرم والعيال والاموال والسواد الى حصن بدليس وتوجه بنفسه لاحقاُ باسبابه ووصل أبو الوفاء الى ميفارقين وهي مغلفة دونه ولها سور وثيق من حجارة سود لا يعمل فيها الحديد وهي من حصون الروم وأبنيتهم القديمة فطواها أبو الوفاء طالباُ أبا تغلب وانتهى أبو تغلب الى أرزن ونزل على نهر يعرف بخويبور ثم عدل من هناك الى ناحية الحسنية ووصل الى قلاعه واستنزل منها مالا على سبيل المخالسة فعاد الشيخ أبو الوفاء الى ميفارقين لمنازلتها وافتتاحها . واتصل بمضد الدولة مخالفة^(٤٨٨) أبي تغلب الى قلاعه وأخذه ما أخذ منها فنهض من الوصل

(١) اراجع تاريخ ابن القلانسي ص ١٨ - ٢١

بنفسه وهرب أبو تغلب من بين يديه وفارقه جمهور عسكره وأعيان رجاله مستأمنين الى عضد الدولة منهم بختكين آذرويه وبقايا العلمان المعزية والعلمان السيفية فعاد الى الموصل وقد ترك أبا تغلب مسلوب القوة والمعدة

وسلك أبو تغلب في هزيمته هذه طريق الجزيرة فجرد عضد الدولة في أثره أبا حرب طغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته فنكب أبو تغلب الطريق وتأسف الرجوع الى بدليس وظن أنه لا يتبع فكوتب طغان باتباعه وجرّد أبو سعد بهرام بن أردشير في عسكر مددا له فسار خلفه فهرب من بدليس ودخل بلاد الروم قاصدا ملك الروم المعروف بورد الرومي^(١) وهذا رجل تملك على الروم ثم اختلف الجيش عليه بقسطنطينية ونصبوا أخوين من أولاد ملوكهم وافترقت كلمة الروم وطالت الحرب والمنازعات بين الفريقين وكان ورّد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله واعتضد به على خصومه فانعكست الحال بان صار أبو تغلب هو اللاجئ اليه واتفق لأبي تغلب ان كان مسيره في مضائق بين جبال ولحقه عسكر عضد الدولة هناك

﴿ ذكر غلط اتفق بجنابة جناها أبو سعد بهرام على العسكر ﴾
(حتى كسر وهزم بعد التمكن من أسر أبي تغلب)
(والظفر به وبمن معه ^(٤٨٩))

كان عسكر عضد الدولة على نهاية الحرص على الظفر بسواد أبي تغلب

(١) هو المعروف بالسفلاروس والملكان هما باسيل وقسطنطين ابنا رومانوس وأمهما هي ثاوفانو

واشتد طمعهم فيه لعلمهم بما معه من المال الصامت الذي أخرجه من القلعة وأنه لم يترك ذخيرة هناك من جوهر نفيس أو در ثمين أو متاع أو عين يخف محمله الا وهو معه ورأوا الصناديق بعينها التي وصفت لهم انها محمولة من القلعة فحمل الاتراك وفرسان العسكر ومن يوثق بفرسه وسلاحه متسرعين الى غنيمة تلك الاموال . فناداهم أبو سعد بهرام : يا فتيان العسكر احفظوا تلك الصناديق فانها لمولانا . وكرر ذلك وتابيه فانكسر القوم فقتروا في الطالب ونظر اليهم أعداؤهم منخزيين وهم لا يعرفون السبب فحمل عليهم أبو تغلب في عسكره فانهزموا ووقع بعضهم على بعض فقتل منهم خلق كثير . وضرب طغان ضربات تعطل منها كثير من أعضائه وأفلت مع أبي سعد وقد أشرفوا على الهلاك بعد ان أشرفوا على الغنيمة والظفر .

﴿ وذلك عند دخول سنة ثمان وستين وثلثمائة ﴾

ثم ان أبا تغلب بعد كسره طغان وأبا سعد أمن وصار الى حصن زياد وأقام . وكانت جيوش قسطنطينية قد سارت الى ورد^(١) فشغل عنه بنفسه وأنفذ اليه ميرة كثيرة وأشار عليه بأن يلحق به ليجتمع على حرب خصومه فاذا انهزموا واستظهر عليهم عاد فنصره . ولم تسكن نفس أبي تغلب الى أن تلقاه فأنفذ^(٢) اليه طائفة من عسكره على سبيل النجدة والمعونة وأقام

(١) قال يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخه (ونسخته موجودة في كتيبة خانة باريس : ٢٩١) ان أبا تغلب خاف على نفسه فاخذ طريق الجزيرة وكتب الى بردس السقلاروس وكان السقلاروس قد واصله واعتضد به على منازعة باسيل واتفق ان كتبه وردت عليه وقد توجهت جيوش باسيل الملك مع بردس الفوقاس فشغل السقلاروس عن أبي تغلب بنفسه وأنفذ اليه الخ

بمحسن زياد ينتظر فالتقى الجيشان من الروم وانهزم ورد^(١) واتصل ذلك بأبي تغلب فيئس منه وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين الى أن فتحت ميفارقين

﴿ شرح الحال في ميفارقين وفتحها ﴾

قد كنا ذكرنا تجاوز أبي الوفاء ميفارقين طالبا لأبي تغلب فلما هرب الى بلاد الروم وتفرّد أبو حرب طغان الحاجب بطلبه والمسير في أثره عاد اليها فبرز اليه هزارمرد على أن يواقعهم فلم تكن له به طاقة فعاد الى التحصن في المدينة فاقضى الرأي عند أبي الوفاء أن كر الى أرزن فحاصرها ثلاثة أيام وضعف من فيها عن المقاومة ففتحوها له ودخلوا في أمانه وطاعته ولم يزل بسائر الحصون المقاربة لها حتى استغرقها وانكفأ حينئذ الى ميفارقين وناصبه من فيها الحرب ثلاثة أشهر وكسرا وهجم البرد عليه وسقطت الثلوج فاحتمله وصبر . ونُصب عليه وعلى عسكره من داخل السور منجنيقات فثبت لها وقابها بمنجنيقات مثلها ورماهم بالنار والحجارة وهو في خلال ذلك يفتح الحصون المقاربة لها ويستأن أهلها ومن فيها من غلمان أبي تغلب المرتبين حتى قضى الله وفاة هزارمرد فكوتب أبو تغلب بذلك فكتب بأن ينصب مكانه غلام من الحمدانية كان مضموما اليه يقال له مونس . وكان بالبلد قاض جاهل متهور ليس^(١) فيه من أدوات القضاء شيء يقال له أبو الحسين المبارك بن ميمون ويعرف بابن أبي ادريس^(٢) فاستولى على تدبير

(١) وفيه أيضا أن ذلك يوم الاحد ثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨

(٢) قال ابن الأزرقي الفارقي صاحب تاريخ ميفارقين : كانت ميفارقين من سنة ٣٣٣

تحت حكم القاضي عبد الله بن الخليل بن المبارك بن ميمون عند غيبة سيف الدولة

أمر مونس هذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من المطوعة وحمله السلاح على الثبات والمدافعة فكاتبه أبو الوفاء ودعاه الى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى الا العناد . وكان يصعد الى برج من أبراج السور فينادي المسكر ويسمى القواد وصاحب المسكر ومن يلى أمرهم ويشتمهم ويبالغ في ذكرهم بالقبيح ويتجاوز ذلك الى ما لا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه الى مكاتبة شيخ من ميفارقين كان وجهها ومطاعا فيها يقال له أبو الحسين أحمد بن عبيد الله ^(١)

﴿ ذكر الحيلة التي تمت لابي الوفاء في فتح ميفارقين ﴾

وجد أبو الوفاء لابي الحسين احمد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقبلا في ضيعة له فراسله به ورفق بالسلام ووصله ثم جمعه وليجة الى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ العهد والميثاق على أهل البلد سرا فمضى خبره الى القاضي الذي ذكرناه فسمى في الفتك به وكاد يتم له ذلك لولا أن أهل البلد حاسوا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمره يقوى وأهل البلد يجتمعون اليه وقد ملوا الحصار والضيق حتى استنظروهم ^(٢) فلما كان يوم الجمعة لليتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٦٨ ثاروا مشغبين ^(٣) على أصحاب أبي تغلب

الى ان مات ومات بعده القاضي وولى موضعه أبو الحسين محمد بن علي بن المبارك ابن ميمون وكان هذا البيت يعرف بيت ابن أبي ادريس

(١) وقال أيضا : وكان أحمد هذا صهر القاضي وكان الناس يرجعون الى كلمته

(٢) وزاد صاحب تاريخ ميفارقين : ثم أنه من الغد حضر عند القاضي وكان بينهما وحشة ومصادمة ووجه جماعة من الناس فشكوا ما هم عليه من المصادمة والحصار فقال القاضي : وأن صبركم وجلدكم وبعد ما أكلتم السكاب ولا أكلتم أولادكم ولا مات منكم مائة في يوم واحد .

فالتجأ مونس ومن معه الى منازلهم وقبض احمد بن عبيد الله على القاضي ابن
أبي ادريس وعلى جميع من كان في حصن ميفارقين من أصحاب بختيار
وحاشيته وفيهم غلام أهوج معروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار
على طريق المنادمة التي تليق بمثله يعرف بابن الطبري فساعد القاضي على
سيرته وجهله في ذكر الملوك وبسط اللسان فيهم ووجه الى مونس الحمداني
يلتمس مفاتيح الباب منه ويهدده متى أخرها وساعده الجماعة على ذلك
فأنفذها والتمس الامان فكتب احمد بن عبيد الله الى أبي الوفاء يعرفه بأعماله
ويلتمس الامان لمونس ومن معه من الحمدانية فأمنه واستثنى بهذا القاضي
وبالمعروف بابن الطبري وأنفذ أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب في قطعة
من الجيش فدخل الى البلد وملكه وأحسن أبو الوفاء الى أهله وفرق فيهم
أموالا وتصدق على ضعفائهم بأمر عضد الدولة إياه. وحمل الى حضرته
القاضي وابن الطبري فأمر بضرب رقابهما وصلبهما من السور على البرج
الذي كان يظهر منه ويسمي أدبه فيه

﴿ فتح آمد ﴾

كان أبو الوفاء أنفذ اليها في أول الامر أبا علي التميمي الحاجب لاقتاحتها
فتمذرت عليه لخصائتها ووثاقه سورها الذي هو أشد من سور ميفارقين
فرجع عنها ثم عاد اليها أبو تغلب من بلاد الروم على ما^(١١٣) ذكرنا وظن
انه يقيم فيها ويمتنع بها فلما فتحت ميفارقين علم ان الجيش سائر اليه وانه
لا يثبت مع الحصار ومع ما استمر عليه من الجوائح فأنفذ أخواته سوى
جميلة مستأمنات الى أبي الوفاء وتبين أصحابه ضعفه فالتأوا عليه فهرب الى
الرحبة ومعه أخته جميلة ومن يمس أمره من حره. وقعد عنه المعروف

بانجوتكين وهو من نجباء الاتراك المعروفين بالشدة والثبات في المعارك وله قوة على حملات له ثقل يمجز عنه غيره واذا حمل به لم يثبت له أحد وقعد معه جماعة من الاتراك وقصدوا حضرة عضد الدولة مستأمنين اليه ثم تنابح الناس الذين كانوا مع أبي تغلب من الفلماں والجند والكتاب والولاء والاتباع . وسلك حينئذ أهل آمد بعد انصراف أبي تغلب عنها سبيل أهل ميفارقين ففتحوها سلمًا وطوعًا .

واشتمل أبو الوفاء على ديار بكر بأسرها وعاد الى الموصل ومعه الاسارى بعد ان رتب في الحصون من يحفظها من ثقات عضد الدولة ورتب في البلدان عمال الخراج والمعاون

﴿ ذكر ما عمله أبو تغلب بعد مسيره من آمد ﴾

لما انصرف من آمد وقصد الرحبة أنفذ من طريقه أبا عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة وسلامة البرقيمدى وهو من كبار الحمدانية الى عضد الدولة برسالة تتضمن الاستعطاف ويسأله الصلح والاصطناع ووصل الى الرحبة ^(١٤٤) وأقام بها على انتظار الجواب . فورد أبو عبد الله وسلامة البرقيمدى الموصل وأدى أبو عبد الله ما تحمله فتلقاه عضد الدولة بالجميل وقبل منه تنصله وبذل له اقطاعا وفضلا على ان يطاء بساطه ويدخل في ذمامه وتبين أبو عبد الله حزم عضد الدولة وذلك انه مع احسانه اليه وتوسعته عليه منع أحدا من الوصول اليه فلم يشاهد بعينه الا الموكلين به فقط وعرف من أخيه انه لا يستجيب لما دعاه اليه عضد الدولة فأخذ بالحزم لنفسه وتعلق بمصمة باطنية اختص بها واعتقد ان يفارق أخاه ويعود الى حضرة عضد الدولة فمضى اليه فأعاد الجواب عليه . فكان الامر على ما ظنه من مخالفة

أخيه لمرسوم عضد الدولة فتوجه الى الشام لاجئاً الى صاحب المغرب
وسار معه أخوه الحسين الى بعض الطريق ثم فارقه قبيل تدمير على غير
استئذان فأنفذ خلفه من يتبعه فشعث سواده ولم يلحقه في نفسه فنجوا
وحصل بحضرة عضد الدولة على حال جليلة

﴿فتح ديار مضر﴾

كان الوالى عليها سلامة البرقيدي فأنفذ اليه سعد الدولة وهو ابن
سيف الدولة جيشاً لينزله عنها فجرت بين الفريقين حرب . وكان سعد
الدولة هذا قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه^(١٠) وتعلق منه بمصمة
فأنفذ عضد الدولة أبا أحمد الموسوي النقيب اليها فسلمها بعد حرب ودخل
أهلها في الطاعة . ولما استولى عليها سلطان عضد الدولة استصفي منها الرقة
وأعمالها خاصة وفوض باقيها الى سعد الدولة وجرت مجرى سائر ما في
يده من أطراف الشام .

ثم فتح الرحبة فتفرغ لفتح قلاع أبي تغلب وهذه القلاع هي في جانب
دجلة الشرق وهي عدة كثيرة فمنها أردمشت ومنها الشعباني وقلة اهرور
وقلة مليصى وقلة برقي وكانت أردمشت خاصة مملوءة بالامتعة الفاخرة
من أصناف الثياب والفرش والجواهر والضياعات والحلي وسائر أصناف
العدد وكان أبو تغلب رتب فيها رجلا من الأكراد بينه وبينه قربى من جهة
والدته فاطمة بنت أحمد الكردية يعرف بابن بادويه وضم اليه مملوكا له
كان من غلمان أبيه يثق به يقال له طاشتم فأنفذ اليه عضد الدولة أبا العلاء
عبيد الله بن الفضل بن نصر النصراني لمنازلة القلعة والاحتتيال في فتحها
وأخذ أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب الى الشعباني وأخذ صاحباً لابي نصر

خرشيد يزديار الخازن الى امرور فمرف أبو العلاء حال أقارب لابن بادويه السكردى خارج القلعة فدعاهم الى خدمة عضد الدولة^(١) ورغبهم فيها وعرفهم اضمحلال أمر أبي تلاب ووقوع اليأس منه وكانهم عضد الدولة بمشورة أبي العلاء فرغبوا في الخدمة وصاروا على ثقة مما وعدوا به ثم حملوا على مكاتبة صاحب القلعة وأشاروا عليه باقبض على طاشتم وتسليم القلعة وذلك ان طاشتم كان شديد الطمع في عود صاحبه ويجب أن تظهر أمانته عنده ففعل ابن بادويه ذلك وبذل للحراس وسائر من يحفظ القلعة البذل الكثير وحكموا فتم القبض على طاشتم والتقييد وحصات القلعة بما فيها^(٢) وظهرت نجاة أبي العلاء واجتهاده وحسن تطفه وكان قيمة ما في القلعة على ما حررناه (وكنت فيمن أخرج اليها لنقل ما فيها مما يصلح للخزانة) ومع ما يباع وتبقى ما يبقى في القلعة نحو عشرين الف الف درهم قال صاحب هذا الكتاب : كان عضد الدولة أمرني أن أصير مع خواشاده^(٣) الى هذه القلعة وأحضر احصاء ما فيها ثم تسلم طاشتم مقيدا وأحمله على بغل بال كاف مجردا لا وطاء عليه وومعه أصحابه الذين قيدوه وسلموا القلعة بالخلم والدواب والمراكب التي حملوا عليها وبن أيديهم البدر والسياب التي حبوا بها ثم أطوف به تحت القلاع الممتعة التي لم تفتح بعد لينظر من فيها الى حال طاشتم فيحذروا مثلها ويروا أحوال الباقيين فيطمعوا

(١) وفي طاشتم هذا ليراجع ما في كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦

(٢) وفي خواشاده هذا قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥٥) قرأت في كتاب بغداد تصنيف هلال بن الحسن الصابي : حدثني خواشاده خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة (يعني بغداد) ناصرها وخرابها وحرقها وما يجاورها ويتاخها فكان مثل شيراز

في مثابا^(١٧) ففعلت ذلك وتحملت رسائل الى أصحاب تلك القلاع .
وجرت أحوال بطول شرحها الا ان جملتها ان القوم لما نظروا الى هيئة
طاشتم وأصحابه دخلهم الرعب من جانب وتجددت لهم الرغبة من جانب
وكانوا قبل ذلك لا يصدقون الرسل بان هذه القلعة التي كان فيها طاشتم
فتحت فلما رأوه عيانا وخاطبوه عرفوا وهاء أمر أبي تغلب وقوة عضد الدولة
وسلموا القلاع بمد مده .

ورأيت أنا من طاشتم هذا في طريقى حصافة واقبالا على الصلوات
ودعاء كثيرا (وقد كان أومن على روحه فقط) فسألني في الطريق المعونة
وحسن المحضر عند عضد الدولة فلما عدنا الى الموصل وفرغنا من استقراء
القلاع على ما وصفت نُبتُ عن طاشتم هذا بحضرة عضد الدولة وعرفته
سداده وانه يصلح لخدمته فقال : هو كما تقول ولكن السياسة لا توجب
اصطناعه . فقلت : وكيف ؟ قال : لانه مانعنا ثم تقرب به الينا غيره فان وقع
احسان اليه سوتنا بينه وبين من خدمنا بالقبض عليه فخبثت نيات من
يخدمنا في أعدائنا وظنوا انا لا نميز في الاحسان بين الولي والمعدو وبين
الحبيب والممتنع ومع ذلك فان بين أيدينا قلاعا ما فتحت بعد وان بلغ أصحابها
المتعين فيها احساننا الى هذا زالت الرهبة عن قلوبهم وطمعوا في مثل
طاقة هذا بعد حصولهم^(١٨) في أيدينا ان حصلوا وسلامتهم في مواضعهم
ان سلموا . ثم قال : ولان لي فيه رأيا وهو ان أتفه الى صاحبه أبي تغلب
فانه سيؤمّوّه على صاحب مصر به وبقلعه ويدعي انها في يده وفيها ذخائره
وثقانه وان ماله في هذه القلاع يفي بمؤنته ان أمد بالرجال ولا تزال
مخاربه مشبهة وجائزة هناك الى ان يطلع عليه هذا وتتقدمه الاخبار بما

جرى عليه فحينئذ تبطل تمويهاته وتظهر فاقته وأنه طريد سيوفنا وإنما أفلت بحشاشته وليس وراءه عُدّة ولا ذخيرة ولا قلعة . فلما سمعت هذا الجواب علمت أنه صواب في سياسة الوقت وإن معارضته فيه خطأ فأمسكت . وبلغ طاشتم ما عزم عليه من تسيره الى صاحبه . مقيداً بحالته تلك فقلق جداً وراسلني يستلني المصير الى محبسه فصرت اليه تديماً فوجدته كثير البكاء لا يستقرّ على الارض قائماً فقلت : ما شأنك ؟ فقال : ان الملك كان آمنتني على نفسي وأراه الآن قد بذلني لمن لا يبقى عليّ . وأطال هذا المعنى وسألني معاودة عضد الدولة ومخاطبته في الامان الذي معه فحملت نفسي على معاودته فلم يرجع عن رأيه الاول وقال : انما آمنتك على نفسه مني والا أصيبه بمكروه وأنا له على ذلك ولست أضمن الا أصيبه صاحبه بمكروه . وتبرأ مما يجري عليه من صاحبه وتقدم^(١١) بالاسراع به . فلما بلغ أبا تغلب خبره من موضع يقرب منه تلقاه بمن قتله والله أعلم بصحة ذلك الا ان موته شاع بعد زمان قليل .

﴿ ذكر ما دبره عضد الدولة من أمر هذه الممالك ﴾

﴿ وعوده الى بغداد ﴾

خاف أبا الوفاء بالموصل لتهديب المعاملات وترتيب العمال في الاعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين وعاد الى مدينة السلام يوم السبت انسلاخ ذي القعدة سنة ٣٦٨ . وخرج الطائع لله في تلقيه مع جماعة الجيش والمقيمين وسائر الخوفاص والعوام ودخل يوم الاحد الليلة خات من ذي الحجة واجتاز في الجانب الغربي على تعبئة من الجيش وبعد ان ضربت له القباب متصلة منتظمة بين عسكره من باب حرب وبين الموضع الذي

ينزله من آخر البلد وهو البستان المعروف بالنجمي وعبر في يوم الاثنين له الى داره فاستقر فيها .

﴿ [ذكر] ما أكرم به عضد الدولة من جهة الطائع لله ﴾

خرج أمر الطائع لله الى خالفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بان يقيموا له ضد الدولة الدعوة تالية لاقامتها له على منابرها ونفذت به الكتب اليهم ورسم ان يضرب على بابه بالدياب في أوقات الصلوات . وهذان الامران من الامور التي بلغها عضد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على ^(١) قديم الايام وحديثها ^(٢)

﴿ ودخات سنة تسع وستين وثلثمائة ﴾

وفي هذه السنة ورد الحضرة أخ اسقلاروس الرومي المعروف بورد وقد ذكرنا خبر هزيمته عن جيوش قسطنطينية وكان صار الى ديار بكر وأنفذ أخاه هذا الى عضد الدولة مستنقرا ومستنجدا وباذلا من نفسه العاعة والمعاهدة ^(٣) ولما كان الملاك الاخوان المذان بقسطنطينية عرفا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وقد كان معز الدولة أحب ان يضرب له الدياب بمدينة السلام وسأل المطيع لله ذلك فلم يأذن له قات : وماذاك الا لضعف أمر الخلافة .
(٢) قال يحيى بن سعيد الانطاكي : وأما اسقلاروس فانه بعد هزيمته أخذ معه أخاه قسطنطين وولده رومانوس وصار الى ديار بكر وأنفذ أخاه قسطنطين الى عضد الدولة ياتمس منه النجدة والمونة وبذل له الطاعة والمواالة وتطول مقامه واتهى الى الملك بأسبل حاله فأنفذ الى عضد الدولة كتابا له وجيها يسمى قففور ويعرف بالاورانوس (وهو الذي باخره ماجسطرس ووالى انطاكية) مترسلا عنه فيما يفسد على اسقلاروس ما شرع فيه مع عضد الدولة ومالا واسعا يستعين به على قصده ورسم له بان يرغب عضد الدولة بما يبذله له فيه ويعدده اخراج كل أسير في بلد الروم وان يتلطف باحضار

ما فعله أئقذارسولا وجيها الى عضد الدولة انقض مائرع فيه ورد واجتمع هذان الرسولان على بساطه خاضعين يتنافسان فيه ويتزايدان في التقرب اليه ويستبقان الى التماس الذمام منه ولم ينصرفا الى ان انساخت سنة تسع وذلك مالم يكن مثله قط وهو من مائر عضد الدولة

وفيهما توفي عمران بن شاهين صاحب البطيحة بخاة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان ركب في غداة هذا اليوم للتنزه على عادة كانت له فلما عاد الى داره تشكى دون ساعة وفاطت نفسه بعد ان نصبت له الارصاد اربعين سنة وأتقت على حروبه الجرائب وبعد ان أذل الجبابة وأرباب الدول وطواهم أولا أولا وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها

السقلاروس اليه ولو باهتباعه وابتباع من معه من الروم ويضمن له أنه يؤمنهم ولا يسيء الى أحد منهم . وأوعز عضد الدولة الى صاحبه المقيم بيافارفين سرا بان يقبض على بردس السقلاروس فاطهر عضد الدولة الانكار للحال والفضب على صاحبه لما فعله وكاتبه بان يحمله الى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددهم ثلثةائة نفس . ولما وصل السقلاروس أنزله عضد الدولة دارا خلعت له ووسم عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عليه ووعده باطلاقة ونجريد عسكر معه . وارسل عضد الدولة الى باسيل الملك صاحبها له يعرف بابن شهرام في معنى السقلاروس وقصده وما يبذله من الموالاة فانه قد شرط على نفسه اذا ظفر يسلم اليه حصونا مما اقتنجه الروم وانزعوه من أبدي المسلمين ويستدعى منه أن يسلم اليه تلك الحصون والا هو يمد السقلاروس بالعساكر ويمضده على ما النمسه منه فأعلمه باسيل الملك قلة عنايته به وان ذلك مما ينزعج منه . وورق الى عضد الدولة ان تقفور رسول باسيل الملك الوارد في طاب السقلاروس مجتهدا عند اياسه من أن يسمه ويميته ليكفي صاحبه أمره فوكل به أيضاً واعتقل فقبض على جميع ما ورد معه من المال والمناع . واعتل عضد الدولة وشغل عنه وعن غيره بنفسه ومات وبقي جماعتهم معتقلون ببغداد مدة ثمان سنين الى ان صدر أيام ولده صمصام الدولة وانتهى امرهم الى ما سنشرحه مستافاً .

وذحول يتحملونها وهو ممنوع الحريم محصن الساحة محي من غوائلهم
ومكايدهم فلما أطرقه^(٥٠١) الله لم يكن له مستقدم ولا مستأخر
وفيهما جرد عضد الدولة جيشا مع صاحبه وثقته أبي القاسم علي بن
جعفر الواذاري وضم اليه أبا العلاء النصراني لطلب بني شيبان
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كانت هذه القبيلة أعنى بني شيبان مستعصين قد تعودوا النهب
والغارة والتلصص وأعتت الحيلة في طلبهم وذلك ان لهم خيولا جيادا
يعولون عليها في الحرب اذا طلبوا فكانت سراياهم تبلغ في الليلة الواحدة
ثلاثين فرسخا وربما زادوا على ذلك فيمسون بموضع ويصبحون على هذه
المسافة البعيدة وكذلك يصبحون في مكان ويمسون منه علي مثل ذلك ولا
يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم . وكان لهم رئيس يعرف^(١)
وكانوا مع ذلك قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور المتغلبين عليها
مساهرات وأذمة وشهرزور هذه لم تزل ممتعة على السلطان لا يدعن أهلها
لحصانة المدينة ولاهم في أنفسهم عتاة ذوو بأس وجلد . فاراد عضد الدولة
أن يبدأ بشهرزور ليقطع بين اعراب بني شيبان وأكرادها فاتفق شيوخ
أبي القاسم الواذاري وهو عقيب علة طالت عليه ولحقته نكسة في طريقه
فمات وورد خبره على عضد الدولة وكاتب أبا العلاء وأقامه مقامه وأمره
باستكمال الخدمة فيما توخاه . ففعل ووفي وظهرت نجابته المعروفة منه ونهض
نهوضا كفى المهم به وشفى الصدور ولما وصل الى شهرزور وعسكر على
ظاهرها فتحت له فدخلها في عدة يسيرة على موادعة أهلها وقبول^(٥٠٢)

الطاعة منهم ولم يكن القصد الاول اليهم ولا المراد بلدهم . فهرب بنو شيان في البر مصعبين الي نواحي الزواحي على رسمهم في الاجفال اذا طلبوا .

﴿ ذكر ما دبره أبو العلاء من أمرهم حتى ظفر بهم ﴾

سار أبو العلاء الى دقوقا وأقام بها أربعة أشهر وكسرا يعمل ضروبا من الخيل والمكايد والمكاتب المتصلة بضروب من الاستمالة والرفق والاطماع حتى سكنوا اليه وأنسوا به ولم يعجل به ذلك حتى قربوا باحياءهم منه فأسرى حينئذ اليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة أمت على نفوسهم وأموالهم وفزارهم وأعزتهم وغنم غنيمة عظيمة وقتل من مقاتلتهم خلقا كثيرا وانصرف بمائتي رأس من رؤوس القتلى ومائة رجل من الأسرى فيهم جماعة من وجوههم ورؤسائهم . فدخل بغداد يوم الخميس لثمان خلون من رجب وشهر هؤلاء الأسارى على الجمال بالبرانس الطوال والثياب الملونة لأربع عشرة ليلة خلت منه وأودعوا الحبوس والمطابق وتفرق أوتك الذين نجوا منهم في الاطراف البعيدة وطفت جمرتهم وزالت عن أعمال بغداد والسواد فصرهم .

وفيها قبض على أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبين وعلى أخيه أبي عبد الله وعلى قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن مروف وأنفذوا الى فارس وقلد قضاة القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس ^(١) واستخلف له بغداد أربع خلفاء على أربع بغداد وهم أبو بكر

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : هو قاضي قضاة شيراز توفي في رمضان سنة ٣٨٠ وكان اماما في مذهب داود (يعني من أهل الظاهر) فصرف عن القضاء في سنة ٣٧٢ بموت عضد الدولة . وأما خليفته ابن صبر قال أيضا أنه حنفي ولي القضاء بعسكر المهدي

محمد بن عبد الله^(٥٠٣) المعروف بابن صبر وكان خليفته على الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الاعلى منه وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الحرزى وصير خليفته على ما بقى من الجانب الشرقي من حد المخرم الى الطرف الاسفل وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الاكفاني^(١) خليفته على مدينة أبي جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي الى طرفه الاعلى وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني خليفته على المدينة التي

ومات سنة ٣٨٠ وكان معتزليا مشهورا به رأسا في علم الكلام سمي أبو بكر الخطيب أبا عبد الرحمن وأما هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحسين بن فهم المعروف بابن صبر وكان بصيرا بكلام أبي هاشم الجبلي خيرا بالتفسير وله كتاب في الرد على اليهود وكتاب عمدة الأدلة وكتاب التفسير وما أتمه . وأما الحرزى وهو شيخ أهل الظاهر أخذ عن قاضي القضاة بشر بن الحسين وقدم من شيراز في حجة السلطان ضد الدولة وتوفي سنة ٣٩١

وقال أيضا إن أبا هاشم الجبلي هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن أبي علي البصري كان هو وأبوه من رؤس المعتزلة وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما . قال ابن درستويه النحوي : اجتمعت مع أبي هاشم فالتقى على ثمانين مسألة من غريب النحو ما كنت أحفظ لها جوابا . ولأبي هاشم تصانيف وتلامذة وكان يصرح بخناق القرآن كتابه ويقول بخلود انقاس في النار وإن التوبة لاتصح مع الاصرار عليها وكذا لاتصح مع المعجز عن العقل فقال : من كذب ثم خرس أو من زنا ثم جب ذكروه ثم تابا لم تصح توبتهما . وأنكر كرامات الاولياء . توفي في ثامن عشر شعبان سنة ٣٢١ هو وابن دريد في يوم واحد ودفنا بمقبرة الخيزران . وليراجع ما قال فيه أبو سعد السمعاني في كتاب الانساب : ص ١٢١ وابن دريد ترجمة في ارشاد الاربيب ٦ : ٤٨٣

(١) قال فيه صاحب تاريخ الاسلام رواية عن النخعي : قال لي أبو اسحق الطبري : من قال ان أحدا أتق على أهل العلم مائة ألف دينار فقد كذب غير أبي محمد الاكفاني . والله جمع له في سنة ٣٩٢ جميع قضاة بغداد وتوفي سنة ٤٠٥ .

تعرف بالشرقية وهي على غربي دجلة الى طرفه الاسفل وقسمت نواحي
السواد على هذه الحصص بينهم

وفي هذه السنة ورد الخبر بقتل أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بالرملة
﴿ ذكر شرح الحال في قتله وحرقة ﴾

كنا قد ذكرنا خبره في توجهه من الرحبة الى دمشق وكان بلغه ان
عضد الدولة كاتب سعد الدولة بن سيف الدولة وجميع البوادي هناك من
بنى كلاب وغيرهم بمعارضته في مسيره وأخذوه وحمله الى حضرة فاستوحش
وعدل عن نهج الطريق وأوغل في البرية فثأله مشقة عظيمة ووصل الى
دمشق من ورائها فوجد فيها من أهلها رجلا يقال له قسام^(١) قد تحصن بها
وغلب عليها وخالف صاحب المغرب فلم يتمكن من دخولها فنزل في
ظاهرها وأنفذ كاتبه على بن عمرو الى مصر يستدعي من صاحب المغرب
النجدة . ووقعت بين أصحابه وبين أصحاب^(٢) قسام هذا ثورة فرحل
الى موضع يقال له نوى وفارقه من ههنا ابن عمه أبو الفطريف مستأمننا الى
عضد الدولة وعبدعبد الفطر بنوى وورد عليه كتاب من كاتبه من مصر بان
صاحب المغرب تقبله ووعدته بكل ما أحبه وأنه التمس منه ان يسير اليه
زائرا فامتنع أبو تغلب من ذلك وترددت المراسلات والكتابات بينهم ما
فرحل عن نوى الى منزل يقال له كفر عاقب على بحيرة طبرية وفارقه من
هناك أخوه أبو طاهر ابن ناصر الدولة على اتفاق واستئذان مستأمننا الى
عضد الدولة . وكان صاحب المغرب أخذ وجهها من وجوه غلمانها يقال له
الفضل الى دمشق ليحتمل على قسام ويفتح البلاد انصار الى طبرية وفرب

(١) ليراجع فيه تاريخ ابن الفلاسي ص ٧٢ — ٢١

(٥١ — نجارب (س))

من أبي تغلب وتراسلا في الاجتماع فسار الفضل اليه وتلقاه أبو تغلب
وتهاوضا في الموكب ووعدته عن صاحب المغرب بكل ما أحب وبذل له أبو
تغلب المسير معه الى دمشق لفتحها . فكره ذلك للنفرة التي كانت جرت
بينه وبين قسام لثلا بوحشه وكان يسلك في أمره اللطاف والحيلة لا طريق
الخوف والمقارعة فافترقا وعاد كل واحد منهما الى موضعه ثم رحل الفضل
الى دمشق فلم يتم له ما قدره فيها . وكان بالرملة دغفل بن المقرج بن
الجراح الطائي وهو رجل بدوي استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة
صاحب المغرب من غير ان يتصرف على أحكامها واستفعل أمره وكثرت
البوادي معه فسار الى احياء عَقِيل المقيمة بالشام ليواقعها ^(٥٠٥) ويخرجها
عن تلك البلاد فلجأت الى أبي تغلب وسألته نصرتها ومثت اليه بالرحم
النزارية وكتب ابن الجراح اليه يسأله الا يفعل ذلك ومثت اليه بالخلف
الذي وقع قديما في الجاهلية بين ربيعة واليمن فتوسط بين الجهتين على
التكافؤ الى ان يرجع الى صاحب المغرب ويمثل ما يرد منه في الامر الذي
شجر بينهما . ورحل فنزل في جوار عَتِيل على انه مانع لها المسير والابتداء
بالشر فلو حش ذلك ابن الجراح والفضل صاحب صاحب المغرب وخافاه
وظنا ان اجتماعه مع بني عَقِيل لتدبير على أعمالهم فسار الفضل عن باب
دمشق على طريق الساحل الى الرملة . وضجر أبو تغلب من طول مقيل
واتصال كتب كاتبه اليه بالتسويق والتأجيل فسار الى الرملة مع احياء عَقَاتِي
وذلك في المحرم سنة ٣٦٩ فهرب ابن الجراح والفضل من بين يديه حبا
بمد وكتب الفضل يستنجد ويجمع الى نفسه جيوش السواحل وولامه
وجمع أيضا ابن الجراح الرجال واحتشد فتوافت اليهما طوائف كثيرة

واستأمن الى أبي تغلب ممن كان معهما استنكبين التركي المغربي وغيره من الاتراك وقطعة من الرجال الاخشيدية والمغاربة وعطف اليه الفضل وابن الجراح فيمن جمعا فوقعت الوقعة على باب الرملة يوم الاثنين لليلة خات من صفر^(٥٠٦) سنة ٣٦٩ فلما عاينت عقيل كثرة الناس انهزمت فضمف^(٥٠٧) أمر أبي تغلب وفارقه استنكبين المغربي طالبا العراق ومستأمنا الى ضد الدولة وعاد باقى المستأمنة من المضرين الى الفضل والى ابن الجراح ولم يبق مع أبي تغلب الا نحو سبعمائة رجل وهم غلمانة الحمدانية فانهمز وانهزموا ولحقهم الطلب فقتلوا وجوههم يحامون عن نفوسهم بالكافحة والمجادة فضرب بعض الصماليك أبا تغلب على رأسه وعرقب آخر فرسه فسقط الى الارض وبادر اليه ابن عم لابن الجراح يقال له مشيع الطائي وقتل بعض غلمانة وأسر أكثر أصحابه وحصل أبو تغلب في عشية تلك [الليلة] فى يد ابن الجراح فبكر مرتحلا بأحيائه وعسكره وسيره بين يديه على ناقة وقد شدّ رجليه بسلسلة الى بطنها واعتقد ان يأتي عليه ولا يبقى فبلغ ذلك الفضل فبكر ليأخذه من يد ابن الجراح فالفاه قد سار فاتبعه فلما قرب خاف ابن الجراح ان يتسلمه منه وبصير به الى مصر فيجربى معه مجربى الفتكين فى اصطناع صاحب المغرب له واستصحبه اياه وقد وتره بالحرب والاسر وأماخ الناقة وضربه بيده ضربتين بالسيف فسقط قتيلًا وأخذ رأسه وقطع بعض الشيوخ من العرب يديه ورجليه لانه كان ضرب يد ابن له عند مماثمته عن نفسه فأطنها . ولحق الفضل وقد قضى الامر فأخذ رأسه وألقاه الى مصر ثم صاب جثته ثم أحرقت .

وقد كان خاف أخته جميلة وزوجته وهي بنت سيف الدولة^(١٠٧) في احياء
بنى عتيل فلما قُتل حملوها^(١٠٨) مع سائر عياله الى حلب فأخذ سعد الدولة أخته
اليه وأتت جميلة الى الرقة وحدرها منها الى عانة وعُدل بها من عانة الى الموصل
وسلمت الى أبي الوفاء فكانت في يده الى ان انحدر الى بغداد فحدرها
معه وحصلت معتقلة في الدار في بعض حجراتها مع جواري عضد الدولة
ونسائه .^(١٠٩)

وفي هذه السنة أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها وكانت
مختلة قد أحرق بعضها وخرب البعض فهي تل وابسداً بالمساجد الجامعة
وكانت أيضاً في نهاية الخراب فانفق عليها مالا عظيماً وهدم ما كان مستهدماً
من بنيانها وأعادها على أحكام وشييدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم
بإدراج أرزاق قوائمها ومؤذنيها والائمة والقرءاء فيها واقامة الجرايات لمن

(١) الصواب « حملوها » (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٦
ان فيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان ومعهما أخوها ابراهيم وهبة الله
فغضب بمحجم المثل فنهاه عن تصحيت أربعائة رجل وكان معه عدة محامل لم يعلم في
أنها كانت وكذب المجاورين ونثر على الكعبة مساراتها عشرة آلاف دينار وسقت
جميع أهل المرمم السويين بالسكر والتلج (كذا قال أبو منصور النعماني فمن أين لها
تلج ؟) وقال أخوها الواحد في الطريق وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت المجاورين
بالاموال . قال أبو منصور النعماني : خاضت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب وكان
بها أربعائة عمارة لا يدري في أيها كانت ثم ضرب الدهر ضربانه واستولى عضد الدولة
على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها أفضت بها الحال الى كل قلة وذلة ونكشفت
عن فقر مدقع وقد كان عضد الدولة خطيبها فامتعت ترفها عليه فحقد عليها وما زال ينفق
بها حتى عراها وهتكها ثم ألزمها ان تختلف الى دار القهاب فتسكب ما تؤذيه في
إعدادة فلما ضاق بها الامر غرقت نفسها في دجلة .

ياؤى اليها من الغرباء والضعفاء وكان ذلك كله مهملا لا يُفكر فيه . ثم أمر بممارة ما خرب من مساجد الارباب المختلة وأعاد وقوفها وعول في هذه المصالح على عمال ثقات أشرف عليها نقيب العلويين ثم ألزم أرباب العقارات التي احترقت ودثرت في أيام الفتنة ان يعيدوها الى افضل احوالها في العمارة وفي الحسن والزينة فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله ليُرْتَجَم منه عند الميسرة ومن لم يوثق منه بذلك أو كان غائبا أقيم عنه وكيل وأطلق له ما يحتاج اليه فعمرت بغداد^(٥٠٨) وعادت كأحسن ما كانت .

ثم وقع التبع على الدور والمساكن التي على جانبي دجلة فبنيت مساكنها وجددت رواشنها بعد ان كان الخراب شاملا لها وتقدم الى من سميت له دار على الشط من كبار الاولياء والحاشية ان يجتهد في عمارتها وتحسينها . وكان السبب في خراب هذه الدور والقصور على الشط ان يختار كان نقض دار أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي التي كانت على العصرة ودجلة حين قبضها عنه ولم يكن لها نظير ببغداد في الاتساع والحسن وكان اتخذ فيها بستانا نحو سبعة أجرة مملواً بالنخل والاشجار والرياحين والانوار وطرائف الغروس الغريبة وأنشأ فيها المجالس البهية والمساكن الفسيحة فارتفع له من ثمن النقض جملة استكثرها واستطاب بعد ذلك بيع الانقاض فهدم المنازل الجليلة التي لا يمكن أو يصعب اعادتها . فأمر عضد الدولة برفع سنة الاخراب وبيع الانقاض واعادة عمارة بستان عرصة دار العباس بن الحسين وكذلك عمارة البستان بالزاهر المتوسط الشرقي من بغداد فعمل ذلك فامتلات هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى

السكلاب ومطارح الجيف والاقذار وجلبت اليها الغروس من فارس
وسائر البلاد .

وكان ببغداد أنهار كثيرة مثل نهر العبارة ونهر مسجد الانباريين ونهر
البراذين ونهر الدجاج ونهر القلايين ونهر طابق وميزابها الى دجلة^(١١)
والصراة ونهر عيسى ونهر بناحية الحرية يأخذ من الدجيل وكان منها
مرافق للناس لسقى البساتين واشرب الشفة في الاطراف البعيدة من دجلة
فانفذت مجاريها ونفت رسومها ونشأ قرن بعد قرن من الناس لا يعرفونها
واضطر الضعفاء الى أن يشربوا مياه الآبار الثقيلة أو يتكلفوا حمل الماء من
دجلة في المسافة الطويلة فأمر بحفر عمدانها ورواضعها وقد كانت على عمدانها
الكبار المعروفة بنهر عيسى والصراة والخندق قناطر قد تهدمت وأهمل
أمرها وقل الفسك فيها فربما انقطعت بها السبل أصلاً وربما عمرتها الرعية
عمارة ضعيفة على حسب أحوالهم وعلى حسب الاقتصاد والترجية فلم تكن
تخلو من أن يجتاز عليها البهائم والنساء والاطفال والضعفاء فيسقطون فبنيت
كأها جديدة وثيقة ونعمت عملاً محكماً . وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد
فانه كان لا يجتاز عليه الا المخاطر بنفسه لا سيما الراكب لشدة ضيقه
وضغفه وتراحم الناس عليه فاخترت له السفن الكبار المتقنة وعرض حتى
صار كالشوارع الفسيحة وحُصن بالدرابزينات ووكل به الحفظة والحراس .
فأما مصالح السواد فانها قلدت الامناء ووقع الابتداء بذلك في السنة
المتقدمة لهذه التي نحن في ذكرها فقلبت الزيادات وجمعت العدد من
القصب والتراب وأصناف الآلات^(١٢) وأعيد كثير من قناطر أفواه
الانهار والمعايض والآجر والنورة والجص وطولب الرعية بالمعارة مطالبة

رفيقة واحتيط عليهم بالتتبع والاشراف وبلغ في الحماية الى أقصى حد ونهاية
وأخر افتتاح الخراج الى النيروز المعتضدي^(١) وكان يؤخذ سافا
قبل ادراك الغلات وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها
الزيادات والتأويلات ووقف على مظالم المتظلمين وحملوا على التمدد
ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج وزال ما كان يجرى عليهم من القبايح
وضروب العسف وأقيمت لهم السواني في مناهل الطريق وأحفرت الآبار
واستفيضت الينابيع . وحملت الى الكعبة الكسوة المستعملة الكثيرة
وأطلقت الصلات لاهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوى الفاقة
وأدرت لهم الاقوات من البر والبحر وكذلك فعل بالمشهدين بالعري
والحائر على ساكنهما السلام وبمقابر قریش فاشترك الناس في الزيارات
والمصليات بعد عداوات كانت تنشؤ بينهم الى أن يتلاعفوا وتوائفوا

(١) قال صاحب كتاب العيون انه في سنة ٢٧٩ أحدث المعتضد النوروز الذي
وقع في اليوم الحادي والعشرين من حزيران
وفي تأخر الخراج قال أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل (والنسخة موجودة في
كتبخانة باريس ٥٩٨٦ ص ١٣٨) ان أول من أخرج النيروز المتوكل فانه كان يرى ما أضر
بالناس افتتاح الخراج والزرع أخضر وهم بقرضون وبستلفون وأحضر ابراهيم بن العباس
الصولي فوق العزم على تأخير النيروز الى سبعة وعشرين يوما من حزيران فيكتب
الكتاب على ذلك وهو كتاب مشهور في رسائل ابراهيم وفيه وجد البلاذري خطأ
(وردت القصة في ارشاد الاريب ٢ . ١٢٨) وانه قتل المتوكل قبل دخول السنة الجديدة
وولى المنتصر فاحتاج الى المال فطوبى به الناس على الرسم الاول وانتقض ما رسم
المتوكل فلم يعمل به حتى ولي المعتضد . فوقع حسابه في اليوم الحادي عشر من حزيران
فاحكم أمره على ذلك وأثبت في الدواوين . وأما احتدى المعتضد بالله ما فعله المتوكل
الا أنه قد قصره في احدى عشر يوما من حزيران

له عضد الدولة على الوزارة وتدير الاعمال وجمع الاموال أبا الريان حمد بن محمد الاصبهاني وذلك لدربه لا لصناعته ولانه عرف بطول الممارسة موارد الامور ومصادرها وكان واسطة بين عضد الدولة ووزرائه وكان كاشريك لهم فيما ينفذونه ويمضونه من أوامره . فلما استقر المطهر بالبريوني من أعمال الجلمدة شاور الناس وعرض الرأي فقرر الامر على تدير فاسد قد كان جربه من درج قبله مرارا فلم ينتفع به وهو ايقاع السدود على أفواه الانهار لتنشف البطيحة التي يلجأ اليها^(٥١٣) عسكر النبط وأنشأ مسناة يسلك عليها بالاقدام الى نفس معانقهم فأطلقت في ذلك أموال ضاعت وانقطعت المسالك في دجلة وبطل ارتفاع الكبار ولزمت مؤن الحصار واثبات الرجال وجاءت المدود فحات على السدود . وتوصل الحسن بن همران الى بعض تلك السدود فبتمها فامتلات البطائح بالمياه وكان المطهر اذا سده جاتبا اثلمت عليه جوانب واذا حفظ وجهها اتاه الخلل من وجوه واتفق مع ذلك ان جرت بينه وبين الحسن بن عمرار وقعة في الماء فلم يتم له ما قدره من اصطلامه . وكان المطهر قد ألف فيما كان باشره من الحروب المناجزة واعتاد المفاصلة ولم يدفع الى مصابة قط ولا معطارة فشق ذلك عليه وبلغ منه وكان بينهم أبا الحسن محمد بن عمر العلوي بمراسلة تجرى بينه وبين صاحب البطيحة وهدايا وملاطقات في السر منه وانه يطنه على أسرار التدير عليه ويهديه الى مصالحه . وكانت أخلاق المطهر معروفة بالشراسة والخشنة وكانت أفكاره سيئة فأوجس في نفسه خيفة واستشعر وحشة وتوهم أن استصواب ما استصحب عليه من هذا الامر عائد عليه بانخفاض منزلة وانحطاط عن رتبة الوزارة وان أبا الوفاء يجد مساعدا للطعن عليه واظهار

معايبه لما كان بينهما من العداوة والمنافسة في المرتبة واختار الموت على نسلط الاعداء عليه وتمسكهم منه . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خات من شعبان جلس في مجلسه من عسكره ودخل اليه الكتاب والقواد وطبقات الناس ^(١) مسلمين عليه فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف ونهض الى خيمة كان يحلو فيها واستدعى طبيبه وأمره بان يفصده وظن انه اذا انصرف الطبيب حل شدة الفصد واستنزف دمه الى أن يتلف وكان قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من أجل علة نالته قبل حركته من الحضرة فاعلمه الطبيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره وطرده ثم صرف من كان واقفا بين يديه من غلمانة حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دوانه فقطع بها شرايين ذراعيه جميعا وأدخلها الى باطن ثيابه فخرج نفسه في مقاتله ودخل اليه فراس كان يختص به فرأى دسنة الذي كان جالسا فيه ملوا دما فصاح وتوافي اليه الناس فادركوه وبه رمق وظنوا أن انسانا أوقع عليه ثم تكلم بما بان لهم ^(٢) انه تولى ذلك من نفسه وحفظت عليه الفاظ يسيرة منها ان محمد بن عمر العلوي حمله على ما ارتكبه من نفسه وكلمات يسيرة في هذا المنى وغيره ومات من ساعته وحمل الى بلده بكارزين من أعمال فارس فدفن هناك . وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ قتلك هذا الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له ونسل الله التوفيق والعصمة والستر الجليل برحمته .

وأثناء عضد الدولة عبيد الله بن الفضل الى معسكر المطهر لحفظ أسبابه وتقرير أمر صاحب البطيخة على أمر في العاجل من حمل مال

ومواعدة له الى أن ينظر في أمره وكان ذلك عقيب عوده من الايقاع بين شيبان^(١٥) فأنحدر ووفي بما أمر وحمل مالا من قبل الحسن بن عمران وتسلم منه رهينة وانكفأ بجميع ذلك ودخل الحاضرة يوم الاربعاء النصف من ذى القعدة

وفيهما اتفرد نصر بن هرون بالوزارة لان أصل الوزارة كانت له ثم شورك بينه وبين المطهر فلما مضى المطهر اسبيله وتفرّد نصر بن هرون بوزارته وكان مقبلا بفارس يدبر أعمالها استخاف له عضد الدولة أبا الربان حمد بن محمد .

وفيهما ورد رسول لصاحب المغرب برسائل أداها وكان دخوله في شعبان وانصرفه في ذى القعدة ورد معه القاضي أبو محمد العماني لتأدية الجواب . وفيها توفي حسنويه بن الحسين في قلعة المعروفة بسرماج .

وفيهما قبض على محمد بن عمر العلوي بالطبيعة وأتخذ الى فارس وكان السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه^(١٦) وأتخذ أبو الوفاء طاهر ابن محمد الى الكوفة لقبض أمواله وأملاكه فوصل الى شيء عظيم يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر التي لا يظن بمثله انه يجمعها ودخلت اليد في ضياعه وكانت كثيرة تشتمل على جل سقى الفرات بل قد تجاوز ذلك الى غيره من أعمال السواد واصطنع أخوه أبو الفتح احمد ابن عمر وقلد الحج بالناس واقطع اقطاعا سنيا .

(١) قال ابن الصابي انه سمع منه كلام يفهم منه الشكاية من الشريف قبض عليه عضد الدولة ونقله الى فارس ودخلت اليد في أملاكه وأسبابه : كذا في عمدة الطالب

وفي هذه السنة أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي أسيرا
وشهر بالبصرة وبمدينة السلام ثم قتل وصُلب إلى جانب صاحبه. ^(٥١٦)
(شرح الحال في الحيلة التي تمت عليه حتى أسر وقتل)

كان هذا الرجل وضيعا ساقطا طبخته عن كل رتبة واستخدم في وقت
في تفرقة قضيم الكراع ولذلك عُرف بالكراعي ثم وصل بمحمد بن بقية
وجمعتهما عاهة النقص ومناسبة السقوط فارتفع معه حتى قاه خلافته
بالبصرة وجعله مستوفيا على العمال فأثرى وتمول وكان منه في أيام عصيان
ابن بقية بواسط سوء أدب كثير وذكر الملوك بما لا يليق بالملوك بعضهم
في بعض. ثم تسكر له ابن بقية فقبض عليه ونكبه فلما قبض يختار على ابن
بقية استخدمه ولما عزم يختار على الهرب منه هرب منه وصار إلى
البطائح وكان هناك يجري على سوء عادته في سوء الادب. فدبر عضد الدولة
تديرا ثم شطره عليه ولو قبل جميعه لم أيضا على صاحب البطيحة ما يُستغنى
معه عن محاربة ومكافحة وذلك أنه ووقف جماعة من أهل البصرة ووجوها
ان يخدموا عضد الدولة في مكاتبة يؤقمونها إلى هذا الكراعي ويوهمونه
أنهم يوالونه ويضافرونه فإذا قربوا منه أثاروا الفتنة بمواطاة من سلطان
البصرة ثم سلموا إليه البصرة حتى إذا اغتر استدعى الحسن بن عمران
ليتقوى به فإذا صار في دجلة حيل بينه وبين الرجوع إلى البطيحة وحاشته
الكمياء من أعلى وأسفل. وأخذ فبلغ به الجهل ان يصدق بهذا الوعد
وعجل فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران وسائر عسكره وقال : لي
بالبصرة أولياء واخوان قد كاتبوني والبصرة في أيدينا. فاغتر به الحسن
ابن عمران ^(٥١٧) وخرج مع عسكره فلما صاروا بمطارا نار بهم من كان فيها

من الرجال وقَاتلُوهم . وأخطأوا لأن تمام التدبير كان في ان يتركوهم حتي يُوغِلُوا الى البصرة فاقام القوم يقاتلونهم ثم ظفر بالكراعي وانهزم الحسن ابن عمران بعد ان مُلِكَت عليه قطعة وافرة من سفنه ورجاله . وحل الكراعي الى البصرة فشهر وعوقب وطولب بالمال ثم أُنْفَذَ الى بغداد فشهر منصوباً على نقق في سفينة وعلى رأسه برنس وذلك يوم الخميس لعشر ليال بقيت من شعبان فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة طُرِحَ الى القيلة فخبطته وصلب الى جانب ابن بقية .

وفي هذه السنة نفذ عسكر الى عين التمر في طلب ضبة بن محمد الاسدي (وقد مرَّ ذِكرُهُ) وانه ممن يملك سبيل الدعار ويسفك الدما ويُخيف السبل وينهب القرى ويسبيح الاموال والفروج) واتهم حرمة المشهد باخاثر فلما أظلم عليه العسكر المجرد هرب بحشاشته الى البادية وأسلم أهله وحرمة فحصل أكثرهم في الاسر ومُلِكَت عين التمر

وفيها دبر عضد الدولة ان يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى ففعل ذلك وعقد العقد بحضور الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مائة الف دينار^(١) وبني الامر فيه على ان يرزق ولداً ذكراً منها فيولي العهد وتصير الخلافة في بيت بني بويه ويصير الملك والخلافة مشتامين على الدولة الديلمية^(٥١٨)

وفي هذه السنة سار عضد الدولة الى الجبل وأعمالها ودوخ همدان

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وكان الوكيل عن عضد الدولة أبو علي (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار) الفارسي النحوي والذي خطب القاضي أبو علي الحسن ابن علي التنوخي .

والدينور وناهوند لافتتاح قلاع حسنويه بن الحسين الكردي وتدير
فخر الدولة في قصده ومقابلته على ما كان منه في مكاشفته والاجتهاد في
تشتيت شمل الدولة وتفريق الكلمة ومعاضدة بخيار وابن بنية وقد كان
أظهر مباينة مؤيد الدولة وكاتب قابوس بن وشمكير .

ولما هلك حسنويه بن الحسين أمّل عضد الدولة ان يكون الشيطان
الذي نزغ بينه وبين اخوته قد زال وأخذ أبا نصر خورشيد يزديار الخازن
برسائل الى مؤيد الدولة والى فخر الدولة والى قابوس بن وشمكير اما الى
مؤيد الدولة فبإحماده على طاعته التي ما غيرها ولا كدّها واما الى فخر
الدولة فبالمعاقبة والمداراة والزيادة في الاخذ بالحجة واما الى قابوس بن
وشمكير فبالمشورة عليه بحفظ الذمة التي تعلق بها وحفظ نعمته وترك
التعرض لما يورطه ويهلكه . فأما مؤيد الدولة فانه أجاب جوابا سديدا
وانه واقف على حدود طاعته وتابعد له في رضاه وغضبه . واما فخر الدولة
فاجابه جواب النظير الذي لا يرى لرتبة الملك مزية ولا ليكبر السن وعهد
الاب فضيلة ولا في المعاودة الى جبل الطاعة نية . وأما قابوس فاجاب
جواب التهيب المحجم المراقب .

وافترق أولاد حسنويه فرقا واختلفت بهم المذاهب وهم أبو الملاء
وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار^(٥١٩) وعبد الملك
فطائفة منهم انحازت الى فخر الدولة مظهرة لمشاقة عضد الدولة وطائفة
وردت . حضرته فاما بختيار من بينهم فانه نافر اخوته وكان مقيما في قلعة
سرماج ومنه الاموال والذخائر فابتدأ بمكاتبة عضد الدولة وبذل تسليم
ذلك اليه وذ كر رغبته في ادعاء صام به والدخول في كنفه ثم تلون ولم

ف . قتشوف عضد الدولة للمسير الى الجبل وتهذيب أعمالها فابتدأ فقدم
عساكره يتلو بعضها بعضها فجرد أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب
وأبا نصر خواشاذه وأبا الوفاء طاهر بن محمد وبرز عن داره الى المعسكر
بالمصلي من الجانب الشرقى بعد ان أقر أبا الريان بالحضرة على جلسته من
خلافة الوزارة ولكن زاد في منزلته وناط به جميع أمور المملكة وطال مقامه
بالمعسكر الذي برز اليه الى ان أوغلت تلك الجيوش السائرة على مقدمته . وقد
كان أبو نصر خواشاذه وطأ الامور عند خروجه لتأدية الرسائل فواقف
القواد والوجوه أن يخدموا عضد الدولة بنياتهم فاذا سار استأمنوا اليه وضمن
لهم الاقطاعات السنوية وحمل الى بعضهم الهدايا والالطاف في السر فلما سار
تلقته في طريقه البشائر بدخول جيشه همدان واستئمان العدد الكثير من
قواد^(٥٢٠) نخر الدولة ورجال حسنويه وتلقيهم رايته منحا زين اليها وتلقاه أبو
الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير نخر الدولة ومعه جماهير حاشيته
وبقية قواده وغلما نه فأنحل أمر نخر الدولة واحتاج الى مفارقة موضعه
واللحاق ببلد الديلم فمضى ونزل دارا كان بناها معز الدولة بهوسم ولجأ الى
الداعي العلوي المستولى على ذلك الصقع وعرج عضد الدولة الي نهاوند
وافتح قلعة سرماج واحتوى على ما فيها وملك غيرها من قلاع تلك البلاد
وألقت اليه الحصون مقابليتها وأخرجت الارض أثقالها .

ولحقته في هذه السفرة علة عاودته مرارا وكانت شبيها بالصرع وتبعه

مرض في الدماغ يعرف بليترغس وهو النسيان الا انه أخفى ذلك

ويقال ان مبدأ ذلك به كان بالموصل الا انه لم يظهر أمره لاحد^(١)

﴿ وهذا آخر ما عمله الاستاذ أبو علي أحمد بن محمد بن
يعقوب مسكويه رضى الله عنه ﴾

والحمد لله وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من اتساخه محمد بن علي بن محمد أبو طاهر البلخي في
منتصف شهر ربيع الاول سنة ست وخمسمائة

نقله وقابله علي بن حنظلة سنة عشرين وخمسمائة

فرغ من نقله الحسن بن منصور في مستهل المحرم سنة
ثمان وثلاثين حامدا لله ومصليا على نبيه

فرغ ابنه محمد بن الحسن في ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسمائة

ان يزيد في لقبه « تاج الملة » ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فاجابه وجلس الطائع على
المرير وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة
ويده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وضربت ستارة بعثها عضد
الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل
الانراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الاشراف وأتخاب المراتب من
الجبائين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة فقبل عضد الدولة الارض .
فارتاع زياد القائد لذلك وقال بالفارسية : ما هذا أيها الملك أهذا هو الله عز وجل !
فالتفت الي عبد العزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له « هذا خليفة الله في الارض »
ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات فالتفت الطائع الى خالص الخادم فقال :
استدنه . فصعد عضد الدولة فقبل الارض دفعين فقال له : أدن الى أدن الى . فدنا وقبل
رجله وثني الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد ان كرر عليه « اجلس »
وهو يستغنى فقال له : أقسمت لئجلس . فقبل الكرسي وجلس فقال له : ما كان أشوقنا
اليك وأشوقنا الي مفاوضتك . فقال : غدى معلوم . فقال : نيتك موثوق بها وعقيدتك

مسكون اليها . فأوماً برأسه ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية في شرق الارض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوي خاصي وأسبابي فتول ذلك مستخيراً بالله . قال : يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته . وأريد وجوه الفواد أن يسمعوا لفظ أمير المؤمنين فقال الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ومحمد بن عمرو بن معروف وابن أم شيبان والزبيري . فقدموا فاعاد الطائع لله القول بالتفويض . ثم التفت الى طريف الخادم فقال : يا طريف تفاض عليه الخلع ويتوَّج . فنهض الى الرواق وألبس الخلع وخرج فأوماً ليقبل الارض فلم يطق لكثرة ما عليه فقال له الطائع : حسبك حسبك . وأمره بالجلوس . ثم استدعى الطائع تقديم ألويته فقدم لوائين واستخار الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعقدتهما ثم قال : يقرأ كتابه . فقرأ . فقال له الطائع : خار الله لك ولنا ولله مسلمين آمرك بما أمرك الله به وأنهاك عما نهاك الله عنه وأبرأ الى الله مما سوى ذلك انهض على اسم الله . ثم أخذ الطائع سيفاً كان بين الخدين فقلده به مضافاً الى السيف الذي قلده مع الخلعة وخرج من باب الخاصة وسار في البلد .

وأما عضد الدولة وعلته فليراجع في ذلك حكاية أوردها ابن حمدون في التذكرة وهي : حدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي قال : حدثني عضد الدولة أبو شجاع فناخسرة ببغداد وذلك في سنة ٣٧٠ قال : حدثني أمي رحمها الله أنها ولدت للأمير ركن الدولة ولداً قيل كناه أبا دلف وعاش قليلاً ومضى لسبيله (قالت) فحزنت عليه حزناً شديداً اسفاً على فقدته واشفاقاً من أن ينقطع ما بيني وبين الأمير بدمه فسلا لي مولاي وسكنني وأقبل علي وقربني ومضت الايام وتطاول العهد وسلوت ثم حملت بك باصفهان فخفت أن أحیی بنت فلا أرى مولاي ولا يراني لما أعرفه من كراهته للبنات وضيق صدره بهن وطول أعراضه عنهن ولم أزل على جملة الفلق والجزع الى أن دخلت في شهرى وقرب ما أترقبه من أمرى وأقبلت على البكاء والدعاء ومداومة الصلاة والادعية الى الله في أن يجعله ولداً ذكراً سوياً محظوظاً (أو كما قال عضد الدولة) ثم حضرت أيامي وانفق أن غلبني النوم فتمت في مخاذي ورأيت في منامي رجلاً شيخاً نظيف البزة ربعة كك اللحية أعين عريض الاكتاف وقد دخل على وعندي انه مولاي ركن الدولة فلما تبينت صورته ارتعت منه وقلت : يا جواري من هذا الهاجم علينا فتساعين اليه . فزبرهن وقال : أنا على بن أبي طالب : فنهضت اليه وقبلت الارض بين يديه فقال : لا لا . وقلت : قد ترى مولاي ما أنا فيه فادع الله لي بأن يكشفه ويهب لي ذكراً سوياً محظوظاً . فقال : يا فلانة

(وسماي باسمي وكذا كنى الملك عضد الدولة عن الاسم) قد فرغ الله مما ذكرت وستلدين ذكرا سويا نحيبا ذكيا عاقلا فاضلا جليلا القدر سائر الذكر عظيم الصولة شديد السطوة يملك بلاد فارس وكرمان والبحر وعمان والعراق والجزيرة الى حلب ويسوس الناس كافة ويقودهم الى طاعته بالرغبة والرغبة ويجمع الاموال الكثيرة ويظهر الاعداء . ويقول بجميع ما انا فيه (يقول الملك ذاك) ويعيش كذا وكذا سنة لعمر طويل أرجو بلوغه (ولم تبين للملك قدره) ويملك ولده من بعده فيكون من حالهم كذا وكذا لشيء طويل هذه حكاية لفظه قل الملك عضد الدولة : وكلما ذكرت هذا المنام وتأملت أمرى وجدته موافقا له حرفا بحرف ومضت على ذلك السنون ودعاني عمى عماد الدولة الى فارس واستخلفني عليها وصرت رجلا ومات أُمى

وحدث أبو الحسين الصوفي يقول الملك هذا (وأبو الحسين حاضر يسمع حديثه) واعتلت علة صعبة أبست فيها من نفسي وأيس الطبيب منى وكانت سننى المتحولة فيها سنة ردية الدلائل موحشة الشواهد وبلغت الى حد أمرت فيها بان يحجب الناس عنى حتى الطبيب لضجى بهم وتبرمي بامورهم وما احتاج الى شرحه لهم ولا يصل الى الا حاجب النوبة وبينا أنا على ذلك وقد مضت فيه ثلاثة أيام أو أربعة ولا شغل لى الا البكاء على نفسي والحسرة من مفارقة الحياة اذ دخل حاجب النوبة فقال : أبو الحسين الصوفي في الدار منذ الغد بسأل الوصول وقد اجتهدت به في الانراف فاني الا الفعود ورك القبول ولن يقول « لا بد لي من لئام مولانا فان عندي بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها وسماعه اياها » فلم أحب أن أجده في المنع والصرف الا بعد المطالعة وخروج الامر . فقلت له على مضض غالب وبصوت خافت : قل له كاني بك وأنت تقول « قد بلغ الكوكب الفلاني الى الموضع الفلاني » وتهذى على في هذا المعنى هذيانا لا يتسع له صدري ولا يحتمله قاي وجسمي وما أقدر على سماع ما عندك فانصرف . فخرج الحاجب وعاد متعجبا وقال : اما ان يكون أبو الحسين قد اختل واما ان يكون عنده أمر عظيم فاني أعدت عليه ما قاله مولانا فقال : ارجع وقل له « والله لو أمرت بضرب رقبتى لما انصرفت أو أراك ومتي أوردت عليك في معنى النجوم حرفا فحكك ما مض في واذا سمعت ما أحدثك به عوفيت في الوقت وزال ما تجده » فمجيبت من هذا القول عجباً شديداً مع علمي بعلم أبي الحسين وشدة تحقيقه وقلة تحريفه وتطلعت نفسي الى ما عنده فقلت : هاته . فلما دخل قبل الارض وبكى وقال : أنت والله يا مولانا في عافية ولا خوف عليك اليوم تبل وتستقل ومعني دلالة على ذلك . قلت : وما هي . ولم أكن

حدثته من قبل بحديث المنام الذي رآته أمي ولا سمعه أحد مني فقال : رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عم والناس يهرعون إليه ويجمعون عليه ويفاضونه أمورهم ويسألونه حوائجهم وكانى قد تقدمت إليه وقلت له : يا أمير المؤمنين أنا رجل في هذا البلد غريب تركت نعمتي وتجارتي بالرى وتعلقت بخدمة هذا الأمير الذي أنا معه وقد بلغ في علمه إلى حد آيس فيه من عافيته وأخاف أن أهلك بهلاكه فادع الله له بالسلامة . قال : تعنى فناخسره بن الحسن بن بويه . فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال امضى إليه غدا وقل له « أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذي رآته وهى حامل بك ألم أخبرها مدة عمرك وانك ستقتل اذا بلغت كذا وكذا سنة علة بأيس فيها منك أهلك وطبك ثم تبرأ منها وفي غد يبتدىء برؤك ويزايد الى أن تركب وتعود الى عادتك كلها في كذا وكذا يوما ولا قاطع على أجلك الى الوقت الذى أخبرتك به أمك عني » قال الملك عضد الدولة : وقد كنت أنسيت أن أمي ذكرت ذلك في المنام وأنا اذا بلغت هذه السنة من عمري اعتلت هذه العلة التي ذكرها فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله فحين سمعت ما سمعته حدثت لي في الحال قوة نفس لم تكن من قبل وقلت : اقم دوني . فجاء الغلمان وأجلسوني فلما استقلت على الفراش قلت لأبي الحسين : اجلس وأعد الحديث . فجلس وأعاد وتولدت بي شهوة الطعام واستدعيت الطب فاشاروا بتناول غداء عمل في الوقت وأكلته ولم ينصرم الوقت حتى أحسست بالصلاح الكثير وتدرجت العافية فركبت وعادوت عاداني في اليوم الذى قاله أبو الحسين .

وكان الملك يشرح هذا الشرح وأبو الحسين حاضر يقول : كذا والله قلت لمولانا وأعيذه بالله فما أحسن حفظه وذكره . ثم قال لى : بقى في نفسى من هذا المنام شيء قلت : يبلغ الله مولانا آماله ويزيله من كل ما يهوله ويصرم عنه كل ما ينجشاه . ولم أتجاوز الدعاء لعلمي بأن سؤاله عن ذلك سوء أدب فلم ما فى نفسى وقال : وقوفه على اننى أملك حبل ولو كان عنده اننى أتجاوزها لقال حتى انه لما ورد الخبر بإقامة ابن شيخ الدعوة لى بها ذكرت المنام فتفصص على امرها اشفاقا من أن تكون آخر حدود مملكتي

من ذلك الصقع . فدعوت

له واقطع المجلس



تصحیحات

صواب	خطا	سطر	صفحة
واعادا	واعاد	٢	٦
العدو	الغدر	٣٤	
[لعله] القلب	الحرب	١٣	
غصب	غضب	٢٠	٨
مجاوري	مجاوي	١١	١٠
حدود	حدد	١٢	
نهرأ	بهرأ	١٦	
الكشكري	الكنكري	١	١٣
مع الجنكائي	الى الجنكائي	١	١٤
اذا حضر	اذ احضر	١٤	١٥
رقة	زفة	١	٢١
الرجمة	الرحمة	١٨	
اخذ	اخذوا	١٩	
استاسر	استاصر	٩	٢٢
كاكي	كالي	٥	٢٣
جميع	جمع	٢١	٢٩
نيات	ثبات	٥	٣٣
فعصاء	بعصاء	١٢	
وداراه	وواراه	٨	٣٤
ويابون	ويانئون	١١	
في واسط	بواسط	٥	٣٦
المزرفة	المروفة	٥, ٩	٣٣
توزون (البقية)	توزون	١٨	٣٨
تقتير	نقم	١	٥٢
فتشبتوا	فتشبتوا	١٩	

صفحة	سطر	خطا	صواب
٥٤	٥	الامير	الامر
٦٢	٢٠	بجملة	بجملة
٦٤	١٥	اجماع	اجتماع
	١٩	بالمراغة	بالبردة
٧٥	١٤	بعث	بحث
٧٩	١٣	كتب	ركب
٨٥	٥	للحسن	للحسين
٩٢	١٩	الثمانين	الثنائين
		وافق	واقف
٩٤	٤	و جزر	و خزر
٩٨	٣٥	ويقطعون	ويقتطعون
١٠٧	٦	على	كل
	١٥	لموسى	لموسى
١١١	٣	لشكرورز	لشكرورز
١١٢	٣	الطفوف	[لعله] الظهور
١٢٠	١٩	و يسألها	و تسلمها
١٢١	١٨	جمع	جميع عسكرة
١٢٩	١	حظا	حطا
١٣٥	٧	ثيرمن	شرمن
١٣٦	١١	وارسل	وراسل
١٤٠	٦	ضيقا	صيقا
١٤٣	١٦, ١٧	انفق	اتفق
١٤٤	٢	الى الاهواز	التي بالاهواز
١٤٧	١٠	واذكر	واذكى
١٤٨	٩	ووقع	ورفع
١٥٢	١٧	الى ان	على ان
١٥٦	١٢	علته	عنده
١٥٨	١	ويسير	ويصير
١٥٩	١٦	على	[امح]
١٦٠	١	و دافعه	و واقعه
١٦٥	١٧	البركان	البردان

صفحة	سطر	خطا	صواب
۱۷۰	۳	رای	رای
۱۷۱	۱۲	رجالهما	و حالهما
۱۷۶	۱۱	لمعز	لمعز
۱۷۸	۵	واطمعه	واطمعه
	۱۱	و کاتبهما	و کاتبه
۱۸۴	۱۷	والرقد	والرفض
۱۹۴	۱۲	بخشب	بخشت
۱۹۶	۷	ومنها	وفیها
۱۹۸	۲	جری	بجری
۱۹۹	۶	بخشب	بخشت
۲۰۰	۸	الی ان	اجاب الی ان
۲۰۲	۲	وملازجرد	ملازجرد
	۳	نفر	نفر
۲۲۴	۱	علی	عن
۲۲۵	۸	وعرض	وحرض
	۱۲	وعباد	وعتاد
۲۳۵	۱۷	فاحتلت	فاختلت
۲۴۰	۱۱	مآلا	مالا
۲۴۵	۱۲	معهم	معه
۲۵۱	۸	یکان	قد کان
۲۵۴	۸	وملها	وملکها
۲۵۵	۱۱	واستغفر	واستغفر
۲۶۰	۱۶	یسعرها	یسعرها
۲۶۷	۱۵	ووافقه	ووافقه
		راجیه	رائجة
۲۷۰	۷	یتسط	یتبسط
۲۷۱	۸	النهار	النار
۲۷۴	۱۷	اجتعت	اجتمعت
۲۷۸	۲۰	انسته	مؤانسته
۲۸۸	۵	فانخزل	فانخزل
۲۹۰	۱۰	عسکر	عسکره

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٩١	٣	واختلف	واختلف
٢٩٢	٣	بينهم	منهم
٢٩٣	١	وراءها	وردها
٢٩٥	٨	ومخاطبية	ومخالطية
٢٩٦	١١	والتدابير	التدابير
٢٩٧	٢	منها	فيها
	١٩	الزلة	الذلة
٢٩٩	٥	النيز	التييز
	١١	لجاشكية	لجاشكية
	١٦	واوعدم	واوعدم
٣٠٠	٢٠	بالجاشكية	بالجاشكية
٣٠١	٢٠	ثناء	نماء
٣٠٢	٣	والاحتشار	والاحتشاد
٣٠٣	٤	والاجماع	والاجتماع
٣٠٥	٤	المحارمات	المحاربات
	١٧	يقال	يقال له
٣٠٩	٨	ليقيم	ليقيمة
	١١	عنه	عنده
	١٨	واعقد	واعتقد
٣١٢	١٣	جرح به جراح	خرج به خراج
٣٢٠	٦	الآذُل	الاذل
٣٢٤	٤	الموافقة	الموافقة
	١٨	وينع	وينع
٣٢٥	٣	جبة	جنة
٣٢٦	١٧	علم	[لعله] عمل على
٣٣٠	١٢	تتوفر	تتوفر
٣٣١	٨	للحيل	للحال
٣٣٢	١٤	للحيل	النخيل
٣٣٣	١٢	بما	لما
	١٤	يجمع	يجمع
٣٣٤	٤	والتحمل	والمتحمل

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٤٣	٣	استيفاء	استعفاء
٣٤٤	١٨	فكاتب	فكائمة
٣٤٥	٦	اتاه مكرهة	اباه مكره
	١٢	ومعه	ومنعه
٣٤٧	١٠	محاورة	مجاورة
٣٤٨	٣	قبیحة	قبیحة
	١٧	الى	اجبتهم الى
٣٤٩	١٠	وسيقابلونني	وسيقاثلونني
	١٧	ابني	لبنی
٣٥٢	٢	مما	ما
٣٥٨	١	وبقيا	ونقيا
٣٦٨	٦	اقامة	امامة
٣٧٢	٦	ونقصت	ونقصت
٣٧٣	٢	شيرزاد	شيراز
٣٧٨	١٧	ابني	لبنی
٣٨٢	١٣	الدلة	الدولة
	٢٠	طلبهم	طلبها
٣٨٥	٩	واتخذهم	واتخذة
٣٩٢	٢١	ابو القاسم	ابا القاسم
٤٠٢	١٧	مقيل	مقامه
	١٨	عقلتي	عقيل
	١٩	حها	حتى
٤٠٥	٢٠	بالزاهر	الزاهر
٤١٤	١٠	وانتهك	وانتهك

obeykandi.com

THE CONCLUDING PORTION OF
THE EXPERIENCES OF THE
NATIONS

BY

MISKAWAIHI,

*Office-holder at the Courts of the Buwaihîd Sultans,
Mu'izz al-daulah, Rukn al-daulah, and 'Adud al-daulah.*

ARABIC TEXT

EDITED BY H. F. AMEDROZ.

VOL. II.

REIGNS OF
MUTTAQI, MUSTAKFI, MUTI' AND TA'T'.

Oxford.

BASIL BLACKWELL, BROAD STREET.

LONDON: 4 STATIONERS' HALL COURT, E.C. 4
1921.

THE ECLIPSE OF THE 'ABBASID CALIPHATE

Original Chronicles of the Fourth Islamic Century

EDITED, TRANSLATED, AND ELUCIDATED

BY

H. F. AMEDROZ,

BARRISTER AT LAW,

AND

D. S. MARGOLIOUTH,

D.LITT., F.B.A.

VOL. II.

Oxford:

BASIL BLACKWELL, BROAD STREET

LONDON: 4 STATIONERS' HALL COURT, E.C. 4

1921.